اللغة والجنوسة

تحليل لغوي للخطاب الروائي المصري المعاصر

الدكتور

شريف الألفي

اسم الكتاب: اللغة والجنوسة (تحليل لغوي للخطاب الروائي المصري المعاصر)

اسم الكاتب: د. شريف الألفى

تصميم الغلاف: عبدالله عباس

رقم الإيداع:2024-11431

الترقيم الدولى:978-977-8791-27-3

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

اللغة والجنوسة

تحليل لغوي للخطاب الروائي المصري المعاصر

الدكتور

شريف الألفي

مؤسسة الكاتب العربي
The Writer Operation

مدخل

لقد أومضَ القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا إلى فروق لغوية متحققة بين الرجل والمرأة, وذلك حين قال: ﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ[1] فِي الحِلْيَةِ وَهوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: 18], وهنا نجد الآية الكريمة تثبت أن الرجل والمرأة لا يستويان لغةً, خاصةً في بعض الميادين اللغوية كالجدال, الذي بطبيعته يحتاج إلى قوة, تنافسية, ومقاطعات مستمرة؛ وكلها استراتيجيات خطابية أثبتت الدراسات الحديثة أن المرأة لا تمتلكها بالقدر الذي يمتلكه الرجل منها؛ بيد أن إعجاز الآية لا يقف عند حدود إثبات فروق لغوية بين الرجل والمرأة, بل تعداه حين ألمح إلى أسباب تلك الفروق, وهي الأسباب التي أرجعها القرآن إلى الظروف التي تنشأ فيها الفتاة دون الفتى, فنمط التربية التي تُنشّأ عليها الفتاة من حيث خفض الصوت, الطاعة, الحياء, التستر, والتأدب, ثم المبالغة في الالتزام بتلك الصفات هو ما يجعلها دون الرجل في مجال الجدال؛ وهذا هو النهج المتبع من الكثرة الكاثرة من الباحثين الغربيين منذ ثمانينيات القرن الماضي إلى الآن في تفسير الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة؛ بيد أن تلك الومضة القرآنية لم تجد صداها لدى علماء العربية قديمًا, فلم يتنبه أحد منهم إلى الفروق اللغوية المتحققة بين الجنسين, اللهم إلا ما قاله الأخفش (ت: 215 هـ) عن الندبة, وما قاله الباقلاني (ت: 403 هـ) في تعليقٍ على بيتٍ لامرئ القيس؛ فلقد حكى الأول أن الندبة لا يعرفها كل العرب, وإنما هي من كلام النساء[2], وتابعه على ذلك كل من ابن جني (ت: 392 هـ) في لُمعه[3], وابن الأنباري (ت:577 هـ) في أسرار العربية[4]؛ أما الباقلاني فقد أصدر حكمًا يوحي بوجود اختلافات لغوية بين الرجل والمرأة, وذلك حينما علّق على قول امرئ القيس في معلقته: .... **فقالت لك الويلات إنك مرجلي**.قال: "وهو كلام مؤنث من كلام النساء, نقله من جهته إلى

---

[1] وردت في قراءة بفتح الياء. (أبو زرعة, عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة, ت: 403هـ), حجة القراءات, تحقيق: سعيد الأفغاني, مؤسسة الرسالة, ط2, بيروت, (1982/1402), ص: 646

[2] ابن السراج (محمد بن سهل أبو بكر النحوي البغدادي, ت: 316هـ), الأصول في النحو, تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي, مؤسسة الرسالة, ط3, بيروت, (1988), (358/1)

[3] ابن جني (أبو الفتح عثمان, ت: 392هـ), اللمع في العربية, تحقيق: فائز فارس, دار الكتب الثقافية, الكويت, (1972), ص: 120

[4] الأنباري (عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله أبو البركات, ت: 577هـ), أسرار العربية, تحقيق: د. فخر صالح قدارة, دار الجيل, ط1, بيروت, (1995), ص: 220

شعوه"[1]. لكن غير هذه الومضات لم يقدم علماء العربية أي اهتمامٍ بلغة المرأة ومدى اختلافها عن لغة الرجل؛ لكن على الجانب الآخر نجد علماء الغرب مع حلول عصر النهضة الأوربي قد بدأوا يسجلون ملاحظاتهم حول اختلاف لغة المرأة عن لغة الرجل, وذلك منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي[2] تقريبًا, حينذاك ظهر عدد من الدراسات التي تعرض الاختلافات اللغوية بين الجنسين في مجتمعات الأمازون والكاريبي؛ ثم استمر الاهتمام بالموضوع طوال القرنين التاليين على يد الباحثين الأوربيين؛ غير أن تزايد الاهتمام بالموضوع جاء مع مطلع القرن العشرين على يد علماء الأنثروبولوجي, والذين سجلوا معظم ملاحظاتهم على لغات غير أوربية, كلغات الهنود الحمر في أمريكا؛ ثم تنامى الاهتمام بالموضوع حين اتجهت جهود الأنثروبولوجيين بجهود علماء الاجتماع, وبعد أن تزايد الاقتناع بأن الجنوسة gender مثلها مثل باقي البنى الاجتماعية الأخرى كالطبقةclass , المنطقة الجغرافية, المستوى التعليمي, والسن؛ فكلها عوامل مؤثرة على الكلام.

بيد أن البداية الحقة لحقل اللغة والجنوسة Language and Gender كانت على يد اللغوي الدنمركي أوتو يسبرسن Jespersen,Otto, وذلك في كتابه "اللغة, طبيعتها, تطورها, وأصلها" عام (1921)؛ فمنذ ذلك التاريخ ثار نقاش واسع حول لغة المرأة, فلقد خصص الرجل في كتابه فصلًا وَسَمَه بـ (المرأة The Woman), وقد ادعى فيه عدة ادعاءات بشأن لغتها, ومن جملة هذه الادعاءات: أن معجم المرأة اللغوي أقل بكثير من نظيره عند الرجل, وأن المرأة تستخدم الصفات, الظروف, الأحوال, والضمائر بشكل أوسع من الرجل, كما أن جُمَلها أقل تعقيدًا من نظيرتها لدى الرجال[3]؛ وقد تابعه على ذلك العديد من الباحثين, غير أن ادعاءات يسبرسن ومن تابعه كانت في مجملها قائمة على الانطباعات الشخصية, والتي لا أساس لها من الواقع التجريبي. وعلى الرغم من ذلك, فمنذ ذلك التوقيت قد بدأ النقاش يحتد حول لغة المرأة, فهل هي بالفعل أدنى من لغة الرجل؟ أم أن الأمر لا يعدو سوى كونه مجرد تمايز في الاستعمال اللغوي؟

والحق أنه منذ لحظة الميلاد وكلا الجنسين يتعلمان اتباع قوانين مختلفة من السلوك, وذلك تبعًا لما تحدده القواعد الاجتماعية التي تحكم نظرة المجتمع لكل من الذكر والأنثى, ومن هذا المنطلق أتى اعتقاد كثير من

---

[1] الباقلاني (محمد بن الطيب بن محمد, ت: 403هـ), إعجاز القرآن, تحقيق: السيد أحمد صقر, دار المعارف, القاهرة, ص: 166

[2] عمر, (د. أحمد مختار), اللغة واختلاف الجنسين, عالم الكتب, ط1, القاهرة, (1996/1416), ص: 7

[3] Jespersen O (1921). Language, Its nature, development, and origin. New York: Henry Holt & Company. Pp. 237-254

اللغويين وعلماء الاجتماع بأن الرجل والمرأة يتكلمان ويكتبان بطرق مختلفة, والسبب هو الخبرات والتجارب والسلوكيات المختلفة التي يتعرض لها كلا الجنسين؛ فما تبيحه القواعد الاجتماعية للرجل قد تمنعه عن المرأة, وما قد تقوله المرأة قد يترفع عنه الرجل.

إذًا وما دامت الخبرات, التجارب, السلوكيات, وحتى المحيط الاجتماعي سيختلف – وبشكل كبير – بين الرجل والمرأة فلا شك أن ذلك الاختلاف سينعكس بالضرورة على السلوك اللغوي, وعليه فقد أُثيرت مسألة تحديد الاختلافات اللغوية بين الجنسين منذ عقود مضت, وقد ركزت جُلُّ الدراسات التي تناولت الفروق اللغوية بين الرجل والمرأة على الجوانب النطقية والمعجمية في الكلام المنطوق, وكذلك دراسة الفروق اللغوية في بعض الأشكال المكتوبة, كالمقالات الصحفية والمحادثات المتداولة عبر وسائل التواصل الإلكترونية, لتبقى دراسة الفروق اللغوية بين الجنسين في الكتابات الأدبية كالشعر والرواية والمسرح ...وغيرها منطقة من الدراسة ما زالت إلى الآن غير مطروقة بشكل منهجي منظم في حدود ما نعلم. هذا من ناحية المواد البحثية التي قامت تلك الدراسات على أكتافها أما من حيث الأطر النظرية التي انطلق منها الباحثون والباحثات في تناولهم للفروق اللغوية بين الرجل والمرأة فقد نجد أن جُل الدراسات الغربية –والأسيوية – قد اتبعت مقاربتين رئيسيتين: الأولى: هي مقاربة الهيمنة Dominance Approach؛ ولقد كانت روبين لاكوف (Lakoff, R. 1975)رائدة هذا الاتجاه في مؤلفها "اللغة ومركز المرأة Language and Woman's Place",وإن كنا نراها قد ركزت على عجز المرأة أكثر مما ركزت على سيطرة الرجل, لذا قد نرى أن الأنسب تسميتها مقاربة العجز. أما المقاربة الثانية: فهي مقاربة الاختلاف Difference Approach؛ وتَمثّلت في أعمال كل من: جنيفير كوتس (Coates, J. 1986) وديبورا تنن (Tannen, D. 1990), حيث قدمت الأولى هذا الاتجاه في كتابها "النساء, الرجال, واللغة Women, Men, and Language", أما الثانية فقدمته في مؤلفها "أنت – فقط – لا تفهم You just don't Understand". ومقاربة الهيمنة ترى أن التمايز اللغوي بين الرجال والنساء يمكن عزوه لهيمنة / سيطرة الرجل, وتبعية المرأة له؛ أما مقاربة الاختلاف فتقول إن كلّا من الرجل والمرأة ينتميان إلى ثقافتين اجتماعيتين مختلفتين, ولذا يمكن رد الاختلافات اللغوية لتلك الاختلافات الثقافية الاجتماعية, ومثال ذلك أن البنات يتعلمن أن يكن أكثر حذرًا في خطاباتهن, بينما الذكور فلا يوجد ما يمنعهم من إظهار قوتهم وغلظتهم في الخطاب, بل على النقيض, فقد يُشجَّعون على ذلك. وسواء كان سبب التمايز اللغوي هو هيمنة الرجل أو اختلاف الثقافة الاجتماعية, فالكل يُجمع حاليًا على أن هناك فروقًا بين لغة الرجل ولغة المرأة, منها ما ذكرته

لاكوف Lakoff حين أخذت تعدد بعض الظواهر اللغوية التي تتفشى في لغة المرأة دون لغة الرجل, فمن ذلك: أن المرأة أكثر استخدامًا للسؤال المذيل tag questions, وأكثر استعمالًا لعبارات التحوط hedging, كما لاحظت ما قد لاحظه يسبرسن من قبل, ألا وهو ضآلة معجم المرأة اللغوي[1].

إن كثيرًا من الباحثات أمثال: روبين لاكوف Lakoff, R., ودلي سبيندر (Spender, D. 1980) قد حاولن إثبات أن كلام المرأة في حقيقته مختلف كثيرًا عن كلام الرجل, وأن هناك ما يمكن أن نسميه "لغة المرأة"؛ فقد أكدت لاكوف وسبيندر على أن خطاب المرأة أكثر تردُدا more hesitant, أقل طلاقة, أقل منطقية, وأقل حزمًا من خطاب الرجل؛ كما أن المرأة أكثر استخدامًا للاستراتيجيات التعاونية في الخطاب co-operative strategies بدلًا من الاستراتيجيات التنافسية competitive strategies[2]؛ كما وجدت ملي هيات (Hiatt, M. 1977) أن المرأة – بشكل عام – هي الأكثر استخدامًا للجمل القصيرة ذات التركيب اللغوي البسيط[3].

بيد أن أغلب الملاحظات السابقة قد تم تسجيلها من تحليلات لمواد كلامية منطوقة, سواء أكانت محادثات فعلية جرت بين متكلمين, أم كانت افتراضية جرت على شكل مدونات إلكترونية؛ أما طرح مسألة اختلاف لغة الجنسين في النصوص الأدبية فقد تم معالجته من قِبل الباحثين بطريقتين مختلفتين: الأولى: قامت على المقارنة بين الأعمال الأدبية المقدمة من الكتاب والكاتبات, ومحاولة تمييز ما يُعرف بجملة المرأة the female sentence, أو تحديد أسلوب المرأة الكتابي female style of writing؛ وأول من استخدم هذه الطريقة كانت

---

(1) See: Lakoff R (1975). Language and Woman's Place. New York: Harper & Row Puplishers.

(2) Mills S (1995). Feminist Stylistics. london: Routledge. p.34

والاستراتيجيات التعاونية Co-operative هي تلك الاستراتيجيات التي تقوم على تبادل الآراء ووجهات النظر, وهي تشير إلى التعاون الذي يتم بين المتحادثين وجهًا لوجه حيث تبادل الآراء ووجهات النظر. أما الاستراتيجيات التنافسية Competitive ففيها يرغب أحد الأشخاص من المشاركين في الحوار بإظهار تفوقه في الخطاب وهيمنته عليه, وتقوم هذه الاستراتيجية على التصادم, والنقد, والمقاطعة المستمرة؛ وكما هو واضح فهي استراتيجية أليق بالرجال دون النساء. (See: Aries E (1976). Interaction patterns and themes of male, female and mixed group. Small group behaviour. 7(1):7-18. And see also: Nelson M.W (1998). Women's ways: interactive patterns in predominantly female research teams. Pp.72-354 in Coates J (ed.). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell)

(3) Hiatt, Mary (1977). The Way Woman Write. New York: Teacher's Colledge Press, Columpia University. In Mills 1995:38

فرجينيا وولف .Woolf, V (1929), وذلك عندما ادعت أن الجملة المقدمة من المرأة مختلفة عن تلك المقدمة من الرجل, وقالت أن هناك نمطًا من الجمل قامت الكاتبات بتطويره, وأطلقت على هذا النمط "جملة المرأة Female Sentence" أو "جملة الجنس الأنثوي the sentence of the feminine gender", ووصفت هذا النوع من الجمل بأنه أكثر مرونة ومطاطية من جملة الرجل[1]. أما الطريقة الثانية: فقد تضمنت دراسة الاستخدامات التي ينص عليها نظام التذكير/ التأنيث اللغوي the linguistic gender system للغات المختلفة, والذي تم تثبيته في الأعمال الأدبية. إذًا فالطريقة الأولى تنظر للجنوسة على أنها خاصية ثقافية للكاتب, أي أن الخبرات المختلفة التي يتعرض لها كل من الذكر والأنثى في المجتمع هي التي تحدد سلوكهم الذكوري أو الأنثوي, وبالتالي فهم يفرقون بين الجنوسة gender كخاصية ثقافية مكتسبة, وبين الجنس sex كخاصية فسيولوجية يولد بها الإنسان؛ والحق معهم, فلقد يوجد ذكر عضويًا غير أنه أنثى سلوكًا, والعكس صحيح أيضًا, فالذي يحكم كل ذلك هو الوسط الاجتماعي الذي ينغمس فيه الفرد[2]؛ أما الطريقة الثانية فقد نظرت للجنوسة كخاصية صيغية / شكلية morphological توجد داخل النص؛ وما يهمنا في هذا المقام هي الطريقة الأولى, وهي اعتبار الجنوسة خاصية ثقافية تنعكس في أعمال الكاتب, فما نريد بحثه هو كيف يتمايز خطاب الرجل عن خطاب المرأة داخل العمل الأدبي؟

على أن الاهتمام بتحديد الفروق اللغوية في الفن الكتابي بين الرجل والمرأة لم يتوقف عند المدرسة الأنجلو أمريكية, بل نجد أيضًا في التقليد الفرنسي ما يعرف بمدرسة "الكتابة النسائية ecriture feminine", وقد قامت هذه المدرسة عام (1970) على يد كاتبات شهيرات من أمثال: هيلين سيكسو .Cixous, H (1937 –...) وشانتال شواف .Chawaf, C (1943 –...) فقد قمن هؤلاء النسوة بتعريف الكتابة النسائية بـ"الكتابة الجسدية

---

(1) Woolf, Virginia (1929 [1966]). Women and Fiction. In collected essays. Vol.2. London: Hogarth Press. In Mills (1995:33)

(2) لك أن تلاحظ في ذلك هؤلاء الذكور الذين يعملون في أعمال مرتبطة بمجتمع الإناث, كتصفيف الشعر ومستحضرات التجميل, فكلنا يعلم أن سلوكهم اللغوي – وحتى الجسدي – قد يبعد تمامًا عن سلوك الرجال, ويقترب بشدة من كلام, واهتمامات, وحركات النساء, فتجده يستخدم مصطلحات خاصة بالنساء, كما قد يتبنى الاستراتيجيات الأنثوية في المحادثة كمبدأ التعاون, وتشجيع الآخرين على التحدث, كما تراه يتجنب لهجة الرجال الصارمة, وردة فعلهم القوية. والعكس من ذلك صحيح أيضًا, فانظر إلى النساء عندما يعملن في مراكز طالما شغلها الرجل مثل: عمل المرأة كشرطي مثلًا, فستجدها أقرب ما تكون للرجال سلوكًا, عنفًا, وصلابة, فقد نجد وجهها متخذًا صورة ذكورية, كما قد تتبنى أسلوبًا حواريًا جافًا, فلا تبتسم وإنما تتكلم بشكل صارم.

corporeal ecriture" حيث رأين أن كتابة المرأة تميل لأعمال وحركات الجسد, كما أنها – لغة المرأة – لغة متعددة المعاني, منحرفة نحويًّا"[1].

ختامًا لقد احتل حقل اللغة والجنوسة منذ ستينات القرن الماضي مكانة مهمة في حقول الدراسات اللغوية, والاجتماعية, والنفسية؛ وقد أخذت بعض الجامعات في تدريس مقررات مستقلة عن السلوك اللغوي لكل من الرجل والمرأة, في حين مازال هذا الحقل بكرًا في عالمنا العربي لا يجد له مكانًا بين دراساتنا العربية, وهذا ما حدا بنا لطرق هذا الموضوع رغبة منا في جذب الانتباه لهذا الحقل اللغوي المهم الذي أومض إليه قرآننا الكريم منذ قرون خلت.

الأهداف البحثية

إذا كان هناك فروق لغوية بين الذكر والأنثى في الكلام المنطوق, فلا شك أن ذلك سينطبع بالضرورة على الكلام المكتوب, ومن هنا تأتي أهداف هذه الدراسة, ألا وهي الإجابة عن الأسئلة البحثية التالية:

- إلى أي مدى يختلف المعجم التعبيري للرجل عن نظيره لدى المرأة كمًّا وكيفًا؟ وعلام يدل هذا الاختلاف؟
- إلى أي مدى يختلف التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى التركيب النحوي؟ فهل هناك مميزات خاصة بجملة المرأة بحيث نستطيع القول بأن هناك ما يسمى "جملة المرأة"؟ وإن كان, فما خصائص تلك الجملة؟
- كيف يختلف التمثيل الجنوسي لصورة المرأة وصورة الرجل في خطابهما الروائي؟ فكيف يعرض الرجل المرأة؟ وكيف تعرض المرأة الرجل داخل الخطاب الروائي؟
- كيف يختلف / يتشابه الرجل عن / مع المرأة عند طرقهما لنمط معين من الروايات كالرواية التاريخية مثلًا؟

(1) Livia, Anna. One man in two is a woman: linguistic approaches to gender in literary text. in Holmes, Janet and Meyerhoff, Miriam (2003). The Handbook of Language and Gender. USA: Blackwell Puplishing. Pp.142-157

دواعي الموضوع ومادته وحدوده

أما عن سبب اختيار الموضوع بشكل عام, فإنه ينبع من أهمية الدراسة نفسها, وهو أن المقارنة بين لغة الرجل ولغة المرأة منطقة من الدراسة اللغوية غير مطروقة بوطننا العربي بشكل يتلاءم وأهميتها, كما أن تخصيص الدراسة على الأعمال الأدبية على وجه الخصوص سيكون مفيدًا إذا ما تم عقد الصلة بينه وبين الدراسات الغربية المقدمة في المجال نفسه فأكمل كل منهما الآخر, فلا شك من أنه إذا أثبتت هذه الدراسة أو على أقل تقدير قد وجدت كثيرًا من الظواهر اللغوية التي تحدث عنها الباحثون الغربيون فلاريب أن هذا سيثبت أن الاختلاف اللغوي بين الرجل والمرأة ظاهرة إنسانية تنطبق على كل اللغات وفي كل المجتمعات. أضف لما سبق أن هذه الدراسة لعلها ستكون بابًا لما وراءها من دراسات قد تطرق هذه المنطقة البحثية, لكن من زوايا أخرى, أو حتى من الزاوية نفسها ولكن بتوسيعٍ للمادة, أو بمقارنة نتائجها بغيرها, فحساب تواتر الظاهرة في مثل تلكم الأبحاث يزيدها جلاء وتأكيدًا.

أما عن سبب اختيار اللون الأدبي وهو فن الرواية, فقد كان نابعًا من كون الرواية أضحت الفن الأول في عصرنا الحديث, وذلك بعدما احتلت المكان الذي ظل يرتاده الشعر العربي لفترات طويلة؛ كما أن هذا الفن يعطي مساحة من الحرية اللغوية للكاتب / الكاتبة أكبر من تلك المسموح بها داخل الفن الشعري صاحب القيود التحكمية في القول؛ أضف لكل ذلك أن المشاركة النسائية في فن الرواية هي من رجحت كفة اختياره على غيره, فكلنا يعلم أن المشاركة النسائية في الفروع الأدبية الأخرى – كالشعر والمسرح مثلًا – هي أقل بكثير من مشاركتها الروائية.

أما عن سبب اختيار كُتّاب مادة الدراسة وهم (بهاء طاهر – خيري شلبي) / (رضوى عاشور – ميرال الطحاوي) دون غيرهم, فذلك قد كان لعدة أسباب: أولًا: لأنهم جميعًا من أبرز من كتب الرواية في العصر الحديث؛ ثانيًا: جميعهم قد حاز جوائز أدبية مرموقة على أعماله الروائية؛ ثالثًا: لأنهم جميعًا يكتبون بالعربية الفصحى المعاصرة, وتوحد اللغة بينهم أمر ضروري في مثل تلك الدراسات؛ رابعًا: اتفاق الطبقة الاجتماعية, فجميعهم ينتمي للطبقة الوسطى, واتفاق الطبقة أمر هام, فمعلوم أن الطبقات الاجتماعية لا تستخدم اللغة بشكل موحد, فمثلًا قد نجد أعضاء الطبقة الوسطى يستخدمون أكثر من رمز لغوي للشيء الواحد بينما لا يفعل ذلك من هم أعلى منهم في الطبقة الاجتماعية, وهو ما يسمى بتأثير العبور خلال الطبقات cross-over effect؛

خامسًا: الاتفاق المعيشي, وأعني به اتفاق الإقليم الجغرافي الذي عاشوا به, فجميعهم استقر بإقليم القاهرة الكبرى, وعاش بها معظم حياته, على الرغم من أصولهم غير القاهرية, بل إن جُل إنتاجهم الأدبي خرج أثناء تلك الإقامة بهذا الإقليم؛ سادسًا: تقارب السن / الجيل, فذلك التقارب كان عاملًا هامًا, فالذكور (بهاء طاهر 1935–2022 / خيري شلبي 1938–2011). أما الإناث (رضوى عاشور 1946–2014 / مريد الطحاوي 1968–...). وقد يبدو شذوذ مريد الطحاوي عن هذه القاعدة, إلا أنه ليس بالشذوذ الذي يؤسس عليه خلل منهجي, فالفجوة الزمنية بينها وبين الآخرين ليست بالبعيدة إلى الحد الذي يغير الاستعمال اللغوي عبر الزمن, كما أن تقارب طبقتها الاجتماعية مع الممثلة الأخرى لجانب النساء (رضوى عاشور) – من حيث كونهما قد كانتا أستاذتين للأدب بكلية الآداب, جامعة القاهرة بالنسبة لمريد وعين شمس بالنسبة لرضوى – هو من رجح كفتها على غيرها. فيجب أن يُعلم أن تقارب الطبقة الاجتماعية من أهم الشروط التي يجب أن تُراعَى في مثل هذه الدراسات, وذلك لأن العامل اللغوي يختلف وبشدة بين الطبقات, فما تختاره الأستاذة الجامعية التي درست الأدب سواء كان عربيًا أم إنكليزيًا سيختلف كثيرًا عما يختاره غير المختص. أضف إلى ذلك التقارب الاجتماعي تقاربًا من نوع آخر, ألا وهو دراسة الأستاذتين بالجامعات الأمريكية, فرضوى عاشور قد حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة ماساتشوستس الأمريكية University of Massachusetts Amherst, كما أن مريد الطحاوي تعمل –إلى الآن– أستاذة زائرة بجامعة الأبلاش Appalachian State University ولاية نورث كارولينا, كما عملت بجامعة أريزونا Arizona State University, وعلى جميع ما سبق ارتأينا وضع مريد الطحاوي مع رضوى عاشور كممثلتين للجانب النسائي.

أضف لكل ما سبق سببًا سابعًا لاختيار هؤلاء الكتاب, ألا وهو ضرورة تناولهم لموضوعات متقاربة إلى حد ما, وخصوصًا موضوع المرأة, ولا جدال في كون ممثلتي الجانب النسائي لم تفتؤ أعمالهما تخص بالمعالجة القضايا الأنثوية, وجُل بطلاتهما كن من النساء, لذا كان من أهم أسباب اختيارنا لممثلي جانب الرجال هو تناولهم لموضوع المرأة في بعض أعمالهم, على أن تكون المرأة هي بطلة تلك الأعمال, وذلك كما نجد في رواية "الوتد" لـ "خيري شلبي", ورواية "خالتي صفية والدير" و"قالت ضحى" لـ "بهاء طاهر".

منهج التحليل

إن دراسة موضوع اللغة والجنوسة Language and Gender صار الآن دراسة للخطاب والجنوسة[1] Discourse and Gender, وذلك لأن أغلب الدراسات التي قُدِّمت في هذا الحقل كان غرضها الرئيس هو دراسة الخطاب, ولعل أبرز دليل على تأثير منهج تحليل الخطاب في حقل اللغة والجنوسة هو وجود العديد من الدراسات التي عُنونت بـ "الجنوسة والخطاب Gender and Discourse" مثل أعمال: Cheshire and Trudgill (1998); Tannen (1994a); Todd and Fisher (1988); Wodak (1997a), فضلًا عن مئات الكتب والمقالات والأطروحات التي اختبرت مدى التفاعل بين الجنوسة والخطاب من وجهات نظر تحليلية مختلفة, فالعالم الاجتماعي بالنسبة لكثيرين من محللي الخطاب يُقدم ويعاد تقديمه بشكل كبير خلال الخطاب, لذا كان من الطبيعي أن تعتمد الدراسة الحالية على منهج تحليل الخطاب.

وتحليل الخطاب منهج حديث نسبيًا, ومن العسير أن نستعرض تاريخ نشأته, وذلك لأنه "لا يمكن اعتباره ناتجًا عن عمل تأسيسي محدد,ولأنه – في الوقت نفسه – ناتج عن تضافر تيارات حديثة وتجديد لممارسات قديمة في دراسة النصوص, كالبلاغة وفقه اللغة والهرمونيطيقيا"[2]. والتالي عرض لهذا المنهج وآلياته:

---

(1) Bucholtz, Mary. Theories of Discourse as Theories of Gender: Discourse Analysis in Language and Gender Studies. In (Holmes, J. and Meyerhoff, M. 2003:43)

(2) شارودو (باتريك) P Charaudeau – منجنو (دومينيك) D Maingueneau, معجم تحليل الخطاب, ترجمة: عبد القادر المهيري – حمادي صمود, المركز الوطني للترجمة, تونس, (2008), ص: 144

الخطاب Discourse:

إن الخطاب – بشكل عام – له "مفهومان: الأول: هو ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير بغرض إفهامه قصدًا معيّنا, الثاني: هو ذلك الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة"[1]. والخطاب بمفهومه الثاني هو الغالب على الدراسات الحديثة, وهذا ما أكدته سارة ميلز Mills, S. حين قالت: "يدل مصطلح الخطاب عند عدد من علماء اللغة من أمثال: سنكلير Sinclair, كولثارد Coulthard, كارتر Carter, سمسون Simpson على الاهتمام بتحليل النص فوق مستوى الجملة, وعليه فالخطاب قطعة مطولة من النصوص تحوي نوعًا من التنظيم الداخلي أو التماسك أو الترابط"[2]. ويُعد زليج هاريس Harris, Z.S. (1952) أول من اهتم بدراسة الخطاب لدى الغربيين, وقد عرّفه بأنه "ملفوظ طويل, أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة, يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية[3] وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض؛ وقد قدم هاريس منهجًا لتحليل الخطاب (المنطوق / المكتوب) استخدم فيه اللسانيات الوصفية Descriptive linguistics ليكشف به عن بنية النص Structure of the text."[4] إذًا فـ "هاريس" يقول بأن الخطاب يتعدى نطاق

---

[1] الشهري (د. عبد الهادي بن ظافر), استراتيجيات تحليل الخطاب, دار الكتاب الجديد, ط1, بيروت, (2004), ص: 37

[2] ميلز (سارة) Mills, Sarah, الخطاب, ترجمة: أ.د. عبد الوهاب علوب, المركز القومي للترجمة, ط1, القاهرة, (2016), ص: 21

[3] لنفهم المنهجية التوزيعية علينا أن ندرك أن كل لغة تُؤلَّف من نظامٍ خاص, فموضع الكلمة من البنية التركيبية محدد بعلاقاتها مع الكلمات السابقة واللاحقة عليها, ومن هذه العلاقات تنشأ قيمة الكلمة, وعليه فالعناصر اللغوية تتحدد قيمها من خلال علاقاتها مع العناصر اللغوية الأخرى داخل النظام ليشكل الجميع في النهاية سيالًا لغويًا ذا دلالة؛ إذًا فالتوزيع السليم هو التوزيع الذي تأخذ فيه الكلمة قيمتها الصحيحة, وبالتالي تكوّن علاقات منطقية ولغوية سليمة فيما بينها وبين العناصر الأخرى داخل التركيب الواحد لنصل في النهاية إلى المعنى الصحيح, ومن هنا جاء اسم النظرية وهو التوزيعية. ففي العربية مثلًا يقوم المرء بتوزيع مفرداته توزيعًا سليمًا حين يتفق التعبير والقانون اللغوي الذي يخضع له نظام العربية, لكننا قد نكون بإزاء متكلم جاهل لهذا النظام التوزيعي, فيقوم بتوزيع مفرداته داخل التركيب توزيعًا مختلًا, عندها يختل المعنى تبعًا لاختلال التوزيع, كأن يقول: وضعت الطبق في الطعام. بدلًا من: وضعت الطعام في الطبق.

[4] عكاشة (د. محمود), لغة الخطاب السياسي, دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال, دار النشر للجامعات, القاهرة, ط1, (1426هـ/2005م), ص: 36. وانظر أيضًا: Harris, Zelig S. (1952). Discourse Analysis. Language 28: 1-30

الجملة, وعليه يصبح أول لغوي يوسع موضوع البحث اللساني؛ ومن بعده يأتي إميل بنفنست Benveniste, E. (1966) الذي رأى أن الجملة أصغر وحدة في الخطاب, فمع الجملة نترك مجال اللسانيات كنظام للعلامات – على اعتبار أن الجملة تتضمن علامات وليس علامة واحدة – وندخل إلى مجال آخر حيث اللسان أداة للتواصل نعبّر عنه بواسطة الخطاب, وتبعًا لذلك تغدو الجملة منتمية إلى الخطاب, ويمكن تعريفها بأنها وحدة بناء الخطاب[1]. ثم يُعرف بنفنست الخطاب: بأنه كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا, وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما[2]. أما أصحاب معجم اللسانيات فيقدمون ثلاثة تحديدات للخطاب, وهي التالي:

- الخطاب هو اللغة في طور الاستعمال, أو هو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة.
- الخطاب هو وحدة توازي أو تفوق الجملة[3], ويتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية.
- الخطاب هو كل ملفوظ يتعدى الجملة, منظورًا إليه من جهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل[4].

واتفق معهم في هذه التحديدات أصحاب كتاب تحليل الخطاب[5]. أمّا أصحاب معجم تحليل الخطاب فقد عرّفوا الخطاب بأنه وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة[6].

وعلى جميع ما سبق يمكننا القول بأن الخطاب: هو متتالية من الجمل المنسقة والمترابطة, وهو فعل لغوي يتطلب مؤثرًا ومتأثرًا ومقصدًا؛ أو هو الوحدة اللغوية التي تحمل مضمونًا معينًا في شكل جمل متتالية, موجهة من باث إلى متلقٍ, بقصد الاتصال به وإقناعه بمضمون الرسالة؛ والخطاب من حيث حجمه قد يكون جملة / سلسلة من الجمل / نصًا كاملًا.

---

(1) اليقطين (د. سعيد), تحليل الخطاب الروائي, المركز الثقافي العربي, ط3, بيروت, (1997), ص: 18, نقلًا عن: Benveniste, Email (1966). Problemes de linguistique generale [Problemes of General Linguistics].edi.Gallimard.Tome.p.129

(2) تحليل الخطاب الروائي ص: 19, نقلًا عن: (Benveniste 1966:241)

(3) يتكون الخطاب في حالات معينة من جملة واحدة كما هو الحال في الأمثال والحكم, لكننا عادة ما نفكر في الخطاب على أنه مبني من سلسلة متتابعة من الجمل. [فاولر (روجر) Fowler R, اللسانيات والرواية, ترجمة: أ.د. أحمد صوة, مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع, الإسكندرية, (2009), ص: 23]

(4) تحليل الخطاب الروائي ص: 21, نقلًا عن: Dubois J et autres. (1973). Dictionnaire de linguistique [Dictionary of Linguistics]. Larousse. p.156

(5) See: Tannen D, Hamilton H E, and Schiffrin D (2015). The Handbook of Discourse Analysis. UK: Wiley Blackwell. second edition. p.1

(6) معجم تحليل الخطاب, مرجع سابق, ص: 180

الخطاب / النص

اصطلح الغربيون على أن مصطلح Discourse يعني الخطاب, في حين أن مصطلح Text يعني النص, وعلى الرغم من ذلك "فإن التداخل بين النص والخطاب من حيث كونهما مصطلحين محوريين وعلمين لسانيين مما لم يُحسم أمره في الأدبيات, وتستطيع عبارات من مثل: (خطاب النص ونص الخطاب) أن تؤكد هذا التداخل والاشتباك بين هذين المصطلحين"[1], وتعريف النص بالخطاب شيء مألوف عند كثير من الدارسين فـ "روجر فاولر Fowler, R" يقول: "إن كل نص خطاب, فعل لغة من لدن مؤلف ضمني له تصميم محدد إلى قارئ ضمني محدد الهوية"[2]. ويعرف بول ريكور Ricoeur, P النص بأنه كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة[3]. واعترف ميكائيل ستوبس Stubbs, M بما يعتري النص والخطاب من غموض وخلط, لكنه يرى أن الاختلاف بينهما ضئيل لا يؤسس فارق نظري مهم[4]. وإذا كان النص في الأصل هو النص المكتوب والخطاب في أصله هو الكلام المنطوق إلا أن كل طرف قد يتلبس بالآخر على سبيل التوسع, فقد يطلق النص على المنطوق كقولنا: نص الحديث / النص القرآني, ونحن نعلم يقينًا أن كليهما في الأساس كانا خطابًا منطوقًا قبل أن يتحولا إلى نص مكتوب, وكذلك فقد يطلق الخطاب على المكتوب كقولنا: الخطاب الروائي / الصحفي / الإعلاني ... إلى آخره[5]. وعليه, فإن كان النص في أساسه بنية لغوية مترابطة تكوّن وحدة دلالية عندها يصبح كل خطاب نصًا بالضرورة, غير أن الخطاب يتسع لعرض ملابسات إنتاجه, تلقيه, وتأويله, ويدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة كالجوانب الاجتماعية, البيئية, الثقافية, السلوكية, وقد نضيف إلى هذه الجوانب عامل الجنس أيضًا.

---

(1) العبد (د. محمد), النص والخطاب والاتصال, الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي, القاهرة (2014) ص: 7

(2) فاولر, اللسانيات والرواية, مرجع سابق, ص: 77

(3) ريكور (بول) Ricoeur, Paul, النص والتأويل, ترجمة: مصطفى عبد الحق, مجلة العربي والفكر العالمي, بيروت, عد (3), (1988), ص: 37

(4) النص والخطاب والاتصال ص: 7, نقلًا عن: Stubbs, Michael. Discourse Analysis. Basil: Blackurll. p.9

(5) انظر: النص والخطاب والاتصال ص: 10

أنماط الخطاب

تصنف الخطابات حسب موضوعها إلى: خطاب ديني / علمي / أدبي / سياسي / اجتماعي ...إلخ؛ وتصنف حسب نسبتها داخل ما يسمى بالخطاب الأدبي / الفني إلى: خطاب روائي / قصصي / شعري ...إلخ؛ وتصنف حسب الآلية المستخدمة في إنتاجه إلى: خطاب سردي / وصفي / حجاجي ...إلخ[1].

الخطاب الروائي

إذا قلنا أن اللغة نسق يشترك فيه أعضاء المجموعة اللغوية المعينة فهي بهذا المعنى تقابل الخطاب, وذلك باعتبار الخطاب استعمالًا محددًا لهذا النسق, وفي كون الخطاب استعمالًا محددًا للغة يقول ميشيل فوكو Foucault, Michel : "إن مجموعة الملفوظات التي تنتمي إلى نفس التشكيل الخطابي نسميها خطابًا"[2], وعليه فهناك الخطاب الروائي والسياسي والإعلامي ... إلى غير ذلك من التشكيلات الخطابية.

ولكن قبل أن نسير قدمًا في تعريف الخطاب الروائي لا بد أن نفرق ما بين قصة الرواية من ناحية, وخطاب الرواية من ناحية أخرى[3], فالقصة Histoire / Story هي المحتوى أو الأحداث في ترابطها وتسلسلها, وفي علاقة تلك الأحداث بالشخصيات في فعلها وتفاعلها, وهذه القصة يمكن أن تُقدم منطوقة أو مكتوبة, أمّا الخطاب Discourse فيظهر لنا من خلال وجود الراوي الذي يقوم بتقديم القصة, وبحيال هذا الراوي هناك المتلقي, والذي يتلقى هذا الحكي, وفي إطار العلاقة بينهما ليست الأحداث المحكية هي التي تهمنا بقدر

---

[1] المتوكل (د. أحمد), الخطاب وخصائص العربية, الدار العربية للعلوم, بيروت,(1431هـ/2010م), ص:24

[2] معجم تحليل الخطاب, مرجع سابق, ص: 181

[3] يلاحظ أن الحكي له بعدان بنيويان – كما قال فاولر Fowler – هما: القصة Histoire والخطاب Discourse, فأما القصة فهي المادة المقدمة, وأما الخطاب فهو أسلوب آداء تلك المادة. واتفق معه شاتمان Chatman حين قال: "في كل رواية جزآن: القصة Story (Histoire), وهي المحتوى, أو سلسلة الأحداث؛ بالإضافة لما قد نسميه الموجودات Existents, وهي الشخصيات والأشياء / عناصر المحيط الذي تتحرك فيه الشخصيات؛ كما يوجد الخطاب Discourse, وهو التعبير عن هذا المحتوى, أو هو كيفية تبليغ / إيصال هذا المحتوى. (انظر: فاولر, اللسانيات والرواية, مرجع سابق, ص: 123؛ وانظر أيضًا: Chatman, Seymour (1978). Story and Discourse: Narrative Structure in Fiction and Film. Ithaca: Cornell University Press. P. 19. And in: Clark, Herbert H. and Van der wege, M. Imagination in Narratives. In Tannen et al 2015:407

الطريقة التي اتبعها الراوي في تقديمه لهذه القصة, فالذي يهمنا في الحكي – بحسب هذه الوجهة – هو الخطاب / الطريقة التي بواسطتها جعلنا الراوي نتعرف على تلك الأحداث, فقد يطرق كلّا من الرجل والمرأة القصة / الأحداث نفسها تقريبًا, ولكن طريقة كل واحد منهما قد تختلف تبعًا لجنسه المختلف عن الآخر[1].

إذًا فالخطاب الروائي: هو الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية, فقد تكون المادة الحكائية واحدة يتداولها الكثير من الرواة,رجالًا ونساء, لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولته سردها.

تحليل الخطاب Discourse Analysis

اتجه الغربيون نحو تحليل الخطاب مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر, ومن ثَم ظهر اتجاهان في التفكير اللساني لتحليل الخطاب يتجاوزان حدود الجملة في التحليل اللغوي: الاتجاه الأول تمثل في أعمال بايك Pike وزملائه, وقد اعتمدوا في تحليلهم اللغوي على استنتاج طبيعة ومعاني الكلمات والجمل من السياق الاجتماعي لاستخدامها, وقد جمع هذا الاتجاه بين العوامل اللغوية وغير اللغوية؛ أما الاتجاه الثاني فتمثل في أعمال هاريس Harris Z.S الذي قدم منهجًا لتحليل الخطاب (المنطوق والمكتوب), وقد استخدم فيه – كما نوهنا سابقًا – إجراءات اللسانيات الوصفية ليكشف بها عن بنية النص, وتجاوز في ذلك قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة, وتجاوز أيضًا الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي[2].

---

[1] انظر في الفرق بين قصة الرواية وخطابها: تحليل الخطاب الروائي, مرجع سابق, ص: 30,وانظر أيضًا: Todorov, Tzvetan (1966). Les Categories du Recit [The Categories of the Recit]. Communications. p.133

[2] لغة الخطاب السياسي, مرجع سابق, ص: 41

الإجراءات المنهجية المتبعة لتحليل الخطاب:

1. إن منهج تحليل الخطاب يهدف إلى إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدات اللغوية قيد الدراسة, وذلك من خلال بعدين: النص Text, والسياق Context؛ فأما النص فهو بنية الخطاب الداخلية التي تتكون من المفردات والتراكيب؛ وأما السياق فهو الظروف المحيطة بعملية إنتاج النص, ويدخل فيه العوامل الخارجية كالظروف الاجتماعية, البيئية, الثقافية ...وغيرها, ويتبين من ذلك أن تحليل الخطاب يتجاوز دراسة البنية السطحية للنص إلى دراسة الظروف التي أدت إلى إنتاجه بهذا الشكل.

2. إن تحليل الخطاب هو بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال, لذلك لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدًا عن الأغراض والوظائف التي وُضعت تلك الأشكال لتحقيقها بين الناس, وإن محلل الخطاب هو ذلك المهتم بمستوى التردد اللغوي الذي يبلغ درجة تجعل هذا التردد ذا دلالة من وجهة نظر إدراكية, والتردد/ الاطراد في الخطاب هو تواتر ظاهرة لغوية معينة بدرجة كبيرة في سياق يمكن تحديده, وفي محاولة محلل الخطاب تحديد مظاهر الاطراد تلك فهو يتوخى المنهجية التقليدية للسانيات الوصفية, فهو يسعى إلى وصف صريح ومنظم للأشكال اللغوية التي تقع في الأمثلة في إطار علاقتها بالسياقات التي ترد ضمنها, وبهذا المفهوم يمثل تحليل الخطاب منهجًا في دراسة اللغة, تمامًا مثل اللسانيات الوصفية. وعليه فمحلل الخطاب يسعى لاكتشاف مظاهر الاطراد في مادته اللغوية ووصفها, كما أنه يهتم بالوظيفة التي يقوم بها – أو الغرض الذي يرمي إليه – عنصر ما من المادة اللغوية, وكذلك فهو مهتم بالكيفية التي تعالج بها تلك المادة من قِبل الباث[1].

وجملة القول: إن تحليل الخطاب منهج علمي في دراسة النص المكتوب / المنطوق, يعتني في إطاره العام بدراسة النص دراسة شكلية تحلل بنيته التركيبية, وعناصر ترابطه, وتماسكه على المستوى اللغوي الخالص, ويعتني كذلك ببنية النص المنطقية, وانسجام قضاياه, وترابطها الدلالي؛ لكن دراسة الخطاب أيضًا تجاوزت هذين البعدين إلى دراسة السياق الاجتماعي, وغاياته, والخلفيات الفكرية الكامنة فيه. و"كل أبحاث تحليل الخطاب تدور حول دراسة الإنجازات النصية المتجاوزة الجملة – منطوقة كانت أم مكتوبة – بغية فهم دلالتها

---

[1] انظر: براون (جيليان) – يول (جورج) Gillian Brown and George Yule, تحليل الخطاب, ترجمة: أ.د. محمد لطفي الزليطي – أ.د. منير التريكي, جامعة الملك سعود,الرياض, (1418هـ/1997م), ص: 1-31

الاجتماعية"[1], فبالنسبة لغالبية محللي الخطاب فإن العالم الاجتماعي ينتج ويعاد تقديمه بشكل كبير خلال الخطاب[2].

لقد اقتضت هذه الدراسة تبعًا للمنهجية المتبعة أن تُقسم إلى تمهيد, وثلاثة فصول:

أما (التمهيد) فسيناقش مسألة: اللغة والجنوسة. وسنعرض فيه حقل اللغة والجنوسة Language and Gender, وفي هذا العرض سنفرق بين الجنوسة والجنس Gender and Sex, كما سنوضح جهود العلماء في رصد مظاهر الاختلاف اللغوي بين الرجل والمرأة على المستوى النطقي, التنغيمي, استعمال المفردات ... إلى غير ذلك مما رصده الباحثون, ثم نقدم الأطر النظرية التي انطلق منها الباحثون لتبرير أسباب الاختلاف اللغوي بين الرجل والمرأة, ومن بعد سنعرض آراءهم حول مسألة التغير اللغوي ومن يقودها داخل المجتمع؟ هل هو الذكر أم الأنثى؟, ثم سنعرض أقوالهم حول "لغة المرأة" وأهم ممزات تلك اللغة.

الفصل الأول: التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى المفردات

وسيتضمن التعريف بالمدونة اللغوية Corpus, وطريقة عملها, وما الهدف منها؛ ثم نعرّف المدونة الخاصة Special Corpus ومحتوياتها؛ وبناءً على نتائج المدونة سنعرض **اختلاف المعجم اللغوي بين الرجل والمرأة** من حيث حجم المعجم التعبيري لدى الرجل / المرأة, ومن ثم نقسم هذا المعجم التعبيري إلى حقول دلالية تظهر تفوق الرجال / النساء في حقول بعينها وعلام يدل هذا التفوق؟ وما هي مبرراته

الفصل الثاني: التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الجملة

وسينقسم إلى ثلاثة أقسام: أما القسم الأول: **اختلاف الجملة بين الرجل والمرأة على صعيد المادة كاملةً** فسيدرس الاختلاف بين الرجل والمرأة على صعيد الجملة الفعلية / الاسمية / الأساليب النحوية. وأما القسم الثاني: **اختلاف الجملة بين الرجل والمرأة على صعيد العينة** Sampl أنماط التراكيب التي كان من المتعذر دراستها على مستوى المادة كاملة كالجملة الشرطية, الاعتراضية, التي لا محل لها من الإعراب, المنفية ...

---

[1] معجم تحليل الخطاب, مرجع سابق ص: 9

[2] Bucholtz, Mary. Theories Of Discourse as Theories of Gender: Discourse Analysis in Language and Gender Studies. In (Holmes J and Meyerhoff M 2003:43-46)

إلخ, وأما القسم الثالث: **جملة المرأة** فسيدرس ممزات جملة المرأة وذلك من خلال: التنظيم بالوصف في مقابل التنظيم بالإتباع Parataxis vs Hypotaxis, الرجل والمرأة والإحالة النحوية Reference, الرجل والمرأة والغموض Ambiguty.

الفصل الثالث: التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الخطاب

سينقسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث: **الأول: التمثيل الجنوسي في رواية الرجل / المرأة**, وفيه سنعرض لكيفية تمثيل الأب / الأم / الجدة داخل رواية الرجل / المرأة؛ **الثاني: الرجل والمرأة والرواية التاريخية** وفيه سنعرض للتمايز المتحقق بين الرجل والمرأة داخل هذا الشكل الروائي؛ **الثالث: الرجل والمرأة والخطاب المتمرد** وفيه سنعرض مفهوم التمرد الأنثوي وأشكاله داخل خطابهن الروائي, وكيف تواجه المرأة السلطات التي تحاول إخضاعها؟ وما نتائج تلك الضغوط الممارسة عليها؛ **الرابع: الرجل والمرأة والخطاب الخاص بالجنس** Sexual Discourse وفيه سنعرض للفرق بين الرجل والمرأة عند عرضهما لهذا الموضوع الذي يتطلب جرأة كبيرة, وعليه كان من الطبيعي أن نناقش من بعده مسألة الرجل والمرأة والتأدب Politness.

المؤلف

التمهيد

اللغة والجنوسة

Language and Gender

هي ليست بالنظرية, وليست منهجًا, بل هو موضوع topic أو حقل field رئيس داخل علم اللغة الاجتماعي[1], وهذا الموضوع مهتم بالربط بين اللغة بعناصرها المختلفة من أصوات, مفردات, أبنية نحوية ...إلخ, وبين القواعد الاجتماعية التي تحكم الرجال والنساء الذين يتحدثون هذه اللغة؛ فهل الرجال والنساء الذين يتكلمون لغة معينة يستخدمونها بشكل مختلف؟ وإن كان, فهل هذه الاختلافات تنتج عن أبنية اللغة؟ أم عن مستخدم اللغة؟ أم أن هذه الاختلافات تعكس القواعد الاجتماعية التي تحكم الجنسين في المجتمع؟. لقد ولدت هذه القضايا كمًا كبيرًا من الأفكار والنقاشات في العقود الأخيرة من القرن العشرين, والحق أن كثيرًا منها مازال قيد الدراسة, ولم نصل فيه إلى حل نطمئن إليه.

ولقد كان عام (1975) هو البداية الحقة لحقل اللغة والجنوسة, فقد شهد ذلك العام نشر ثلاثة كتب محورية حول هذا الموضوع, وهي: "اللغة ومركز المرأة Language and Woman's Place" لـ"روبين لاكوف Lakoff, R."، "لغة الذكر / الأنثى Male / Female language" لـ"ماري ريتشي كي Key M.R."، "اللغة والجنس: الاختلاف والسيطرة Language and Sex: Difference and Dominance" لـ"بارى ثورن Thorne B. ونانسي هنلي Henley N."، وهذه الأعمال كانت ضمن الموجة الثانية من الحركة النسوية[2] لعام (1970),

---

(1) Sunderland, Jane (Ed.) (2006). Language and Gender: an advanced resource book. London and New York: Routledge. P.55

(2) الحركة النسوية Feminism: هي حركة تطالب بتغيير هيمنة الإطار المفاهيمي المتسلط إلى نظام قيمي بديل يقر ويشجع آراء المرأة, وهو الوضع الذي سينهي اضطهاد المرأة في المجتمع؛ أو بمعنى آخر فالنسوية حركة تريد إنهاء العنصرية الجنسية المتحققة لصالح الرجل؛ والموجات النسوية ثلاث: الأولى قامت أواخر القرن التاسع عشر, وقد ضمت الحركة رائدات حركة تحرير المرأة من أمثال: إليزابيث كاندي ستانتون E.C.Stanton, وماتيلدا جوسلن جادج M.J.Gage؛ الموجة الثانية قامت خلال الفترة من (1960) إلى (1990), ونشأت في سياق نمو الوعي الذاتي للجماعات المهمشة حول العالم, واختلفت هذه الموجة عن سابقتها حين رسمت داخل النساء أفكارًا تطالب بضرورة التضامن بينهن, ورؤية المرأة كطبقة مكافحة تصارع ضد الاضطهاد؛ أما الموجة الثالثة فقامت منذ العام (1990) وحتى اليوم, وقد تشكلت عن طريق تفكير ما بعد الحداثة, وهنا كسرت الحركة

حيث بدأ الباحثون يطرحون أسئلة حول المحددات البيولوجية وغير البيولوجية للسلوك الذكوري والأنثوي, وحينها تم الفصل بين الجنس sex والجنوسة gender.

الفرق بين الجنس والجنوسة Sex and Gender

الجـــنس Sex مصـــطلح يشـــير فـــي علـــم اللغـــة الاجتمـــاعي للفـــروق البيولوجيـــة[1] Biologically أو الفسيولوجية[2] Physiologically التي تميز كلًّا من الذكر والأنثى[3]. فالرجل والمرأة يختلفان من نواح بيولوجية وفسيولوجية عدة منها: أن المرأة تملك اثنين من الكروموسوم Chromosome (X), أما الرجل فيملك واحدًا من هذا الكروموسوم وواحدًا آخر من الكروموسوم (Y)؛ كما أن المرأة أقل من الرجل من الناحية العضلية, لذا كانت أكثر منه خفة, لكن بالتبعية أقل منه قوة؛ كما أنها تنضج أسرع من الرجل, ونبرة صوتها تختلف كلّيًا عن نبرة الرجل, فدرجة صوتها, شدته, وتردده يختلف تمامًا عن نظائرها لدى الرجل, والسر يعود إلى رقة أحبالها الصوتية مقارنة به[4]. أما **الجنوسة Gender** فقد كان هذا التعبير يستخدم ليشير إلى التذكير والتأنيث اللغوي Grammatical Gender, وكذلك كان يشير إلى الجنس البيولوجي (ذكر/أنثى) Biological Gender, إلا أنه لم يعد كذلك

تقييد الحدود الجنسانية, بما فيها الحدود التي رأتها الموجات السابقة أساسية. (See: Reuther, Rosemary R. (1975). New Woman / New Earth: Sexist ideologies and human liberation. New (York: The Seabury Press.

[1] الفرق البيولوجي مثل: الفرق الجيني genetic بين الرجل والمرأة.

[2] الفسيولوجي فرع من البيولوجي, وهو فرع يهتم بوظائف الأعضاء, وبالطبع فهناك اختلاف بين الرجل والمرأة في الأعضاء ووظائفها, فعلى سبيل المثال: الرجل لا يملك رحم, والمرأة لا تملك بروستات.

[3] See: Coates, Jennifer (2013). Women, Men and Language: A Sociolinguistic Account of Gender Differences in language. 3rd Ed. London and New York: Routledge. P.4. and see also: Meyerhoff 2006:201

[4] يُذكر أن ورداف قد ذكر من جملة الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة: أن المرأة أطول عمرًا من الرجل.(Wardhaugh 2006:316) والحق معه, فقد أثبتت الدراسات في أغلب بلدان العالم أن المرأة أطول عمرًا لأسباب بيولوجية منها: أن هرمون الاستروجين Estrogen يقاوم أمراض القلب, كما يقلل من مستويات الكولسترول الضار داخل الدورة الدموية, كما ثبت أن الجهاز المناعي Immune لدى المرأة أقوى من نظيره لدى الرجل؛ ولك أن تضيف إلى الأسباب البيولوجية السابقة اختلاف الأدوار الاجتماعية بين الجنسين أيضًا؛ فالمرأة قد تعيش أطول لأنها تقوم بدور اجتماعي يختلف عن دور الرجل, فهي تعمل أعمالًا مختلفة عنه نسبيًّا, وعادةً ما تكون هذه الأعمال أقل حدة, وأقل ضغطًا ومشقة؛ كما أن انتشار عادة التدخين بين الرجال وحبهم للمخاطرة يجعلهم أقل أعمارًا.

الآن؛ فقد أصبح يشير في علم اللغة الاجتماعي إلى الهوية الجنسانية[1] Gender Identity التي يتم بنؤها كما يتم ظهورها خلال التفاعلات الاجتماعية[2], وعلى ذلك فالهوية الجنسانية المكتسبة اجتماعيًّا – والمؤسسة بالضرورة على الجنس[3] Sex – ستنطبع حتمًا على السلوك اللغوي لكل من الرجل والمرأة, فإذا كان الولد يقلد أباه ورجال المجتمع المحيطين به ويفخر بذلك, فهو لا يقلد أفعالهم فحسب, بل وسلوكهم اللغوي كذلك حتى يصير رجلًا؛ وبنفس الطريقة تقلد الفتاة أمها, لكنها لا تقلدها في الملبس واستعمال أدوات التجميل فحسب, ولكن أيضًا في سلوكها اللغوي حتى تصبح أنثى كاملة[4], فمنذ لحظة الميلاد ونحن نُكسب الأطفال هويتهم الجنسانية, فنُعلّم الولد / البنت ماذا تلبس؟ كيف تتكلم؟ ومتى تتكلم؟ كل ذلك بناءً على جنسهما البيولوجي, ونتيجة التعامل المختلف من الأباء لأولادهم يتعلم الأطفال الاختلاف بين جنسيهما, وبالتالي يكتسبان الهوية الجنسانية المتلائمة مع جنسهما البيولوجي.

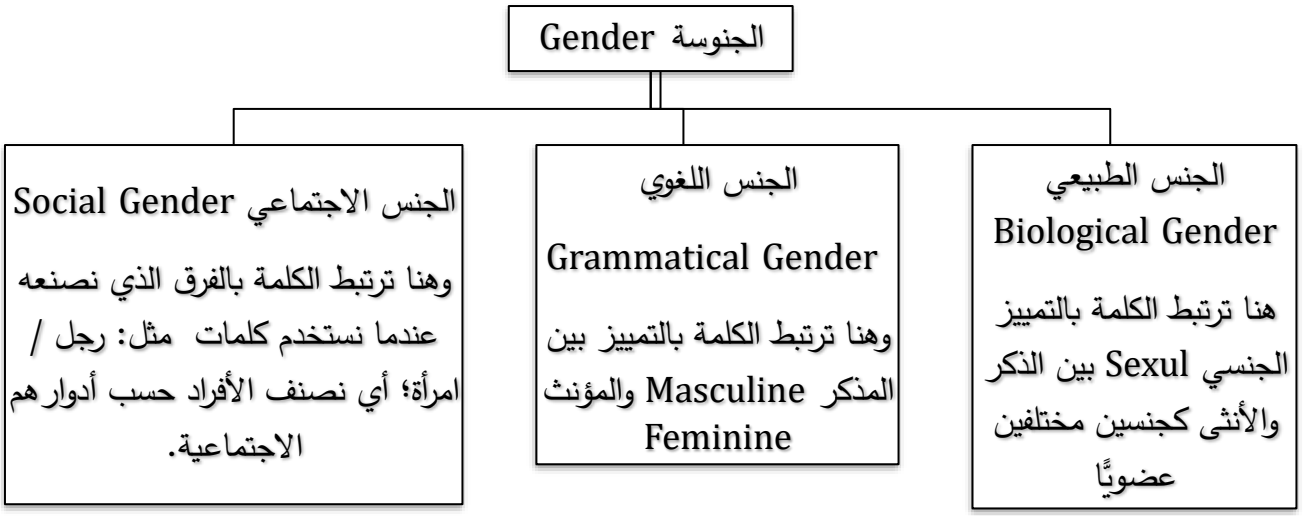

(شكل رقم: 1)

---

[1] الهوية Identity: هي التصور الذاتي من قِبل الفرد لنفسه, وعلى ذلك تصبح الهوية الجنسانية Gender Identity: هي تصور الفرد لنفسه على أنه ذكر أو أنثى, بيد أن الهوية الجنسانية لا تقف عند ذلك الحد, بل تمتد لتصورات الفرد للآخرين, وتصوراته لما يشكل الذكورة والأنوثة. (See: Fishman, Joshua A. (ed.) (1999). The Handbook of Language and Ethnic Identity. London: Oxford University Press. P: 448)

[2] See: (Meyerhoff 2006:201) and (Coates 2013:4)

[3] يلاحظ أن الفرد لا يكتسب الهوية الجنسانية التي تعجبه, وإنما الهوية الملائمة لجنسه البيولوجي عادة.

[4] See: Eckert, Penelope and McConnell-Ginet, Sally (2003). Language and Gender. Cambridge: Cambridge University Press. P. 10

وعلى ما سبق فكلمة جنس Sex تستخدم في تشخيص الشكل البيولوجي للإنسان والحيوان على حد سواء, حيث يصنف الكائن الحي إلى ذكر أو أنثى؛ أما الجنوسة Gender فهي تشير – حاليًا – إلى السمات والسلوكيات التي تعتبر مناسبة لكل من الرجل والمرأة في المجتمع المعين[1]. أو بمعنى آخر, فمصطلح Gender يشير إلى التمييز بين الرجل والمرأة على أساس من سلوكهم الثقافي الاجتماعي socio-cultural behavior, وبالطبع فالكلام من بين السلوكيات الثقافية الاجتماعية, لذا كان من الضروري أن تختلف طرق التحدث بين الجنسين.

إن النظرية الاجتماعية المعاصرة ترى أن الهوية الجنسانية مثلها مثل باقي جوانب الهوية, فلربما تختلف من عصرٍ إلى عصر, ولربما ما نستسيغه الآن من كلام الرجال / النساء لم يكن ليستساغ قديمًا, ولربما لن يستساغ من بعد. لذا رأينا كلًّا من كانداس ويست West C ودون زيمرمان Zimmerman DH (1987) يتكلمان عن الجنوسة باعتبارها شيء نفعله وليس شيئًا نمتلكه[2].

وجملة القول: إن الجنس Sex شيء أنت تمتلكه, وتولد به, ويمكن تحديده بشكل دقيق عبر عدد الكروموسومات التي تملكها ونوعها؛ أم الجنوسة Gender فليست شيئًا أنت بمالكه, فهو ملكية اجتماعية Sociol Property, إنه شيء تكتسبه من خلال العلاقات مع الآخرين والتفاعل معهم, ومن خلال الانضمام لثقافات اجتماعية معينة؛ فجنسك يأتي أولًا, ثم يعمل المجتمع على التوفيق بين جنسك وجنوستك, فإذا كان المجتمع يقبل وضع المرأة لطلاء الأظافر فهو لا يقبل ذلك من الذكور, على الرغم من أن الأظافر هي الأظافر لكن طلاء المرأة لأظافرها سلوك جنساني مؤسس على جنسها البيولوجي, لذا قد نرى أنه من الصعب الفصل بين الجنس Sex والجنوسة Gender, فالأول أساس يقوم عليه الأخير.

---

(1) Cameron, Deborah (2006). Gender and English Language. In Aarts, Bas and McMahon, April (eds.). The Handbook of English Linguistics. Oxford: Blackwell. P.724. and see also: Wardhaugh 2015:313

(2) West, Candace and Zimmerman, Don H. (1987). Doing Gender. Gender & Society. 1(2): 51-125

الاختلاف اللغوي بين الرجل والمرأة

1. الاختلاف النطقي

إن الاختلافات اللغوية بين الرجال والنساء قد جذبت أنظار علماء الأنثروبولوجي منذ القرن السابع عشر[1], فلقد لاحظوا اختلافات صوتية في نطق الكلمات[2], كما لاحظوا اختلافات صيغية morphological كذلك؛ منها ما لاحظه سابير Sapir E (1929) عند وصفه للغة المستخدمة من قبائل اليانا Yana في كاليفورنيا, فلقد وجد أن اللغة المستخدمة من قِبل الرجال تختلف مورفولوجيًا عن تلك المستخدمة من النساء, فعلى سبيل المثال: الرجال تضيف اللاحقة /na–/ لبعض الكلمات التي تنتهي بصائت, مثل: كلمة /au/ = (نار), فالرجال ينطقونها: /auna/,وهو الأمر الذي لا تفعله النساء[3]. وما لاحظه سابير عند اليانا نجد له شبيهًا "في جروس فينتر Gros Ventre –وهي لغة الهنود الحمر في شمال الولايات المتحدة الأمريكية – حيث نجد النساء يستخدمن في بعض الكلمات وقفة حنكية حلقية Palatalized Velar Stops في حين يستعمل الرجال في الكلمات نفسها وقفة حنكية أسنانية Palatalized Dental Stops, كما في المثال التالي: الرجل djatsa ← (= خبز), أما المرأة فتنطقها Kjatsa ← ,وأي استعمال من قبل الذكور لطريقة نطق النساء يُعتبر شيئًا من التخنث؛ هذا, كما وجدنا في إحدى اللغات السيبيرية أن الرجال دون النساء يسقطون الحرفين /n/ و/t/ عندما يقعان بين صائتين, وذلك كما في المثال التالي: الرجل hitvaqaat ← , أما المرأة فتنطقها hitvaqenat ←؛وإليك مثال آخر, فالبنات في إسكتلندا تنطق الحرف /t/ بوضوح أكثر, كما في كلمات من مثل: got, water…etc, في حين أن أكثر الأولاد يفضلون نطق تلك الكلمات بوقفة حنجرية بديلًا عن حرف /t/"[4]. وقد نجد في العربية ما يسير على غرار الأمثلة السابقة, فنجد في القديم – وفي الحديث كذلك – ما أُطلق عليه لغويًا "ظاهرة الكشكشة",وهي عبارة عن قلب كاف الخطاب المؤنثة شينًا, فنقول للرجل: "**كيف حالك**؟" أما المرأة فيجوز – لهجيًا – أن نقول لها: "**كيف حالتش**؟" ومازالت هذه الظاهرة منتشرة في كثير من دول الخليج العربي.

---

(1) Coates 2013:28

(2) See: Flannery, Regina (1946). Men's and Women's speech in Gros Ventre. International Journal of American linguistics. 12: 5-133

(3) Yaguello, Marina (1978). Les Mots et les femmes [Words and Women]. Petite Bibliotheque payot. Paris. In Coates 2013:29

(4) Wardhaugh 2006:318

2. الاختلاف التنغيمي Intonation

لقد ادعى برند Brend (1975) أن أنماط التنغيم Intonation Patterns مختلفة بين الرجال والنساء إلى حد ما, فالمرأة – مثلًا – تستخدم أنماط محددة من التنغيم ترتبط بالتأدب أكثر من الرجل[1], وبنفس نظرة برند نجد قول روبين لاكوف Lakoff, R (1975): "إن المرأة تجيب على الأسئلة بإجابات توظف فيها نمطًا تنغيميًّا صاعدًا rising intonation pattern مرتبطًا بالسؤال المطروح عليها, وذلك بدلًا من النمط التنغيمي الهابط falling intonation pattern,وهو النمط المرتبط بالإجابات القوية الواثقة"[2]؛ ومثّلت لذلك بنمط الأسئلة المجاب عنها بإجابات حسابية, ففي هذه الأسئلة تستخدم المرأة انعطاف صوتي عالي rising inflection تكون نتيجته أن الشخص الذي يسأل هو الذي يملك الإجابة, مثل: **-متى يصبح العشاء جاهزًا؟ -نعم .. حوالي السادسة ...؟!** (بصوت متردد), فتبعًا لهذا النمط التنغيمي يكون المعنى أن العشاء سيكون جاهزًا عند السادسة إن كان هذا يتلاءم معك. ولقد عللت لاكوف ذلك الاستخدام بأن المرأة أقل من الرجل ثقة في نفسها, فالمرأة لا تثق في نفسها أو في أفكارها كما يفعل الرجال[3].

3. اختلاف المفردات

أما في منطقة الصيغ والمفردات فقد ادعت لاكوف Lakoff أن المرأة تستخدم ألفاظًا دالة على الألوان أغلب الرجال لا يستخدمونها, بل قد لا يعرفونها من الأساس, مثل: beige, lavender, aquamarine, etc...[4] ecru, وقالت: "إن هذا يدل على دقة المرأة في وصف الألوان من ناحية, وتسفيه الرجال لمثل هذه الفروق اللونية من ناحية أخرى"[5]؛ لكن هل هي بالفعل دقة من المرأة في تحديد الألوان؟ أم أن هذه المفردات اللونية كثرت لأنها جزء من عالم المرأة؟ فالحق أن اهتمام المرأة بالملابس والأزياء وديكورات المنزل هو من وَلَّد هذا الكم الكبير والدقيق من الألوان؛ فهذا الادعاء من لاكوف يشبه ما لاحظه بعض الباحثين من كون النساء أكثر معرفة بألفاظ الحياكة, النسيج, التطريز, الطبخ, الآنية,والأطفال؛ أما الرجال فهم أكثر معرفة بألفاظ

---

(1) See: Brend R (1975). Male-Female Intonation Patterns in American English. In Thorne, Barrie and Henley, Nancy (Eds.) (1975). Language and Sex: Difference and Dominance. Rowley, MA: Newbury House. and see also: Wardhaugh 2006:321

(2) Lakoff 1975:17

(3) Ipid and see also: Wardhaugh 2006:321

(4) البيج, الموف, الأخضر الفاتح, النحاسي

(5) Lakoff 1975: 8-9

الرياضات, الآلات, والسياسة[1]؛ فكل ما هنالك أن تلك الألفاظ تنتمي لعالم المرأة واهتماماتها, وهذه تنتمي لعالم الرجل واهتماماته؛ كما ان ادعاء لاكوف السابق هو محض انطباع لأنه بالتجربة قد يثبت العكس من ذلك.

كما ادعت لاكوف أيضًا أن هناك بعضًا من الصفات غالبًا ما تستعملها النساء ولا يستخدمها الرجال إلا فيما ندر, وأطلقت عليه الصفات الخالية من المعنى empty of meaning مثل: lovely, sweet, cute, divine, charming...etc, كما ادعت أن المرأة أكثر استخدامًا لصيغ التحوط من الرجل, فهي أكثر استخدامًا لصيغ من مثل: نوعًا ما, kind of, sort of[2].

4. اختلاف كم الكلام ومحتواه

لقد وُجد في العديد من الأبحاث أن الرجال يتحدثون أكثر من النساء, ففي أبحاث درست محادثاتٍ دارت بين رجال ونساء في ظروف مختلفة كاللقاءات التلفزيونية[3], والسيمنار[4], واجتماعات الموظفين[5], وُجِد أن الرجال كانوا أكثر كلامًا من النساء, وفي بعض المجتمعات والمناسبات – خاصةً الدينية منها – فإن الرجال فقط هم من يتحدثون؛ على أن الأمر لا يتوقف عند حد الكبار, فعلى مستوى الأطفال وجدت أدلايدي هاس Haas, A (1978) عن طريق تحليل كم الكلام المقدم من البنات والأولاد المتراوحة أعمارهم ما بين (الرابعة, والثامنة, والثانية عشرة) في مجموعات مختلطة وجدت أن الأولاد تحدثن أكثر من البنات[6], وأيدتها دراسة جون سوان

---

(1) اللغة واختلاف الجنسين, مرجع سابق ص: 96

(2) Lakoff 1975:53

(3) See: Edelsky, Carole and Adams, Karen (1990). Creating Inequality: Breaking the rules in debates. Journal of Language and Social Psychologe. 9(3): 90-171. And see also: Bernard, Jessie (1972). The Sex Game. New York: Atheneum.

(4) See: Bashiruddin A, Edge J and Hughes-Pelegrin E (1990). Who speak in seminars? Status, culture and gender at Durham University. Pp. 74-84. In Clark R, Fairclough N, Ivanic R, Meleod N, Thomas J, and Meara P (eds.). Language and Power. London: CILT. And see also: Swacker, Marjorie (1979). Women's Verbal behaviour at learned and professional conferences. Pp. 60-155. In Dubois, Bitty-Lou and Crouch, Isabel (eds.). The Sociology of the languages of American Women. San Antonio.TX: Trinity University.

(5) See: Eakins BW and Eakins RG (1978). Sex differences in human communication. Boston. MA: Houghton Mifflin.

(6) Haas, Adellaide (1978). Sex-associated features of spoken language by four, eight, and twelve year old boys and girls. Paper given at the 9th World Congress of Sociology. Uppsala, Sweden. 14-19 August. And see also: Haas A (1979). Male and

Swann, J (1998), حيث حللت كلام فصل دراسي أعمار طلابه تراوحت ما بين التاسعة والحادية عشرة, وقد وجدت أيضًا أن الأولاد كانوا أكثر كلامًا من البنات[1]. والحق أن الأبحاث التي أجريت حول هذا الموضوع كثيرة جدًّا, وكلها تؤكد نفس النتيجة, ولك أن تنظر الأعمال التالية: Arnot and Weiner (1987), Stanworth (1987), Spender (1990), Madhok (1992)

ولكن ما دام الأمر كذلك فمن أين جاء الاعتقاد بأن المرأة أكثر كلامًا وثرثرة؟[2] إن دلي سبيندر Spender, Dale تقترح أن أغلب الناس تشعر غريزيًّا – ولو بشكل غير واعٍ – أن المرأة مثل الطفل, يجب أن تُرى, لكن لا يجب أن تُسمع, وعليه فأي كمية كلامية ستصدرها سنراها كمية كبيرة, والدليل على ذلك أن هناك دراسات أظهرت أنه حتى عندما يتكلم الرجال والنساء بقدر متساوٍ في مجموعات مختلطة, فالناس تعتقد أن المرأة تكلمت أكثر من الرجل, وإذا كان الأمر كذلك فالحق مع سبيندر؛ بيد أن هناك تعليلًا آخر لهذه الظاهرة – أعني ظاهرة اعتقاد أن المرأة أكثر كلامًا من الرجل, على الرغم من أن الواقع لا يؤيد ذلك – والتعليل يقول إن الرجال يعتقدون أن النساء تتكلم كثيرًا لأنهم يسمعونهن في مواقف لا يريدون التحدث فيها, مثل: الحديث عبر الهاتف, أو الحديث في موضوعات لا تثير اهتمام الرجال من الأساس, أو الحديث في تفاصيل مزعجة, وكلنا يعلم أن النساء تُقدّر التفاصيل, وذلك لأن المرأة تهتم أولًا – وقبل كل شيء – بتأسيس الحميمية intimacy, لذا فهن يقدرن قيمة التفاصيل التي تزيد من التقارب والمودة, وهذا على العكس من الرجال, الذين يبغضون تلك التفاصيل المزعجة, لذا نرى كثيرًا من النساء يشتكين من الرجال لأنهم لا يقولون تفاصيل كافية؛ وبعيدًا عن التفاصيل هناك المواقف التي لا يريد الرجل التحدث فيها مثل وقت عودته إلى المنزل, فبالنسبة لكثير من الرجال الراحة في البيت تعني التحرر من الحاجة لإثبات الذات ونيل الإعجاب من خلال الاستعراض اللفظي, تلك الحاجة التي يشبعها الرجل خارج المنزل, أما الآن فهم في موقف يكون الكلام فيه غير مطلوب, إنهم يريدون البقاء صامتين, هذا بالنسبة للرجل

Female spoken language differences: stereotypes and evidence. Psychological Bulletin. 86:26-616

(1) Swann, Joan (1998). Talk Control: an illustration from the classroom of problems in analysing male dominance in education. Pp.96-185. in Coates, Jennifer (ed.). Language and Gender. Oxford: Blackwell.

(2) يوجد العديد من المعتقدات الشعبية حول هذا الموضوع, وقد انعكس ذلك في العديد من الأمثال الشعبية حول العالم, كالمثل الأيرلندي: "أينما توجد النساء يوجد الكلام, وأينما توجد الأوز يوجد القوقاء", والمثل الفرنسي: "سلاح المرأة لسانها متى تركته صدأ", والمثل الهندي: "لا تكف المرأة عن الكلام إلا لتبكي". (انظر: سلامة, (أمين), المرأة في الميزان, دار النشر المتحدة, القاهرة, ص: 97–109)

لكن بالنسبة للمرأة فالمنزل مكان يجدن فيه حرية القول, تلك الحرية التي لا يجدنها خارجه, ففي المنزل تشعر المرأة برغبة شديدة في الكلام مع هؤلاء القريبين منهن, فهنا تجد المرأة الحرية الكلامية دون خوف من حكم الآخرين عليها[1]. إن كلام النساء في مثل هذه المواقف هو من ولّد الإحساس بثرثرة المرأة, وذلك بغض النظر عن الكمية الكلامية التي ستنتجها وقتها.

وبعيدًا عن كم الكلام فقد وجدت الأبحاث أنه عندما يتكلم الرجال مع بعضهم فإن محتوى الحديث غالبًا ما يركز على التنافسية وإثارة بعضهم البعض, كما يتضمن الحديث عن الرياضات والحياة العملية؛ بينما النساء عندما يتكلمن مع بعضهن فإن مواضيعهن تتناول أنفسهن, فقد يتحدثن عن المشاعر, العائلة, كيفية التعامل مع الآخرين[2]. ولقد لاحظ الباحثون ذلك جليًا في موضوع النميمة[3] Gossip, فنميمة النساء غير نميمة الرجال, فنميمتهن تركز على العلاقات والخبرات الشخصية, كما تركز على المشكلات الخاصة, المشاعر, نقد سلوك الآخرين – غير أنهن لا ينتقدن الناس مباشرة –, كما أنهن يصدرن استجابات متعاطفة مع روايات الآخرين, فيركزن – غالبًا – على مشاعر المتحدث الظاهرة على وجهه خلال حديثه أكثر مما يركزن على محتوى الكلام, كما يعملن على تشجيع الآخرين بالتعليق والمساهمة الكلامية, فيكملن كلام بعضهن البعض, كما يُكثرن من الموافقات على كلام المتحدث؛ هذا من ناحية النساء, أما من جانب الرجال فنميمتهم – وإن كان من الصعب تحديدها على وجه الدقة – نجدها غير نميمة النساء, فموضوعات الرجال تدور حول الأشياء والنشاطات أكثر من الخبرات الشخصية والمشاعر, فموضوعاتهم غالبًا ما تدور حول الرياضات, السيارات, القضايا العامة, ويركزون على المعلومات والحقائق بدلًا من المشاعر[4]؛ بيد أن الأمر لا يتوقف عند حد اختلاف الموضوعات, بل وجد الباحثون أن الموضوع الواحد المطروق من الرجال والنساء على السواء يُطرَق بشكل متمايز, ففي موضوع الطلاق – مثلًا – وجدت كاثرين رايزمان Riessman, C.K. أن كلًّا من الرجال والنساء عندما يتكلمون عن الحرية بعد الطلاق فإن معنى الحرية يختلف بين الطرفين, فالمرأة عندما تتحدث عن كسبها لحريتها بعد الطلاق فهي تعني كسب الاستقلال والاعتماد على النفس, أما الرجل فيعني أنه قد تحرر من مسئوليته والتزاماته نحو الأسرة[5]؛ لكن

---

(1) Tannen, Deborah (1990). You just don't understand: women and men in conversation. New York: Ballantine Books. Pp.36-55

(2) See: Wardhaugh 2006:325

(3) النميمة هنا بالمعنى الاجتماعي لا الديني, فنعني بها هنا: القيل والقال.

(4) Holmes 2013:316

(5) Tannen 1990:17

ما هو السر الكامن وراء هذه الاختلافات؟ لعله يرجع إلى انتماء الرجال والنساء إلى مجموعات ثقافية مختلفة, وهذا بدوره قد يوضح لنا لماذا تنشب الخلافات ويكثر سوء الفهم بين الرجل والمرأة[1].

5. اختلاف الأسلوب الكلامي

لقد وُجد في العديد من المحادثات, كما أثبتت الكثير من الأبحاث أن الرجال يتحدثون بعنوانية أكثر, فالرجل يتبنى الشكل اللغوي الأقوى؛ أما النساء فهن أكثر استخدامًا للصيغ المتأدبة, كما أنهن أكثر مجاملة, لذا جاء كلامهن عاملًا على زيادة التآلف مع الآخرين,رغبة منهن في تقوية العلاقات الاجتماعية, فالمرأة أحرص من الرجل على هذه العلاقات؛ بينما نجد كلام الرجل نابعًا من رغبته في إنجاز شيء, أو توصيل فكرٍ ومعلومات[2]؛ لكن من الحق أن نؤكد أن هذه السمات الكلامية ليست بالقاعدة العامة, وذلك لأن الرجال بدورهم قد يحاولون التآلف مع الآخرين في بعض الأوقات, وبالمثل فالنساء قد يحاولن إثارة الأخريات وإغاظتهن, لذا وجب علينا الحذر من تعميم هذه الظواهر. فبينما المرأة تتبنى لغة الرجل بشكل متزايد حاليًا نجد الرجل لا يتبنى لغة المرأة, بل ونجد أن لهذا التبني اللغوي ظهيرًا من الجانب الاجتماعي, فبينما يتزايد وجود النساء في وظائف الرجال نجد إحجام الرجال عن شغل وظائف النساء, فنادرًا ما تجد رب منزل, أو جليس أطفال, أو سكرتير, وذلك مقارنةً بربة المنزل, وجليسة الأطفال, والسكرتيرة[3], وعليه فلأن المرأة تقلد الرجل في دوره الاجتماعي كان من الطبيعي أن تتبنى لغته, أما الرجل فلأنه يحجم عن أدوار المرأة كان من الطبيعي إحجامه عن استعمال لغتها.

وواحد من الادعاءات المثيرة أيضًا في أسلوب الرجال / النساء الكلامي ألا وهو أن الرجال أكثر مقاطعة interrupt للآخرين من النساء, وبالطبع فالمقاطعة هي نوع من رغبة الرجل في السيطرة على الحوار؛ ففي تجربة قام بها كل من دون زيمرمان Zimmerman, D.H. وكانداسي ويست West, C. (1975) على مجموعة من الطلاب بجامعة كاليفورنيا, حيث حللا المحادثات الدائرة بين (10) من الطالبات فقط, و(10) من الطلاب فقط, و(11) محادثة مختلطة, وكانت النتيجة التي توصل إليها الباحثان أن المحادثات التي تمت بين طلاب من نفس الجنس كانت المقاطعات فيها قليلة, أما المحادثات المختلطة فقد كان الذكور أكثر مقاطعة, وقد بدا الذكور وكأنهم

---

(1) See: (Wardhaugh 2006:325) (Yule 2010:277) (Holmes 2013:316-318)

(2) Wardhaugh 2006:325

(3) Lakoff 1975:10

ينتهكون حق الإناث في الكلام, وتحديدًا حق المرأة في إنهاء كلامها[1], وتلك النتائج التي توصل إليها الباحثان أيدتها أبحاث أخرى مثل: [Eakins and Eakins (1979); Holmes (1995); Schick Case (1988)], وعلى الرغم من ذلك, فقد قامت كل من ديبورا جيمس James, D وساندرا كلارك Clarke, S (1993) بالنظر في (54) دراسة تحمل عنوان هذا الادعاء –وهو أن الرجل أكثر مقاطعة من المرأة –, وقد وجدت الباحثتان أن معظم هذه الدراسات لم تجد اختلافات جوهرية بين الجنسين في هذا الموضوع, فكل من الرجال والنساء يقاطعان الآخرين؛ بيد أنهما قد وجدتا اختلافات في كيف / طريقة المقاطعة, فالرجل لا يقاطع بنفس الطريقة التي تقاطع بها المرأة, فقد وجدتا كمًّا من الأدلة تثبت أن المرأة قد تستخدم المقاطعة التعاونية[2] Co-operative التي تعمل كنوع من بناء العلاقات rapport-building بشكل أكبر من الرجل[3]. فالمرأة أقل من الرجل استخدامًا للوقفات الاحتجاجية, بينما الرجل يرفض, يقاطع, يتحدى, ويخاصم بشكل أكبر من أجل السيطرة على موضوع الحوار[4].

كما يوجد ادعاء آخر ذو أهمية كبيرة في التعرف على السلوك اللغوي لكل من الرجل والمرأة, فقد ادعى كثير من الباحثين أن المرأة أكثر من الرجل استفسارًا وطرحًا للأسئلة أثناء الحوار, ولعل هذا يعود إلى رغبتها في استمرار المحادثة وعدم انقطاعها[5], والذي يؤكد تلك الرغبة أن الباحثين قد وجدوا أن المرأة أكثر تشجيعًا للآخرين على الكلام, وهي في أثناء ذلك التشجيع تصدر استجابات ضئيلة[6] Minimal Response من مثل: حقًا, همم, oh, mhmm؛ إن استخدامها لتلك الأصوات المشجعة دال على رغبتها في استرسال المتحدث وعدم توقفه,

---

(1) Zimmerman, Don H. and West, Candace (1975). Sex Roles, Interruptions and Silences in Conversation. Pp.29-105. in Thorne, Barrie and Henley, Nancy (eds.) (1975). Language and Sex: Difference and Dominance. Rowley, MA: Newbury House. And see also: Coates 2013:113-115

(2) تلك المقاطعات هي نوع من تطوير عملية الاتصال مع الآخرين, فقد أقاطع للتأكيد على صحة كلامك أو لإكماله أو لتشجيعك على المواصلة؛ فليس كل المقاطعات على قدم المساواة, فإذا كانت هناك مقاطعة للاعتراض فهناك مقاطعة للتأكيد على ما تقوله.

(3) James, Deborah and Clarke, Sandra (1993). Women, Men and Interruption: A Critical Review. In Tannen D (1993). Gender and Conversational Interaction. New York: Oxford University Press. P.268

(4) Wardhaugh 2006:326

(5) Fishman, Pamela (1980a). Conversational Insecurity. Pp. 32-127. In Gilas H, Robinson WP, and Smith PM (eds.) (1980). Language: Social Psychological Perspectives. Oxford: Pergamon Press. And in Cameron, Deborah (ed.) (1998). The Feminist Critique of Language: A Reader. 2nd ed. London: Routledge. Pp.255-258

(6) وتسمى أيضًا قنوات الاتصال الخلفية back-channels

هذا في حين يقل عند الرجال هذا النوع من الإشارات, فقد أكدت الدراسات[1] أن المرأة تصدر هذه الأصوات أكثر من الرجل بمعدل قد يصل إلى (4) أضعاف, والسبب هو أن الرجل تنافسي بشكل أكبر, كما أنه أقل من المرأة في مساندة الآخرين أثناء حديثهم, في حين أن المرأة متحدث متعاون؛ كما أن الرجال عندما يستخدمون تلك القنوات الاتصالية لا يستخدمونها بنفس المعنى الذي ترمي إليه النساء, فالمرأة تريد من هذه الإشارات قول: **نعم أنا أسمع ومنتبهه**, بينما الرجل فيستخدمها في بعض الأحيان كنوع من الموافقة على ما قيل, وفي أحيان أخرى فإنه كثيرًا ما يستعملها – خاصة مع المرأة – بمعني أنه غير مهتم بما يقال, وهذا عكس المرأة التي تعلن من خلال استخدام هذا الإشارات موافقتها على كلام الرجل, أو على أقل تقدير هذا ما يظنه الرجال عندما يسمعون تلكم الأصوات من النساء[2].

ومن الادعاءات الخاصة بأسلوب المرأة أيضًا أنها أكثر استخدامًا للسؤال المذيل tag question, وهي تقنية لغوية أقل جزمًا, فالإنسان يعطي إفادة عندما يثق في معرفته, ويثق أن إفادته ستنال القبول والتصديق من قِبل المتلقي, في حين أنه قد يسأل عندما يفتقد للمعرفة ويريد الحصول عليها من المخاطَب, أما السؤال المذيل فهو وسط بين هذا وذاك, فهو يُستخدم عادةً عندما يعطي المتحدث إفادة لكنه أقل ثقة في صدقها, لذا فعندما أسأل: **هل أحمد هنا؟** فأنا لا أتفاجأ إذا كانت الإجابة: **لا**, بينما إن قلت: **أحمد هنا, أليس كذلك؟** سأتفاجأ إن قيل: **لا**, وذلك لأني أتوقع أن تكون الإجابة: **نعم**, ففي حالة السؤال المذيل لا أريد سوى تأكيد من المخاطَب على صدق إفادتي؛ وعندما تكثر المرأة من هذا النمط اللغوي فكأنها تدعو مَن أمامها للموافقة على أقوالها أكثر من رغبتها في تأكيدها بنفسها, فالمرأة قد تقول: **الجو بارد, أليس كذلك؟** أما الرجل فلا يفعل, لأنه يؤكد كلامه باستخدام الصيغ التأكيدية assertive forms أو باستخدام اللهجة القوية strong language فيقول: **إن الجو بارد هنا**[3]. بيد أن هذا الادعاء يحتاج – أولًا – إلى دليل تجريبي إحصائي, وهذا ما قامت به كل من جولي مكميلان وزميلاتها McMillan JR et al. (1977), فقد أكدن في دراسة تجريبية قمن بها أن معدل استخدام المرأة للسؤال المذيل

---

(1) See: Strodtbeck, Fred and Mann, Richard (1956). Sex role differentiation in Jury deliberations. Sociometry 19:3-11; and see: Hirschmann, Lynette (1974). Analysis of Supportive and Assertive behaviour in conversations. Paper presented at linguistic society of America meeting. July 1974; and see also: Coates, J. (1994). No gap, lots of overlap: turn-taking patterns in the talk of women friends. Pp.92-177 in Graddol D, Maybin J, and Stierer B (eds.). Researching language and literacy in social context. Multilingual Matters. Cleredon.

(2) See: (Wardhaugh 2006:326) (Yule 2010:277) (Holmes 2013:314-315)

(3) See: (Yule 2010:276) (Lakoff 1975:15)

جاء ضِعف استخدام الرجل[1], هذا من ناحية, لكن من ناحية أخرى نجد أن بيتي دبوا Dubois B وإزابل كروتش Crouch I (1974) قد قمن بدراسة تجريبية أخرى فوجدتا أن الرجال أكثر من النساء استخدامًا للأسئلة المذيلة[2]. بيد أن المادة التي اعتمدها الفريق الأول – أعني McMillan وزميلاتها – اختلفت عما اعتمدتها دبوا وكروتش, فالفريق الأول اعتمد على مجموعة طلاب يُعرَض عليهم موضوعات أو ألغاز ويُطالبون بحلها عن طريق النقاش؛ أما دبوا وكروتش فقد اعتمدتا على تسجيلات صوتية لمؤتمر أكاديمي صغير قامتا بتحليله؛ فاختلاف المادة قد يكون السبب في اختلاف النتائج, وذلك لأن الإنسان قد يستخدم السؤال المذيل في سياق ولا يستخدمه في سياق آخر, كما أن الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء الباحثات أنهن تعاملن مع السؤال المذيل بكل أغراضه وكأنه أسلوب واحد, ومن الحق أنه يوجد مستويات من التوظيف اللغوي للسؤال المذيل, فقد يُستخدم للشك مثل: **لقد ذهبت إلى هناك, أليس كذلك؟** وقد يستخدم للتأدب والتلطف softening, وذلك كنقد الآخرين لكن مع تقليل الأثر السلبي للنقد كقولك: **أحدثت بعض الضجة, أليس كذلك؟** وقد يستخدم للتحدي challenging مثل: **لن تفعل ذلك مرة أخرى, أليس كذلك؟** وقد يستخدم لتشجيع الآخرين على التحدث: **إنها جميلة, أليس كذلك؟** ويستخدم للتيسير / التسهيل على المتلقي facilitative, وذلك كما يفعل المعلم ليسهل على الطلاب الإجابة فيقول: **إن الفاعل مرفوع, أليس كذلك؟** فأي من هذه الأسئلة المذيلة تستخدمه النساء أكثر؟!ولا بد من حسم هذه القضية لإن هذا الملمح اللغوي جزء من الادعاء العام الذي يقول بأن المرأة أكثر تأدبًا من الرجل, وواحدة من قواعد الأدب هي ترك الحوار مفتوحًا, فلا تفرض على المستمع رأيك / فكرك / إفادتك, لذا فالسؤال المذيل نوع من التأدب, فهو لا يفرض الادعاء على المخاطب بل يترك له حرية القرار.

---

(1) McMillan J R, Clifton A K, McGrath D, and Gale L (1977). Women's language: Uncertainly or interpersonal sensitivity and emotionality. Sex Roles. 3(6):545-559

(2) Dubois, Betty L. and Crouch, Isabel (1974), The Question of Tag Questions in Women's speech: they don't really use more of them, do they? Language in Society. 4:289-294

والادعاء بأن المرأة أكثر استخدامًا للسؤال المذيل لأنها أكثر تأدبًا يشبه ادعاء لاكوف بأن المرأة أكثر استخدامًا للطلب request كبديل عن الأمر المباشر direct order, فالطلب يترك الحرية في اتخاذ القرار للمخاطَب, فالمرأة وإن كانت في تجمع نسائي قد تقول: **هل يمكنني أن أرى هذا؟** وذلك بدلًا من استخدامها للأمر المباشر: **أرني هذا**, فهذه الصيغة الأخيرة سُمعت من قِبل الرجال أكثر من النساء, وخاصة في التجمعات الذكورية[1]؛ وقد أكد ذلك دراسة قامت بها مارين إنجل Engle M (1980) على لغة الآباء في تعاملهم مع الأبناء, فقد وجدت أن الأب يميل إلى إعطاء الأمر المباشر, أما الأم فتميل إلى استشارة أبنائها, فالأب قد يقول: **خذ هذا**. أما الأم فتقول: **ما رأيك لو أخذت هذا؟** والسبب في هذا الاختلاف أن الأمهات يحاولن مساعدة الأبناء في تعلم كيفية الاختيار, أما الآباء فلا يهتمون كثيرًا برغبات أولادهم, لذا فهم يقدمون لهم أفكارًا جديدة[2], ثم جاءت دراسة كاندسي ويست West C (1998) لتؤيد دراسة إنجل, فلقد درست ويست السلوك الكلامي للأطباء, فوجدت أن الأطباء أكثر مباشرة من الطبيبات, فالطبيب يقول: **امتنع عن هذا**. أم الطبيبة فتقول: **سنبتعد عن هذا**. فالطبيبات يكثرن من ضمير الجمع we بدلًا من you[3].

لكن لا يجب أن يدفعنا كل ما سبق لاعتقاد أن كل الرجال / النساء في كل المجتمعات تتحقق فيهن السمات الخطابية السالفة, لأن السمات السابقة نتجت من دراسات لمجتمعات غربية تتحدث الإنكليزية, وأغلب المواد data التي جُمعت كانت لمتحدثين بالغين من بِيض الطبقة الوسطى, وعلى الرغم من أن الملاحظات السابقة قد تنطبق على الرجال والنساء في كثير من المجتمعات إلا أن ذلك ليس دائمًا بطبيعة الحال؛ فالسؤال الآن: هل هذه الفروق اللغوية متحققة في كل المجتمعات / الطبقات؟ والإجابة: بالطبع لا, فما يوجد من سمات لغوية مميزة لكل من الرجال والنساء في مجتمع ما قد نراها معكوسة في مجتمع آخر, فالمجتمع هو الذي يحدد ما هو أليق بالرجال وبالنساء, وكلما تغير المجتمع تغيرت قواعد السلوك اللغوي, وإليك الدليل: ففي مدغشقر نجد أن الرجال لا يضعون الآخرين في مواقف من المحتمل أنها قد تسبب خجلًا لهم, لذا فهم يستخدمون اللغة محاولين الحفاظ على العلاقات الحسنة مع الآخرين؛ كما أنهم يتجنبون أي مواجهة لغوية مباشرة مع الآخرين, لذا فقد يفضلون الحديث

---

(1) (Lakoff 1975:19) (Yule 2010:276)

(2) Engle, Marianne (1980). Language and Play: a comparative analysis of parental initiatives. Pp.29-34. in Giles H, Robinson W P, and Smith P M (eds.). Language: Social Psychological Perspectives. Oxford: Pergamon Press.

(3) West, Candace (1998a). Not just "doctors' orders": directive-response sequences in patients' visits to women and men physicians. Pp.53-328. in Coates, Jennifer (Ed.). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell.

بأسلوب غير مباشر indirectness في التعبير, وذلك كنوع من الاحترام. وإذا رحنا نعدد السمات الخطابية للرجال هناك فسنجدها كالتالي: أ/ طلبات الرجال عادة ما تأتي متأخرة delayed, وغير صريحة inexplicit. ب/ ادعاءات الرجال غير دقيقة. ج/ نقد الرجال للآخرين غير مباشر. والآن: إذا كانت هذه هي السمات الخطابية لكلام الرجال هناك, فما هي السمات الخطابية لكلام النساء بمدغشقر؟ إن خطاب المرأة هناك على النقيض من كلام الرجل, فهن أكثر تفتحًا, أكثر مباشرة, وأكثر صراحة straightforward, فالمرأة هناك قد تُظهر الغضب تجاه الآخرين؛ إنهن ينتقدن ويواجهن, عكس الرجال, بل إن الرجال يتسخدمونهن لتحقيق تلكم الأغراض الكلامية, لذا فالمرأة هناك قادرة على آداء مهام لا يحب الرجال القيام بها مثل: التعامل مع الغرباء, البيع, الشراء, المفاوضة حول الأسعار, توبيخ الأطفال reprimanding...إلخ[1]؛ إذًا ففي مدغشقر عندما يتطلب الموقف الاجتماعي الرقة والتخفي تجد الرجال, وإذا تطلب الموقف المباشرة والموجهة تجد النساء. والسمات السابقة من كلام الرجال والنساء في مجتمع مدغشقر لو قورنت بالدراسات الغربية في المجال نفسه لوجدنا الوضع معكوسًا تمامًا, فما يستخدمه رجال مدغشقر هو ما تستخدمه المرأة الغربية, والعكس صحيح. بيد أن الباحثين الغربيين عندما وجدوا الرجال بسمات خطابية مباشرة وقوية عللوا ذلك بوضع الرجل المسيطر في المجتمع ووضع المرأة التابع له inferior[2]؛ ولو كان الأمر كذلك لكان لِزامًا أن تكون المرأة مسيطرة بمجتمع مدغشقر, فهي تستخدم نفس السمات الخطابية للذكور الغربيين, إلا أن الوضع ليس كذلك, فعلى الرغم من سمات الرجال والنساء الخطابية هناك ظل الرجل صاحب اليد العليا, وظلت المرأة في وضعها الأدنى منه, بل إن استخدام المرأة بمدغشقر لتلك السمات الخطابية جعلها موضع استهجان من المجتمع[3], على الرغم من أن تلك السمات عندما استخدمها الرجال في مجتمعات أخرى كانت موضع استحسان! فالحق أن البشر يملكون مخططًا ذهنيًا لما يليق بالذكر وما يليق بالأنثى, وإذا تعدى أي طرف منهما على ما يليق بالآخر صار موضع استهجان من المجتمع,

(1) See: Keenan, Elinor (1974). Norm-makers, Norm-breakers: Uses of Speech Men and Women in a Malagasy Community. In Bauman, Richard and Sherzer, Joel (eds.) (1974). Explorations in The Ethnography of Speaking. London: Cambridge University Press. Pp.141-143. and see also: Wardhaugh 2006:330

(2) See: Lakoff 1975:28

(3) See: Brown, Penelope (1980). How and why are women more polite: some evidence from a Mayan community? In McConnell-Ginet S, Borker R, and Furman N (eds.). Women and Language in literature and Society. New York: Praeger. Pp. 111-136. And see also: Brown, Penelope (1993). Gender, Politeness and Confrontation in Tenejapa. In Tannen, Deborah (ed.). Gender and Conversational Interaction. Oxford: Oxford University Press.

والدليل ما لاحظته كلير والاش Walsh C من أن النسوة اللاتي دخلن عالم الرجال وتبنين الصيغ الذكورية قد تعرضن لانتقادات سلبية كثيرة[1], فعلى سبيل المثال مقدمة البرامج آن روبنسن Ann Robinson تتبنى سلوكًا لغويًّا عدائيًّا ومهينًا عبر برنامجها: The Weakest Link, ومن ثم تعرضت لكم انتقادات كبيرة في الإعلام البريطاني, على الرغم من أن هذا التكنيك يتبناه أيضًا المقدم جيرمي باكسمان Jeremy Paxman إلا أن هذا الأخير لم يتعرض لأي نقد أو إدانة[2].

سبب الاختلاف اللغوي بين الرجل والمرأة

منذ أن نشرت لاكوف Lakoff كتابها "اللغة ومركز المرأة" عام (1975) اختلف الباحثون في تعليلهم لسبب هذه الاختلافات, فقاموا بدراسة هذا الموضوع بمقاربات مختلفة, بعضها قديم,والبعض الآخر جديد, بيد أن هذا لا يعني أن الجديد حل محل القديم, بل لا تزال هذه المقاربات حية متعايشة معًا,وحتى إن وجدنا بعضها يضاد ويعادي البعض الآخر, فالحق أن لا واحد منها يستطيع التفرد بتفسير جميع الاختلافات اللغوية بين الجنسين, فكل منها ينفرد بشيء من الحقيقةولا يمتلك إحداها الحقيقة الكاملة,والتالي عرض لهذه المقاربات:

---

(1) Walsh, Clare (2001). Gender and Discourse: Language and Power in Politics, The church and organisations. Harlow: longman Pearson. In Mills 2003:193

(2) Braid, Mary (2001). Cruella of prime time. Independent, 10 March. P.5. and see also: Mills 2003:193

1. مقاربة العجز Deficit Approach

يعتبر هذا النهج هو أول المقاربات استخدامًا, وهو النهج الذي اتبعته لاكوف Lakoff في كتابها سالف الذكر, والذي ابتدعت فيه ما يدعى بـ"لغة المرأة", وقد وصفت تلك اللغة بـ"لغة الضعف", والسبب في هذا الوصف هو كثرة استخدام المرأة للصيغ والعبارات الدالة على التحوط, التردد, عدم الجزم, كثرة التأكيدات, والتنغيم الصاعد بدلًا من الهابط ... إلى آخر الصفات التي دللت بها لاكوف على ضعف لغة المرأة؛ ولقد تابعتها على ذلك دلي سبيندر Spender, D. (1980) في كتابها "لغة صنعها الرجل Man Made Language"[1], والذي يقدم ما يطلق عليه "الوضع النسوي المتطرف"[2] radical feminist position, حيث الكتابة من وجهة نظر نسوية بحتة ومتزمتة إلى حدٍ بعيد, فلقد كانت سبيندر عنيدة في ادعاءاتها, متشيعة لها إلى أبعد الحدود؛ ولقد عملت الباحثتان على إظهار عيوب المرأة والتركيز على عجزها أكثر من أي شيء آخر, ومنهجهم هذا يتضمن ضرورة أن تتكلم المرأة مثل الرجل حتى يعاملها المجتمع مثله.

2. مقاربة السيطرة Dominance Approach

وهذا النهج هو الابن الشرعي للنهج السابق, ولقد قُدِم لأول مرة على يد بلاي ثورن Thorne, B. ونانسي هنلي Henley, N. عام (1975), وذلك حين ركزتا على قضية البابوية Patriarchy, وهي القضية التي تركز على قوة الرجل وسيطرته[3], ثم نما هذا النهج حينما ركزت سبيندر Spender (1980) على كيفية أن الرجل يسيطر على المرأة أثناء الحوار في الأحاديث المختلطة, فالرجل يقاطع وينجح في إعلاء موضوعاته وإظهارها, وهذا ما عُرِف لاحقًا تحت اسم "مقاربة السيطرة"[4]؛ وهذا النهج يرى أن النساء جماعة مضطهدة Oppressed, لذا ذهب باحثو هذا النهج إلى أن سبب الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة يعود إلى رغبة الرجل في السيطرة على الحوار وموضوعه, فالرجل يعارض, يقاطع, يرفض, يخاصم, ويتكلم بشكل أكبر من المرأة, كل ذلك من أجل التحكم في موضوع النقاش؛ ومثل تلك السمات لا تستخدمها المرأة, خاصة في المحادثات المختلطة التي تضم

---

(1) Spender, Dale (1980). Man Made Language. London: Routledge.

(2) Sunderland 2006:14

(3) See: Thorne, Barrie and Henley, Nancy (1975). Language and Sex: Difference and Dominance. Rowley, MA: New burry House.

(4) Sunderland 2006:14

رجالًا ونساءً, ففي التفاعل المشترك – تحديدًا – تظهر العلاقة المتحققة في المجتمع, فالرجل يسيطر والمرأة تتبع. وأعمال من مثل: Zimmerman and West (1975), Fishman (1978), West (1984), De Francisco (1998) توضح كيف يميل الرجل إلى السيطرة على الحوارات من خلال المقاطعات والتحكم بموضوع النقاش, ففي الدراسة التي قامت بها جون سوان Swann, J. (1998) لتحليل كلام فصل دراسي, وجدت أن كل مَن في الفصل تعاونوا من أجل تحقيق سيطرة الذكر, فلقد تعاون المعلم عن طريق فرض الانضباط وجذب أنظار التلاميذ, وتعاون الطلاب الذكور عن طريق كثرة المقاطعات, وتعاونت الطالبات عن طريق الإسهام الضعيف في المشاركة داخل الحصص[1], وهذا النسق الذي ذكرته سوان نراه يتكرر في سياق الأسرة, فقد درس فريدريك إريكسن Erickson, F. حديث طاولة العشاء لأسرة إيطالية – أمريكية تتكون من: أب, وأم, وأربعة أبناء ذكور, أعمارهم تتراوح ما بين السابعة إلى الرابعة عشر, بالإضافة إلى ابنة وحيدة عمرها تسع سنوات, فوجد الباحث أن الأب والأبناء الذكور قد تكلموا كثيرًا, وتكلمت الفتاة أيضًا, إلا إنها فشلت في متابعة حديثها, وقد بدت هي والأم كمستمعات لكلام الأب, واكتفين بإظهار الاهتمام لما يقال[2], وأيدت هذه الدراسة دراسة إلينور أوكس Ochs, E. وكارولين تايلور Taylor, C. حول نظام السرد عند عشاء العائلة, فقد توصلتا لنفس النتائج تقريبًا, فقد وجدتا أن الأم قد تقدم السرد إلا أن الأب هو من يحصل على الدور الأهم[3].

لكن يبقى السؤال الأهم: هل كل النساء بالفعل في موقف تبعية لكل الرجال؟ وهل كل الرجال يريدون السيطرة على الحوار؟ وهل تلك الرغبة – أعني الرغبة في السيطرة – هي رغبة محض ذكورية؟ والجواب على ذلك هو: لا, إذًا فنهج السيطرة وحده لا يصح تعميمه, لأنه إن كانت الاستراتيجيات الخطابية السابقة التي يتبعها الرجال هي ناتج طبيعي بحكم موقعهم المسيطر وموقع المرأة التابع, فكيف نبرر وجود نساء في مواقع سيطرة لكنها لا تتبع تلك الاستراتيجيات الخطابية؟ ففي دراسة "وُجد أن الطبيبة يتم مقاطعتها من المريض أكثر من مقاطعة المريض للطبيب الذكر, وفي دراسة أخرى وُجد أن المرأة العاملة –وإن كانت رئيس العمل – لا تقوم بالسيطرة والهيمنة

(1) Swann, Joan (1998). Talk Control: an illustration from the classroom of problems in analysing male dominance in education. Pp.96-185. in Coates, Jennifer (ed.). Language and Gender. Oxford: Blackwell.

(2) Erickson, Frederick (1990). The social construction of discourse coherence in a family dinner table conversation. Pp.38-207. In Dorval, Bruce (ed.). Conversational organization and its development. Norwood. NJ: Ablex.

(3) Ochs, Elinor and Taylor, Carolyn (1995). The 'father knows best' dynamic in dinner time narratives. Pp. 97-120. In Hall, Kira and Bucholtz, Mary (eds.). Gender Articulated. Language and the socially constructed self. New York: Routledge.

على نمط التعاملات مع الموظفين كما هو الحال مع الرؤساء الذكور"[1], وفي الدراسات التي قامت على أماكن العمل work place وُجِد أن النساء – حتى إن كن في مناصب قيادية – يستخدمن أسلوبًا أكثر تأدبًا مع موظفيهن, وذلك مقارنة بأسلوب الرجال الذين هم في مثل مناصبهن, ففي دراسة ديبورا تنن Tannen, D. للغة المديرات في عدد من الشركات الكبرى, وجدت أن المديرة تعطي أوامر لموظفيها بطرق أكثر تأدبًا من تلك التي يعطيها المديرون, فإحدي المديرات استخدمت الأمر المباشر لكن كنوع من الاقتراح, وذلك لتحصل من الموظف على تعديل في إحدى الوثائق, فقالت: "you might put in parentheses / ربما تضعها بين قوسين", في حين أن الرجال يعطون الأوامر بشكل مباشر غير آبهين – غالبًا – بمشاعر من أمامهم[2]؛ وعلى ذلك فإن كانت مقاربة السيطرة يستطيع أن يفسر بعض الظواهر اللغوية ككثرة المقاطعات فهو لا يستطيع أن يفسر بعضها الآخر مثل: كون المرأة أكثر مجاملة وتأدبًا من الرجل؛ وعليه فمقاربة السيطرة وحدها ليست كافية لتفسير الاختلافات اللغوية والخطابية بين الرجال والنساء, وما دام الأمر كذلك أصبح من الضروري الاتجاه لنهج آخر.

3. مقاربة الاختلاف Difference Approach

ويطلق عليها مقاربة اختلاف الثقافتين Two Cultures Approach, وهي على العكس من النهجين السابقين, فهي غير مهتمة بقوة الذكر أو ضعف الأنثى, وإنما ترى أن سبب الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة كونهما آتيين من ثقافات اجتماعية / لغوية مختلفة, كما أن لديهما أهدافًا محادثاتية مختلفة أيضًا, فعلى الرغم من أنهما قد يقولان الشيء نفسه إلا أنهما قد يعنيان أشياء مختلفة.

ولقد بدأ هذا الاتجاه منذ أثبت عالما الأنثروبولوجي دانيل مالتز Maltz, Daniel وروث بوركر Borker, Ruth (1982) أن الرجل والمرأة يأتيان من ثقافات اجتماعية / لغوية مختلفة إلى حدٍّ بعيد[3], لذا فأي سوء تفاهم قد يحدث بين الرجل والمرأة فهو ذو علاقة بفكرة جون جمبرز Gumperz, John عن مشكلات الاتصال بين

---

(1) See: Holmes 2013:314-315

(2) Tannen, Deborah (1994a). Talking from 9 to 5: women and men in the work place: Language, Sex and Power. New York: Aron Books. P.81

(3) لا يجب أن يُفهم أن هذا الإثبات هو إثبات عام, وإنما قد نعتبر أن العالمين قد أثبتا ذلك في شمال أمريكا على أقل تقدير.

الجماعات الإثنية[1] interethnic communication. إذًا فهم يرون أن الرجال والنساء مثلهما مثل أية جماعات إثنية, قد يحدث بينهما مشكلات في عملية الاتصال نتيجة الاستعمال اللغوي المختلف وأنظمة الاستدلال المختلفة حتى وإن قالا الشيء نفسه.

ولقد قام العالمان بتحديد بعض ملامح الاختلاف في السلوك اللغوي للذكور والإناث الأمريكيين, تلك الملامح التي تم اكتسابها من خلال التفاعل مع أطفال من نفس الجنس أثناء اللعب, فوفقًا للواسة فإن تفاعل الأطفال خلال لعبهم في مجموعات مع أطفال من نفس جنسهم هو ما يسبب تمايز الاستعمال اللغوي بين الجنسين, فالبنات يتعلمن إنشاء علاقات تقارب ومساواة equality closeness مع الآخرين, كما يتعلمن كيفية الحفاظ على تلك العلاقات, ويتعلمن انتقاد الآخرين لكن بطرق مقبولة لا تغضبهم؛ هذا في حين أن الأولاد يتعلمون تأكيد موقعهم المسيطر, لذا فهم يعملون على جذب انتباه المستمع, وتأكيد وجودهم عندما يتحدث الآخرون؛ إذًا فقد تعلم الجنسان القيام بأشياء مختلفة بواسطة اللغة, لذا فعندما يتصل الطرفان ببعضهما البعض ربما تكون النتيجة حدوث سوء فَهم بينهما, وإليك أمثلة على ذلك: فالإشارة الصوتية "ممم Mhmm" تستخدمها المرأة بمعنى: **أنا أسمع**, بينما الرجل يستخدمها بمعنى: **أنا موافق**؛ كما أن المرأة تستخدم الأسئلة الحوارية للمحافظة على استمرار الحديث, بينما الرجل يستخدمها للحصول على معلومات؛ أضف لكل ذلك أن الطرفين لديهما نظرة مختلفة حول ما هو السلوك اللغوي العنيف والسلوك اللغوي الضعيف؛ ولديهما نظرة مختلفة أيضًا حول المشاركة في حل المشكلات وإعطاء النصح, فالمرأة تميل إلى المناقشة / المشاركة, أما الرجل فيميل إلى إعطاء النصح والخطب في الجماهير[2].

---

[1] وهي المشكلات التي قد تحدث بين أناس من جماعات إثنية مختلفة, وعادة ما تكون ناتجة عن الاختلاف في أنظمة الاستدلال المحادثاتي conversational inference وإشارات أفعال الكلام وغرض المتحدث. (يلاحظ أن الجماعة الإثنية / العرقية: هي فئة من الناس يعرفون بعضهم على أساس أوجه الشبه بينهم والمتمثلة في اللغة / العرق / الثقافة / المجتمع) See: Maltz, Daniel N. and Borker, Ruth A. (1982). A Cultural Approach to Male-Female Miscommunication. In Gumperz, John (ed.) (1982). Language and Social Identity. Cambridge: Cambridge University Press. P.201

[2] Maltz, Daniel N. and Borker, Ruth A. (1982). A Cultural Approach to Male-Female Miscommunication. In Gumperz J. J. (ed.) (1982:202-216) and see also: Wardhaugh 2015:326

والحق أن كثيرًا من التحليلات المعاصرة للأطفال والمراهقين عندما يتكلمون مع أفراد من نفس جنسهم تظهر نفس النتائج السابقة, وانظر في ذلك الأعمال التالية: [Eckert (1990); Goodwin (1998),(1990); Johanson and Aries (1983a); Sheldon (1990)] وعند استعراض الدراسات المتزايدة حول خطاب المرأة نجد أن أسلوب التفاعل الذي تم تعلمه في الصغر يُحمل مع المرء حتى النضوج, وانظر في ذلك الأعمال التالية:[Bruner and Kelso (1980); Coates (1986); Jones (1980)]. إن الأعمال السابقة كلها بنيت على فرضية أن الرجال والنساء إنما يتحدثان بشكل مختلف لأن الرجل – منذ الطفولة – يتعلم أن يتكلم كرجل, وبالمثل فالمرأة تتعلم أن تتكلم كامرأة, وبالتالي فالمجتمع يُعرّض الطرفين لخبرات حياتية واجتماعية مختلفة, وبسبب هذا الاختلاف الاجتماعي الثقافي تختلف طرق التحدث.

والحق أن الابن والبنت المولودان حديثًا لا يعرفان أي شيء عن مشكلة جنسهما, لكن من يربونهما هم من لديهم الأنموذج الأمثل للفتى والفتاة, وعليهما – أعني الطفلين – أن يصيرا شبيهين بهذا الأنموذج المثالي والمُعدّ مُسبقًا؛ والحق أيضًا أن ما ينتظره المربون والعالم المحيط من الأطفال من الناحية الجنسانية يقود الكبار إلى معاملة متباينة للأطفالهم, كما يقود الأطفال لتجارب جنسانية متباينة كذلك, فمنذ لحظة الميلاد والبشر يُقسَّمون إلى ذكور وإناث, وأي محاولة للفرار من الدور المُملى على الطفل جنسانيًا ستُواجَه بعواقب وخيمة, فلا ينبغي للفتاة أن تكون ذكرًا سلوكًا أو لغة, لذا فاللغة التي تُلقن للفتاة الصغيرة تكون مغايرة عما هي عليه بالنسبة للفتى, فالبنت مثلًا لا يُسمح لها بالتحدث بصوت عالٍ, أو مقاطعة الكبار بأية حال,ولا يسمح لها كذلك بنطق ألفاظ معينة, بل يجب عليها أن تتحدث بحرص, تهذب, وصوت خافت, ومن ثم تنعكس هذه الفروق على الاستعمال اللغوي المتباين من حيث المفردات, قوة التعبير, بناء الجمل, وموضوعات الحديث؛ والطفل يتعلم هذا كله باكرًا, ويحرى تذكيره باستمرار بأهمية أن يتعلم لغة موافقه لجنسه[1].

[1] شوي (أورزولا) Scheu, U. أصل الفروق بين الجنسين, ترجمة: بوعلي ياسين, دار الحوار, ط2, سورية, (1995م), ص: 53-96.وانظر أيضًا: (Bossard, James (1945). Family modes of expressions. In American socialogical review. Bd. 10. Pp. 226-237)

وقد يرى البعض أن الادعاء القائل بأن الرجل والمرأة ينشآن في عالمين / ثقافتين مختلفتين ربما نراه للوهلة الأولى ادعاء مناقيًا للعقل, فالأخوة والأخوات ينشأون في العائلة نفسها, مع الأب والأم نفسيهما, فمتى وأين تعلم الأطفال الطرق الكلامية المختلفة؟ نقول: حتى لو نشأ الولد والبنت داخل الأسرة نفسها, فالأولاد والبنات ينشأون محاطين بعوالم مختلفة من الكلمات, فالناس من حولهم يتحدثون إليهم بشكل مختلف, ويتوقعون منهم حديثًا مختلفًا, ويقبلون منهم أشكالًا كلامية مختلفة أيضًا, فالآباء مثلًا يستخدمون صيغ التدليل أكثر مع البنات, في حين أنهم أكثر مباشرة وحزمًا مع الذكور, فالأب قد يؤكد الحظر على الفتى بقوله: **لا, لا, لا**, الأمر الذي لا يفعله مع الفتاة[1], والأكثر أهمية من ذلك هو أن الأطفال يتعلمون الكلام وكيفية إدارة المحادثات ليس فقط من الأهل, وإنما من أقرانهم أيضًا, وعلى الرغم من أن الأطفال قد يلعبون سويًا غير أن الأولاد والبنات يقضون أغلب الوقت في اللعب مع أقران من نفس جنسهم, وعلى الرغم من تشابه الألعاب بينهم إلا أن ألعابهم المفضلة جد مختلفة, واستخدامهم للغة أثناء هذا اللعب مختلفة كذلك, وذلك نتيجة اختلاف العوالم التي يعيشونها, فالأولاد مثلًا يميلون للعب خارج المنزل, وفي مجموعات كبيرة, ولها طبيعة هرمية, حيث يوجد قائد المجموعة الذي يخبر البقية بأدوارهم عن طريق الأوامر المباشرة, كما أن ألعابهم غالبًا ما تكون تنافسية, حيث فائز ومنهزم, وأخيرًا فالذكور يتباهون ويتجادلون حول الأفضل بينهم؛ أما البنات فيلعبن في مجموعات صغيرة, وفي ألعابهن الكل له دور, وغالبًا ما ينعدم في ألعابهن المكسب والخسارة, فألعابهن عادة ما تدور حول المنزل والأسرة, وإذا كان الولد يقول لصديقه: **افعل هذا**, فالبنت تقول لصديقاتها: **هيا لنفعل كذا**, فهن يقترحن وهم يأمرون[2].

---

(1) See: Gleason J B, Perlmann RY, Ely D, and Evans D (1994). The baby talk vegister: parents use of diminutives. Pp.50-76. In Sokolov, Jeffrey L. and Snow, Catherine E. (eds.). The Handbook of Research in Language development using CHILDES. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum. And see also: Eckert P and McConnell-Ginet S 2003:17

(2) Tannen 1990:18-19

وعلى الرغم من واقعية هذا النهج إلى حد بعيد, إلا أنه يفشل أحيانًا في تفسير بعض الأمور التي قد ترجع لتفوق الذكر وتميزه داخل المجتمع وليس لمجرد التنشئة الاجتماعية المختلفة بين الجنسين, فهذا النهج لا يُقرّ بأهمية عامل عدم المساواة الاجتماعية بين الجنسين, فأحد الفروض الكامنة داخله أن الرجل والمرأة متساويان اجتماعيًّا, وكل ما هنالك تنشئة مختلفة تسببت في لغة مختلفة,وهذا غير حقيقي, فالرجل أكثر قوة,وأفضل مكانة اجتماعية,وإحساسه بذلك يخلق سلوكه اللغوي القوي, الواثق, المهيمن على الخطاب,وعلى الرغم من ذلك فمقاربة الاختلاف لا تعترف بتلك الأفضلية,ولا تقر بأن العديد من الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة سببها اختلاف القوة بين الطرفين؛ لذا كان من الحق أن نقرر أن كثيرًا من الاختلافات اللغوية بين الجنسين لا يمكن أن تُفهم دون العودة إلى سياق عدم المساواة الاجتماعية.

4. مقاربة التفاعلية Dynamic Approach

وسُميت بذلك لأنها تهتم بالجوانب التفاعلية بين الأشخاص,والباحثون المستخدمون لهذا النهج يعتمدون على الأبنية الاجتماعية, ويرون أن الجنوسة بناء اجتماعي, فالذكورة والأنوثة عندهم فعل يقوم به الشخص وليس شيئًا يمتلكه, مما قاد مارى كراوفورد Crawford M (1995) لادعاء أن كلمة الجنوسة gender لا بد وأن نصنفها كفعل verp وليس كاسم noun[1],والقول بأن الجنوسة فعل doing gender يذكرنا بما قامت به ويست West, C. وزيمرمان Zimmerman, D.H.[2],وهما من أنصار نهج السيطرة,وهذا يؤكد ما قررناه سابقًا من تداخل هذه المناهج, فلقد يتأثر الباحث الواحد بأكثر من منهج. بيد أن الجديد الذي يقدمه هذا النهج هو القول بأن الجنوسة ليست شيئًا ثابتًا,وإنما هي سلوك نؤديه وشيء يتم إنجازه في كل مرة نتكلم فيها[3]. إن هذه المقاربة هي أحدث مقاربات دراسة موضوع اللغة والجنوسة, فهي ترى أن النوع عملية ديناميكية / تفاعلية, وذلك بدلًا من النظر إليها على أنها تصور شخصي بكون الإنسان ينتمي إلى جنس بعينه,وهذا التحول من رؤية الجنوسة كاسم إلى

(1) Crawford, Mary (1995). Talking Difference: on gender and language. London: Saga. P.12

(2) West, C. and Zimmerman, D.H. (1987): Doing Gender. 'Gender and Society'. 1(2): 51-125

(3) Coates 2013:7

رؤيتها كفعل جعل التحليل يتحول من رؤية الجنوسة كشيء نتعلمه من المجتمع أثناء الطفولة إلى رؤيتها كعملية آداء[1].

والحق أن المقاربة الأولى – مقاربة العجز – لم تعد تستعمل من قِبل الباحثين, فهم يرون أنها لم تعد تصلح للاستعمال, أما بالنسبة للمقاربات الثلاثة الأخرى, فكلها قد حققت نجاحات قيمة في دراسة الاختلافات اللغوية بين الجنسين.

(1) See: Gormley, Sarah (2015). Language and Gender. International Encyclopedia of the social & behavioral sciences. 2nd ed. Sciencedirect.com. and see also: Coates 2013:138

الرجل والمرأة والتغير اللغوي

إن كثيرًا من الدارسين يرجحون أن عملية مقاومة الجديد في اللغة عند الفتيات أكثر تعقيدًا مما هي عليه عند الفتيان, فيبدو أن النساء ذوات نزعة أقوى من الرجال إلى المحافظة على سلامة اللغة,وهذه النزعات الدافعة إلى المحافظة تبدو واضحة في عدم ميلهن إلى قبول التعبيرات العامية بسهولة,وهذا هو الشيء الوحيد الذي تكون فيه الفتاة – بوجه عام – أنضج من الفتى الذي في مثل سنها من الناحية الاجتماعية, فالفتاة أكثر التزامًا من الفتى بالمُثل الاجتماعية, ومن ثَم كانت أكثر مقاومة للتغييرات,وأقل استعدادًا لترك سلوك مجتمعها, ومنه السلوك اللغوي, فهي أكثر تأثرًا بالحاجة إلى بقائها محترمة من الناحية الاجتماعية, لذا كانت أقل احتمالًا لإنشاء لغة خاصة[1]. ولقد قدم بيتر تردجل .Trudgill, P (1972) دليلًا على ذلك, فقد أظهرت دراسته في مدينة نوروتش Norwich (إنكلترا) اختلافاتٍ نطقية بين رجالٍ ونساء من نفس الطبقة الاجتماعية, فوجد أن الذكور يميلون لنطق الكلمات المنتهية بـ /ng/ اكتفاءً بـ /n/, وذلك مثل قولهم: 'singin, بدلًا من: singing, وكان ذلك الميل عندهم أكثر مما ورد لدى الإناث؛ ووجد أيضًا أن النساء أكثر من الرجال تمسكًا بالأشكال المعيارية؛ وقد قدم عدة تفسيرات لتلك الظاهرة, نذكر منها:

- أن النساء ربما يكنَّ أكثر انتباهًا وتركيزًا من الرجل عند القول, وذلك لأن المرأة في وضع اجتماعي أقل أمنًا منه unsecurity, فالرجل قد يتجرأ على الكلام, وقد يخطئ,ولا يعلق الآخرون كثيرًا على ما فعله؛ أما المرأة فوضعها ليس كذلك, فأحكام الآخرين أمر تنتبه إليه المرأة بشدة.
- ثم أضاف تعليلًا آخر, وهو شبكة العلاقات الاجتماعية الخاصة بالمرأة, تلك الشبكة التي هي غالبًا ما تكون أقل تطورًا وتعقيدًا من نظيرتها عند الرجل[2].

---

[1] لويس (موريس مايكل) Lewis, M.M, اللغة في المجتمع, ترجمة: أ.د. إبراهيم أنيس – أ.د. تمام حسان, دار إحياء الكتب العلمية, (1959م), ص: 72

[2] فشبكة العلاقات الاجتماعية ربما تقود إلى أنماط من الاستعمال اللغوي المختلف, ففي دراسة لمتحدثي الإنكليزية بمدينة بلفاست Belfast (شمال أيرلندا),وُجد أن استخدام العامية من قِبل الرجال عززه التقارب القائم على شبكة العلاقات الاجتماعية, فكثافة الشبكة density وتعدديتها multiplexity كانا سببًا في كون الرجال أكثر استعمالًا للعامية من النساء. (See: Milory, Lesley (1980). Language and Social Networks. Oxford: Blackwell. And see also: Eckert P and McConnell-Ginet S 2003:287)

- وأضاف تفسيرًا آخر, وهو أن وضع المرأة الاجتماعي أدنى من الرجل, بل هن عادة ما يكنّ تابعات لهم, ولهذا كانت المرأة أكثر احتياجًا لاستخدام اللغة بشكلها المعياري حتى تشير لوضعها الاجتماعي الراقي[1], فالمرأة أكثر استعدادًا للربط بين فكرة السمو الاجتماعي وبين الذين يستخدمون شكلًا منتقى من أشكال اللغة, وهن أكثر قبولًا لما يعتبره المجتمع حسنًا من التعبيرات وطرق الآداء.

والحق أن أغلب الباحثين يرون أن التغير اللغوي يقوده الرجال, بينما الالتزام باللغة المعيارية تقوده النساء[2], فلقد وجدت جيني تشيشاير Cheshire, J. (1978) في مدينة ريدنج Reading (إنكلترا) نتائج مشابهة لتلك التي وجدها ترودجل, فلقد وجدت أن الأولاد من الطبقة الدنيا يستخدمون النحو بطريقة عامية nonstandard أكثر من البنات من الطبقة نفسها[3].

والآن: ما هو السر في ذلك؟ فلماذا تتحدث المرأة الغربية بشكل أفصح من الرجل الغربي؟ هل السر يكمن في تباين الوضع الاجتماعي؟ فالحق إن التباين اللغوي قد يكون انعكاسًا لتباين الوضع الاجتماعي بين الرجل والمرأة؛ ولنعرض الآن تعليلات الباحثين الغربيين لهذه الظاهرة, والتي سنرى أن كلها يرتد لأسباب اجتماعية تتعلق بتباين الوضع الاجتماعي بين الرجال والنساء:

1. **<u>التعليل بالحالة الاجتماعية</u>**: فالعديد من اللغويين يقترحون أن المرأة أكثر استخدامًا للغة المعيارية لأنها في حالة وعي / انتباه status-conscious أكثر من الرجل, فالمرأة على وعي بالحقيقة التي تقول أن طريقة الكلام هي إشارة للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المرء في المجتمع, واللغة المعيارية عادةً ما ترتبط بطبقة اجتماعية أعلى, لذا فالمرأة أحرص ما تكون عليها, لأن المرأة عادةً ما تكون في حالة نقص داخل المجتمع, لذا فهي تحاول أن تكتسب حالة أعلى باستخدام أشكال لغوية أعلى[4].

---

(1) See: Trudgill, Peter (1972). Sex, Covert Prestige and Linguistic Change in the Urban British English of Norwich. Language in Society. 1:95-179.

(2) See: Romine, Suzanne (2003). Variation in Language and Gender. In Holmes J and Meyerhoff M (eds.) 2003:98. and see also: Wardhaugh 2015:208

(3) Cheshire, Jenny (1978). Present Tense Verbs in Reading English. In Trudgill, Peter (ed.). Sociolinguistic Patterns in British English. London: Edward Arnold. In Wardhaugh 2015:209

(4) قارن بذلك فتيات العرب اللائي يكثرن من استخدام الصيغ والعبارات الإنكليزية في كلامهن اعتقادًا منهن أن تلك الأشكال مرتبطة بأصحاب المكانة المجتمعية الأفضل والأرقى.

2. **التعليل بدور المرأة في المجتمع**: فالمجتمع عادة ما يتوقع سلوكًا أفضل من المرأة مقارنة بالرجل, فأخطاء البنت من المفترض أن تكون أقل من الولد في شتى المناحي الحياتية, ومنها المنحى اللغوي؛ فالأولاد عمومًا يتمتعون بحرية أكبر من البنات, وما دام الأمر كذلك فالمتوقع هو كون المرأة أفصح من الرجل, لأنها أقل خطأً؛ أضف إلى ذلك أن الفتاة ستنقل هذه اللغة إلى أطفالها فيما بعد, فلا بد من أن تُلَّقن الشكل اللغوي الأفصح وتعمل على المحافظة عليه لنقله إلى أولادها. إلا أن هذا التفسير الأخير أراه ليس منطقيًا إلى حد بعيد, وذلك لأن التفاعل بين الأم والطفل يكون أكثر ارتياحية وبُعدًا عن الرسمية, وهذا بدوره يتطلب العامية أكثر.

3. **تعليل "المجموعة التابعة"**: وهذه المجموعة لا بد أن تكون أكثر تأدبًا, فكما أن الأطفال لا بد أن يتأدبوا مع الكبار لأنهم فئة تابعة, فكذلك المرأة لا بد أن تتحدث بأدب وحذر, خاصة مع الرجال, ومعلوم أن الأشكال اللغوية الأفصح هي الأشكال الأكثر تأدبًا وحِفظًا لماء الوجه.

4. **تعليل "وظيفة الكلام في التعبير عن الهوية الجنسانية"**: بعض اللغويين يقولون: لأن المرأة هي الأكثر استخدامًا للأشكال المعيارية اتجه الرجل لرفضها ومَال إلى استخدام العامية؛ فالأولاد يرفضون تلك الأشكال التي تستخدمها المُعلمة. وبنفس الطريق سار المجتمع, فلأن هذه الأشكال المعيارية أكثر أنوثة تجنبها الرجل[1]. لكن الحق الذي أراه أن هذا التعليل بعيد إلى أقصى درجات البعد, لأنه لو كان الأمر كذلك فالسؤال: لِمَ يستعمل الرجل الأشكال الفصيحة في المواقف الرسمية؟!

إذًا فالاعتقاد الغربي هو أن المرأة أكثر استعمالًا للصيغ والتراكيب المعيارية, وقاموا بإعطاء مبررات لذلك؛ بيد أننا لا نرى ما ذهبوا إليه صحيح تعميمه على كافة المجتمعات, فالملاحظ في وطننا العربي هو العكس من النمط الأوربي تمامًا, فالرجل في بلادنا هو الأكثر استعمالًا للأشكال المعيارية الفصيحة, ولقد ظهر ذلك جليًا في نتائج المسح الذي قام به د. مرتضى بكير (1986) بخصوص اللهجة الاجتماعية في العراق, حيث نظر الرجل إلى توزيع أشكال العربية الفصحى وأشكال العامية العراقية, واتضح من خلال المسح أن المرأة العراقية تستخدم اللهجة العامية أكثر من الرجل العراقي[2], في حين يستخدم الرجل العراقي الأشكال الفصيحة أكثر من المرأة

---

(1) Holmes 2013:167-170

(2) لاحظ – إلى الآن – نطق الرجال العراقيين لكاف الخطاب فيما بينهم, وقارنه بنطق النساء العراقيات فيما بينهن, تجد: الرجل← ك = K (وهو النطق الفصيح), المرأة← تش = ch (وهو نطق لهجي).

العراقية[1]. وبنتائج مشابهة لنتائج د. بكير توصلت د. نيلوفر حاؤي (2003) إلى أن النساء بمصر أكثر من الرجال استخدامًا للعامية[2], والنتيجة نفسها ظهرت بالمغرب العربي, حيث يُرى أن الفصحى هي لغة الرجل أما البربرية فهي لغة المرأة[3], زد على ما جميع سبق نتائج مشابهة وجدت بدراسات تمت بدمشق وحماة[4].

والآن نسأل: ما هو السر في ذلك أيضًا؟ لماذا اختلفت نتائج الدراسات العربية عن نظيرتها الغربية؟ ولكي نعرف السر لا بد وأن نأخذ في اعتبارنا القواعد الاجتماعية التي تحكم هذه المجتمعات بما فيها من رجال ونساء, والتي تختلف عن تلك القواعد التي تحكم المجتمعات الغربية؛ فالمجتمعات العربية تحكمها الثنائية اللغوية[5] Diglossia, فهذه المجتمعات تعمد لاتخاذ إحدى الأشكال اللغوية شكلًا رسميًّا ومن ثَمَّ يصبح الآخر عاميًّا, حيث لا يستعمل في التعليم أو الخطاب الرسمي للدولة, وبالتالي يصير هذا الشكل بعيدًا عن المدارس وهيئات الدولة الرسمية, لذا يغلب استخدام هذا الشكل من قِبل الأطفال, ويصعب عليهم الشكل الآخر, لأنهم ما زالوا بعيدين عن المدارس, وبنفس وضع الأطفال يغلب هذا الشكل على المرأة العربية, لأن نصيبها من التعليم أقل بكثير من نصيب الرجل, ولك أن تنظر في ذلك إلى إحصاءات الأمية بين الرجال والنساء داخل الوطن العربي لتجد التفشي الواضح للأمية بين النساء[6], وبالتالي فهي أبعد من الرجل عن اكتساب الشكل الفصيح نتيجة البعد التعليمي, والمترتب عليه بالضرورة البعد عن العمل الرسمي؛ بينما الرجل فعلى النقيض, ومن هنا نعلم سر كون الرجل أكثر استعمالًا للأشكال الفصيحة من المرأة؛ بيد أن الأمر لا يتوقف عند ذلك فحسب, فحتى لو تعلمت

---

(1) Bakir, Murtadah (1986). Sex Differences in the Approximantion to Standard Arabic: a case study. Anthropological Linguistics. Pp.1-28.

(2) Haeri, Niloofar (2003). Sacred Language. Ordinary People: Dilemmas of Culture and Politics in Egypt. New York / Basingstoke: Palgrave MacMillon. In Meyerhoff 2006:218

(3) Sadiqi, Fatima (2003). Women, Gender and Language in Morocco. Leiden; Boston: Brill. P.218-226

(4) Meyerhoff 2006:218

(5) وهذه الظاهرة تعني أن المرء يتكلم بلغة هي خلاف تلك التي يكتب بها, فنحن نتكلم العامية المصرية ونكتب بالعربية الفصحى.

(6) فحسب إحصاءات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو Alecso) تصل نسبة الأمية بين الذكور بالوطن العربي إلى 14.6%, بينما تصل بين الإناث إلى 25.9%, وتتراوح نسبة الأمية بين الإناث في بعض الدول العربية ما بين 60–80% وهي النسب الأعلى عالميًّا. (بالأرقام .. الأمية في الوطن العربي \Arabic.supthiknews.com)

المرأة في الوطن العربي تظل أقل من الرجل استعمالًا للشكل الفصيح للغة, ذلك لأن فرصها في المشاركة المجتمعية لا تُقارن بما قد يحصل عليه الرجل, فالعديد من الأعمال والوظائف التي تتطلب استخدام العربية الفصحى يسيطر عليها الرجال. إذًا فالأمر محض اجتماعي, ومن هنا اختلف وضع المرأة العربية عن نظيرتها الغربية, لأن هذه الأخيرة تمتعت بما لم تتمتع به الأولى من حيث فرص التعليم[1] والعمل, وعلى هذا نقول مطمئنين أنه ليس حقيقيًا أن الرجل / المرأة أكثر استعمالًا للشكل الفصيح من الجنس الآخر عمومًا, وإنما ترجع الأسباب إلى أوضاع مجتمعية نحياها, وأدوار اجتماعية social roles نمارسها, وشبكة اجتماعية social network نعيش بداخلها, فقد رأينا سابقًا كيف تفوقت المرأة الغربية في استعمال الشكل المعياري نظرًا لكونها الآن الأكثر التحاقًا بالتعليم, والعكس منها وضع المرأة العربية المعاصرة التي تخلفت تعليميًّا, ولو تغير الوضع لتغير الحال, وإليك دليل ذلك, ومن المرأة العربية أيضًا: فقديمًا أُخذت اللغة من أفواه الرجال لا النساء, إلا فيما ندر, فهل كان ذلك لأن الرجال أفصح من النساء[2]؟ أم أن للنظرة الدينية وقتها دورًا في ذلك[3]؟ فلو كان الرجل بطبيعته أفصح من المرأة لذا أخذوا يروون عنه فكيف نفسر الحديث التالي الذي ورد في صحيح مسلم "**أن ابن أبي عتيق تحدث هو والقاسم بن محمد بن أبي بكر عند عائشة –رضي الله عنها -,وكان القاسم رجل لحّانة,وكان لأم ولد, فقالت له عائشة: ما لك لا تتحدث كما يتحدث ابن أخي هذا؟ أما إني علمت من أين أُتِيت[4], هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك**"[5].

وعليه فاكتساب الفصاحة قد عزته عائشة إلى الأم لا الأب, فلأن أُم ابن أبي عتيق كانت عربية, حرة, اكتسب الولد عنها الفصاحة, أمّا أُم القاسم فقد كانت أم ولد, أي أَمَة, وغالبًا ما تكون الإماء من غير العرب, ولذا اكتسب عنها القاسمُ اللحنَ, والحديث يوضح أن النساء وقتها كن على قدر كبير من الفصاحة, بل وأكثر فصاحة من

---

(1) ففي إنكلترا التي كانت بها الدراسات الغربية التي أشرنا إليها سابقًا نجد أن إجمالي الالتحاق بالتعليم العالي من الذكور 52%, بينما إجمالي الالتحاق بالتعليم العالي من الإناث 71%. (Gender Profile: UK. Commonwealth of Learning, April 2015. Unesco Institute of Statistics,2015)

(2) الحق أن المرأة كرجل لغوي أفضل من الرجل, وذلك لقلة تحركها, فهي نادرًا ما تغادر قبيلتها, كما أن اتصالها بالآخرين ضعيف, مما يقلل احتمالات تأثرها باللهجات الأخرى, وذلك مما يحافظ على نقاء لغتها. See: Coates 2013:172

(3) أعني نظرة القدماء للنساء على أنهن ناقصات عقل ودين. وأضف إليها رواسب العقلية العربية الجاهلية والتي لم يستطع أغلب الرجال وقتها أن يتخلص منها, وأقصد هنا النظر إلى المرأة على أنها جنس أدنى من الرجل.

(4) تعني: أعلم من أين جاءك اللحن في اللغة.

(5) النووي (يحيى بن شرف, محي الدين, ت: 676هـ), المنهاج شرح مسلم بن الحجاج, دار العقيدة, الإسكندرية, (2009/1430), (38/3), حديث رقم (560).

علماء مشاهير تميزت لغتهم باللحن والخطأ, أضف إلى ذلك أن الحديث فيه إيحاء بأن عائشة كانت أفصح من عالم كبير كالقاسم بن محمد. إن المرأة العربية وقتها كان لها دور مهم في إكساب الأولاد الفصاحة, لذا حافظت على لغتها انطلاقًا من هذا الدور الاجتماعي, بالإضافة إلى أن شبكة العلاقات الاجتماعية الخاصة بالمرأة وقتها كانت ضعيفة جدًّا, وبالتالي ضعفت المؤثرات الخارجية التي قد تصيب لغتها باللحن, أما الآن فلم يعد هذا الدور موجودًا, أعني دور إكساب الأولاد الفصاحة, وإنما أُوكِل إلى المدارس, أضف إليه ابتعاد المرأة عن التعليم كما أشرنا مسبقًا, لقد تضافرت كل تلك العوامل وساعدت على تفشي العامية بلغة النساء.

بيد أن الأمر لا يقف عند حدود المرأة العربية في مخالفتها لنتائج دراسات لغة المرأة الأوربية التي تقول أنهن أكثر فصاحة من الرجال, فانظر إلى ما قاله إرنست إدوارد .Edwards, E.R (1903) عن المرأة اليابانية في كتابه "دراسة صوتية للغة اليابانية Etude Phonetique de la langue Japonais": "في فرنسا وإنكلترا يقال أن المرأة تتجنب التجديد في اللغة, كما أنهن حذرات ألا يبتعدن كثيرًا عن الأشكال المكتوبة, لكن في اليابان نجد النساء على النقيض من ذلك, فهن أقل محافظة لغوية من الرجال, سواء من ناحية النطق الصحيح أو اختيار الكلمات, وواحد من أشهر الأمثلة على حرية المرأة هناك أن المرأة في طوكيو لديها ميل قوي للتخلص من صوت (w) في كلمة (watashi) فتنطقها (atashi)"[1]. وإليك دليل آخر على صدق دعوانا بأن الأمر ليس عامًا على كل المجتمعات في كل العصور, ولكن هذه المرة نقدم الدليل من المرأة الأوربية نفسها, والتي توصف الآن بأنها المحافِظة على الأشكال المعيارية, فقديمًا اهتم اللغويون والنحويون الأوربيون بالتغير اللغوي, ولقد اقترحوا أن المرأة أكثر من الرجل ميلًا لتقديم كلمات جديدة, أو حتى تغيير نطق بعض الكلمات القديمة, وأيد ذلك يسبرسن jespersen وقال: "إن المرأة أكثر عرضة للتعبير الجديد, لذا فهي المُنشئة للتغير اللغوي"[2], وعلقت لاكوف Lakoff (1975) على قوله السابق بقولها: "لقد قال يسبرسن ذلك وهو يفكر في المجتمع الأوربي في القرن

---

(1) Edwards, Ernest Richard (1903). Etude phonetique de la langue japonaise [Phonetic Study of the Japanese language]. Leipzig. P.79

(2) Lakoff 1975:55,والحق أن لاكوف لم تحدد في كتابها من أين اقتبست تصريح يسبرسن السابق, لأنه لو صح ذلك عنه لصار كلامه في كتابه (اللغة طبيعتها, تطورها, وأصلها) مشكلًا, لأنه في هذا الكتاب يقرر أن المرأة تتحرك في المنطقة الوسطى من اللغة, وتتجنب كل ما يخرج عن ذلك, بينما الرجل كثيرًا ما يميل إلى سبك كلمات جديدة (Jespersen 1921:248)وهذا بدوره يعني أن الرجل هو المنشئ للتغير اللغوي لا المرأة, وهذا يناقض قوله الذي اقتبسته لاكوف عنه, والمخرج من هذا الإشكال يكون بأقوال: إما أن نقول بوهم لاكوف, أو نقول بأن يسبرسن يناقض نفسه, أو نقول أن يسبرسن قد تراجع عن قول من قوليه.

الماضي – تعني القرن التاسع عشر – عندما كان الرجال هم الأكثر تعلمًا وثقافة"[1]. ولقد أيدت آن وثرال Ann Weatherall (2002) ما ذهب إليه اللغويون قديمًا[2], واستدلت بما قامت به النساء في بداية القرن العشرين من ابتكار لبعض الصيغ الجديدة للكلمات التي قد يبدو عليها التحيز للذكور[3]؛ وعليه فالمرأة الأوربية الآن ليست كما كانت عليه من قبل لأن وضعها الاجتماعي حاليًا ليس كما كان عليه في القرون السابقة. وعلى جميع ما سبق, فالقول بتعميم أن الرجل / المرأة هو من يقود التغير اللغوي عبر كل المجتمعات في كل العصور هو أمر لا يمكن بحال.

(1) Lakoff 1975:55

(2) Weatherall, Ann (2002). Gender, Language and Discourse. London and New York: Routledge. P.18

(3) مثل استبدال history بـ herstory؛ واستبدال women بـ wimmin

لغة المرأة

بما أن الرجال والنساء تحكمهما قواعد اجتماعية وسلوكية مختلفة, فسيكون المُتوقَّع منهما أن يملكا اهتمامات مختلفة, وأن يستخدما أشكالًا محادثاتية مختلفة, وأن يملكا ردة فعل مختلفة تجاه الآخرين؛ وعليه نقرر أن الرجال والنساء لا يتحدثون بنفس الطريقة في كل المجتمعات تقريبًا, ولقد ظهر هذا بوضوح في كتاب روي ميلر Miller, R. "اللغة اليابانية The Japanese Language" (1967) حين قال: "إن المرأة في المجتمع الياباني تتكلم عن أشياء مختلفة عن تلك التي يتحدث عنها الرجال, وحتى لو تكلما في نفس الموضوع فسيقولان أشياء مختلفة أيضًا"[1]. وحين نتكلم عن تمايز لغة المرأة عن لغة الرجل فقد نجد أمثلة فجة حول هذه الظاهرة, ففي بعض قبائل نهر الأمازون نجد أن اللغة التي تتحدثها النساء مختلفة تمامًا عن تلك التي يتحدثها الرجال, والسر يعود إلى أن الرجال هناك لا يتزوجون من نفس قبيلتهم, وإنما يُشترط عليهم الزواج من خارج القبيلة, وبما أن كل قبيلة هناك لها لغة خاصة بها كان من الطبيعي أن تتحدث المرأة بغير لغة زوجها. والتالي أنموذج آخر, فسكان الكاريبي The Caribbeans يتحدث الرجال عندهم بشكل مختلف تمامًا عن النساء, والسبب ذكره بريتون الدومنيكاني Dictionnaire Caraibe–Francais (1664) Dominican Breton" في كتابه "القاموس الفرنسي الكاريبي", فذكر أن زعيم الكاريبيين قد قام بإبادة كل السكان الأصليين عدا النساء, واللاتي ظللن محتفظات بلغتهن القديمة[2]؛ ومن بعد بريتون يأتي تشارلز روتشفورت Rochefort, C. (1665) – والذي قضى وقتًا طويلًا بين الكاريبيين – ليؤكد الاختلاف اللغوي الشديد بين الرجال والنساء هناك, فيقول في كتابه "التاريخ الطبيعي والأخلاقي لجزر الأنتيل الأمريكية Histoire naturelle et morale des iles Antilles de l'Amerique": "إن الرجال لديهم العديد من المصطلحات الخاصة بهم, والتي تفهمها النساء غير أنهن لا يستعملنها أبدًا, كما أن للنساء هناك ألفاظًا وعبارات لا يستخدمها الرجال مطلقًا, وقد يضحكون ويسخرون منها"[3].

---

(1) Miller, Roy A. (1967). The Japanese Language. Chicago: University of Chicago Press. Pp. 90-298. And see also: Lakoff 1975:63

(2) Jespersen 1921:237

(3) Rochefort, Charles (1665). Histoire naturelle et morale des iles Antille de l'Amerique [Natural and moral history of the Antille Islands of America]. 2nd Ed. Rotterdam: Chez Arnout. P.449

وبعيدًا عن هذه النماذج الفجة, قد نجد في كثير من المجتمعات التي يستخدم فيها الرجال والنساء اللغة نفسها بعضَ الملامح اللغوية المتمايزة بين الرجل والمرأة, بيد أن هذه الملامح تظهر في كلام المرأة فقط, وذلك على اعتبار أن لغة الرجل هي الأصل / المعيار الذي يقاس عليه التمايز؛ فالمتأمل في كثير من اللغات يجد فروقًا في الاستعمال اللغوي بين الرجل والمرأة, ففي سيدامو sidamo –وهي لغة مستعملة في إثيوبيا – توجد بعض الكلمات التي يستخدمها الرجال فقط, والعكس صحيح أيضًا, فكلمة (لبن) سيقولها الرجال: (ado), بينما النساء سيقولنها: (gurda)[1]؛ وقد لاحظ ماكس أدلر .Adler, M.K (1978) – كما لاحظ ميلر من قبل – أن اللغة اليابانية من اللغات التي تكشف عن اختلافات الجنس اللغوية, فهناك مجموعة من الضمائر الشخصية, الروابط, الأدوات, التصويفات الفعلية, والألفاظ الملائمة للمرأة, وأخرى ملائمة للرجل, وبين الطرفين يوجد قدر كبير من المادة المحايدة, ورأى أدلر أن هذه الاختلافات لا تؤثر على الصيغ المستخدمة فحسب, وإنما تؤثر أيضًا على المحتوى, بمعنى أن النساء اليابانيات يقلن أشياء مختلفة حتى حين يتحدثن في نفس الموضوعات التي يطرقها الرجال, لذا فمن الصعب أن تعطي تعبيرات مرادفة من لغة المرأة لما يقوله الرجل والعكس صحيح[2], والتالي مثال على ذلك, حيث نجد المفردة التي يستخدمها الرجل مختلفة عن تلك التي تستخدمها المرأة:

الكلمة	الشكل الذي يستخدمه الرجل	الشكل الذي تستخدمه المرأة
أب	oyaji	otoosan
يأكل	kuu	taberu
أنا	boku	[3]Watashi / atashi

(شكل رقم: 2)

(1) Yule 2010:274

(2) اللغة واختلاف الجنسين, مرجع سابق ص: 36, نقلًا عن: Adler M K (1978). Sex differences in human speech. Hamburg.

(3) Atashi تخفيف من watashi, وبالتالي فالأولى صيغة غير رسمية, ولا تستخدم atashi إلا مع الأصدقاء أو الأسرة, وهي كلمة خاصة بالبنات الصغار, أو نساء تحاول أن تكون أكثر أنوثة. Chromlea.com/japanese/vocabulary/i-my-japanese. And quora.com/japanese language

بيد أنه في اليابانية الحديثة أصبحت هذه المميزات ترتبط بالآداب العامة أو الرسمية أكثر من إرتباطها بالجنس؛ فمن ناحية أصبحت هذه الأشكال النسائية تستخدم من قِبل الجميع في السياقات العامية, ومن ناحية أخرى نجد أنه نتيجة تزايد الأدوار الاجتماعية التي تقوم بها المرأة من جهة العمل, ونتيجة وجود بعض الذكور في المنزل ومساعدتهم في تربية الأطفال أصبحت المرأة تستخدم الأشكال الذكورية في الكلام[1]. بيد أن بعض الباحثين لم يكتف بمثل هذه الفروق في استعمال المفردات, فراح يعدد ملامح مميزة للغة المرأة على كافة المستويات, ولقد كان أوتو يسبرسن Jespersen, Otto هو أول من حاول تحديد ذلك في كتابه: "اللغة, طبيعتها, تطورها, وأصلها" عام (1921), فقد خصص الرجل في هذا الكتاب فصلًا وَسَمَه بـ (المرأة The Woman), ادعى فيه عدة ادعاءات بشأن لغتها كما نوهنا بالمدخل[2]. إلا أن ادعاءات يسبرسن في هذا الفصل – كلها تقريبًا – كانت قائمة على انطباعاته الشخصية, وعلى بعض الشخصيات الروائية! فقد ادعى – مثلًا – أن المرأة لا تفكر قبل أن تتكلم, لذا فهي قد تبدأ الجملة ولا تنهيها, ودلل على دعواه السابقة ببعض الحوارات الدائرة بين شخصيات روائية![3] والحق أن كلام يسبرسن في كتابه يعكس الأفكار والنظريات التي كانت سائدة وقتها في دراسة اللغة, فقد كان الاعتماد على الحدس لدى المحلل اللغوي هو المنهج المقبول حينذاك[4], وذلك بدلًا من الاعتماد على تحليل البيانات, واستخدام الطرق التجريبية والإحصائية, والتي صارت متبعة في العقود التالية, والتي مازالت متبعة في كافة فروع الدراسات اللغوية حتى وقتنا هذا. وعلى الرغم من أن باحثات الحركة النسوية قد انتقدن يسبرسن كثيرًا على ادعاءاته في فصل المرأة إلا أنهن رحبن بعمل روبين لاكوف Lakoff بشكل غير مبرر, فلقد كانت لاكوف من أكثر الباحثات تأثرًا بما قام به يسبرسن, ولقد عملت على تحديد عدد من الملامح اللغوية التي تميز لغة المرأة, وهي الملامح التي توضح – في اعتقادها – قلة ثقة المرأة بنفسها وبعدها عن الدقة, والتالي عرض لتلك الملامح:

---

(1) Holmes 2013:160-161

(2) Jespersen 1921:237-254

(3) Ipid

(4) Sunderland 2006:5

- كثرة استخدام عبارات التحوط مثل: كما تعلم, نوعًا ما, كما ترى, you see, sort of, you know
- كثرة استخدام الصفات الخالية من المعنى empty of meaning مثل: cute, وقد ألمح إلى ذلك أيضًا يسبرسن[1].
- كثرة استخدام التأكيدات intensifiers[2] مثل كلمة so في عبارة: I like him so much, وهذا الملمح علله يسبرسن بولع المرأة في الغلو والمبالغة[3].
- الإفراط في الصحة النحوية, كالثبات على استخدام الأشكال الصحيحة للأفعال؛ فالذكور مثلًا يسقطون الحرف /g/ من الكلمات المنتهية بـ /ing/, أما البنات فهم أقل منهم إسقاطًا لها.
- استخدام الأشكال اللغوية المبالغ في تأدبها superpolite form, مثل كثرة استخدام الطلب غير المباشر, ولطف التعبير[4] euphemism, وهذا ملمح قد ذكره يسبرسن أيضًا[5].
- الدقة في تحديد الألوان مثل: أرجواني بدلًا البنفسجي.
- تجنب ألفاظ القسم القوية.
- كثرة استخدام السؤال المذيل مثل: **إنها جميلة, أليس كذلك؟**
- الميل إلى التنغيم الصاعد rising عند التصريح بإفادة مثل: its really gōōd.
- النبر التأكيدي emphatic stress, كالضغط على كلمة داخل العبارة مثل: it was a BRILLIANT performance.[6]

---

(1) Jespersen 1921:249

(2) Intensifiers: هي ظروف نحوية تستخدم للتأكيد والتشديد على معنى ما.(dictionary.cambridge.org)

(3) Jespersen 1921:250

(4) لطف التعبير Euphemism: هي كلمة أو عبارة تستخدم مكان كلمة أو عبارة أخرى, وذلك عندما تكون المُستبَدلة محظورة الاستعمال tabooed أو غير مقبولة اجتماعية. ويعرفه فاولر Fowler: بأنه استخدام تعبير معتدل أو غامض أو تعويضي كبديل عن الحقيقة الصريحة أو الدقيقة. (Mills 1995:89-165)

(5) Jespersen 1921:245

(6) (Lakoff 1975: 53-55) And see also: (Holmes 2013:301-303) (Jespersen 1921:250) (Mills 1995:34)

هذا هو ما قررته لاكوف بشأن لغة المرأة, بيد أن البعض قدرأى فيما قررته نوعًا من التناقض, فمن ناحية زاها تقرر أن المرأة أكثر استخدامًا لعبارات التحوط, وتلك العبارات – كما ادعت لاكوف – تدل بطبيعتها على عدم الثقة / التأكد[1], ثم زاها من ناحية أخرى تقرر أن المرأة تستخدم التأكيدات بكثرة, وهذا ضد السابق, إلا أن لاكوف قدرأت أن كليهما يدل على فقدان الثقة, فمن ناحية تستخدم المرأة عبارات التحوط لفقدان الثقة في كلامها, ومن ناحية أخرى فهي تستخدم التأكيدات لإجبار المتلقي على أخذ كلامها على محمل الجد, فاستخدامها للتأكيدات دليل على اعتقادها أن المتلقي لا يسمع كلامها على نحو من الجد, أو لا ينتبه لما تقوله, وعليه فالتحوط وكثرة التأكيدات نذير على فقدان الثقة.

ومهما يكن, فالحق أن معظم هذه الملاحظات التي قررتها لاكوف قد بُنيت على الحدس, وعلى ملاحظاتٍ شخصية لا أكثر, ومثلها في ذلك مثل أستاذها يسبرسن, فلم تقدم لاكوف أي دليل إحصائي أو تجريبي على ما تقول. ولقد قام عدد من الباحثين باختبار ادعاءات لاكوف حول عدم الإحساس بالثقة, وكثرة استخدام الأسئلة المذيلة, ووجدوا أن المادة التجريبية ليست دائمًا ما تؤكد هذه الأحكام الحدسية, وانظر في ذلك أعمال كل من: بيتي دبوا وإزابيل كروتش.Dubois B and Crouch I (1975), ديدي برؤر وملرينال جريتسن ودوريان دي هان Brower D, Gerritsen M, and De Haan D (1979), ديبورا كامرون وفيونا ماكلندين وكاثي أوليري Cameron D, McAlinden F, and O'leary K (1989)؛ غير أن باميلا فيشمان .Fishman, P قد وافقت لاكوف على كون المرأة أكثر استخدامًا للأسئلة المذيلة, ولكنها اتبعت الطريقة التجريبية, فلقد جمعت

---

[1] الحق أنه ليس كل تحوط دالًا على عدم ثقة كما ادعت, فهناك تحوط يدل على تأكد, فعبارة (you know) التي استخدمتها لاكوف كنموذج على التحوط الدال على عدم الثقة قد تدل في سياقات أخرى على التأكد مثل: You know, you have heard it؛ لذا قامت جانت هولمز .Holmes, J بتحليل مدونة تتكون من كميات متساوية من كلام رجال ونساء, وقد تنبهت لما أشرنا إليه من الوظائف المختلفة للتحوط, فوجدت أن استخدام النساء لتلك العبارات جاء أكثر من الرجل بالفعل, إلا أنه عند النظر للوظائف المختلفة وجدت أن عبارات التحوط الدالة على التأكد استخدمتها النساء أكثر من الرجال بمعدل (56:37), أما العبارات التحوط الدالة على عدم الثقة فقد استخدمها الرجال أكثر بمعدل (33:50). (See: Holmes, Janet (1987). Hedging, Fencing and other conversational gambits: an analysis of gender differences in New Zealand speech. Pp.59-76. in Pauwels, Anne (ed.). Women and Language in Australian and New Zealand Society. Sydney: Australian Professional Publications.)

فيشمان مادة مكونة من (52) ساعة من المحادثات المسجلة على أشرطة لثلاثة أزواج متقاربين في السن والخلفية الثقافية والاجتماعية, فوجدت أن النساء استخدمن الأسئلة المذيلة أكثر من الرجال, فمن أصل (370) سؤالًا استخدمت النساء السؤال المذيل (87) مرة, في حين استخدم الرجال السؤال المذيل (29) مرة فقط[1], غير أنها لم تنتبه لما نوهنا إليه من قبل, وهي الوظائف المختلفة للسؤال المذيل. لذا قامت جانت هولمز Holmes, J. (1984) بتفنيد ادعاء لاكوف حول الأسئلة المذيلة, الذي اعتبرته الأخيرة دليلًا على الضعف وعدم الثقة بالنفس, فقامت هولمز بتحليل مدونة مكونة من نسب متساوية من كلام رجال ونساء, فوجدت أن السؤال المذيل الذي يوظَف كدليل على عدم التأكد استخدمه الرجل (24) مرة, بنسبة تصل إلى (61%), بينما استخدمته المرأة (18) مرة, بنسبة تصل إلى (35%)[2].

(1) Fishman, Pamela: Conversational Insecurity. In Cameron D 1998: 254-255

(2) Holmes, Janet (1984). Hedging your bets and sitting on the fence: some evidence for hedges as support structures. Te Reo 27:47-62. And see also: Coates 2013:91

وبعيدًا عن ذلك, فالمتأمل في الملامح اللغوية التي حددتها لاكوف للغة المرأة, يجد أغلبها مرتبط بادعاء عام يقول بأن المرأة أكثر تأدبًا من الرجل, فهل حقًا المرأة أكثر تأدبًا؟ وإن كان, فهل هذا التأدب مرتبط بكونها امرأة؟ أم بكونها الأضعف في المجتمع؟ فقد يرى البعض أن استخدام الصيغ المتأدبة – سواء كان من قِبل رجل أو من قِبل امرأة – غالبًا ما يرتبط بالأشخاص الضعفاء, الذين هم في موضع أقل شأنًا في المجتمع, والدليل على ذلك دراسة كل من وليام أوبار O'Barr W وباومان أتكنز Atkins B (1980) للغة جلسات المحكمة, فقد تساءل الباحثان: هل لغة الشاهدة تختلف عن لغة الشاهد؟ وعليه قاموا بتحليل جلسات إحدى المحاكم بمدينة نورث كارولينا USA, ونظر الباحثان في الملامح اللغوية الفارقة بين الشهود والشاهدات, والتي اسمتها لاكوف "لغة المرأة", فوجدا أن الشاهدات بالفعل قد استخدمن الملامح اللغوية التي قررتها لاكوف أعلاه, حيث التأدب, التحوط, الأسئلة مذيلة, الصفات الخالية من المعنى ... وغيرها, بيد أن هذه الملامح لم تقف عند حد الشاهدات, بل الشهود الذكور كذلك قد استخدموها وبكثرة, وعليه استنتج الباحثان أن الأمر ليس مرتبط بالجنس بقدر ما هو مرتبط بمكانة الإنسان من حيث القوة والضعف, ومن هنا أطلقوا على هذا النمط من اللغة اسم "اللغة الضعيفة Powerless language"[1], وذلك بدلًا من اصطلاح لاكوف "لغة المرأة", وعليه هل يمكن أن نقول: إن استخدام المرأة لهذا النمط الكلامي ناتج عن ضعفها المجتمعي لا لكونها أنثى؛ الحق أن هذا ليس دائمًا, فقد نجد حالات تستخدم فيها المرأة نفس هذا النمط الكلامي, لكن ليس لضعف مكانتها في المجتمع, وإنما لكونها أنثى, والدليل على ذلك الدراسات التي قامت بها كانداسي ويست West, C. (1984, 1998), حين قامت بتحليل لغة التفاعل بين الأطباء والمرضى في عيادة محلية, واكتشفت أنه عادة ما يقاطع الأطباء مرضاهم أثناء الحديث, إلا في حالة واحدة, وهي إذا كان الطبيب أنثى, فحينها العكس من ذلك هو الذي يتم[2]؛ وهنا نجد الطبيبة / الأنثى في موضع قوة, ومن المفترض أن تسيطر على التفاعل, لكن ما الذي منعها من ذلك؟ إنه جنسها وليست حالتها الاجتماعية.

---

(1) O'Barr, William and Atkins, Bowman K. (1980). Women's language or Powerless language? Pp.93-110. In McConnell-Ginet S, Borker R, and Furman N (eds.). Women and Language in literature and society. New York: Praeger.

(2) West, Candace (1998b). When the doctor is a 'lady': Power, Status and Gender in physician-patient encounters. Pp.396-412. in Coates, Jennifer (ed.). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell. And see also: West, Candace (1984). Routine Complications: Troubles with talk between doctors and patients. Bloomington: Indiana University Press.

إذًا, فأحيانًا قد يستخدم المرء اللغة الأضعف نتيجة ضعف مكانته, لكن في أحيان أخرى يكون استخدامه لها نتيجة ضعف جنسه. على أن أمر تحديد ملامح خاصة بلغة المرأة لم يتوقف عند يسبرسن أو عند لاكوف ومذهبها القائم على عجز المرأة وسيطرة الرجل, بل قد ادعت جانت هولمز Holmes, J. (1998) عدة ادعاءات بخصوص لغة المرأة,وأطلقت على هذه الادعاءات اسم "الاتجاهات العالمية لعلم اللغة الاجتماعي Sociolinguistic Universal Tendencies",والتالي مجموعة منها:

- الرجل والمرأة قد طورا أنماطًا مختلفة من الاستعمال اللغوي.
- المرأة أكثر من الرجل ميلًا إلى التركيز على الوظائف العاطفية affective functions في التعامل.
- المرأة أكثر من الرجل ميلًا إلى استعمال الأدوات اللغوية التي تؤكد التضامن والتآلف.
- المرأة تميل إلى التفاعل بطرق تضمن الحفاظ على التضامن solidarity وزيادته, بينما الرجال يميلون إلى التفاعل بطرق تحفظ وتزيد من قوتهم ومكانتهم, خاصةً في السياقات الرسمية.
- أسلوب المرأة أكثر مرونة من أسلوب الرجل[1].

والسمات السابقة وإن كان كثيرون يرونها تنطبق بالفعل على كثير من النساء في كثير من المجتمعات إلا أننا نرى أن تعميمها على كل المجتمعات أمر سابق لأوانه, ونفينا للتعميم لا يعني أنه لا يمكن بحال, فهو أمر ممكن, ولكن بشروط؛ فالتعميم يكون على كلام المرأة في المجتمع المعين, والطبقة المعينة في وقت معين؛ فواحدة من أكبر الأخطاء التي قامت بها الباحثات – باحثات النسوية خاصة – أنهن كثيرًا ما ركزن على اللغة المستخدمة من قِبل نساءٍ بيضٍ من الطبقة الوسطى, وعندما رأين بعض الملامح اللغوية في كلامهن قمن بتعميم هذه الملامح على كافة النساء حول العالم, والحق أن كثيرًا من الدراسات الحالية أظهرت أن سلوك المرأة الكلامي يقوم على العديد من المتغيرات منها: السياق, الطبقة, العِرق, التعليم, درجة الألفة ... وغيرها, فكثير من اللغويين لاحظوا – مثلًا – أن أسلوب المرأة الضعيف Powerless لا ينطبق على الأمريكيات ذوات الأصول الإفريقية[2],

---

(1) Holmes, Janet (1998). Women's Talk: The Question of Sociolinguistic Universals. In Coates, Jennifer (ed.) (1998). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell. And in Wardhaugh 2006:322

(2) See: Bucholtz, Mary (1996). Black Feminist Theory and African American Women's linguistic practice. Pp. 267-290. In Bergvall V L, Bing J M, and Freed A F (eds.). Rethinking language and gender research: Theory and Practice. London: Longman

وباحثون من بولندا واليابان أظهروا أن اللغة المستخدمة من قبل مجموعات معينة من النساء مثل: العاملات قد تغيرت لغتهن في السنوات الأخيرة, خاصة فيما يتعلق بالأدب والمبالغة في الصحة النحوية, فقد وصف باحثون بولنديون لغة النساء البولنديات بأنها قاسية ووقحة[1] rude, أما اليابانيون فقالوا: إن فتيات اليابان قد تركن الصيغ الكلامية المرتبطة عادة بالمرأة[2], وفي إنكلترا كثيرًا ما نسمع الوزيرات ومقدمات البرامج في الراديو والتلفزيون يتحدثن بثقة واقتدار competently, ويستخدمن لغة مباشرة وقوية.

(1) See: Baran, Dominika and Syska, O. (2000). Harsh words are women's words: the emergence of a new female speech style in Poland. Conference paper to the International Gender and Language Association. California: Stanford University. And see also: Mills, Sara (2003). Gender and Politeness. Cambridge: Cambridge University Press. P.191

(2) Okamoto, Shigeko (1995). "Tasteless" Japanes: less "feminine" speech among young Japanese. Pp. 35-51. In Hall, Kira and Bucholtz, Mary (eds.). Gender Articulated. London and New York: Routledge.

الفصل الأول

التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى المفردات

تقديم

لقد قمنا بتحليل البنى الخطابية الصغرى والكبرى بمادتنا الروائية اعتمادًا على تقنية المدونة, وهي تقنية / منهجية حديثة, لم نعتد استعمالها كثيرًا بأبحاثنا العربية, لذا لزم التعريف بهذه التقنية, وطريقة عملها, وتحديد محتوياتها الروائية, وذلك قبل استعراض فصول الدراسة بشكل مفصل.

المدونة Corpus:

إن المدونة بشكل عام ما هي إلا قاعدة بيانات كبيرة لمواد مكتوبة / منطوقة سُجلت بشكل منهجي منظم, وعادة ما تُحفظ بشكل إلكتروني كنص text على الكمبيوتر, وتمثل جنسًا نصيًّا معينًا بغرض تحليلها تحليلًا لغويًّا باستخدام برامج خاصة[1].

طريقة عملها:

إن المدونات تعمل على تحليل البيانات باستخدام برامج حاسوبية خاصة, حيث تقوم تلك الأخيرة بمعالجة المواد بطرق مختلفة, وذلك من أجل الكشف عن الأنماط اللغوية بناءً على التردد frequency[2], وعليه تصبح المدونة منهجًا علميًّا في تحليل اللغة, إذ تسمح للمحلل بتقديم أدلة تجريبية empirical في شكل بيانات أتت من المدونة, وذلك لدعم أي طرح قد يقدمه الباحث عن اللغة[3] وطرق استعمالها. وبشكل عام, فالمدونة اللغوية منهجية كمية quantitaive, وهذا يعني أن عملها الأصلي يكون على الأرقام التي تعكس تردد الكلمات والعبارات داخل المدونة[4].

---

(1) Brezina, Vaclav (2018). Statistics in corpus linguistics: A practical Guide. UK: Cambridge University Press.p.6. and see also: Sunderland 2006:56

(2) Sunderland Ipid

(3) Brezina 2018: 2

(4) McEnery, T. and Hardie, A. (2011). Corpus linguistics: Method, Theory and Practice. UK: Cambridge University Press. In Brezina 2018:3

الهدف منها:

إن الهدف من الاعتماد على تقنية المدونة هو الكشف عن الأنماط اللغوية المستخدمة بناءً على ترددها الكمي داخل النص, كما أنها تتيح التعرف على المتصاحبات اللفظية collocations وتحليلها إحصائيًا, وتوفر طريقة فنية لصنع وتحليل كميات ضخمة من البيانات, كما أنها تجيب عن أسئلة بحثية عدة مثل: أي الكلمات أكثر ترددًا في النص؟ وما هي التراكيب اللغوية / النحوية التي تتردد أكثر من غيرها؟ وما هو نطاق استخدمها؟ وإلى أي مدى يتسع نطاق معانيها؟

المدونة الخاصة Special corpus:

هي تلك المدونة التي تضم نصوصًا تمثل جنسًا لغويًا محددًا, كما هو معمول به في هذه الدراسة, حيث قمنا ببناء مدونة خاصة ضمت جل أعمال (بهاء طاهر / خيري شلبي /رضوى عاشور / مهوال الطحاوي) الروائية, والتي قد بلغت (65) عملًا روائيًا, وذلك بغرض الإجابة على الأسئلة البحثية التي تثيرها هذه الدراسة.

محتويات المدونة الخاصة:

<u>أعمال بهاء طاهر</u>: (أنا الملك جئت / بالأمس حلمت بك / الحب في المنفى / الخطوبة / خالتي صفية والدير / ذهبت إلى الشلال / شوق النخيل / قالت ضحى / لم أعرف أن الطواويس تطير / نقطة النور /واحة الغروب

أعمال خيري شلبي: (أسباب للكي بالنار / إسطاسية / أشياء تخصنا / أنس الحبايب[1] / الأوباش / بغلة العرش / تقليب المواجع / ثلاثية الأمالي [أولنا الولد / وثانينا الكومي / وثالثنا الورق] / الخواز / الدساس / رحلات الطرشجي الحلوجي /زهرة الخشخاش / السنيورة / الشطار / صاحب السعادة اللص / صالح هيصة / صحراء المماليك / صهاريج اللؤلؤ / عدل المسامير / العراوي / فرعان من الصبار / قداس الشيخ رضوان / لحس العتب / اللعب خارج الحلبة / المنحنى الخطر / ما ليس يضمنه أحد / موت عباءة / منامات عم أحمد السماك / موال البيات والنوم / نسف الأدمغة / نعناع الجناين / الوتد / وكالة عطية)

أعمال رضوى عاشور: (أثقل من رضوى / أطياف / تقارير السيدةراء / ثلاثية غرناطة [غرناطة / مريمة / الرحيل] / حجر دافئ / خديجة وسوسن / الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا /رأيت النخل / سراج / الصرخة / الطنطورية / قطعة من أوربا / فرج)

أعمال موال الطحاوي: (الباذنجانة الزرقاء / بروكلين هايتس / الخباء / نقرات الظباء)

ولقد تمت معالجة بيانات هذه المدونة باستخدام برنامج غواص Ghawwas الإصدار 4.6,وهو برنامج تم تصميمه وتطويره من قِبل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية KACST.

والحق أننا قد بذلنا الجهد الجهيد في سبيل بناء هذه المدونة على النحو الأمثل, فلقد كان ضروريًّا أن تحول كل الروايات – من كان منها ورقيًّا – إلى صيغة pdf, ومن ثَم تحول من صيغة pdf إلى صيغة txt, وذلك حتى يتمكن برنامج التحليل من تحليلها بدقة عالية؛ نعم هناك بعض برامج التحليل التي قد تحلل ملفات pdf دون الحاجة إلى هذا التحويل, غير أن نتائج تحليلها غير مرضية على الإطلاق,والسبب أنها تتعامل مع ملفات pdf على أنها صور jpeg image لا نصوص, ومن ثَم فهي تتعرف على الكلمات من صورتها الكتابية, غير أنها تخطئ أخطاءً فادحة في توقع الكلمات, كما أن نسب خطئها كبير للغاية, أضف إلى ذلك أنه لو كانت صور الملفات رديئة – وما أكثرها – فهي لا تتعرف علي شيء فيها على الإطلاق؛ إذًا صار لزامًا علينا تحويل كل

[1] يلاحظ أن هذا العمل هو عبارة عن فصول من سيرة الكاتب الذاتية, إلا أننا قد حذفنا منه الأجزاء التي خرجت عن إطار الحكي كما هو واقع بالفصل الرابع والخامس, وذلك حين تكلم المؤلف عن تاريخ نشأة وتأليف ألف ليلة وليلة, فتلك الأجزاء أشبه بمقال نقدي عن كتاب قصصي؛ وكذلك تم حذف مقاله عن الأسطورة الشعبية وبواسته حول الفلكلور ونشأته, فكلها مقالات وتعليقات نقدية لا دخل لها بفن السيرة الذاتية, ومن ثَم احتفظنا من المؤلَّف بما اتصل بحكيه عن نفسه,وعمن أثر في نشأته وتثقيفه.

الملفات إلى صيغة txt, وذلك حتى تتحول الصور إلى بيانات data يتعرف عليها البرنامج بسهولة ودقة عالية لا سبيل إلى الخطأ فيها, وهنا كمُنت الصعوبة, حيث هذا التحويل, فالبرامج التي تقوم به بعضها لا يحول إلى الخط العربي من الأساس مثل برنامج (Adobe reader), والبعض الآخر من أمثال (foxit phantom pdf – fine reader – pdf element) لا يحول بدقة, والسبب هي طريقة كتابة الخط العربي, والتي تدمج الأحرف في الكلمة الواحدة, لذا فبعض هذه البرامج قد يحول الملف كاملًا إلى حروف مفرقة هكذا: (كتب ← ك ت ب), وبعضها يقوم بالعكس, حيث يدمج جميع الكلمات في بعضها هكذا: (كتب رجل ← كتبرجل), إلى أن اهتدينا إلى تطبيق Google drive, والذي حل بعض المشكلة, حيث استطاع تحويل الملفات إلى صيغة txt بأقل ضرر ممكن, فقد كانت نسبة نجاحه في تحويل الكلمات لا تزيد عن 50%, حيث كان هو الآخر يكثر من الخطأ في قراءة الكلمات, فهو قد يقرأ الهمزة في نهاية الكلمات (أ) تنوينًا (اً), أو يحولها إلى عين (ء ← ع), ويقلب الياء باء, والعكس, وكذلك كل الحروف صاحبة نقط الإعجام, كما يقلب الميم (م) حاء (ح), والثاء شين؛ والحق أن كل ذلك كان إعادة ضبطه يسيرًا مقارنة بما لو كانت صفحات الرواية سيئة الطبع / الصورة – وما أكثرها – عندها لا يصيب البرنامج في تحويل كلمة واحدة صحيحة[1], ولكل ما سبق كان لزامًا أن يتحول المرء إلى محقق مخطوطات, حيث نقابل كل الملفات المحوّلة على أصولها, حتى نتأكد من أنها صارت نسخة طبق الأصل, وذلك لإدراكنا أن البيانات الخاطئة ستعطي بالتبعية نتائج وهمية, وعليه قمنا بمراجعة كل الملفات على الأصول, كلمة كلمة, حتى نصل إلى نتائج حقيقية مؤسسة على قاعدة بيانات صلبة, لذا فقد تجشمنا هذا العنت لأشهر حتى خرجت المدونة بالشكل الذي نرتضيه.

[1] وهنا أخص بالذكر رواية (نقطة النور) لبهاء طاهر, و(الرحلة) لرضوى عاشور, والتي اضطررت لإعادة كتابتهم بنفسي على الكمبيوتر, وذلك لأن صورة طباعتها السيئة حالت دون قراءتها آليا بشكل صحيح؛ كما أذكر رواية (الوتد) لخيري شلبي, والتي كتبت على هيئة أعمدة متوازية, لذا كان البرنامج يصل السطور دون ترتيبها الصحيح, فيصل السطر الأول من العمود الأول بالسطر الأول من العمود الثاني على أنهما سطر واحد لذا اضطررت لإعادة ترتيب الأسطر ووصلها ببعضها بشكل صحيح.

والحق أنه لو ذهبنا نستقصي الصعوبات التي واجهتنا في بناء هذه المدونة لذكرنا الكثير, لكن لكل مقام مقال.

تمايز المعجم اللغوي بين الرجل والمرأة

سُيعنى هذا الفصل برصد التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الكلمة من حيث كونها الممثلة للبنى الخطابية الصغرى, لذا فسنحاول الإجابة عن سؤالنا التالي: إلى أي مدى يختلف المعجم التعبيري بين الرجل والمرأة من حيث كمه وكيفه؟ وفي سبيل الإجابة على هذا السؤال كان لا بد من حصر كل ما أنتجه الرجال من كلمات في مقابل كل ما أنتجته النساء, ومن ثَمّ توزيع ما أنتجه الجميع على حقول دلالية تبين كيفية إظهار هذا الكم من الألفاظ.

1. حجم المعجم التعبيري لدى الرجل / المرأة.

لقد أكد كثير من الباحثين أن المعجم اللغوي لدى المرأة أقل بكثير من نظيره لدى الرجل[1], والآن سنعرض كم ما أنتجه الرجال في مقابل الكم الذي أنتجته النساء لنرى هل تؤيد هذه الدراسة نتائج الدراسات الغربية السابقة عليها أم تشذ عنها؟

1-1 لقد أنتج الرجال (2145071) كلمة, منها (244598) كلمة غير مكررة[1] بنسبة (11.4%), و(1900473) كلمة مكررة بنسبة (88.5%)؛ وإذا ذهبنا لتفصيل هذه الإحصاءات نجد أن بهاء طاهر قد أنتج

[1] Jespersen (1921: 248), وانظر تمهيد هذه الدراسة / المسألة الأولى / اللغة والمجتمع / كم الكلام.

وحده (366186) كلمة, منها (62183) كلمة غير مكررة بنسبة تصل إلى (17%), و(304003) كلمة مكررة بنسبة تصل إلى (83%)؛ أما خيري شلبي فقد أنتج (1778885) كلمة, منها (221281) كلمة غير مكررة بنسبة تصل إلى (12.5%), و(1557604) كلمة مكررة بنسبة (87.5%).

2-1 أما النساء فقد أنتجن (678430) كلمة, منها (132186) كلمة غير مكررة بنسبة (19.4%), و(546244) كلمة مكررة بنسبة (80.5%)؛ وعندما نفصّل هذه الإحصاءات نجد أن رضوى عاشور أنتجت وحدها (569745) كلمة, منها (114391) كلمة غير مكررة بنسبة تصل إلى (20.1%), و(455354) كلمة مكررة بنسبة تصل إلى (79.9%)؛ أما مرال الطحاوي فقد أنتجت (108685) كلمة, منها (34993) كلمة غير مكررة بنسبة (32.1%), و(73692) كلمة مكررة بنسبة (67.8%).

ويمكن توضيح هذه الإحصاءات بشكل أوضح عبر الأشكال التالية:

الرجال	كم المعجم اللغوي	المكرر	غير المكرر	ن.م للمكرر	ن.م لغير المكرر

(1) يلاحظ أن برنامج التحليل الذي اعتمدته الدراسة الحالية – أو حتى غيره من برامج التحليل الغربية التي وضعت لتحليل المدونات – يعتمد في قراءته للكلمات على نظام Type, بمعنى أنه يحكم على الكلمات كونها مكررة أم غير مكررة من خلال شكلها, وبالتالي فكلمة (رُجل) – مثلًا – إذا وجد البرنامج ما يماثلها شكلًا فهي مكررة, لكن بالنسبة له فكلمات من مثل: (فوجل/ ورجل/ برجل) هي كلمات جديدة, ومن ثم لا يدمجها من حيث تكراراتها مع الكلمة الأم, وبالتالي إن لم يجد لهذه الكلمات ما يماثلها شكلًا اعتبرها كلمات غير مكررة, لذا فحكم البرنامج على غير المكرر ليس دقيقًا بنسبة 100%, بل هو حكم نسبي, قد يزيد أو يقل الشيء القليل, خاصة وأن هذه البرامج جميعها لا تلتفت إلى الاختلافات المعنوية والسياقية, فقد يدمج مع (رُجل) كلمة (رِجل), وهذا ما راعيناه عند توزيع الكلمات إلى حقول دلالية وحساب تكراراتها؛ لكن من الحق أن المشكلة ليست في البرامج الحاسوبية, وذلك لأنها صنعت في الأساس لتحليل الخط الإنكليزي, والذي لا يدمج بين الحروف كما يفعل الخط العربي, فهذا الأخير يلحم الكلمة بحروف الجر, وحروف العطف, ويلحمها كذلك بحرف التعريف وبالضمائر المتصلة, بل ويعتمد في كثير من الأحيان على تشكيل الكلمة لمعرفة ماهيتها, وذلك كما في كلمات مَلِك ومُلك ومَلَك ومِلك, لكن –وعلى الرغم من كل ذلك – ما دام معيار البرنامج واحد على الجميع فلا مشكلة ولا طعن,= فإن كنا سنجد لدى الرجال بعض زيادة أو بعض نقصان طفيف فهو نفس الأمر في ناحية النساء, وبالتالي فلن تتأثر النتائج إلا من حيث أعداد التكرارات هنا أو هناك, فما قلناه لا يعني إطلاقًا أن هذه الزيادة / النقصان قد تقلب الموازين, وتجعل من كان في الأول ثانيًا أو العكس, فالزيادة والنقصان في هذا الجانب أو ذاك لا تتخطى نسبة الواحد في المئة, بمعنى أنها قد تغير قليلًا أرقام الآحاد / العشرات على الأكثر, وكما ستغير هنا ستغير هناك. وعلى الرغم من يقيننا في ذلك إلا أنه قد لزم التنويه.

بهاء طاهر	366186	304003	62183	% 83	% 17
خيري شلبي	1778885	1557604	221281	% 87.5	% 12.5
المجموع	2145071	1900473	244598	% 88.5	% 11.4

(شكل رقم: 3, يلاحظ أن ن.م = نسبة مئوية)

النساء	كم المعجم اللغوي	المكرر	غير المكرر	ن.م للمكرر	ن.م لغير المكرر
رضوى عاشور	569745	455354	114391	% 79.9	% 20
ميرال الطحاوي	108685	73692	34993	% 67.8	% 32.1
المجموع	678430	546244	132186	% 80.5	% 19.4

(شكل رقم: 4)

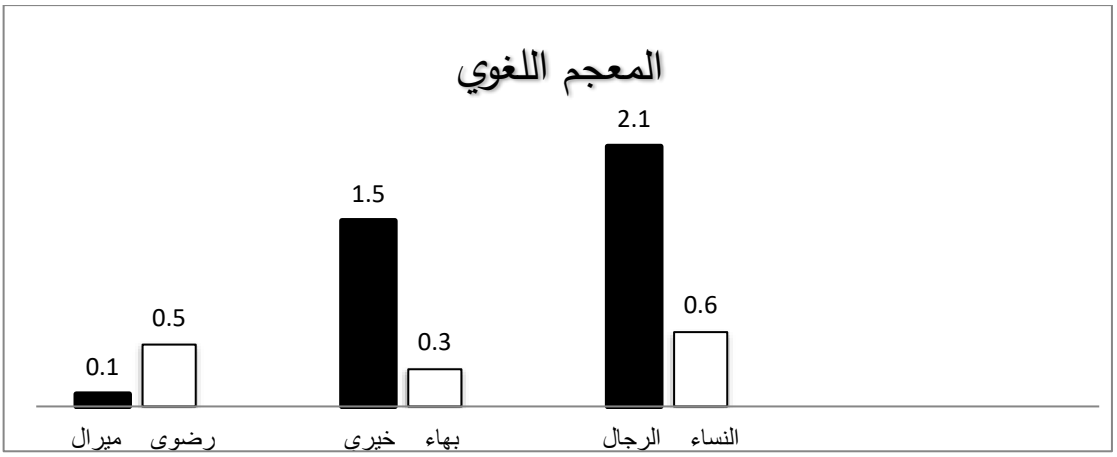

(شكل رقم: 5, يلاحظ أن الأرقام بالتقريب إلى أقرب مليون)

نستنتج من الإحصاءات السابقة النتائج التالية:

1. الإنتاج اللغوي لدى الرجال يقترب من أربعة أضعاف إنتاج النساء.

2. على الرغم من أن عدد الكلمات غير المكررة لدى الرجال أكثر من نظيرتها لدى النساء إلا أن النسبة المئوية لغير المكرر لدى النساء أعلى من نظيرتها لدى الرجال, ولعل السر في ذلك يكمن في الإنتاج اللغوي الضخم لدى الرجال, فكلما زاد إنتاج الكلمات زادت احتمالات تكرارها, ومعلوم أنه كلما تكلم الإنسان كثيرًا كرر كثيرًا, والعكس صحيح أيضًا, لذا وجدنا خيري شلبي أكثر إنتاجًا من بين الجميع, والأكثر تكرارًا أيضًا, وهو كذلك الأقل نسبة مئوية لغير المكرر, وبالتبعية فإن نظرنا إلى إنتاج ميرال الطحاوي فسنجد الوضع معكوسًا, فهي الأقل إنتاجًا, والأقل تكرارًا كذلك, وهي أيضًا الأعلى نسبة مئوية لغير المكرر بين الجميع. بيد أننا نلاحظ علاقة ما بين

المرأة وعدم التكوار, فوضوى عاشور أكثر إنتاجًا من بهاء طاهر غير أنها أقل منه في النسبة المئوية للمكرر, وأعلى منه في نسبتها المئوية لغير المكرر, وعليه فالقاعدة التي نستنتجها هي التالي: [الرجل + التكوار > المرأة + التكوار / الرجل + عدم التكوار < المرأة + عدم التكوار] حتى وإن كانت المرأة أكثر إنتاجًا, ويبدو أن المرأة أقل تكرارًا لعلة كونها امرأة, فهي لا تريد إملال من تحادثه, فمعلوم أن التكوار مثير للملل؛ ولعل السر في تلك الرغبة – أعني الرغبة في عدم الإملال – سببها أن النساء لديهن حساسية شديدة تجاه إبعاد الآخرين لهن أو الضجر منهن, لذا تأتي قواعد المخاطبات مرتبطة بكونهن إناثًا, عندها تميل تلك القواعد لخدمة هذه الحساسية[1].

3. ما دمنا قررنا أن الرجال أكثر إنتاجًا من النساء بقى أن نعلم ماذا يعني ذلك؟ نقول: إن اللغة تقدم تصورنا للعالم, ومعلوم أن نظام أفكارنا يتأثر باللغة في مجتمعنا, لذا ففكرتنا عن الحقيقة مقيدة بالشكل اللغوي المتاح لنا كأعضاء في المجتمع, وبالتالي فلو أن مجتمعًا ليس لديه صيغة للتعبير عن مفهوم معين سيكون أفراد هذا المجتمع – بالتبعية – فاقدين لهذا المفهوم[2], فالمجتمع الذي لا يملك مفردة لكلمة (حصان) لا يملك أفراده مفهومًا لهذا الكائن, وبناءً على ذلك يصبح كم الألفاظ التي يمتلكها المجتمع / الفرد مساويًا لكم المفاهيم التي يعلمها, فإذا كانت اللغة مرآة للمجتمع فهي أيضًا مرآة للمفاهيم, المبادئ, والأفكار التي يمتلكها أعضاء هذا المجتمع, وما دام الأمر كذلك, فعندما نقرر أن الرجل يمتلك كمًا أكبر من المفردات فهذا يعني – بالتبعية – امتلاكه كمًا أكبر من المفاهيم والأفكار.

---

(1) See: (Tannen et al 2015:643). And see also: Gray, John (2003): Men are from Mars, Women are from Venus, The classic guide to understanding the opposite sex. Prefect bound. US

(2) ينظر في ذلك: نظرية الحتمية اللغوية Linguistic Determinism, والتي ترى أن اللغات عامل مهم في طريقة التفكير, وينظر أيضًا: فرضية سابير – هورف Sapir – Whorf Hypothesis, والتي تقول أن اللغة التي نتكلمها تحدد طريقة تفكيرنا.

2. تقسيم المعجم التعبيري إلى حقول دلالية

نظرية الحقول الدلالية:

الحقل الدلالي Semantic Field, أو الحقل المعجمي Lexical Field: هو مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها, وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها, مثل كلمات الألوان في العربية: الأحمر والأصفر والأزرق ... إلخ, فهي توضع تحت المصطلح العام (لون)[1]؛ والهدف من ذلك النوع من التحليل هو جمع الكلمات التي تخص حقلًا معينًا مع بعضها بعيدًا عن الكلمات الأخرى التي يضمها معجم الرجل / المرأة التعبيري, وذلك بغرض الوقوف على أوجه التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة داخل الحقل الواحد, حتى نرى أي حقل يُكثر فيه الرجل / المرأة؟ وإلى أي مدي تأتي الكثرة / القلة؟ وما أسباب هذا التفوق / التمايز؟

ومن المبادئ التي وضعناها ليقوم عليها الحقل الدلالي:

1(لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.

2(لا يصح إغفال السياق التي وردت فيه الكلمة, وذلك لأنه قد تكون الكلمة نفسها, لكنها في سياق تكتسب معنى دون آخر, مثل كلمة: (خرابة) التي استخدمت من قِبل كُتاب المادة في سياقات بمعناها المتعارف عليه, وهو الأرض الخلاء, لكن في سياقات أخرى جاءت كعَلَم لشخص؛ ومثلها كلمة: (الظُهر), والتي قد تعني: الوقت, لكن في سياقات أخرى قد تعني: الصلاة؛ ومثلها: العصر والمغرب والعشاء, على أن هذه الآخيرة قد تعني – فضلًا عن ذلك –: الطعام. وعليه فلم نغفل السياق الذي وردت فيه الكلمات.

3(قمنا بدمج الكلمات المتماثلة معنى والمختلفة صيغة في صيغة واحدة, هي صيغة المفرد غالبًا, مثل: أخونا – أخوه – أخاك – أخيه – أخوين ... إلخ تم دمجهم في كلمة (أخ), وأحيانًا قليلة قد تركنا صيغة الجمع كما هي, أو دمجنا فيها صيغ المفرد, وذلك إن كانت الكلمة لم ترد إلا جمعًا, أو كان ورودها بالجمع أكثر, مثل كلمة: (معاصي), والتي لم ترد إلا جمعًا لدى النساء, وقد وردت عند الرجال بالجمع والإفراد, لكن الجمع أكثر. وهنا لا بد من التنويه بأننا قد راعينا اختلاف المعنى مع اتفاق الصيغة عند الدمج, فلم ندمج (يمين) كَقَسَم في

---

[1] عمر (د. أحمد مختار), علم الدلالة, عالم الكتب, ط5, القاهرة, (1998م), ص: 79

(يمين) كذراع, وعلى الرغم من أن الراويات لا تُكتب مشكولة إلا أننا لم ندمج (مَلَك الموت) في (مِلك مصر) في (مُلك الله) في (ملك الحكومة) فكل ذلك تمت مراعاته.

4(لم ندمج ذكرًا في أنثى غالبًا, وذلك مراعاة لأغراض البحث ومراميه, فلم ندمج (طفل) في (طفلة), ولا (تلميذ) في (تلميذة), كما فرقنا بين (زوج) كرجل و(زوج) كأنثى.

5(قد نضم – في أحيان قليلة – كلمة ترتبط بحقل معين عن طريق الاستعمال, وإن كانت في الحقيقة ليست من الحقل, مثل ضم كلمة (الجوع) مع حقل الجسد, وكلمة (الشبع) مع حقل المأكول, وذلك لأن الشعور بالجوع مرتبط بالجسد أكثر, فكلمة (جوع) دائمًا ما تأتي مستعملة مع كلمات تعود على الجسد, كالإحساس, والشعور, والمعاناة الجسدية؛ أما (الشبع) فهو لا يتحقق مطلقًا إلا في وجود الطعام, وذلك على الرغم من كونه إشباع جسدي أيضًا, لكن بدون الطعام فالشبع ليس له وجود. ومن الحق أننا لم نقم بهذا النوع من الدمج إلا في أضيق الحدود.

6(وعلى الرغم من كل تلك الإجراءات يجب أن نشير إلى صعوبة الفصل بين الكلمات داخل الحقول الدلالية, فأنت قد تجد كلمة تصلح لأن تكون عضوًا في أكثر من حقل, فكلمة (الخولي) مثلًا أين سنضعها؟ أفي حقل المهن؟ أم في حقل القرية؟ فكونها مهنة لا ينفي ارتباطها الشديد بالقرية, فهي مهنة لا توجد خارج القرى, كما أنها لم ترد سوى في سياقات ريفية, وبسبب هذا الارتباط السياقي وحده رجحنا وضعها في حقل القرية, إذًا فالسياق هو من يرجح وضع الكلمة في الحقل.

7(ورغبة منا في التخفيف عن كاهل هذه الدراسة سنكتفي بذكر أكثر عشر كلمات ترددًا مع أقل عشر, دون ذكر الباقي, وذلك لأننا كما نرى من حجم الإنتاج فهناك الملايين من الكلمات, وقد يضم الحقل الواحد الآلاف منها, ونريد أن نذكر أكبر قدر من الحقول, ولا نرى كبير فائدة من وراء ذكر كل الكلمات.

2.1 حقل الكلمات الوظيفية Function Words

وهي الكلمات التي ليس لها معنى معجمي, أو ُقل إنها شبه خالية من المعنى في حد ذاتها, فلا تكاد تدل على شيء إن ذكرت وحدها, لكنها تكتسب معناها من موقعها في الجملة, وذلك مثل: حروف الجر, النداء, العطف, الحروف الناسخة, الظروف ... إلخ, فكلها كلمات تستخدم كأدوات ربط في الجملة, وتكتسب معناها من الجملة ككل لا من محتواها الذاتي, لذا فهي على النقيض من الكلمات ذات المحتوى content words, وهي الكلمات التي لها معنى في ذاتها, فيكون لها دلالة وإن استقلت عن الجملة, وذلك مثل: الأسماء, الأفعال, الصفات,والأحوال؛ لذا ُيطلق عليها الكلمات المعجمية lexical words.

بيد أن الكلمات الوظيفية لا تخلو من المعنى تمامًا, فهي تحوي معنى ضعيفًا, أو غامضًا / مبهمًا, وذلك لأنها لا تعبر عن معنى دلالي,وإنما تعبر عن علاقة نحوية من خلال سياق الجملة,وعليه يصبح الفارق الحاسم بين الكلمات الوظيفيةوالكلمات المعجمية أن الأولى مرتبطة بالمعنى النحوي,والثانية ترتبط بالمعنى المعجمي, لذا نجد المعجم يحدد معنى الكلمات المعجمية, لكنه لا يفعل ذلك مع الكلمات الوظيفية,وإنما يشير فقط للاستخدام النحوي لهذه الكلمات[1].

2.1.1 الكلمات الوظيفية لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
في	76146	لا	23676	بِمَ	6	زمنذاك	2
و	68668	الآن	23155	علّني	5	ساعتئذ	2
من	60608	إلى	21527	ليلتئذ	4	بئس	1
إن	55793	بـ	18181	أنتن	4	صباحئذ	1
على	38155	ما	17379	أيامذاك	4	عصريتذاك	1

(1) See: Klammer T, Muriel R S and Angela Della Volte (2009). Analyzing English Grammar. 6th ed. longman.

2.1.2 الكلمات الوظيفية لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
و	25894	إلى	8884	لكيلا	5	حينئذ	1
في	23523	لـ	8710	أنتما	5	فيمن	1
من	16898	لا	8553	كيفما	3	فيم	1
على	12274	بـ	6691	هنالك	1	بِمَ	1
إن	13885	ما	5809	حاشا	1	علّني	1

النتائج

1(استعمل الرجال (208) كلمة وظيفية, في مقابل (180) لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (28) لفظًا.

2(كل ما استعملته النساء استعمله الرجال, فلم تنفرد النساء بشيء.

3(انفرد الرجال بـ (28) كلمة وظيفية لم تستعملها النساء, وهي التالي: (نعم – بئس – خلا – سيما – لئن – كيما – دونما – فبما – عندئذ – أيما – فلربما – حبذا – لكأن – وقتما – آنئذ – ليلتئذ – لحظتئذ – لحظتذاك – ليلتذاك – وقتذاك – صباحئذ –زمنذاك – عصريتذاك – أيامذاك – حينذاك – ساعتئذ – هاتيك – أنتن).

4(تفوقت النساء في كم الكلمات غير المكررة, حيث سجلن (7) في مقابل (3) لدى الرجال.

5(المتأمل لما انفرد به الرجال يجد أن بعض هذه الكلمات تراثية قديمة مثل: نِعم, بئس, حبذا, سيما ... إلخ, وبعضها الآخر مصكوك حديثًا كنوع من الابتكار اللغوي مثل: آنئذ, ليلتئذ, لحظتئذ, لحظتذاك, وقتذاك, ليلتذاك ... إلخ؛ وهذا التنوع ما بين إحياء القديم وابتكار الجديد يدعم المبدأ القائل بأن المرأة تتحرك في المنطقة الوسطى من اللغة, وتتجنب – عادة – كل ما يخرج عن ذلك, بينما الرجل كثيرًا ما يميل إلى التجديد عن طريق سبك كلمات جديدة[1], أو حتى بعث كلمات قديمة, وهذا يعني أن الرجال يعتقدون أنهم قادرون على إيجاد اللفظ

[1] وذلك كابتكار خوي شلبي لمصطلح (الوحشنة) أي جعلوه متوحشًا, وذلك على غرار (الأنسنة) أي جعلوه إنسيًا, وتلك الأخيرة اشتق منها الفعل (أنسنوه). (انظر: شلبي (خوي), ما ليس يضمنه أحد, مجموعة قصصية, كتاب اليوم, عد (526), أخبار اليوم, القاهرة, يونيو (2009)

المناسب لأفكارهم[1]. وقد يعتقد البعض أن هذا الأمر مرتبط بالجانب التعليمي للكاتب, غير أن ذلك ليس صحيحًا, فممثلتا الجانب النسائي بهذه الدراسة أعلى تعليميًّا من ممثلي جانب الرجال, وعلى الرغم من ذلك تفوق الرجال بالحقل الحالي[2], وسوى مثل هذا التفوق متحققًا في الحقول التالية.

6(إذا تطرقنا إلى جانب الضمائر نجد أن الرجال يتصدر لديهم الضمائر: (هو – أنا – هي) على الترتيب, بينما يتصدر لدى النساء: (هو – هي – أنا), وطبيعي أن يتصدر الضمير (هو) لدى الرجال, وذلك أن الحكي عندهم غالبًا – إن لم يكن دائمًا – كان عن أبطال ذكور, وحتى أبطال الضد, غالبًا ما كانوا ذكورًا أيضًا, ومن هنا فليس بمستغرب أن يتصدر ضمير المفرد المذكر لديهم؛ لكن على الجانب الآخر نجد أغلب روايات النساء تحكي عن بطلات لا أبطال, بل إن حضور الذكور في روايات النساء كان ضعيفًا للغاية, بل لا نغلو إن ادعينا أن لو حذفنا بعض الشخصيات الذكورية من قصصهن لما تأثر البناء الروائي في كثير, وحتى أبطال الضد, كثيرًا ما كن من النساء, وذلك مثل شخصية خديجة في "خديجة وسوسن" لرضوى عاشور, وشخصية حاكمة في "الخباء" لمرال الطحاوي, لكن وعلى الرغم من ذلك, يظل الكلام عن (هو) مسيطرًا؛ ولعل تصدر هذا الضمير في الكلام وسيطرته بهذا الشكل يعد أحد المبررات لاستخدامه في كثير من اللغات للدلالة على الإنسان عامة. هذا, ومن ناحية أخرى نجد الضمير (أنا) عند الرجل يحتل المرتبة الثانية بعد (هو), أما النساء فيأتي لديهن (أنا) في المرتبة الثالثة بعد (هي), وعليه فالرجل يحكي عن (هو / أنا) أكثر, أما النساء فيحكين عن (هو / هي) أكثر, ومعلوم أنه عند الحكي بـ (أنا) يكون القاص شخصية من شخصيات الرواية / مبئر داخلي, مشاركًا في صنع أحداثها, لكن ها نحن نرى المرأة تفضل الابتعاد عن ذلك, تفضل التبئير الخارجي, حيث تصدر شخصيات أخرى لتقوم بصنع الحدث داخل الرواية نيابة عنها, وقد نبرر ذلك بجرأة الرجل, والذي لا يخشى من خلط بعض القراء بينه وبين الشخصية الروائية, إلا أن المرأة قد تخشى ذلك الخلط, لذا فهي تفضل أن تنأى بنفسها, وذلك حتى تتكلم بشكل أكثر تحررًا مما لو قدمته بـ (أنا), ومعلوم أن الحكي بـ (أنا) أكثر جرأة من (هو / هي).

---

(1) Jespersen 1921:248

(2) والحق أن كثيرًا من الدراسات التجريبية التي أقيمت في هذا السياق بين طلاب وطالبات من نفس المستوى التعليمي أثبتت نفس النتائج, وهو التفوق الذكوري في إنتاج الكلمات وتنوعها, وانظر في هذا الشأن: Havelock, Ellis (1904). Man and Woman. 4th ed. London.

7(النساء لم تستخدم كل أشكال الضمائر, فضمير الجمع المخاطب الخاص بالإناث (أنتن) لم تستخدمه النساء ولا مرة واحدة على الرغم من أن حكيهن دائمًا ما كان عن نسوة!

8(يبقى الرجال أكثر استخدامًا للضمائر من النساء, سواء من ناحية كم الضمائر, أم من ناحية كم تكرارها, وقد يعتقد البعض أن هذا يرجع إلى الكم الضخم من الكلمات الذي قدمه الرجال, بيد أننا لو قسمنا كم هذه الضمائر على عدد الروايات المقدم من الطرفين لنرى كم تكرار الضمائر داخل الرواية الواحدة كمًا تقريبيًا لوجدنا تفوق الرجال ما زال مستمرًا: ضمائر النساء / عدد الروايات $\frac{7094}{19} = 373$ مرة / الرواية الواحدة, ضمائر الرجال / عدد الروايات $\frac{30804}{46} = 669$ مرة / الرواية الواحدة, أي ضعف تردد النساء تقريبًا[1].

(شكل رقم: 6)

2.2 حقل الدين وما يرتبط به

الدين هنا لا يُقصد به دينًا معينًا, فلا نقصد به الإسلام مثلًا, لكنه الدين بمفهومه العام, أي ما يعتقده الإنسان من إيمانيات, وما يلزمه هذا الاعتقاد من سلوكٍ لغوي أو عملي؛ وعليه فكل الألفاظ الناتجة عن هذا الاعتقاد وعن هذه السلوكيات تصبح ذات دلالة دينية طالما قُصدت تلك الدلالة في سياقها الروائي.

2.2.1 حقل الدين عند الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الله	6052	مسجد	324	ساجد	2	طوبى	1

[1] يلاحظ أن هناك بحوثًا غربية قالت نقيض ما تثبته الدراسة الحالية, فزعموا أن استخدام النساء للضمائر أكثر من الرجال, وخاصة الضمير (أنا). ينظر في ذلك: Newman M, Groom C, Handelman L, and Pennebaker J (2008). Gender differences in language use: An analysis of 14,000 text samples. London: Routledge "Discourse Processes" 45:211-236

حاج	1636	الدين	320	زندقة	1	المتنيح	1
الشيخ	1478	الحمد	257	التراويح	1	القُمُص	1
رب	1039	ذنب	251	كاردينال	1	أرثوذكسية	1
صلاة	649	المعبد	249	الإنجيل	1	بروتستنتية	1

2.2.2 حقل الدين عند النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الله	1170	الشيطان	70	شريعة	1	ساجد	1
رب	139	صلاة	69	زبانية	1	مُريد	1
مسجد	138	الدين	62	عبادة	1	مِحْرم	1
الشيخ	111	الرحمن	49	خشوع	1	مُحَرّم	1
الكنيسة	81	مسلم	48	تراتيل	1	كاهنة	1

النتائج:

1(تم رصد (158) كلمة مرتبطة بحقل الدين لدى الرجال, في مقابل (131) لدى النساء, بما يعني تفوق الرجال بمقدار (27) كلمة.

2(وردت عند النساء (3) كلمات لم يستعملها الرجال وهي: (المجوس – مِحْرم – تعميد).

3(ورد عند الرجال (30) كلمة لم تستعملها النساء وهي: (ورع –راهب – الحسنات – وليّ – سورة – المولى – جبريل – البِر – قربان – الصوفية –رذيلة – قِبلة – ترتيل – الإيمان – فرض – تنسك –زندقة – يس – فاحشة –زكاة – الحرم – تراويح – المغرب – المقّدس – المتنيح – القُمُص – الحضرة – التكايا – أرثوذكسية – بروتستنتية).

4(الملاحظ أن تكرارات الكلمات الدينية لدى النساء ضعيف للغاية, فبعيدًا عن لفظ الجلالة الذي تخطت تكراراته الألف نجد تردد الكلمات الدينية ضعيفًا جدًّا, ولك أن تقارن بين مجموع ترددات أول أربع كلمات فقط لدى النساء ومقارنتها مع نظائرهن لدى الرجال, فتجد الرجال قد حققوا (10205) تكرارًا, في مقابل (1558) تكرارًا لدى النساء, أي بمعدل يصل إلى (10) أضعاف,وهذا في أول أربع كلمات فقط فضلًا عن الباقي.

5(إذا كان الرجال قد تفوقوا في كم الكلمات ومعدلات تكرارها فالنساء تفوقن في عدد الكلمات غير المكررة, فقد وجدنا لدى الرجال (9) كلمات غير مكررة, أما النساء فحصرنا لديهن (19) كلمة غير مكررة.

6(يبدو من هذا التفوق الذكوري مفداتًيا وتكرارًيا أن النزعة الدينية لدى الرجال تلعب دورًا أكبر عندهم من نظيرتها لدى النساء, وسنعلم ذلك يقينًا عندما نكشف عن تمرد المرأة دينًيا في الفصل الأخير, وذلك حين نحلل خطابها المتمرد, حيث سنجد كمًا كبيرًا من العبارات التي تحمل دلالات التمرد على السلطة الدينية, الأمر الذي لا نجد نظيره لدى الرجال.

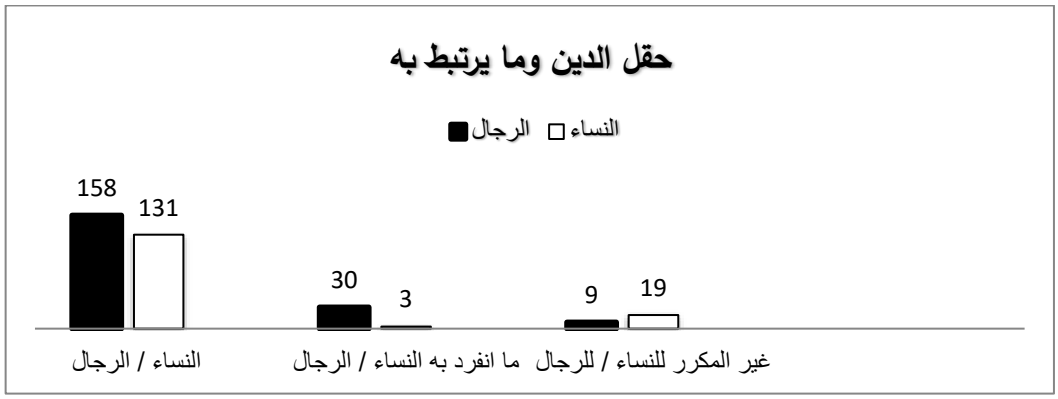

(شكل رقم: 7)

2.3 حقل الطبيعة وما يرتبط بها

وسيضم الحقل كل الكلمات الدالة على ما وجد في الكون من مظاهر متنوعة خلقها الله وليس للإنسان – غالبًا – دخل في تكوينها, أقول غالبًا لأن بعض النباتات التي سترد في هذا الحقل يقوم الإنسان بزراعتها, لكن ارتباط تلك النباتات بالجانب الجمالي للطبيعة دون الجانب الغذائي هو ما حدا بنا لوضعها هنا وفصلها عن غيرها من نباتات سترد في حقل المأكولات.

2.3.1 حقل الطبيعة لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الأرض	3032	الجبل	539	الداليا (زهرة)	1	الفيكيس (زهرة)	1
الماء	1064	الضوء	482	البانسيه (زهرة)	1	سُمَّار (شجر)	1
النار	761	شجرة	460	دردار (شجرة)	1	ياسنت	1
الشمس	606	البحر	442	التنوب (شجرة)	1	نسرين	1
الهواء	561	القمر	417	تيوليب	1	بازلت	1

2.3.2 حقل الطبيعة لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الأرض	756	الخشب	302	جهنمية (زهرة)	1	السوسن	1
الماء	485	النار	234	غار (زهرة)	1	عصا الراعي (زهرة)	1
شمس	444	السماء	190	إسكادينيا (زهرة)	1	روز بومبون (زهرة)	1
شجرة	324	النيل	136	الشمر (زهرة)	1	سفوجل (زهرة)	1
البحر	308	الورد	133	شقائق النعمان (زهرة)	1	البانسيه (زهرة)	1

النتائج:

1(تم رصد (108) كلمة تابعة لحقل الطبيعة لدى الرجال, في مقابل (111) لدى النساء, بتفوق نسائي مقداره (3) كلمات.

2(ورد عند الرجال (23) كلمة لم تستخدمها النساء وهي: (المامبو – الجوزاء – النوجس – السنط – اللوتس – التمر حنة – المانوليا – السنديان – الداليا – الدردار – التنوب – التيوليب – الفيكيس – الأرز – السُمَّار – البردي – الياسنت – الحلفاء – ذقن الباشا – فساء الكلاب – نسوين – بزلت – النبق)

3(ورد عند النساء (26) كلمة لم ترد عند الرجال وهي: (الطقس[1] – العبل – جرانيوم – بيرانيوم – الساسابان –– البان – الغردق – الريحان – البوانسيانا – الكستناء – أثلة – الغلديولا – مجنوليا – جربرا – أوركيدا – أقحوان – البلوط – الجهنمية – الغار – إسكادينيا – الشمر – شقائق النعمان – السوسن – عصا الراعي – روز بومبون – سفوجل)

4(والحق أن هناك علاقة ما بين المرأة وبين الزهور والأشجار, فلقد ورد لدى النساء (25) كلمة دالة على زهرة, و(18) كلمة تعود على شجرة؛ هذا في مقابل (17) كلمة دالة على الزهور لدى الرجال, ومثلها تعود على الأشجار, ليصبح مجموع ما قدمته المرأة في هذا الشأن (43) كلمة, في مقابل (34) لدى الرجال, وهذا ما حقق تفوق النساء بهذا الحقل؛ والحق أن المتتبع لخطاب المرأة الروائي قيد الدراسة يعلم كثرة كلام رضوى ومرال عن الزهور والأشجار, لا سيما رضوى عاشور؛ بيد أن الأمر لا يقف عند حدود خطاب المرأة وحده, فقد روى الرجل

[1] وردت هذه الكلمة عند الرجال كمفرد لكلمة (طقوس), وليس طقس بمعنى الجو.

ذلك منها أيضًا, وذلك عند حديثه عنها داخل خطابه الروائي, فلقد أظهر بهاء طاهر شخصية "ضحى" – بطلة روايته (قالت ضحى) – بمظهر المحبة للأشجار والزهور, بل لقد كانت تغضب من حبيبها إن لم يعلم اسم زهرة؛ كما نجد خوري شلبي يعرض لتعاطف مبالغ فيه من بطلة قصته (قلب شجرة) من مجموعة "الدساس" مع شجرة منزلها, والتي قطعت منها فرعًا لتوسعة البيت, فقد كانت تبكي لفعلها وتطلب من الشجرة السماح والعفو عنها.

5) وقد يعتقد البعض أن تفوق النساء في هذا الشأن يعود إلى ظروف بيئية نشأت بها الكاتبة, لكن من الحق أننا قد راعينا التوازن بين كتاب المادة قيد الدراسة من هذه الحيثية, فالظروف البيئية التي نشأ بها هؤلاء الكتاب متقاربة, فإذا كانت رضوى عاشور تعود لأصول ريفية من محافظة الشرقية فخوري شلبي صاحب أصول ريفية تعود لمحافظة كفر الشيخ, بل وعاش في تلك الأوضاع الريفية وارتبط بها أكثر مما عاشت وارتبطت بها رضوى, فلو كان الأمر تأثرًا بالنشأة لكان خوري بها أولى؛ أما منوال الطحاوي فهي صاحبة نشأة بدوية, ومعلوم أن ظروف البيئة الصحراوية التي ترعرعت فيها تحول دون الاهتمام بالشجر والأزهار؛ ومن هنا نعلم أن تأثير الظروف البيئية والتربوية في هذا الجانب ضئيل, والراجح أن التأثير الأكبر كان لجانب الذكورة والأنوثة.

6) استمر تفوق النساء في كم الكلمات غير المكررة برصيد (23) كلمة, في مقابل (14) لدى الرجال.

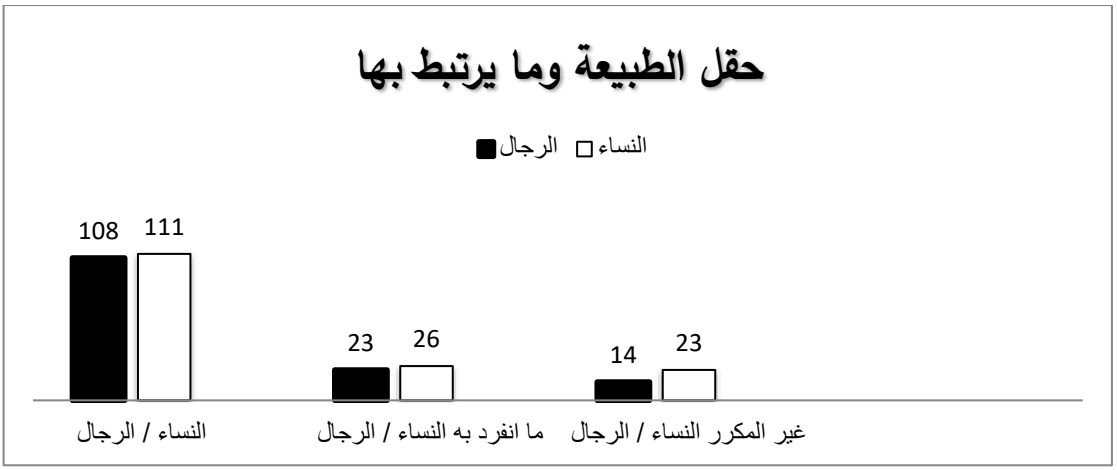

(شكل رقم: 8)

2.4 حقل المأكول والمشروب وما يرتبط بهما

وسنذكر هنا كل الكلمات الدالة على ما هو مأكول أو مشروب, وما يرتبط بهما من أسماء الوجبات وأوصافها.

2.4.1 حقل المأكول والمشروب لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الطعام	230	اللبن	158	كوارع	1	عيش السراي	1
الغداء	208	الفول	151	شمام	1	مسلى	1
الفاكهة	201	السكر	141	شكلمة	1	بوفتيك	1
الأكل	198	العشاء	132	بشاميل	1	فوم (الثوم)	1
لقمة	172	الأرز	130	بلح الشام	1	فلمنك	1

2.4.2 حقل المأكول والمشروب لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الطعام	160	الغداء	55	بابونج	1	بتي فور	1
العشاء	77	الزيت	51	تمر هندي	1	بابا غنوج	1
الخبز	76	الحليب	42	نقانق	1	مايونيز	1
الزيتون	74	السكر	35	كراوية	1	لبان	1
الأكل	66	اللحم	34	كزبرة	1	كمثرى	1

النتائج:

1(تم رصد (247) كلمة لدى الرجال مرتبطة بحقل المأكول والمشروب, في مقابل (189) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (58) كلمة.

2(ورد عند الرجال (91) كلمة لم تستخدمها النساء وهي: (طعمية – كباب – بوري – مدمس – المش – سميط – كابوريا – كمون – شوربة –زفر – طوشي – فسيخ – مهلبية – كبدة – حمص – حريفة – عسلية – يوسفندي – بلطي – كريز – إسكالوب – مغات – فوندام – قطايف – ملبن – سميز – قرفة – شيح – فلوذج – صلصة – بطارخ – كاكا – سويس – توتياء – جندوفلي – جزبيل – لوبيا – فاصوليا – كاكاو – كركديه – عجوة – نسكافيه – قلقاس – بقسماط – إدام – وام – حواوشي –رِجلة – تيليو – سلمكة – كرشة – خلنجان – أم الشلاتيت – كازوزة –ردَّة – أم علي – تلوة – حرنكش – عكاوي – أوطة – لقمة القاضي – جلاش – مفروكة – بسيسة – سد الحنك – عصيدة – خميرة – قُرص – قراقيش – ممبار – فشة – قثاء – كوارع – شمام –

بيبسي – سباتس – بلوبيف – بسيمة – شكلمة – بشاميل – بلح الشام – سلمون – عيش السواي – مسلى – بوفتيك – فوم – ڤريد – ڤريك – فلمنك – ياميش – خشاف)

3(ورد عند النساء (33) كلمة لم يستخدمها الرجال وهي: (حنّون – أيس كريم – ميرمية – سماق – هامبورجر – مثلجات – توفو – استكاوزا – بنجر – بندورة – مشروم – بتيه – لبنة – حساء – بسبوسة – شطة – تمر هندي – بابونج – منين – نقانق – كراوية – سماق – مكدوس – مجدرة – بتي فور – مقلوبة – مسخن – كبة – كوسا – سبانخ – حلقوم – بابا غنوج – مايونيز)

4(تفوق الرجال هذه المرة في كم الكلمات غير المكررة, حيث سجلوا (57) كلمة في مقابل (53) لدى النساء؛ ولعل السر في ذلك التفوق الطفيف هو الإنتاج الذكوري الضخم من كلمات هذا الحقل, حيث تفوق الرجال بعشرات من الكلمات لم تستعملها النساء, كما انفردوا بـ (91) كلمة, وهو ما يمثل (3) أضعاف ما انفردت به النساء.

5(مما سبق قد نستنتج أن ارتباط الرجل بالطعام أكثر من ارتباط المرأة به, على الرغم من كونه – أعني الطعام وتجهيزه – إحدى واجبات المرأة في أغلب الثقافات, لكن يبدو أن تأثره على الرجل أكثر من تأثره على المرأة, ولو جمعنا تكرارات أول عشر كلمات فقط لدى الطرفين لوجدنا لدى الرجال (1721) مرة, في مقابل (670) مرة لدى النساء, أي يتفوق الرجال بمقدار (2.5) ضعفًا؛ ولعل ارتباط الرجل بالطعام وتأثره عليه هو من ولّد الكثير من الأمثال الشعبية حول هذا الموضوع[1].

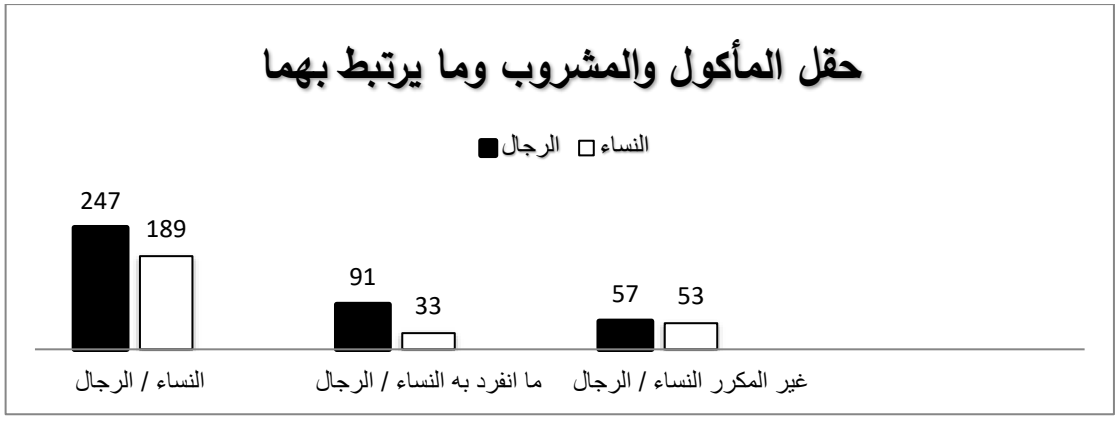

(شكل رقم: 9)

[1] ففي مصر نجد: أقصر طريق إلى قلب الرجل معدته, وفي الإنكليزية نجد: the way to a man's heart is through his stomack, ويوجد مثل تلك الأمثال في الثقافتين الأمريكية والإسبانية. (see: dictionary.cambridge.org. and see also: phrases.org.uk)

2.5 حقل العائلة والجوانب الاجتماعية

سنحصر هنا كل المفردات الدالة على الأقارب والأصدقاء والجيران وما يرتبط بهم من ألفاظ وأوصاف.

2.5.1 حقل العائلة والجوانب الاجتماعية لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
أب	3232	أهل	1075	جارة	9	صاحبة	6
ابن	2682	أخ	1039	النسب	9	سلفي	4
عم	2391	العائلة	796	رحم (صلة)	7	سلفتها	2
أم	2223	جد	785	الضيفة	6	مخطوب	2
خال	1197	زوجة	710	مخطوبة	6	ضرة	2

2.5.2 حقل العائلة والجوانب الاجتماعية لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
أم	2584	جد	334	مصاهرة	2	الخطوبة	1
أب	1086	جدة	322	حماه	2	أنيس	1
أهل	485	زوجة	257	عمومة	2	عزومة	1
ابن	429	عم	254	خطيبة	2	خطيب	1
ابنة	347	زوج (ذكر)	239	مخطوبة	2	سلفي	1

النتائج:

1) تم رصد (70) كلمة لدى الرجال منتمية لهذا الحقل, في مقابل (67) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يُقدَّر بـ (3) كلمات فقط.

2) انفرد الرجال بخمس كلمات لم ترد لدى النساء وهي: (زوج (أنثى) –رحم – أبوة – مخطوب – ضرة)

3) انفردت النساء بكلمتين لم ترد لدى الرجال وهما: (كنة – أنيس)

4) استمر التفوق الأنثوي في كم الكلمات غير المكررة, فوصدنا لديهن (5) كلمات, في مقابل (0) لدى الرجال.

5(تصدر (الأب) عند الرجال من حيث كم التكرارات, في حين تصدرت (الأم) لدى النساء, كما وجدنا تكرارات (الأبوة) لدى الرجال أكثر من تكرارات (الأمومة) لديهم, لكن على الجانب الآخر نجد النساء قد تكلمن عن (الأمومة) ولم ترد لديهن كلمة (الأبوة) مطلقًا, وإذا أضفنا لما سبق كلمتي (بابا وماما) العاميتين تتأكد هذه الظاهرة, فسنجد أن تكرارات الرجال لكلمة (بابا) أكثر من تكرارات كلمة (ماما), والعكس نجده عند النساء, فكلمة (بابا) لدى الرجال تكررت (101) مرة, في مقابل (64) مرة لصالح كلمة (ماما), لكن على الجانب الآخر نجد أن النساء كررن كلمة (ماما) (230) مرة في مقابل (66) مرة لصالح كلمة (بابا)؛ والحق أن هذا الانحياز الجنساني لصالح الأبوة / الأمومة أمر نراه طبيعيًّا, فالكاتب / الذكر هو أب في الأساس, وكذلك الوضع بالنسبة للمرأة, لكن يظل الفارق الحاسم بين الرجال والنساء هو كيفية إظهار الأب / الأم داخل أعمالهم الروائية, فالحق أن حضور الآباء في كثير من روايات النساء – ومن ضمنها روايات هذه الدراسة – اتسم بالضعف, التخاذل, والسلبية, لا لشيء إلا تعظيمًا لدور الأم, ولا أعتقد أن هذا لكونهم آباء, بل الراجح لكونهم ذكورًا؛ بينما على الجانب الآخر لم نجد الرجال يقللون من شأن الأم لصالح تعظيم دور الأب, بل يعطون كل ذي حق حقه, فلكلٍ دور, وكلٌ يقوم بهذا الدور, الذي كان في غالب الأمر إيجابيًّا, وسنرى كل ذلك لاحقًا عند تحليلنا للاختلاف اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الخطاب.

(شكل رقم: 10)

2.6 حقل البيت وما يرتبط به

سيعنى هذا الحقل بكل ما يرتبط بالبيت من مفردات دالة عليه أو على ما بداخله, أو ذكرت في سياقات بيتيه.

2.6.1 حقل البيت لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار

الباب	3141	غرفة	718	المرجل	1	مزهرية	1
البيت	2449	قصر	522	الشماعة	1	بكرج	1
الصورة	960	السلم	513	الدفاية	1	مدفأة	1
الحجرة	891	الجدار	501	نملية	1	شواية	1
شقة	800	السرير	474	الجاروف	1	سفط	1

2.6.2 حقل البيت لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
البيت	1934	المقعد	213	فسقية	1	شيش	1
الباب	1174	الفراش	205	بوتاجاز	1	قُمع	1
غرفة	481	الحجرة	201	درازين	1	مبخرة	1
الصورة	435	قصر	193	طشت	1	ممسحة	1
النافذة	218	السرير	180	مخدع	1	مقشة	1

النتائج:

1(تم رصد (199) كلمة مرتبطة بحقل البيت لدى الرجال, في مقابل (164) لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (35) كلمة,وهو تفوق كبير في حقل من المفترض أن النساء يرتبطن به أكثر من الرجال.

2(انفرد الرجال بـ (39) كلمة لم ترد لدى النساء وهي: (ترابيزة – بوريه – منقد – سماط – أنتريه – مشمع – كنيف – دركة – طقاطيق – بدروم – منخل – كومدينو – ناموسية – بستلة – ماعون –زهرة – سباكة – أباجورة – كليم – تراسينة – مرجل – شماعة – دفاية – جاروف – شوفونيرة – كسرولة – صندرة – أناجر – خلاط – دورق – ميلامين – عنقريب – مغرفة – مقطف – سفط – بياضات – بانيو – كوفيرته – موبيليا)

3(انفردت النساء بـ (4) كلمات لم يستعملها الرجال هي: (السطل – منشفة – سكرية – لبانة)

4(يتساوى هنا كل من الرجال والإناث في كم الكلمات غير المكررة, حيث سجل الجميع (17) كلمة.

5(وقد يعتقد البعض أن السبب في تفوق الرجال هنا هو كون ممثلتا الجانب الأنثوي من النساء العاملات, لذا فهن قليلًا ما يجلسن بالبيت, وهذا قد يكون صحيحًا إلى حد ما, أقول إلى حد ما لأن أغلب الروايات المقدمة من جانب النساء دارت داخل المنزل, فأغلب روايات منال الطحاوي – إن لم تكن كلها تقريبًا – دارت أحداثها

بالبيت مثل: الخباء, بروكلين هايتس, نقوات الظباء؛ وكذلك الحال بالنسبة لرضوى عاشور, فروايات من مثل: حجر دافئ,والطنطورية, قطعة من أوربا دارت حُل أحداثها من داخل البيت.

(شكل رقم: 11)

2.7 حقل الجسد وما يرتبط به

سُيعنى هذا الحقل بالجسد وما يوصف به, وسُيعنى كذلك بكل ما يرتبط بهذا الجسد من أعضاء, وما تقوم به تلك الأعضاء من وظائف, وما قد يتكون داخلها, وما قد يخرج عن بعضها, وكذلك سيذكر ما تتعرض إليه من إصابات, وما يُرتدى لتزيين بعضها.

2.7.1 حقل الجسد لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
وجه	4474	صدر	1198	هرمونات	1	حقو	1
يد	4202	جسد	1037	كاعب	1	بواسير	1
عين	3736	ذراع	949	الدورة	1	كشح	1
رأس	3113	ملامح	946	طمث	1	أوداج	1
قلب	2081	قدم	909	نمش	1	خصية	1

2.7.2 حقل الجسد لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
عين	1491	قلب	394	البروستاتا	1	كاحل	1

وجه	1243	جسد	335	قضيب	1	عضد	1
يد	1128	صدر	314	العضو	1	مذاكير	1
رأس	1002	قدم	252	فودين	1	بؤبؤ	1
الشعر	494	الدموع	225	دمامل	1	طلق	1

النتائج:

1(تم رصد (264) كلمة منتمية لحقل الجسد لدى الرجال, في مقابل (238) لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (26) كلمة.

2(انفرد الرجال بـ (38) كلمة لم ترد عند النساء وهي: (حنك – ميس – تقاطيع – المرارة – ششم – هرش – غائط – سمانة – عماص – هيفاء – هلف – جاحظ – أهتم – إلية – ورك – ضراط – دمامة – بلغم – قتب – قشف – أير – إحليل – فلقتان – بظر – حقو – مآقي – بواسير – كشح – أوداج – خصية – حَوَل – محاشم – عرقوب – إخمص – خرطوم – شنكل – مَني – خلالية)

3(انفردت النساء بـ (12) كلمات لم ترد عند الرجال وهي: (المركوب[1] – توج – مكياج – إسهال – شناف[2] – المرجيء – الحسنة – الحِجل – البروستاتا – مذاكير – بؤبؤ – لُغد)

4(استمر تفوق النساء من ناحية غير المكرر, فقد وصل تردد تلك الكلمات بهذا الحقل إلى (38) كلمة في مقابل (19) كلمة لدى الرجال.

5(تصدرت كلمة (الوجه) لدى الرجال, في مقابل (العين) لدى النساء, ويبدو أن الرجل ينظر إلى الوجه ككل, أما المرأة فتركز على العين أوّلا.

6(أطلق الرجال (7) ألفاظ على العضو الذكوي: (عضو – مسمار – أير – إحليل – قضيب – الخرطوم – شنكل), بالإضافة إلى (الخصية, المحاشم, المني) وهي مما يرتبط بهذا العضو, وذلك بمجموع تكرارات يصل إلى (59) مرة, كما أطلق (5) ألفاظ على المؤخرة: (مؤخرة – إلية – فلقتان – أرداف – عجزة), بمجموع تكرارات ضخم يصل إلى (223) مرة, كما أطلقا لفظين على فرج المرأة: (فرج – بظر)؛ هذا في حين أن النساء ذكرن

---

[1] ورد هذا اللفظ عندرضوى عاشور بمعنى الجسد بروايتها "قطعة من أورِبا".

[2] قد ورد هذا اللفظ لدى الرجال, لكن لا لكونه لفظًا عائدًا على الجسد, بل كعَلَم لإحدى الشخصيات الروائية, ولقد كان ذلك بثلاثية الأمالي لخوي شلبي.

العضو الذكوي (3) مرات (العضو, القضيب, مذاكير) بمجموع تكرارات ضئيل جدًّا يصل إلى (3) مرات فقط, أي بمعدل مرة واحدة لكل كلمة؛ كما أنهما لم تستعملا إلا (3) ألفاظ تدل على المؤخرة: (مؤخرة – أرداف – عجيزة), بمجموع تكرارات يصل إلى (36) مرة فقط, وهو تكرار ضئيل جدًّا مقارنة بالرجال؛ كما ذكرن لفظًا وحيدًا على الفرج هو نفسه؛ إذًا ففي الوقت الذي تكلم فيه الرجال عن أعضاء الذكور, وفروج الإناث, ومؤخرات الاثنين معًا – وإن كانت الغلبة بالطبع لصالح الحديث عن مؤخرات الإناث – أقول في الوقت الذي تكلم فيه الرجل بكل جرأة, وحرية, وبمجموع تكرارات ضخم للغاية عن هذه الأمور, تكلمت النساء عن مؤخرات النساء فقط في مرات عديدة, ومرة وحيدة ذكرن الفرج, ومثلها لعضو الذكرة؛ وهذا من ناحية يثبت جرأة الرجل وحريته في الكلام عن مثل هذه الأعضاء بهذا الكم من التكرارات, كما يثبت من ناحية أخرى المبالغة في التقييم الجنسي لدى الرجال, ومدى شغفهم بمثل هذه الأمور, لكن على الجانب الآخر نرى ظلامًا حالكًا يكتنف اهتمامات النساء الجنسية, ولعله يرجع إلى الظروف الاجتماعية والدينية, والتي تحكم الإناث بصرامة أشد مما هي عليه بالنسبة للذكور, أضف لما سبق ميل الإناث التقليدي إلى التستر والتمويه عند الإشارة لهذه الأمور[1].

ولعل كل ذلك يتضح من خلال الجدول التالي:

	الرجال	النساء
اللفظ	التكرار	التكرار
المؤخرة	176	16
عجيزة	24	2
إلية	15	0
أرداف	5	18
فلقة	3	0
عضو	42	1
إحليل	3	0
قضيب	3	1
أير	3	0
مسمار	2	0
خرطوم	1	0

[1] انظر في الفارق بين حياة الذكور والإناث الجنسية: فرويد (سيجموند), ثلاث مقالات في نظرية الجنسية, ترجمة: سامي محمود علي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (2015), ص: 44

شنكل	1	0
خصية	1	0
محاشم	2	0
مني	1	0
فرج	3	1
بظر	1	0
المجموع	286	39

(شكل رقم: 12)

ومن الجدول السابق نرى أن الرجال استخدموا (17) كلمة تعود على أعضاء جنسية, بمجموع تكرارات يصل إلى (286) مرة, في مقابل (6) كلمات فقط لدى النساء, بمجموع تكرارات يصل إلى (39) مرة, أي أن عدد كلمات الرجال (3) أضعاف عدد كلمات النساء تقريبًا, ومجموع تكرارات الرجال أكثر من (7) أضعاف تكرارات النساء, مما يؤكد وجهة من قال أن المرأة أكثر تأدبًا وتسترًا من الرجل, ونرى ذلك جليًا عندما نقوم بتحليل خطاب الرجال / النساء الخاص بالجنس.

7) تفوق الرجال بهذا الحقل يدحض ادعاءات باحثات النسوية الفرنسيات أمثال: شانتال شواف Chawaf, C. وهيلين سيكسو Cixous, H., وذلك عندما ادعين أن كتابة المرأة أكثر جسدية من الرجل, وأن هدف الكتابة النسائية هو الكشف عن الجسد[1], والخطأ يكمن هنا في تعميمهما لهذه النتيجة على كل النساء في جميع الثقافات, نعم قد يكون ذلك صحيحًا – من وجهة نظرهما – على الكاتبات الأوربيات, وإن كنا نرفض أي ادعاء لم ينهض دليلٌ مادي عليه, فها هو البحث التجريبي على كتابة كاتبات عربيات يثبت عكس ذلك.

(1) See: Chawaf, Chantal (1967). La chair linguistique [The linguistic flesh]. Nouvelks litteraires. P.18. and see also: Cixous, Helene and Clement, Catherine (1975). La jeune ne'e. Paris: Union generale d'editions. Translated as Cixous, H. and Clement, C. (1986). The newly born woman. Manchester: Manchester University Press. Pp.40-48

(شكل رقم: 13)

2.8 حقل الأماكن

وسيضم هذا الحقل كل المفردات الدالة على الأماكن كما دل عليها سياقها الروائي.

2.8.1 أماكن الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الطريق	1848	الحارة	671	كافيتريا	6	البيمارستان	3
المكان	1837	السوق	601	كباريه	5	الأنتكخانة	3
الشارع	1709	المقهى	501	استاد	5	دغل	3
المكتب	930	الحي	470	المخبز	4	المبولة	2
المدينة	806	السجن	447	حوش	4	حرم الكلية	1

2.8.2 أماكن النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الشارع	809	ميدان	272	بيمارستان	3	صاغة	2
الطريق	723	القاعة	200	كامب	3	مغارة	2
المكان	684	حديقة	198	المنفى	3	الكافتيريا	1
المستشفى	349	المكتب	174	مخبز	2	إصلاحية	1
المدينة	341	محل	167	برزخ	2	الضربخانة	1

النتائج:

1(تم رصد (122) لفظًا ينتمي لحقل الأماكن لدى الرجال, في مقابل (113) لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (9) ألفاظ.

2(انفرد الرجال بـ (14) لفظًا لم ترد عند النساء هي: (بنسيون – كباريه – لوكاندة – شادر – نصبة – غرزة – ميضأة – سرادق – خمارة – طابية – قهوة – أنتكخانة – كوافير – خانكة)

3(انفردت النساء بـ (5) كلمات لم ترد عند الرجال هي: (قصر الرعفران – أفنيو – سايبر – إصلاحية – ضوبخانة)

4(سجل الرجال كلمة واحدة غير مكررة, بينما سجلت النساء ثلاث كلمات غير مكررات.

5(الملاحظ على أماكن النساء أن بعضها زاد تردده بشكل ملحوظ نتيجة التأثر بما عاشته هؤلاء النسوة في حياتهن لا ما عاشته شخصياتهن الروائية, وأخص بالذكر رضوى عاشور, فقد نجد تردد كثيف لكلمة (المستشفى) (349) مرة, وذلك نتيجة مرضها العضال, وكثرة كلامها عن المستشفيات وغرف العمليات, حتى أننا لنجد كلمة (مركز) كثيرًا ما ارتبطت بمراكز العلاج, مثل: مركز العناية المركزة / المكثفة, مركز الأشعة, مركز طبي, مركز العلاج بأشعة جاما ... إلخ, وكلها مراكز لم ترد مطلقًا لدى الرجال, هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى نجد تأثرها بالعمل الجامعي حاضرًا من خلال كم التكرار الكثيف لكلمة (حرم الجامعة) = (71) مرة, وهي الكلمة التي لم يستعملها الرجال أيضًا, بل استعملوا (حرم الكلية) مرة واحدة, أضف للحرم الجامعي (قصر الرعفران) = (17) مرة, وهو المبنى الإداري لجامعة عين شمس التي عملت بها الدكتورة رضوى؛ أضف لجميع ما سبق التفوق

النسائي في حقل التعليم كما سنرى لاحقًا, وذلك بفضل عملها كأستاذة بالجامعة؛ ولعلنا قد نجد أدلة أخرى على هذا التأثر بحياة الكاتبة / رضوى عاشور الواقعية عندما ننظر لتردد كلمة (المخيم) = (146) مرة, زد على المخيم كثرة تردد كلمات من مثل: مركز الأبحاث الفلسطينية, مركز أمل, مركز فلسطيني, مركز الأبحاث الاستراتيجية ... إلخ, وكلها كلمات متأثرة بالقضية الفلسطينية,والتي هي قضية زوجها الفلسطيني بالأصالة.

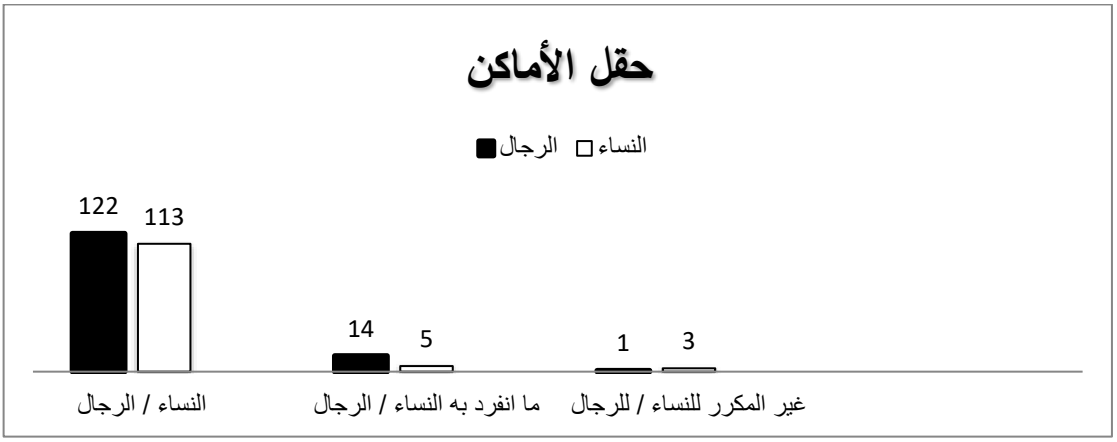

(شكل رقم: 14)

2.9 حقل المال وما يرتبط به

وسيضم الحقل كل المفردات الدالة على الأموال وما في معناها كالذهب والفضة ...وغيرهما, وكذلك سيضم كل ما يرتبط بالمال من معاملات كالديون والربا والبيع والشراء ... إلخ؛ وسيضم أيضًا الصفات المرتبطة بالأموال, كالغنى والفقر والتسول والبذخ ... إلخ.

2.9.1 حقل المال لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
مال	647	ثمن	402	مفلس	5	مصاري	1
جنيه	534	قرش	353	السحت	4	زوجد	1
حساب	430	عز	347	مديون	4	سوليتير	1
الفلوس	415	البضاعة	328	سمسرة	3	ماس	1
المبلغ	405	البيع	276	إتاوة	2	زمرد	1

2.9.2 حقل المال لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
مال	116	النقود	51	القبض	1	رهان	1
الذهب	99	فقير	40	رغد	1	ديّة	1
الفضة	78	البيع	37	مدخرات	1	الربا	1
شراء	66	ثمن	31	النقوط	1	استيراد	1
قرش	53	البنك	29	الميراث	1	مفلس	1

النتائج:

1(تم رصد (113) كلمة تنتمي لحقل المال لدى الرجال, في مقابل (86) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (27) كلمة.

2(كل ما أنتجته النساء أنتجه الرجال فلم تنفرد النساء بشيء.

3(انفرد الرجال بـ (27) كلمة لم ترد لدى النساء هي: (برزة – قمار – موسر – شلن – بنكنوت – سبوبة – عمولة – شيكات – كمبيالات – تقسيط – عربون – مدين – ماهية – سحت – سمسرة – مصرفي – إكراميات – ماسة – تسول – مصاغ – خراج – سوليتير – إتاوة –زبرجد – عقيق – ماس –زمرد)

4(بلغ عدد الكلمات غير المكررة (10) لدى النساء, في مقابل (5) لدى الرجال.

5(يبدو واضحًا من خلال التحليل السابق أن المال يلعب دورًا كبيرًا ومهمًّا في حياة الرجل دون حياة المرأة, ويتضح ذلك من خلال كم الكلمات التي أنتجها الرجال وكم تكرارها, بل إن المتتبع لخطاب الرجال الروائي يجده كثيرًا ما ناقش المسائل المتعلقة بالمال والعوز والإنفاق ومتطلبات الحياة, الأمر الذي لا نجد نظيره داخل الخطاب الروائي الخاص بالنساء, بل نادرًا ما تطرقت النساء لمثل تلك الجوانب على الرغم من أهميتها الدرامية داخل بعض الأعمال, فطنطورية رضوى عاشور – مثلًا – أمورها المالية ميسورة على الرغم من التشريد, والطرد خارج الوطن, والعيش بالمخيمات, وهو الأمر المستغرب! وهند مهاجرة تعيش ببروكلين هايتس, نجدها لا تملك عملًا, وعلى الرغم من عدم معرفتنا لمصدر دخلها صراحة اللهم إلا إشارات غامضة لعملها في إحدى المطاعم غير أننا لا نجدها تتعرض لضائقة مالية تقلق بشأنها!

ولكي تعلم مدى تأثير المال على اهتمامات الرجل وانعكاسه بالضرورة على خطابه الروائي انظر الشكل التالي:

	الرجال	النساء
اللفظ	التكرار	التكوار
مال	647	116
جنيه	534	27
فلوس	415	13
نقود	266	51
حساب	430	20
شراء	200	66
المبلغ	405	18
نفقات	47	6
المجموع	2944	317

(شكل رقم: 15)

(شكل رقم: 16)

2.10 حقل التعليم وما يرتبط به

وسيضم الحقل الكلمات الدالة على منظومة التعليم بشكل عام, وكذلك سيضم الوظائف والأدوات المرتبطة به.

2.10.1 حقل التعليم لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
المدرسة	713	الدراسة	251	الناظرة	3	البكالوريا	3
القراءة	349	شهادة	219	التوجيهية	2	المعرفة	3
الجامعة	311	الكتابة	203	النحو	2	ماساشوستس	1

الكلية	266	الفصل	202	فرجار	2	مجلس آباء	1
الطالب	260	التعليم	175	معيدة	2	مدرسات	1

2.10.2 **حقل التعليم لدى النساء**

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الجامعة	772	القسم	129	التوجيهية	2	مجلس الدراسات عليا	1
المدرسة	477	القراءة	127	الناظر	1	المرجع	1
الطالب	422	الدراسة	125	الشرح	1	دبلوم	1
الكلية	317	الدرس	104	مجلس الجامعة	1	كشكول	1
الكتابة	259	شهادة	80	مجلس آباء	1	مهندسخانة	1

النتائج:

1(تم رصد (65) كلمة منتمية لحقل التعليم لدى الرجال, في مقابل (73) لدى النساء, بتفوق أنثوي يصل إلى (8) كلمات.

2(انفرد الرجال بـ (3) كلمات فقط لم ترد لدى النساء هي: (فرجار – سبورة – قمطر) وكما هو ملاحظ فهي كلمات تعود إلى المدارس الأولية, وهو عكس ما ستنفرد به الإناث, حيث الجامعة والدراسات العليا, والسبب واضح,وهو تأثر ممثلتي الجانب النسائي بعملهن الجامعي لا سيما رضوى عاشور.

3(انفردت النساء بـ (11) كلمة لم ترد لدى الرجال هي: (كامبريدج – هارفرد – مجلس الكلية – مجلس القسم – الدرجة – مُحاضر – كورسات – مجلس تأديب – المجلس الأعلى للجامعات – مجلس الجامعة – مجلس الدراسات العليا)

4(لم تكرر النساء (9) كلمات, في مقابل (3) لدى الرجال.

5(هذا التفوق الأنثوي في هذا الحقل يدعم دعوانا السابقة في حقل الأماكن, حيث تأثر الكاتبات – خاصة رضوى عاشور – بحياتهن الخاصة, مما انعكس بالضرورة على كتاباتهن, ولك أن تنظر لكلمات النساء اللاتي انفردن بها في هذا الحقل, وانظر كيف ارتبطت أغلب هذه الألفاظ بالتعليم الجامعي: (مجلس الكلية – القسم – تأديب – الجامعة – الدراسات العليا – المجلس الأعلى للجامعات – مُحاضر – الدرجة العلمية) وحتى (كامبريدج وهارفرد) قد درست بهما رضوى عاشور من قبل؛ وعليه فليس بمستغرب أن تتصدر قائمة النساء كلمة (الجامعة)

وبمعدل تكوار ضخم للغاية يصل إلى (772) مرة, حتى أن هذا المعدل تخطى معدل تكرارات كلمة (مدرسة) المتصدرة لدى الرجال, والتي وصل معدل ترددها إلى (713) مرة, مع الوضع في الحسبان أن الإنتاج اللغوي الضخم لدى الذكور دائمًا ما سمح لهم بالتفوق, سواء في كم الكلمات, أو في معدل تكرارها, فإذا وضعنا هذا في اعتبارنا, ومن ثم رأينا النساء قد تخطتهم كمًا وترددًا في الكلمات المرتبطة بالجامعة خصيصًا, عندها نتبين مدى التأثر بواقعهن, ومدى انعكاس هذا التأثر على كتاباتهن, وانظر إلى الشكل التالي والذي سنخصصه فقط للحقل الجامعي:

اللفظ	الرجال		النساء
الجامعة	713	<	772
الكلية	266	<	317
القسم	29	<	129
محاضرة	64	<	74
دكتوراه	21	<	47
ماجستير	7	<	19
بكالريوس	5	=	5
ليسانس	17	>	3
معيد	5	=	5
معيدة	2	<	6
كامبريدج	0	<	19
ماساشوستس	1	<	8
هارفرد	0	<	14
مدرج	19	>	16
مجلس الكلية / الأعلى للجامعات/ تأديب / الجامعة / الدراسات العليا	0	<	19
المجموع	1149	<	1453

(شكل رقم: 17)

(شكل رقم: 18)

2.11 حقل المهن والوظائف والأعمال وما يرتبط بها

وسيضم الحقل كل المفردات الدالة على الأعمال, والمهن, والوظائف, وما يرتبط بها من هيئات وأدوات وغيرها.

2.11.1 حقل المهن والوظائف والأعمال لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
العمل	1099	تاجر	373	السمَّان	1	رئيس الحرس	1
الأستاذ	1089	الدكتور	374	رئيس مخابرات	1	ناظر التفتيش	1
المُعَلّم	1027	الباشكاتب	334	كمرة	1	رئيس ديوان	1
العمدة	622	الخفراء	331	استورجي	1	ناظر الجهادية	1
شُغل	528	السائق	325	فحّام	1	رئيس الجامعة	1

2.11.2 حقل المهن والوظائف والأعمال لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
العمل	345	العمال	111	نقيب	1	الفراش	1
الدكتور	246	الدكتورة	93	حكمدار	1	زبال	1
الأستاذ	223	الممرضة	82	مستشار	1	بوسطجي	1
الطبيب	171	المسئول	64	جواهرجي	1	إسكافي	1
الضابط	112	القاضي	62	معاون المحطة	1	بصاص	1

النتائج:

1(تم رصد (266) كلمة تنتمي لحقل المهن والوظائف لدى الرجال, في مقابل (154) لدى النساء, بتفوق ذكوري ضخم يصل إلى (112) كلمة.

2(انفرد الرجال بـ (125) كلمة لم ترد لدى النساء وهي: (وردية – ساقي – حلوجي – النِظارة – طواشي – أنفار – طوشجي – ناظر الوسية / الزراعة / التفتيش / الجهادية / الدخلية / الجيش – جوكندار – حانوتي – حاجب – حدَّاد – يوزباشي – شاويش – كمسلري – عوَّاف – صنايعي – عوَّافة – شهبندر – تملي – أمير الاي – اسفهسالار – ترحيلة – جناينى – باشمهندس – كلّاف – عربجي – فكهاني – سفرجي – خوَّاز – معْلِمة – أومباشي – شيَّال – عتقي – تمرجي – باشتمرجي – قومسيونجي – مزين – غرزجي – بوهيجي – قباني – أمين شرطة / دفتر / ذخيرة / مخزن / مركز / تنظيم / حزب – رئيس التحرير / القلم / الهيئة / الشركة / العمال / البوليس / مجلس إدارة / جمعية / مباحث / الحرس / الأمناء / ديوان / مؤسسة / الكوملين / الحي / حكيمات / المطبخ / الكورس / الإذاعة / السعاة / مجلس الأمة / المخابرات / الأرشيف – معاون الشرطة / الزراعة / المباحث – جرسون – مطبعجي – سمَّان – مانيكان – كمرية – كرجي – حمّار – عرضحالجي – خضرجي – مساح – صول – باشمحضر – ملّاية – مخزنجي – بكباشي – صاغ – منجِّد – لحّاد – ماشطة – ميكانيكي – عجلاتي – كهربائي – صرماتي – سباك – سمكري – جزمجي – كونستبل – حصري – ريجيسير – فرجي – دلّالة – سائس – ساعاتي – نوبتجي – شماشرجي – بوهيجي – فران – قراداتي – بلدعي – غرابلي – مكوجي – ديكوريست – قهوجي – استرجي – خَرْيَجي – فحام)

3(انفردت النساء بـ (13) كلمة لم ترد لدى الرجال وهي: (نادلة – أدمرال – طهاة – أمين مكتبة – معاون المحطة – حلوي – إسكافي – بصاص – رئيس أركان / المركب / الحكماء / حزب / المجلس العسكري)

4(غير المكرر لدى الرجال وصل إلى (55) كلمة, في مقابل (25) كلمة لدى النساء.

5(على الرغم من العادة في تفوق النساء في جانب الكلمات غير المكررة إلا أننا نجد العكس هنا, وهذا بالطبع يرجع إلى التفوق الكاسح للرجال في هذا الحقل, حيث تفوقوا على كافة الأصعدة (كم الألفاظ / ترددها / غير المكرر منها)

6(التفوق الذكوري الكبير في هذا الحقل يرتبط بتفوقهم في حقل المال, مما يؤكد أثرهما الشديد في حياة الرجل, ومدى أهميتهما لديه, ولنضع في اعتبارنا أن ممثلتي الجانب النسوي من النساء العاملات, مما يعني أن

اهتماماتهما العملية متوفرة, وإذا كان الأمر كذلك, وتفوق الرجال بهذا الشكل, فالمتوقع أن يزداد هذا التفوق لو أننا استبدلناهما بنساء غير عاملات.

7(من نتائج التحليل السابق أيضًا نجد أن الرجال – ومن أصل (266) مهنة وعملًا – نسبوا (232) عملًا للرجل, بنسبة تصل إلى (87%), هذا في مقابل (33) مهنة وعملًا نسبوها إلى المرأة, بنسبة تصل إلى (13%)؛ أما على الجانب الآخر, فلو دققنا النظر في جانب النساء فلن نجد اختلافًا كثيرًا عما قام به الرجال في هذا الشأن, فمن أصل (154) مهنة وعملًا نَسَبت النساء (124) عملًا للرجل, بنسبة تصل إلى (83%), وذلك في مقابل (30) مهنة وعملًا نُسِبت إلى المرأة, بنسبة تصل إلى (17%)؛ وعليه تكون رؤية الرجال والنساء متقاربة بشدة في هذا الشأن, حيث رأى الجميع أن الأصل في العمل أن ينسب إلى الرجل, أما العكس فهو الاستثناء.

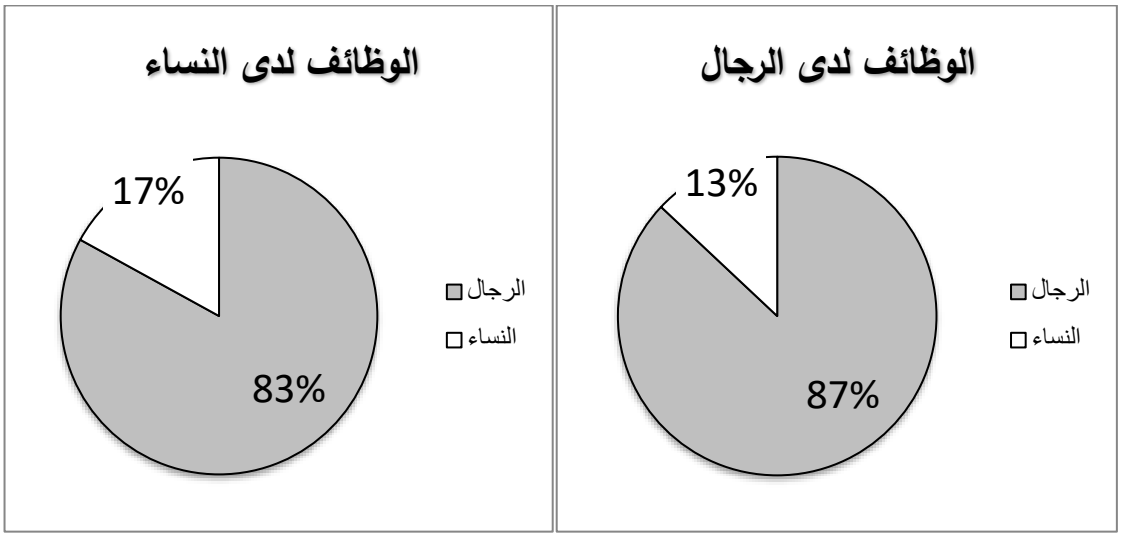

(شكل رقم: 19)

8(من التحليل السابق أيضًا نلاحظ أن أول عمل منسوب إلى المرأة بقائمة الرجال كان ترتيبه الثلاثين بالقائمة, وهو مهنة (الراقصة), بمعدل تكرارات وصل إلى (152) مرة, يليه (الغزلية), وكان ترتيبه الرابع والخمسين, بمعدل تكرارات وصل إلى (59) مرة؛ أما على الجانب الآخر, فنجد أن أول عمل نُسب إلى المرأة بقائمة النساء كان ترتيبه السابع, وهو مهنة (الدكتورة), بمعدل تكرارات وصل إلى (93) مرة, يليه (الممرضة) بالمركز الثامن, ووصل تكراره إلى (82) مرة, وإذا قارنا هذا بذاك وجدنا أن ترتيب الدكتورة السابع لدى النساء هو القابع في المركز التسعين لدى الرجال, بمعدل تكرارات وصل إلى (25) مرة, بينما الممرضة صاحبة المركز الثامن لدى النساء احتلت المركز الثالث والستين لدى الرجال, بمعدل تكرارات وصل إلى (46) مرة؛ هذا من ناحية الرجال, أما من ناحية النساء, فنجد أن (الراقصة) المتصدرة أعمال النساء لدى الرجال هي صاحبة المركز الثالث والأربعين, بمعدل تكرار وصل إلى (18) مرة؛ هذا في حين أن الغزلية احتلت المركز الاثنين بعد المئة, بمعدل

تكوار وصل إلى أربع مرات فقط؛ هذا كله يوضح كيف ينظر الرجل إلى المرأة, وفي أي مجال يكثر / يقل توظيفه لها؛ ويوضح كذلك كيف تنظر المرأة إلى نفسها, وفي أي مجال توظفها, ومن أي مهنة تخلعها, أو تحاول أن تجنبها إياها قدر المستطاع.

وقد يتضح ذلك من خلال الشكل التالي:

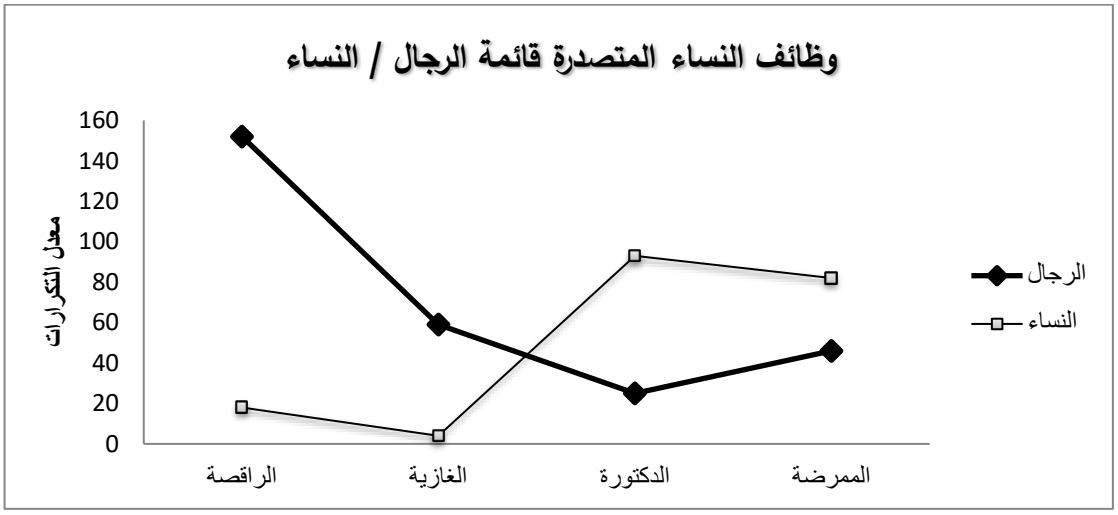

(شكل رقم: 20)

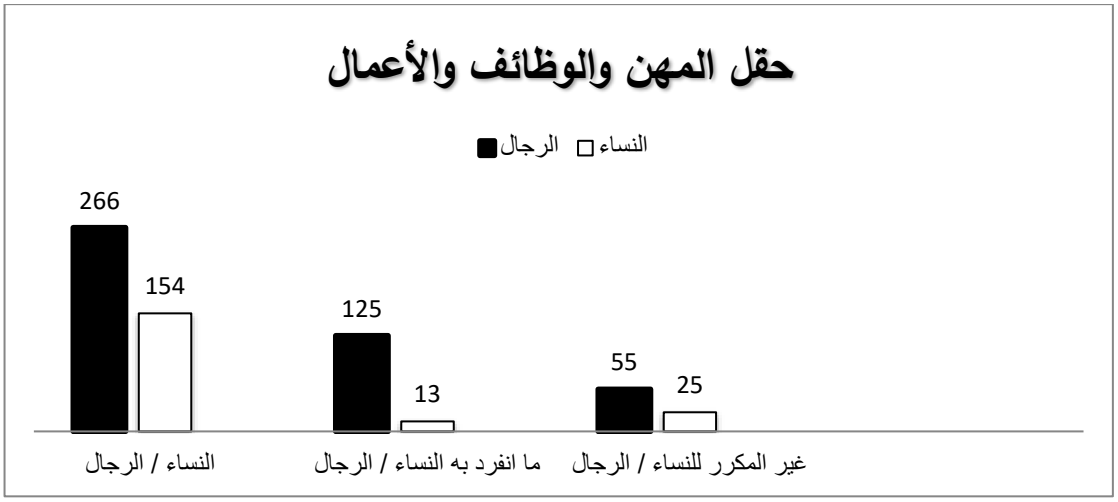

(شكل رقم: 21)

2.12 حقل العامية وما غلبت عليه

2.12.1 حقل العامية لدى الرجال

اللفظ	التكوار	اللفظ	التكوار	اللفظ	التكوار	اللفظ	التكوار
يا بو..	774	مش	507	الوله	1	ماتشحتفش	1
ست	751	يا بوي	501	ما فتش	1	الترتاني	1

فلان	588	البك	420	عمايل	1	يجيهاش	1
أفندي	568	دي	409	الجوازة	1	ماسمعناش	1
العيال	555	اللي	407	ياختى	1	ماهواش	1

2.12.2 حقل العامية لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
ست	236	بابا	66	لينا	1	ياختي	1
ماما	230	إيه	66	الرز	1	ولعه	1
اللي	117	دي	52	مستخبي	1	بتاعي	1
مش	109	سي	45	ولية	1	بتاعة	1
العريس	67	ده	45	الفرجة	1	طراطيف	1

النتائج:

1(تم رصد لدى الرجال (463) كلمة تنتمي لحقل العامية, في مقابل (197) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (266) كلمة.

2(ليس من المهم هنا ما انفرد به الرجال دون النساء أو العكس, إنما المهم هو هذا التفوق الذكوري الساحق في هذا الحقل والذي وصل إلى ضعف ما أنتجته الإناث.

3(كم تكرارات هذه الألفاظ لدى الرجال جاء هو الآخر ضخمًا للغاية, فقد وصل كم تكرار الذكور لهذه الكلمات إلى (22231) مرة في مقابل (2353) مرة لدى النساء, أي أن التفوق الذكوري في كم التكرارات وصل إلى أكثر من (9) أضعاف تكرارات النساء.

4(يظل التفوق الأنثوي في كم الكلمات غير المكررة, فبينما رصدنا لدى الرجال (30) كلمة, وجدنا لدى النساء (44) منها.

5(إن كثرة الكلمات العامية وضخامة ترددها لدى الرجال تؤكد من ناحية جرأة الرجال عند الاستعمال اللغوي, كما تؤكد من ناحية أخرى ما ارتأه كثير من الباحثين الغربيين بأن الرجل هو من يقود التغير اللغوي داخل المجتمع[1].

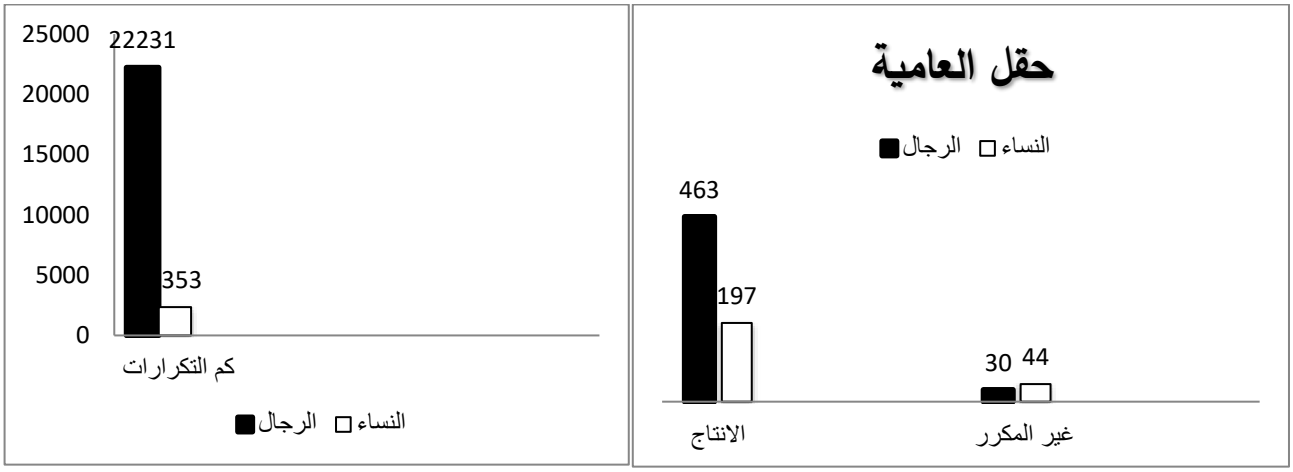

(شكل رقم: 22)

2.13 حقل القرية وما يرتبط بها

وسيضم الحقل كل المفردات الدالة على القرية, وما تحويه من أشياء مرتبطة بها, كالفدان, الترعة, الحقل؛ وكذلك سيضم الكلمات التي وردت في سياقات ريفية, كالغجر, الدوار, الوسية, الخولي ... إلخ.

2.13.1 حقل القرية لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الدار	1919	الزراعة	221	أسبتة	7	مذراة[2]	6
البلدة	1847	عزبة	219	نورج[3]	7	شادوف	5
القرية	452	البندر	179	ناف[4]	6	الدريس	4
الفلاح	373	فدان	159	شتلة	6	ترغيط	3
المندرة	237	ترعة	137	المحلج	6	شرشرة[1]	3

(1) See: Trudgill, Peter (1972). Sex, Covert Prestige and Linguistic Change in the Urban British English of Norwich. Language in Society. 1:95-179. and see also: Wardhaugh, Ronald (2006). an Introduction to Sociolinguistics. 5th ed. USA: Blackwell. P. 201. Holmes, Janet and Meyerhoff, Mirriam (Eds) (2003). The Handbook of Language and Gender. USA: Blackwell puplishing. P. 98.

(2) آلة زراعية تستخدم لرفع وقذف المواد السائبة مثل: الدريس.

(3) آلة قديمة تستخدم لدواس القمح.

(4) آلة زراعية قديمة.

2.13.2 حقل القرية لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الدار	531	الطحين	27	المطرحة	2	إسطبل	1
القرية	293	الفلاح	25	قنطار	2	المحاصيل	1
الحقول	47	البذرة	24	الوسية	2	الغيطان	1
البلدة	46	القطن	22	كيزان	2	أردب	1
المزرعة	32	الفلاحة	22	المحراث	1	قربة	1

النتائج:

1(تم رصد لدى الرجال (97) كلمة منتمية لحقل القرية, في مقابل (68) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (29) كلمة.

2(انفرد الرجال بـ (30) كلمة لم تستعملها النساء وهي: (منذرة – بندر – لوزة – نارنجة – سباخ – طلمبة – الخص – الخولي – الباشخولي – القلة – بلاص – جلة – العِب – قادوس – كلاتة – مشلتت – زردة – فلاحي – لطع – أسبتة – محلج – شادوف – دريس – تغيط – نورج – ناف – شوشرة – مذراة – زراريق – برنية)

3(انفردت النساء بكلمة واحدة لم نجدها لدى الرجال وهي: (قربة)

4(يستمر التفوق الأنثوي على صعيد الكلمات غير المكررة, حيث لم تكرر النساء (6) كلمات في مقابل صفر لدى الرجال.

5(السر في تفوق الرجال هنا – سواء من حيث كم الإنتاج أم من حيث كم تكرار هذه الكلمات – هو كثرة عودة الرجال إلى أجواء القرية والحديث عنها داخل خطابهم الروائي لا سيما خطابهم الروائي شلبي, فمن جملة إنتاجه الضخم الممثل داخل المادة قيد الدراسة – والذي يصل إلى (37) عملًا – نجد (10) روايات كاملة دارت داخل القرية, مثل: إسطاسية والأوباش والسنيورة والعوامة ... وغيرها؛ كما عاد بهاء طاهر هو الآخر إلى القرية في روايتيه (خالتي صفية والدير – شرق النخيل) وإن كانت تلك الأخيرة لم تتطرق إلى الحديث عن القرية إلا في

---

(1) آلة زراعية تستخدم في الحصاد.

لمحات خاطفة؛ هذا في حين لم تتكلم رضوى عاشور عن القرية مطلقًا, وموال الطحلوي عادت إلى القرية كثيرًا, وذلك مثلما فعلت بـ (الخباء, نقوات الظباء, وجزء كبير من بروكلين هايتس) لكنها في كل ذلك كانت تركز على القضية التي تعالجها أكثر مما تلتفت إلى تفاصيل الحياة القروية.

6(والحق أن المتتبع للأعمال الروائية عبر تاريخها المعاصر يلاحظ الكثير من الأعمال الروائية / القصصية التي قدمها الرجال وقد دارت أحداثها داخل القرية, فلِم يريد الرجل أن تدور روايته داخل القرية؟ إنه نوع من الحنين إلى الطفولة التي قضاها بها, وإذا كان الأمر كذلك كان وضع المرأة على النقيض منه, فهي قد تتجنب الحديث عن طفولتها, ولقد تكره تلك المرحلة من حياتها, حيث القيود المفروضة من الوالدين والمجتمع هي الدافع الذي يجنبها الحديث عن تلك الأصول, فرضوى عاشور وعلى مدار خمسة أعمال خصصتها لسيرتها الذاتية لا تتحدث عن طفولتها إلا لِمامًا؛ والمتأمل في خطاب موال الطحلوي الخاص بالقرية يجد أنها ركزت على كم المعاناة التي تعرضت له بطلاتها أكثر من أي شيء آخر؛ وقد يعتقد البعض أن هذا هو السبب, حيث المعاناة قد تجعل الإنسان متعمدًا النسيان, متجنبًا الحديث عن أمور تذكره بالماضي الأليم, بيد أن المتأمل لخطاب خيري شلبي حول القرية لن يجده مُنعّمًا للدرجة التي يكثر فيها من الحديث عن طفولته, فالحق أنه قد عانى الكثير أثناء حياته بالقرية, حيث العمل سخرةً في حقول الأسياد, وحيث قلة الزاد, وضيق ذات اليد, فلو كان الأمر بالتعذب في الصغر لتجنب خيري الحديث عن مدى معاناته في الحقول, ولتجنب طه حسين من قبل الحديث عن طفولته المعذبة بالقرية, إذًا فالأمر لا يمكن تبريره بالتعذب في الصغر, وإنما نظرة كل من الرجل والمرأة لهذا التعذب, فقد نجد أن المرأة عندما تتعرض لطفولتها المعذبة في خطابها الروائي فهي تحرص أكثر شيء على استجداء التعاطف معها, والأسى لحالها, هذا ما فعلته موال الطحلوي وتجنبته رضوى عاشور, وذلك لكراهية الأخيرة لهذا الشكل من الميلودراما, تلك الكراهية التي عبرت عنها في أكثر من موضع من سيرتها الذاتية؛ أما الرجل فإنه لا يستجدي التعاطف بعرض عذاباته في الصغر بقدر ما يستعرض قوته وجلده على تحمل تلك الصعاب.

وعليه فإن المرأة قد تتجنب الحديث عن طفولتها لكونها مرحلة تعرضت فيها لضغوط تعمل جاهدة على التخلص منها ونسيانها, وإن تعرضت للحديث عنها فهي تحرص على إظهار نفسها بمظهر الضحية؛ أما الرجل فهو وإن عانى في صغره فهو لا يتجنب الحديث عن ذلك,ولا يود أن ينساه, بل قد يذكره ويكثر من ذكره لأنه بالنسبة لوجهة نظره أمر باعث على الفخر.

(شكل رقم: 23)

2.14 حقل السياسة وشئون الدولة

سيضم الحقل كل المفردات المرتبطة بالسياسة وأمور الحكم, وكذلك المفردات التي وردت في سياقات سياسية, أو استخدمت بمعنى يخص أمور الحكم, وزارات الدولة, وهيئاتها, وألقابها السياسية.

2.14.1 السياسة وشئون الدولة لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الحكومة	651	الشرطة	367	الدستور	1	بيروقراطية	1
السلطان	581	الثورة	357	ليبرالي	1	مجلس الشيوخ	1
الأمير	551	النيابة	285	مجلس النقابة	1	مجلس السلطان	1
الحرب	415	القضية	264	الانتفاضة	1	مجلس وصاية	1
الملك	392	عقد	260	الإمبراطورة	1	مجلس الحي	1

2.14.2 السياسة وشئون الدولة لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
العرب	587	السلطان	159	الليبرالي	1	المجلس المحلي	1
الملك	234	الحكومة	134	الصناجك	1	المجلس التشريعي	1
الحرب	197	الجنود	130	الدكتاتور	1	دمغة	1
الثورة	195	الجيش	126	مجلس الأمن	1	الدبلوماسية	1
المظاهرة	181	اليهود	102	مجلس الدولة	1	نيشان	1

النتائج:

1(تم رصد (182) كلمة تنتمي لحقل السياسة وشئون الدولة لدى الرجال, في مقابل (166) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (16) لفظًا.

2(انفرد الرجال بـ (27) لفظًا لم تستعملها النساء وهي: (سلطنة – أفندينا – المشير – المجلس البلدي – خلافة – أوقاف – خوند – خشداشية – قومسيون – جهادية– حكمدارية – علماني – هيئة التحرير – الاتحاد القومي الاشتراكي – حصانة – بوستة – مجلس السلطان/ الخليفة / السلطنة / التحرير / عسكري / قيادة الثورة / وصاية / حرب / الحي / النقابة / الأعلى للفنون)

3(انفردت النساء بـ (11) لفظًا لم يستعملها الرجال وهي: (الدون – الدوق – الكونت – المعتصمون – مجلس الشورى – المجلس العسكري / المحلي / التشريعي / القومي لحقوق الإنسان – الانتداب – صناجك)

4(تساوى كل من الرجال والنساء في عدد الكلمات غير المكررة حيث سجل كلاهما (17) كلمة.

5(على الرغم من اهتمامات المرأة بأمور السياسة وشئون الدولة – خاصة رضوى عاشور – إلا أن التفوق الذكوري في هذا الجانب – وغيره – ما زال مستمرًا, سواء من ناحية كم الكلمات, أم معدلات تكرارها؛ لكن الملاحظ على التحليل السابق أن اهتمام الرجال بأمور السياسة أخذ اتجاهًا رأسيًّا / ضد الحكومة, في حين أن اهتمام المرأة بهذا الحقل قد أخذ اتجاهًا أفقيًّا / تجاه العرب والقضية الفلسطينية, وانظر إلى قمة قوائم الرجال في مقابل قمة قوائم النساء, فتجد كلمة (الحكومة) عند الرجال هي المتصدرة, بكم تكرارات وصل إلى (651) مرة, هذا في حين أننا نجد لدى النساء كلمة (العرب) هي المتصدرة, بكم تكرارات وصل إلى (587) مرة؛ولا غرو, فكل قد

اتجه إلى مضطهده المباشر, فمن ناحية كلنا يعلم أن اضطهاد الحكومات للرجال لا يقارن – لا كمًا ولا كيفًا – بنظيره الموجه ناحية النساء, وذلك مهما تكلمن في شئون الحكم ومظاهر فساده, لذا ركز الرجال على مضطهدهم المباشر / الحكومة؛ فإذا ما تركنا جانب الرجال وتوجهنا ناحية النساء وجدنا وضعًا مختلفًا, فرضوى عاشور – مثلًا – وعلى الرغم من كل اهتمامتها السياسية فهي لم تطرد خارج البلاد, ولم تنف كما حدث مع زميلها بهاء طاهر, حتى أنها لم تفصل من عملها الجامعي, أو يتم إبعادها عنه كما حدث أيام الرئيس السادات وقت فصله لكثير من زملائها أساتذة الجامعة عندما تكلموا في أمور الحكم, لذا فحساسيتها تجاه الحكومة ليست مماثلة لغيرها ممن نُفي وسُجن وهُدد بقطع عيشه؛ وبخلاف ذلك نجد أن كثرة اهتمامها بالقضية العربية – خاصة الفلسطينية – يرجع لما قررناه مسبقًا من تأثرها الشديد بحياتها الخاصة, فما كل هذه الاهتمامات العربية / الفلسطينية إلا انعكاس لوضع زوجها الفلسطيني, لذا عند المقارنة بين الرجال والنساء في هذا الجانب خصيصًا نجد التالي:

اللفظ	الرجال		النساء
العرب	212	<	587
اليهود	54	<	102
إسرائيل	89	<	123
فلسطين	29	<	108
القدس	10	<	56
صبرا وشاتيلا	20	<	60
المدن الفلسطينية:(حيفا/الرملة/اللد/الطنطورة /جنين/عكا/نابلس/غزة/دير ياسين/صفورية/ يافا/قيسارية/طولكرم/بيت لحم/دير غسانة/ دير القاسي/دير المسكوبية)	0	<	243
المجموع	414	<	1279

(شكل رقم: 24)

إذًا فالرجال أيضًا تكلموا عن هذه القضية, لكن ليس بمثل هذه الكثافة,ولا بمثل هذا التعمق الذي مارسته رضوى عاشور في معالجتها لهذه القضية, والتي لا نرى مبررًا لها سوى زواجها من شاعر فلسطيني. وعليه فإذا كان الرجال قد ركزوا على مضطهدهم المباشر, والذي أثر على حياتهم فشردهم ونفاهم, كذلك فعلت رضوى عاشور, حين ركزت على مضطهد زوجها المباشر, والذي هو بالتبعية صار مضطهدًا مباشرًا لها, فإن كان هذا المضطهد قد شرد زوجها ونفاه, فهو أيضًا أصاب حياتها الشخصية بالتشتت والمعاناة.

(شكل رقم: 25)

2.15 حقل المشروبات الروحية وما يتعلق بها

ولقد أطلقنا هذه التسمية على المشروبات التي يستخدمها الإنسان لا للتغذية وإنما للتأثير على الحالة النفسية / الروحية / المزاجية, كالمخدرات والخمور وما دخل في معناهما, وكذلك سيضم الحقل الأدوات والصفات المرتبطة بتلك المشروبات.

2.15.1 المشروبات الروحية لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الشاي	1129	الحشيش	422	ستيلّا	1	رواندي	1
سيجارة	768	الدخان	339	الخُشخاش	1	سرباتونيل (مخدر)	1
الجوزة	519	الأفيون	264	أفيونجي	1	ترامادول	1
القهوة	508	أنفاس	237	كوداپين (مخدر)	1	كوداستين (مخدر)	1
حجر	441	الشيشة	98	ريتالين (مخدر)	1	نوفا سي (مخدر)	1

2.15.2 المشروبات الروحية لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
القهوة	270	التدخين	13	سطلانة	3	عقب	2
الشاي	173	البُن	12	ستيلّا	3	انتشاء	2
سيجارة	84	الدخان	11	الكحول	2	الجوزة	1
البيرة	22	الحشيش	8	ممنوعات	2	البانجو	1
الخمر	17	تبغ	7	الثمل	2	ثملة	1

النتائج:

1(تم رصد (75) كلمة منتمية لحقل المشروبات الروحية لدى الرجال, في مقابل (28) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (47) كلمة, أي أن إنتاج الرجال في هذا الحقل يقترب من (3) أضعاف إنتاج النساء.

2(انفردت النساء بكلمة واحدة لم توجد لدى الرجال هي: (السطلانة)

3(انفرد الرجال بـ (48) كلمة لم تستعملها النساء وهي: (قاروصة – حجر – أنفاس – شيشة – بوصة – تعميرة – معسل – الشرب – الصنف – فحم – مبسم – مدمن – هيروين – برشام – قوالح – سكوان – بودرة – الفزة – هبو – خومان – السطل – كوكايين – شمبانيا – شمامين – تكويس – إدمان – ماكس – البوري – حشاش – خشخاش – أفيونجي – كودايين – ريتالين – بايب – واندي – الروم – عوق البلح – ملريجوانا – سوباتونيل – ترامادول – كوداستين – نوفا سي – بوظة – تنباك – كوافوزيه – ملرتيني – بخش – منزول)

4(تبعًا لهذا التفوق الكاسح في كم الألفاظ تفوق الرجال أيضًا على صعيد الكلمات غير المكررة, حيث سجلوا (11) كلمة في مقابل (3) فقط لدى النساء.

5(التفوق الذكوري الساحق في هذا الحقل يدل على أنه حقل ذكوري بامتياز, فكم الكلمات وكم تكراراتها يثبت أن المشروبات الروحية هي مشروبات خاصة بالرجال إلى حد كبير. وذلك على الرغم من الاعتراف بأن سبب ضخامة هذا الإنتاج الذكوري يرجع إلى خوي شلبي, والذي تعرض كثيرًا لهذه المشروبات وشاربيها داخل خطابه الروائي مقارنة بالممثل الثاني للجانب الذكوري بهاء طاهر, لكن – وعلى الرغم من ذلك – تبقى الندرة الشديدة من جانب الإناث في الحديث عن هذه الأمور, وإن وردت فهي تنسبها للرجال دون النساء, فوضوى عاشور كانت مدخنة, وعلى الرغم من ذلك لا نجد لها بطلة مدخنة, بل إن بطل روايتها "قطعة من أورا" – وعلى

الرغم من كونه ذكرًا – لم تجعله مدخنًا, وكذلك الحال بالنسبة لموال الطحلوي, والتي نسبت التدخين والإدمان في خطابها للرجال دون النساء؛ بينما على الجانب الآخر نجد لدى خوي شلبي الرجل المدخن, والمرأة المدخنة, وبائع المخدرات, وبائعة المخدرات؛ نعم قد ينسب هذه الأمور إلى الرجال أكثر, لكنه لا يحرم النساء نصيبهن منه, بينما الواضح من خطاب الأناث عن هذه الأمور أنهن قد أغفلنها تمامًا.

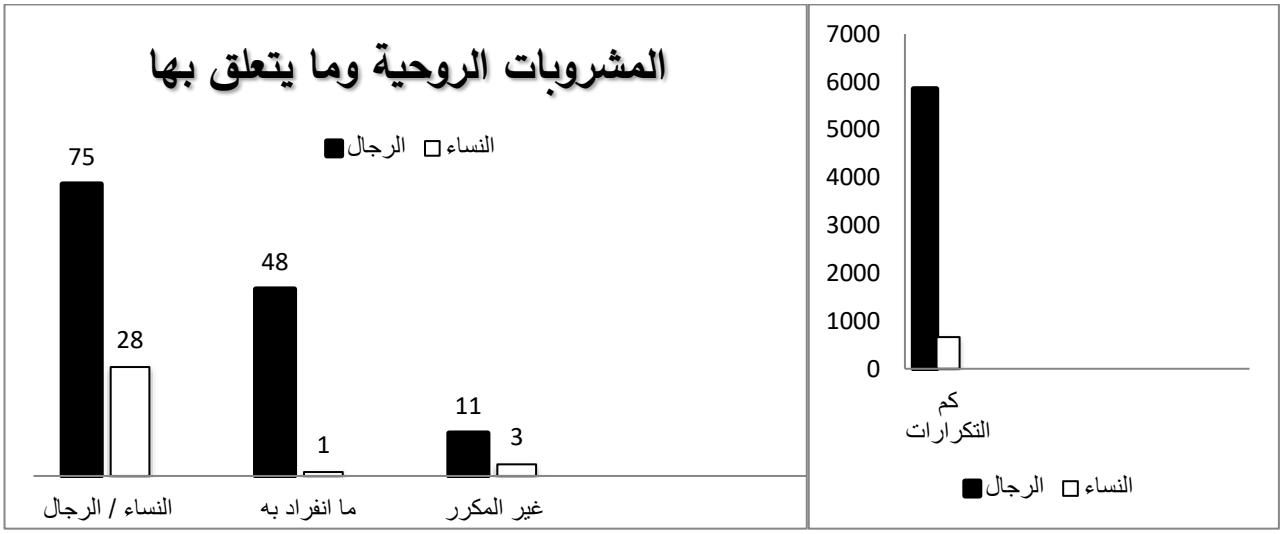

(شكل رقم: 26)

2.16 حقل الألوان وما يدل عليها

2.16.1 الألوان لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
لون	1011	أخضر	298	أبلق[1]	1	مشمشي	1
أسود	807	أصفر	250	زيتي	1	زهري	1
أبيض	645	رمادي	77	عنابي	1	خلاسي[2]	1
أحمر	527	أسمر	75	هافانا[3]	1	طحيني	1
أزرق	340	وردي	25	حنائي	1	بندقي	1

[1] الفرس إذا كان فيه سواد وبياض.

[2] لون بين الأبيض والأسود.

[3] درجة من البني.

2.16.2 الألوان لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
أبيض	408	أزرق	95	سمني	1	رملي	1
أسود	350	أسمر	57	الفسفوري	1	دخاني	1
لون	289	أصفر	51	بمبي	1	حنطي	1
أخضر	257	رمادي	36	بحري	1	زرعي	1
أحمر	175	البني	31	ترابي	1	قرنفلي	1

النتائج:

1(تم رصد (52) كلمة منتمية لحقل الألوان لدى الرجال, في مقابل (44) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (8) ألفاظ.

2(انفرد الرجال بـ (23) لونًا لم تستعملها النساء وهي: (كهرماني – إردوازي – مخضوضرة – مشمشي – ذهبي –زهري – خلاسي – نحاسي – لبني – كريمي – طحيني – فيروزي – تركوازي – بندقي – أبلق –زيتي – عنابي – هافانا – جوزي – حنائي – كنزي – شمعي – فخاري)

3(انفردت النساء بـ (15) لونًا لم يستعملها الرجال وهي: (زيتوني – فسفوري – لازورد – ليلكي – سكري – عاجي –رملي –رصاصي – دخاني – حنطي –زرعي – قرنفلي – حشيشي – ترابي – بحري)

4(تفوق الرجال أيضًا في كم الكلمات غير المكررة, حيث سجلوا (14) كلمة, وذلك في مقابل (12) كلمة لدى الإناث.

5(يبدو أن نتائج روبين لاكوف Lakoff, R الانطباعية في هذا الشأن غير صحيحة[1], وذلك حين ادعت أن المرأة أكثر استخدامًا للكلمات الدالة على الألوان من الرجال, وها هي نتائج البحث التجريبي تثبت العكس من ذلك, فنجد أن الرجال هم الأكثر استخدامًا لهذه الكلمات؛ ولقد ادعت أيضًا – والكلام عن لاكوف – أن النساء تستخدم كلمات لونية لا يستعملها الرجال, وهذا حق, لكن من الحق أيضًا أن الرجال يستعملون كذلك كلمات لونية لا تستخدمها النساء؛ كما ادعت أن الرجال يستعملون الكلمات الدالة على الألوان الأساسية فقط, والحق أننا رصدنا لدى الرجال كلمات دالة على فروق لونية بسيطة للغاية, ولم يكتفوا – كما قالت – بالألوان الأساسية, فنحن

(1) Lakoff (1975:8)

نجد عند الرجال: التركواز, الكنلي, الفستقي, الفخلي, الإبلوزي ... إلخ, فهل هكذا يكتفي الرجال بالألوان الأساسية؟! بل وقد نجدهم يفرقون بين الشمعي, والجبري, والأبيض, وذلك على الرغم من التقارب اللوني الشديد بينها.

وعليه فمن الواضح من نتائج التحليل السابق أن العكس من ادعاءات لاكوف قد يكون هو الصواب, فقد أنتج الرجال كلمات لونية أكثر من النساء, بل وترددت تلكم الكلمات داخل خطابهم الروائي بشكل هو الأعلى تردّدا, فقد وصل تردد تلك الكلمات لدى الرجال إلى (4252) مرة في مقابل (1931) لدى النساء, وإذا كان الطرفان استخدموا كلمات لم يستخدمها الآخر فالرجال كانوا الأكثر في هذه الناحية أيضًا, إذًا فالدراسة التجريبية تثبت عكس الدراسات الانطباعية.

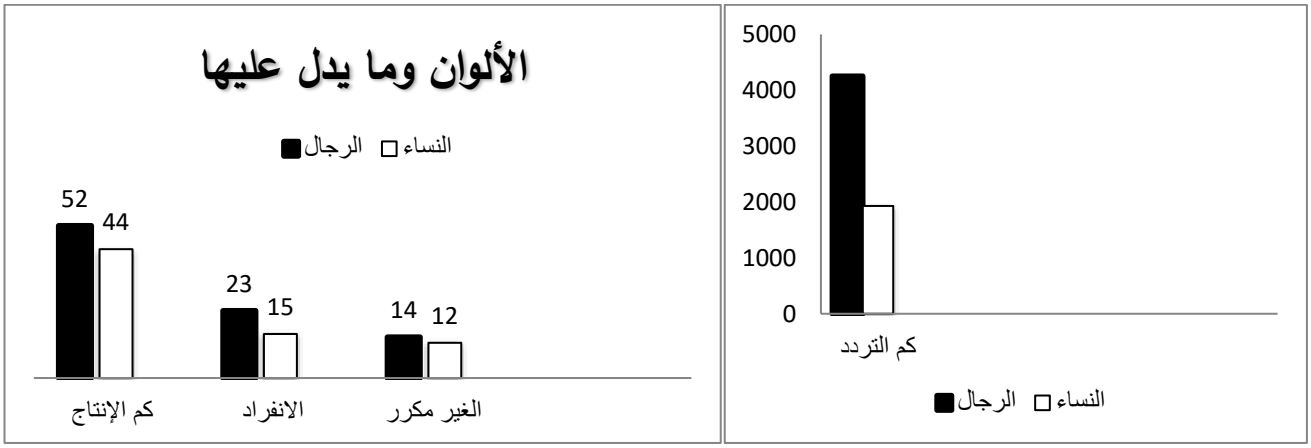

(شكل رقم: 27)

2.17 حقل الملابس وما يتعلق بها

وسيضم الحقل كل الكلمات الدالة على الملبس, وما صُنِع منه, وما يرتبط به من أزرار وخياطة وتطريز, وما يوصف به الملبس من احتشام وأناقة وغيرهما.

2.17.1 حقل الملابس لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الثوب	800	قميص	258	الساتان	1	البرنيطة	1
جيب	544	ملابس	256	هلاهيل	1	أقمطة	1
حذاء	413	عباءة	171	بيجامة	1	إيشارب	1
حقيبة	372	خيوط	148	الدانتيلا	1	كيمونو	1
جلباب	333	الصوف	135	البنطال	1	سنتيانة	1

2.17.2 حقل الملابس لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
الثوب	335	قماش	62	الإسدال	1	مخلاة	1
ملابس	293	الصوف	57	هندام	1	بفتة	1
حقيبة	114	جيب	48	كساء	1	صديري	1
حذاء	77	الحرير	38	كوفية	1	عروة	1
قميص	67	الخيوط	35	جيبونة	1	ملبوسات	1

النتائج:

1(تم رصد (137) كلمة تابعة لحقل الملابس لدى الرجال, في مقابل (122) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (15) كلمة.

2(انفرد الرجال بـ (45) كلمة لم تستعملها النساء وهي: (الكانتو – أبو دكة – هلاهيل – ملس – برنيطة – زنوبة – فتلة – دشداشة – سكروتة – بوبلين – مايوه – دَبَلان – تايير – إيشارب – كيمونو – شمواه – كيلوت – لبدة – أفرول – سنتيانة – زرد – ببيون – مئزر – تلفيعة – بشكير – جيردين – لاسة – جوانتي – تارفوتيت – صُوم – بُلغة – كوافت – شكوبين – شرز – سويتر – دمقس – يشمك – بيادة – شيت – زفير – منامة – عبك – فوسكا – زعبوط – زنط)

3(انفردت النساء بـ (30) كلمة لم يستعملها الرجال وهي: (ديكولتيه – قلنصوة – كانفاه – إسدال – جيبونة – كورشيه – لينوه – برقع – صدرية – شيفون – دمور – باتستا – شراشف – باروكة – بيكيه – السراي – جونلة – جورب – نقبة – كستور – نطاق – سبابيط – جِوام – ملف – لانجيري – زنار – ليزوزات – حطة – قمباز – حفاية)

4(تفوقت النساء في كم الكلمات غير المكررة حيث سجلن (22) كلمة في مقابل (20) لدى الرجال.

5(الكل أكثر من كلمة الثوب / الثياب بمختلف صيغها, وهي كلمة حيادية, غير أننا نلاحظ أن كلمة (جيب) جاءت في المرتبة الثانية لدى الرجال, بكم تكرارات ضخم للغاية, فقد وصل ترددها إلى (544) مرة, هذا في مقابل (48) مرة فقط احتلت بها تلك الكلمة المركز العاشر لدى النساء, وهو يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل, وهو أن المال يلعب دورًا حاسمًا في حياة الرجل دون المرأة. ولا يُعترض هنا بقول إن النساء لا يحملن أموالهن بالجيب,

وإنما يحملنه بحقائبهن, لأننا حتى لو ذهبنا وراء هذا الخاطر لوجدنا الرجال أيضًا يتفوقون على النساء في تكرارات كلمة (الحقيبة) فقد سجلت لديهم (372) مرة في مقابل (114) مرة لدى النساء؛ أضف إلى ذلك أن كثيرًا من ترددات هذه الكلمة عند النساء لم يُرَد بها حقيبة اليد التي يُحمل بها المال, بل كثيرًا ما جاءت على هيئة حقيبة سفر / كتب / مدرسة / ملابس / مأكولات ... إلى غير ذلك.

6(الواضح أيضًا من التحليل السابق غلبة الملابس الخاصة بالرجال على الملابس الخاصة بالنساء لدى الجميع, فعلى الرغم من أن معظم الملابس المذكورة قد يرتديها رجل أو ترتديها امرأة مثل: الحذاء – الأكمام – الروب – النعل – القفاز ... إلخ إلا أن الملابس الخاصة بالرجال كـ(العباءة – البذلة – السترة – العقال – البلوفر – الصديري – العمامة – الجبة – القفطان – خوذة – حمالة – أبو دكة – طربوش ... إلخ) كانت أكثر من الملابس الخاصة بالنساء كـ(الفستان – الطرحة – الحجاب – بلوزة – مَلَس – دانتيلا – جيبونة ...إلخ) لكن إن أردنا الدقة أكثر فقد نجد أن الفارق الكمي بين ملابس كل من الرجال والنساء عند الرجال أكبر من ذات الفارق عند النساء, فعند الرجال قد نجد (30) كلمة خاصة بملابس الرجال في مقابل (14) أخرى خاصة بملابس النساء؛ أما على الجانب الآخر فنجد عند النساء (24) كلمة خاصة بملابس الرجال في مقابل (21) كلمة خاصة بملابس النساء؛ إذًا فملابس الرجال دائمًا أكثر, لكن ولأن أغلب شخصيات الخطاب الروائي الأنثوي كن من النساء فقد كثرت الألفاظ الخاصة بملابسهن.

7(يبقى أن نلاحظ ما قد لاحظناه سابقًا عند ذكر حقل الجسد, من حيث جرأة الرجل في الكلام عن الأعضاء الجنسية دون خجل, وهنا أيضًا نجد جرأة أخرى, وذلك حين يسمي الرجل الملابس الداخلية بمسمياتها الخادشة للحياء فيقول: (سنتيانة – كيلوت)؛ وقارن ذلك مع المرأة فتجد أنها قد تحاشت هذه الألفاظ فقالت: (صدرية – لانجري) فتجنبت اللفظ الخادش بلفظ فصيح وآخر غربي. وبالتالي فهي تثبت – كما أثبتت سابقًا, وستثبت لاحقًا – أنها أكثر تأدبًا وتسترًا من الرجل.

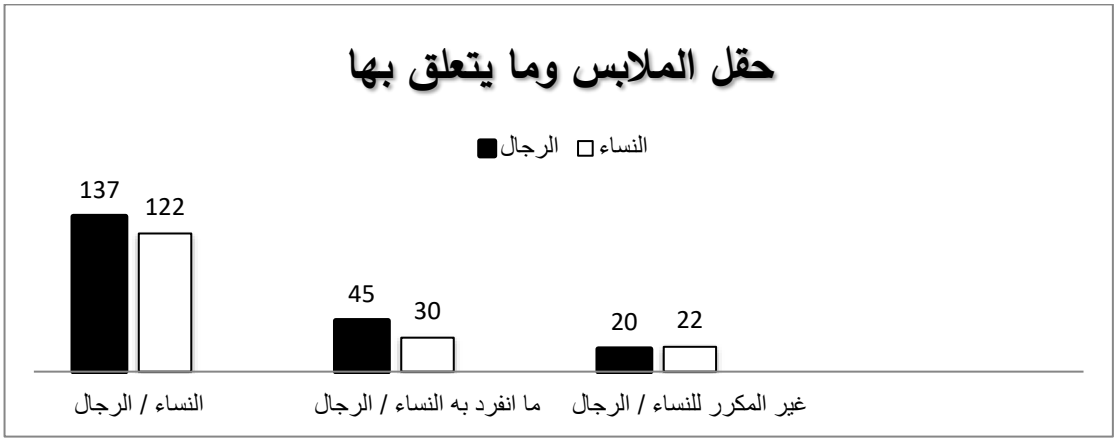

(شكل رقم: 28)

2.18 حقل الكلمات المحظورة Taboo Words

ويُقصد بها كل الكلمات الخاصة بالجنس sex, أو ألفاظ السباب, أو الألفاظ التي يسبب ذكرها نفورًا وخجلًا للمتلقي, فتلك الكلمات يتحاشاها المرء تأدبًا, وحفظًا لماء وجهه ووجه مستمعه, لكن من الحق أن هذه الكلمات ليس جميعها على قدم المساواة من حيث إثارة التحفظ والنفور, فبعضها في ذلك دون بعض, فمنها ما قد يراه المرء مقبولًا إلى حد ما, ولا يشعر تجاهه بالنفور الذي قد يشعره عند التعبير عن نفس المفهوم لكن بكلمة أخرى, فليس السباب بـ (ملعون – خبيث – نذل) كـ (ابن كلب – نجس – قحبة) وغيرها من ألفاظ ستأتي بالقوائم قد يخجل المرء حتى من ذكرها كمثال؛ وعليه فسنذكر الحقل كما مر بالحقول السابقة ثم نقوم بتفصيله إلى: محظور خفيف ومحظور منفر, وذلك لنرى إلى أيهما يميل الذكور / الإناث ويكثر.

2.18.1 الكلمات المحظورة لدى الرجال

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
حضن	267	شخرة	91	بعبص	1	تحرش	1
الجنس	138	الملعون	87	المخصي	1	شرج	1
ابن كلب	113	عاري	72	اعتلائها	1	لمامة	1
عارية	113	وغد	64	زلنطحي	1	حَوَش	1
قُبلة	100	ديك (أم / أبو)	64	زاني	1	تصيير	1

2.18.2 الكلمات المحظورة لدى النساء

اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار	اللفظ	التكرار
عارية	49	حضن	12	عريان	1	زانية	1
قُبلة	25	الشبق	10	أوساخ	1	لئيم	1
عاري	25	الملعونة	9	لوطي	1	جلف	1
ابن كلب	15	خبيث	8	الشرج	1	تهتك	1
شتائم	13	ملعون	7	البز	1	وساخة	1

النتائج:

1(تم رصد (137) كلمة تابعة لحقل الكلمات المحظورة لدى الرجال, في مقابل (56) كلمة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (81) كلمة, أي أن ما أنتجه الرجال يصل إلى (3) أضعاف ما أنتجته النساء تقريبًا.

2(انفردت النساء بكلمة واحدة لم ترد لدى الرجال هي: (خوة)

3(انفرد الرجال بـ (82) كلمة لم تستعملها النساء وهي: (ديك أم / أبو – وسخة – نجس – نتن – سفلة – فوطوس – بوس – لبط – خلبوص – صنان – أوسخ – زواني – زنا – ميتين – عشيقة – منجوسة – بلبوص – مُنحَل – شرموط – مُنحَلّة – ابن المركوب – بنت المركوب – خول – ملعوب في أساسه – زاني – متهتكة – سنسفيل – إيلاج – عوص – بعبص – لبؤة – مخصي – اعتلائها – زلنطحي – وسخ – إباحية – لمامة – بنت القحبة – حوش – وقح – خنيس – خسيسة – ابن الزانية – ابن القحبة – ابن اللوطي – تصيير – قوادة – مُلعَب – جيص – عِلق – بنت الشرموطة – ابن الهرمة – ابن الرفضي – ابن الحمار – الدغف – بقف – قحف – واطي – بغيّ – ابن الخاطئة – ابن اللئيمة – ابن المرشمة – أعرس – تعريص – معوصة – عرص – ابن عرص – ابن وسخة – نيك – خولنة – ابن السايبة – ابن المفضوحة – بنت المنجوس – ابن السافلة – ابن المعقوهة – أولاد الزواني – بجم – بهيم – مدب – هلف – أحه – أولاد المخاريق – سوة)

4(ونتيجة هذه الغلبة الساحقة تفوق الرجال في كم الكلمات غير المكررة, حيث سجلوا (26) كلمة, في مقابل (18) كلمة لدى النساء.

5(مجمل تكرارات كلمات هذا الحقل لدى الرجال وصل إلى (2293) مرة, في مقابل (227) مرة لدى النساء, أي أن تكرارات الرجال أكثر من (10) أضعاف تكرارات النساء. ولو وزعنا هذه الترددات على مجمل الأعمال لوجدنا التالي: الرجال $\frac{2293}{46} = 49.8$ مرة / الرواية الواحدة, النساء $\frac{227}{19} = 11.8$ مرة / الرواية الواحدة. أي أن معدل تكرار تلك الكلمات بالرواية الواحدة لدى الرجال يفوق معدل ترددها بالرواية الواحدة لدى النساء بمقدار يربو فوق الأربعة أضعاف.

6(تكلمنا بمقدمة هذا الحقل عن المحظور الخفيف والمنفر, والآن سنعرض للمحظور المنفر لدى الرجال والنساء, وما تركناه بالقوائم أعلاه دون المذكور أدناه هو بالتبعية من المحظور الخفيف:

- ألفاظ الجنس المنفرة لدى الرجال هي التالي: (بوس – بز – بلبوص – طيز – بعبص – نيك – مُلعَب)

- ألفاظ الجنس المنفوة لدى النساء هي التالي: (طيز[1] – البز)

- ألفاظ السباب المنفوة لدى الرجال هي التالي: (ابن / بنت كلب – ديك أم / أبو – وسخة – وساخة – نجس – قحبة – لبؤة – لبط – أوسخ – ميتين – منجوسة – شرموط – شرموطة – وسخ – خَول – ملعوب في أساسه – أوساخ – سنسفيل – عرص – أنجاس – عِلق – مخصي – منجوسة – ابن وسخة – ابن الزانية – لوطي – بنت القحبة – ابن اللوطي – بنت المنجوس – ابن المفضوحة –واطي – ابن عرص – بنت الشرموطة – ابن المرشمة – أولاد المخاريق – أولاد الزواني)

- ألفاظ السباب المنفوة لدى النساء هي التالي: (ابن / بنت كلب – شخوة – شرموطة – أنجاس – قحبة – وساخة – أوساخ)

7(مجموع كلمات الخاصة بالجنس لدى الرجال (50) كلمة, منها (7) كلمات من المحظور المنفر ليتبقى (43) كلمة من الخفيف, أما مجموع كلمات السباب لديهم فهي (79) كلمة, منها (38) كلمة منفوة ليتبقى (41) كلمة من الخفيف؛ وعليه يكون المحظور الخفيف أكثر ترددًا لدى الرجال من المحظور المنفر بشكل عام, مع ملاحظة غلبة كلمات الجنس من النوع الخفيف على نظائرها المنفوة بشكل واضح, لكن على الجانب الآخر قد نجد مرأة الرجال في استعمال السباب المنفر أعلى من مرأتهم في استخدام الكلمات الجنسية الصريحة, حيث رأينا التقارب الشديد في الترددات الخاصة بالمحظور الخفيف للسباب مع المحظور المنفر منه, وهذا إن دل على شيء

---

[1] الجدير بالملاحظة هنا أن رضوى عاشور استخدمت هذه الكلمة ضمن المثل الشعبي القائل: (مثل طيزين في لباس), وذلك أثناء كتابتها لرواية الطنطورية, والتي صدرت في العام (2010م), وكانت قد بلغت من العمر – أعني رضوى – (64) عامًا, أقول ذلك لأنها قد استخدمت نفس المثل السابق برواية غرناطة, والتي صدرت عام (1993م), حيث كانت في الأربعينات من عمرها, لكنها لم تذكر هذا اللفظ بهذا الشكل الصريح, وإنما قالت: "سعد ونعيم مؤخرتان في لباس واحد", فاستعملت اللفظ الفصيح, وهو الأقل مرأة والأكثر تأدبًا, كل ذلك يقود إلى أثر عامل السن في مرأة المرأة وتحررها من الخجل والحياء؛ وقد نلمح أثر ذلك العامل أيضًا لدى الممثلة الثانية لجانب النساء, وهي موال الطحلوي, والتي قالت برواياتها الخباء مُكنّية عن العانة بلفظ (رغب) قالت: "لماذا تنتفون زغبها", ومعلوم أن رواية الخباء قد صدرت عام (1996م), حيث كانت موال تبلغ من العمر (29) عامًا, لكننا نجدها عندما تخطت الأربعين من عمرها وألفت روايتها بروكلين هايتس, والتي صدرت عام (2010م),= نجدها قد ذكرت لفظ العانة بشكل صريح فقالت: "بعد أن تنتف عانتها بالحلاوة", إذًا فكل ذلك يقود إلى وجود علاقة بين عامل السن ومرأة المرأة وتحررها من حيائها. (الطنطورية, دار الشروق, ط1, القاهرة, (2010م), ص: 41, ثلاثية غرناطة, دار الشروق, ط3, القاهرة, (1422هـ/2001م), ص: 29, الخباء, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مكتبة الأسرة, (2001م) ص: 58, بروكلين هايتس, دار الآداب, ط1, بيروت, (2010م), ص: 139)

فهو يدل على التنافسية الحادة في عالم الرجال, والتي تستدعي هذا الكم الضخم من السباب؛ فالتنافسية والتشاحن هما أكثر شيء جلبًا للسب والشتم, وكلما زادا – أعني التنافسية والشحناء –زاد معهما الفحش في السب؛ وهو الأمر المفتقد في خطاب المرأة الروائي, لذا تضاءل تبعًا له كم السباب, وتردده, وفحشه داخل خطابهن.

8(وعلى ما سبق نستطيع القول بأنه إذا وجد خطاب يكثر فيه السب الفاحش – خصيصًا – عندها نستطيع أن نميل إلى ذكورة كاتب النص.

9(مجموع كلمات الجنس لدى النساء (26) كلمة, منها كلمتان فقط من المنفر, ليكون الباقي كله من الخفيف؛ أما مجموع كلمات السباب لديهن فكانت (29) كلمة, منها ثماني كلمات فقط من المنفر ليتبقى (21) كلمة من الخفيف؛ وعليه – أيضًا كما الرجال – يكون المحظور الخفيف أكثر تردًا لدى النساء من المحظور المنفر بشكل عام, لكننا نلاحظ ابتعاد ترددات الخفيف عن نظائرها المنفرة بشكل حاد.

وانظر الشكل التالي:

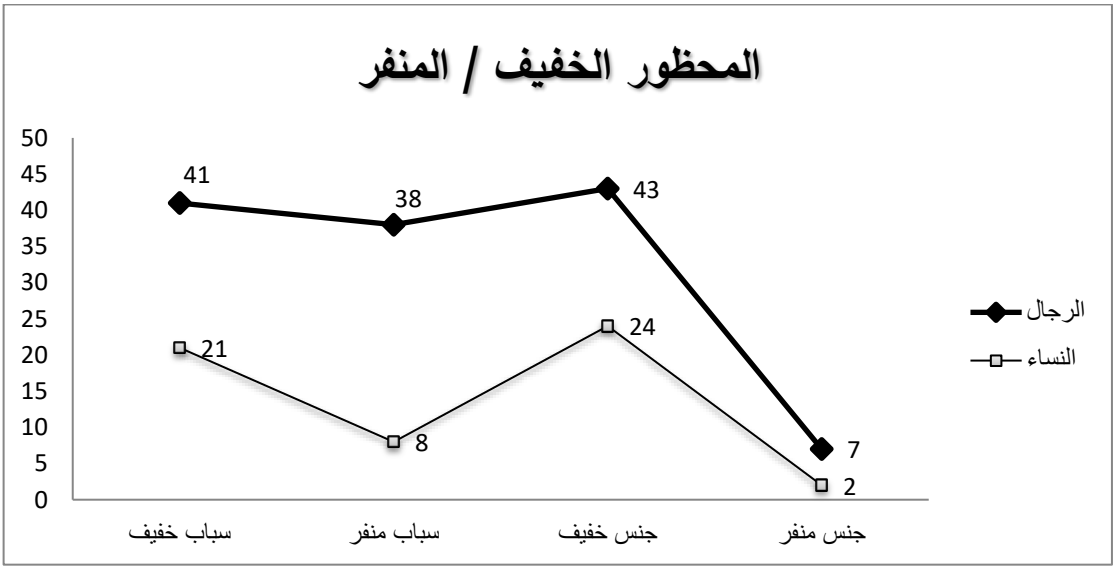

(شكل رقم: 29)

10(يبقى أن نُقِر بأن هذه الغلبة الساحقة للرجال في هذا الحقل على كافة المستويات لهي دليل على مدى جرأة الرجل في الكلام بهذا الشكل, وإذا كان الأمر كذلك فهو دليل أيضًا على أن المرأة أكثر تأدبًا وحياء من الرجل, والحق أننا – إلى اليوم – عندما نسمع فتياتٍ / نساء يستخدمن هذه الكلمات المحظورة بشكل فج فلا نزال –رجالًا ونساء – نشعر بالضيق وعدم الرضا حيال ذلك, وهذا الشعور الغاضب قد لا يكون بنفس حدته إذا سمعنا الألفاظ نفسها من الذكور / الرجال.

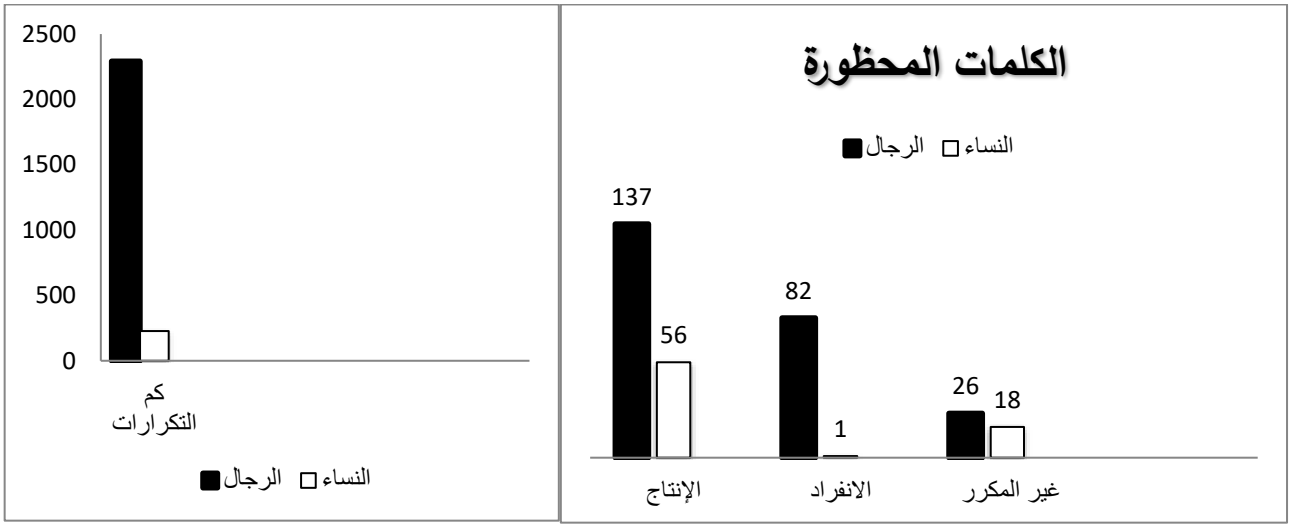
2500
2000
1500
1000
500
0
كم التكرارات
الرجال
النساء
الكلمات المحظورة
الرجال
النساء
137
56
82
1
26
18
الإنتاج
الانفراد
غير المكرر

(شكل رقم: 30)

الفصل الثاني:

التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الجملة

التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الجملة

سنحاول في هذا الفصل الإجابة عن أسئلة بحثية عدة, منها: إلى أي مدى تختلف جملة الرجل عن جملة المرأة؟ فمن منهما يستخدم نوعًا من نوعي الجملة العربية أكثر؟ فمن يكثر من استخدام الجملة الفعلية مثلًا؟ وأي زمن من أزمانها يفضله على الآخر؟ وما دلالة هذا التفضيل؟

كما سندرس التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على صعيد الأساليب النحوية كـ (الاستفهام, النداء, المدح, الذم, القسم, التعجب ... إلخ) لنقف على كم استخدامها لدى الجنسين, وأيهما يكثر / يقل من استخدام أسلوب معين؟, على أننا لن نقف عند حدود الرصد بل سنعمل جاهدين على تبرير تلك الاستخدامات من عدمها.

أخيرًا يبقى السؤال الأهم: هل هناك سمات خاصة تميز جملة أحد الجنسين؟ أو بمعنى آخر: هل يوجد ما يعرف بالجملة الجنسانية the gendered sentence؟ وإن وجدت فبم تتصف تلك الجملة؟ وهل هي خاصة بالرجل أم بالمرأة؟

ولقد تطلبت الإجابة على تلكم الأسئلة أن نقسم الفصل إلى ثلاثة أقسام: فأما القسم الأول فسيدرس تمايز الجملة بين الرجل والمرأة على صعيد المادة البحثية كلها, بيد أن دراسة بعض أنماط الجمل داخل المادة ككل كانت شبه مستحيلة, وذلك كالجملة الاسمية المكونة من مسند إليه ومسند, والمسند إليه ليس ضميرًا[1], وكالجملة الشرطية, وذلك لأن أدوات الشرط قد تتلبس بغيرها من أدوات لها معان نحوية أخرى, فـ (إن) الشرطية – مثلًا – تتلبس بـ (إن) الناسخة, و(أن) ناصبة المضارع, ووسط حجم ترددها الضخم الذي وصل إلى (69678) يصعب الفصل بين هذه المعاني, ونفس الوضع نجده مع (ما – من) الشرطيتان, بل إن وضعهما أشد تعقيدًا من (إن), وذلك لأن (من) تستخدم كأداة شرط, واستفهام, وحرف جر, واسم موصول؛ وعندما يصل ترددها إلى (77506) يصبح من المتعذر الفصل بين كل تلك المعاني؛ و(ما) مثل (من), بل تزيد عليها في استعمالها كأداة للتعجب, كل ذلك تتطلب وجود القسم الثاني, وستتم الدراسة داخله عبر عينة sample سيتم تحديدها بعناية شديدة, وشروط

---

[1] لقد قسمنا الجملة الاسمية إلى ثلاثة أقسام: الأولى: هي الكلاسيكية, المكونة من مسند إليه ومسند, والمسند إليه ليس ضميرًا؛ الثانية: هي المكونة من مسند إليه ومسند, والمسند إليه ضمير؛ الثالثة: هي المسبوقة بعامل لفظي كـ(إن وأخواتها – كان وأخواتها – أفعال المقاربة والرجاء والشروع).

صارمة تضمن التقارب شبه التام بين الجنسين, وذلك لإبراز التمايز اللغوي بشكل صحيح, ومن خلال هذه العينة سندرس كل ما افتقدناه بالقسم الأول.

بيد أننا لم نتوقف عند حدود تلك الاختلافات التي أظهرتها المادة والعينة, بل لاحظنا مجموعة من السمات التي تميز جملة المرأة عن جملة الرجل في كثير من المواضع, لذا خصصنا لهذا النمط من الجمل القسمَ الثالث من هذا الفصل, وقد وسمناه بـ (جملة المرأة), وذلك على اعتبار أن جملة الرجل هي الجملة التي تواضع عليها الناس بالقبول, لذا كانت جملتهم في نظرنا عادية General, ليس هناك ما يميزها, بل هي الجملة التي نصوغها جميعًا, أما جملة المرأة التي سنتكلم عنها بالقسم الثالث فقد اتسمت بمميزات خالفت تلك الجملة العادية التي نألفها.

القسم الأول: اختلاف الجملة بين الرجل والمرأة على صعيد المادة كاملةً

1. الرجل والمرأة والجملة الفعلية

والجملة الفعلية في العربية لا بد وأن تتصدر بفعل أينما حلّت, لذا كان لزامًا علينا رصد جميع الأفعال داخل المادة, بل وأسماء الأفعال أيضًا, فهي الأخرى تعمل عمل الفعل في الجملة, ثم يأتي بعد ذلك الرصد إحصاء كم الأفعال التي أنتجها الرجال في مقابل كم الأفعال التي أنتجتها النساء, ثم نحصي بعد ذلك ترددات كل تلك الأفعال لنقف على حجم استعمال الرجال والنساء للجملة الفعلية, وذلك لنعرف أيهما أكثر من الآخر في استخدامها, وهل أحد الطرفين يفضل زمنًا فعلًيا على الآخر؟ أم هما في هذا الأمر سواء؟

وقبل أن نعرض قوائم الأفعال لا بد وأن نعرف أننا قد رصدنا عشرات الآلاف من الأفعال بصيغها الشكلية المختلفة لدى كل من الرجال والنساء, وعرْضُ هذه الأشكال كما جاءت من خلال برنامج التحليل زاد مجهود تسويد أوراق لا طائل من ورائه, لذا قمنا بدمج جميع أشكال الفعل الواحد في صيغة واحدة أطلقنا عليها اسم "الأصل الفعلي", فقد دمجنا (جاءت – فجاء – وجاء – جاءني – فجاءت – جاءوا – جاءته – جاءنا – جاءتني – جاءها ... إلخ) في أصلها الفعلي (جاء), على أن هذا الأصل الفعلي ليس هو مادة الكلمة كما قد يتوهم البعض, بل أقصد به الفعل في شكله النقي, دون أية سوابق أو لواحق قد تُغير من شكله دون معناه, وهذا الشرط هو ما جعلنا في بعض الحالات لم ندمج الفعل في أصله, وذلك لاختلافات دلالية بين الفعل وتصريفه فـ (لقى) غير (تلّقى), و(عرف) غير (اعترف), و(وقع) ليست (توقع), و(مَر) تختلف عن (استمر), و(رَدد) لا تساوي (تردد)؛ كما أننا قد راعينا السياق الذي قد يغير معنى الفعل, خاصة وأن الروايات لا تُكتب مشكولة, مما قد يسبب الوهم في الحكم على زمن الفعل, فمثلًا الفعل (أسرع), هل هو (أَسْرَعَ) الماضي؟ أم (أُسْرِعُ) المضارع, أم (أَسْرِعْ) الأمر؟ ففي هذه الحالات قد تمت العودة إلى السياق لتفادي التوهم والخطأ في الحكم على الفعل.

أما عند دمج الأفعال المضارعة فقد قمنا بدمج أشكال المضارع المختلفة في صيغة (يفعل), فدمجنا (تضرب – أضرب – أضربه – تضربهم – يضربها – تضربنا ... إلخ) في أصلها الفعلي (يضرب), هذا ما عدا الأفعال التي لم تأت إلا على شكل معين, وثبتت عليه, ولم تغيره عبر المادة كلها, فتلك الأفعال تركناها كما جاءت, وذلك مثل الفعل (توشي), لم يأت إلا على هذا الشكل (تفعل), فتلك الأفعال تركناها دون تغيير أو دمج.

أخيرًا بعد دمج الصيغ المختلفة في أصلها الفعلي كان من الضروري أن يتم دمج ترددات هذه الصيغ الشكلية المختلفة في تردد أصلها الفعلي أيضًا, والغرض من كل ذلك الوقوف على حقيقة كم استخدام الفعل لدى الجنسين. ولقد ارتأينا بعد كل هذه الإجراءات أن نكتفي – من ناحية قوائم الأفعال – بعرض أكبر عشرة أصول فعلية قد ترددت لدى الرجال والنساء ومثلها من ناحية الأقل تردّدًا كما فعلنا بالفصل الأول, وذلك لتصبح مجرد نماذج لا تثقل كاهل هذه الدراسة بقوائم ضخمة تشغل حيزًا ربما كان من المفيد استخدامه في غيرها؛ خاصة وأنه على الرغم من الدمج قد نتجت قوائم طوال ضمت آلافًا من الأصول.

1.1 الرجل والمرأة والفعل الأمر

1.1.1 الفعل الأمر لدى الرجال

الأمر	التكرار	الأمر	التكرار	الأمر	التكرار	الأمر	التكرار
قل	473	شف	146	سمِّ	1	استحضر	1
تعال	284	خذ	133	أدِّ	1	انجح	1
هات	181	تصوّر	116	تجشم	1	عجِّل	1
دع	179	تفضل	113	انج	1	اهدِ	1
اسمع	156	قم	108	استلهم	1	اركع	1

1.1.2 الفعل الأمر لدى النساء

الأمر	التكرار	الأمر	التكرار	الأمر	التكرار	الأمر	التكرار
تعال	106	تفضل	15	ابعد	1	فكّر	1
قل	86	اسمع	14	عُد	1	علّم	1
كن	33	انظر	12	فك	1	استيقظ	1
اذهب	22	انتظر	12	فتش	1	تحسس	1
خذ	16	قم	11	ركّز	1	تثاءبي	1

النتائج:

1(رصدنا لدى الرجال (186) فعل أمر, في مقابل (72) فعلًا لدى النساء, بتفوق ذكوري ضخم يصل إلى (114) فعلًا.

2(إنتاج الرجال من الفعل الأمر أكثر من إنتاج النساء بمعدل يصل إلى (2.5) ضعفًا.

3(انفردت النساء بـ (6) أفعال من الأمر لم يستعملها الرجال وهي: (استيقظي – تثاءبي – تأمل – دب – شغّل – خمِّن)

4(انفرد الرجال بـ (120) فعلًا من الأمر لم تستخدمها النساء وهي: (صدِّق – أره – اقعد – اتكل – استر – خش – تحرّك – أسرعْ – اتق – تذكّر – جرّب –رُص – أفق –رتّب – نفّذ – عفّر – فُض – اثبت – خبّط – تقدّم – أظهر – اعرف – اخرج – وسّع – تواضع – انصح – استحضر – انجح – اتزل – ذاكر – احك – انس – ابق – كُل – اهدأ – اصمت – دِلني – ارض – اهدني – اركع – ابك – اسع – شُف – جرّد – توسل – عجِّل – امض – ارم – طلّق – استلهم – اغطس –زغردي – احترس – تجشم – انج – عمّر – استغفر – انصرف – انه – غنِّ – ارقص – مُر – اغرب – سمِّ – أدِ – الزم – افتح – اهرب – انتبه – طُف – ارفع – تف – أجب – اصح – كلّم – ابعث – اجرِ – احمد – ابسط – تمدد – اركن – تمرغ – اقس – اسحق – فتت – ضُم – ثق – اهدم – اعدل – اختر – الق – اطبخ – ادفع – احرص – اعقل – اسبق – تفاءل – طوّل – هدئ – بلّغ – اكف – غُر – افرد – أبشر – اصفح – انفض – طهّر – وحّد – اخذل – اخسف – اخز – اخفض – افصح – افحت – تب – اخضع – اسرح – اتصرف – اتلحلح – ازاح)

5(بلغت ترددات الفعل الأمر لدى الرجال (3495) مرة, في حين وصلت ترددات النساء للفعل الأمر (519) مرة فقط, بتفوق ذكوري يصل إلى (6.7) ضعفًا.

6(معدل تردد الفعل الأمر في رواية الذكور وصلت إلى: $\frac{3495}{46}$ = 75.9 مرة / الرواية, هذا في حين بلغ تردد الفعل الأمر في رواية الإناث إلى: $\frac{519}{19}$ = 27.3 مرة / الرواية؛ أي معدل الرجال أكبر من معدل النساء بمقدار (2.7) ضعف.

7(الأفعال الأمر غير المكررة لدى الرجال بلغت (49) فعلًا, في مقابل (22) لدى النساء, وتفوق الرجال هنا ناتج من إنتاجهم الضخم في هذا الشأن.

8(الجدير بالملاحظة أنه إذا كان الرجال أكثر من النساء إعطاءً للأوامر المباشرة فهم أيضًا الأكثر في استخدام أسلوب التحذير, وهذا الأسلوب هو نوع من الأمر السلبي, بمعنى أنه إذا كان الأمر المباشر يطلب منك الفعل فالتحذير يطلب منك الامتناع عن الفعل؛ وانظر الاحصاء التالي:

أسلوب التحذير	الرجال	النساء
إياك	86	2

9(ولا شك أن الأمر المباشر هو – في الغالب – شكل لغوي قوي يحوي في طياته الكثير من العنوانية والعنف aggressive, وكثرة استخدام الرجال له ينسجم مع غلبة استخدامهم لأسلوب التحذير, والذي يحوي هو الآخر نفس القدر من العنوانية والعنف, كما أنهما – الأمر والتحذير – ينسجمان مع كثرة استخدام الرجال لأسلوب القسم, والذي سنلحظ فيه تفوقًا ملحوظًا لديهم, سواء كان التفوق من ناحية كم التنوع في أشكال القسوم اللغوية, أم من ناحية كم ترددتها. وكل ذلك يشير إلى حقيقة واحدة مؤداها قوة الأشكال اللغوية التي يتبناها الرجل, كما تدل على حجم التنافسية التي تحويها لغته؛ فالأوامر, والتحذيرات, والقسوم لا تتأتى إلا مع هذه التنافسية وهذا التشاحن والتصادم المتوفر بغزارة داخل خطابه الروائي, ومع افتقاد هذا الكم من التنافسية داخل خطاب النساء تراجعت معه كميات هذه الأشكال اللغوية المتسمة بالقوة والعنف.

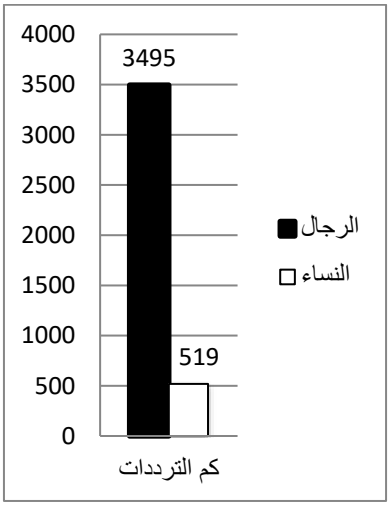

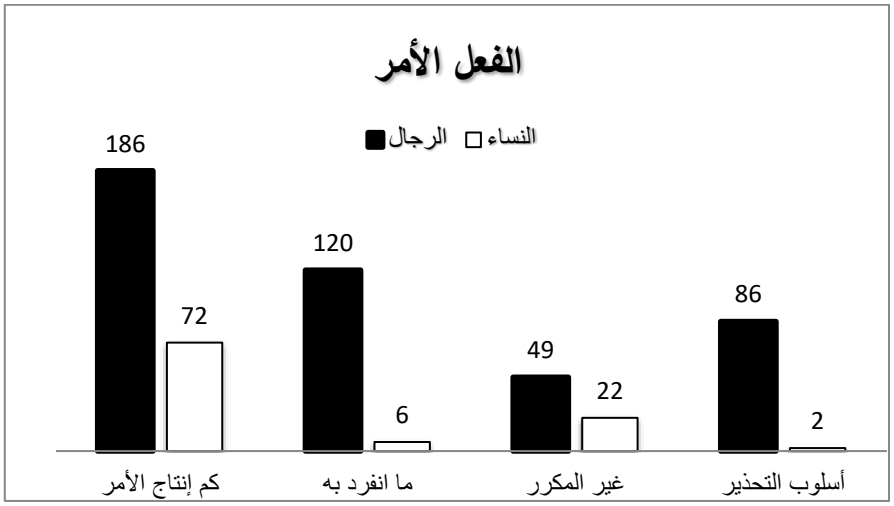

(شكل رقم: 31)

1.2 الرجل والمرأة والفعل الماضي

1.2.1 الفعل الماضي لدى الرجال

الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار
كان	21509	راح	1769	رعى	1	صدح	1
قال	13756	أصبح	1301	شخلع	1	صمد	1
صار	2838	دخل	1287	التوى	1	سخط	1
جاء	2156	وقف	1253	احتكر	1	تبطر	1
رأى	1946	بدأ	1228	رفل	1	ما فتئ	1

1.2.2 الفعل الماضي لدى النساء

الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار
كان	8283	عاد	433	ذاع	1	زاغ	1
قال	3714	راح	351	توضأ	1	لحس	1
صار	708	جلس	341	هيأ	1	صمد	1
جاء	550	وقف	339	تعاهد	1	سخط	1
رأى	502	دخل	295	زنق	1	طفق	1

النتائج:

1(رصدنا لدى الرجال (719) أصل فعلي من الأفعال الماضية, في مقابل (623) لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (96) أصل فعلي.

2(كل ما أنتجته النساء أنتجه الرجال,وعليه لم تنفرد النساء بشيء.

3(انفرد الرجال بـ (96) أصل فعلي لم تستعملها النساء وهي: (القوى – سلّط – خُيّل – غرّر – انعدم – انتقى – طقطق – بحلق – انتفى – هاص – حشد – بربش – خمّن – نقر – نفث – حدس – خفق – غاص – احتكر – انتعش –زاط – آب – برك –ركن – يأس – تحفز – عقّب – شوّح –رفل – كشّر – جهّز – انجاب –وجب – انسلخ – جمح – أوعز – هوى – نشف – طهق – نشط – هوّخ – تهلوى – أخلى – انداح – صهلل – تمطع –رعى – خسر – خوم – شخلع – لرتمى – انوج – أبى – لرتكن – عشش – اقشعر – فسخ – تخلّف – تبطر – قوّط – أوحى – حوّد – منع – لسع – تزوع – أسدل – انبثق –رجّح – غُم – حلف – شوّف – تبخّر

– شخط – طس – شخر – اندمج – جحظ – ولّف – تلكأ – قطم – تناهى – شُل – انزوى – وقّر – شتت – انتهز – شبّك – شبط –رص – امتص – لاذ – احتك – حملق – ارتعد – اغتاظ – ما فتئ)

4(مجمل ترددات الماضي لدى الرجال (114860) مرة, في مقابل (31891) مرة لدى النساء, أي أن استخدام الرجال للماضي يفوق استخدام النساء بمقدار (3.6) ضعفًا.

5(معدل تردد الماضي بروايات الرجال= $\frac{114860}{46} \simeq$ 2497 مرة / الرواية الواحدة, أما معدل تردد الماضي في روايات النساء= $\frac{31891}{19} \simeq$ 1678 مرة / الرواية الواحدة, أي أن الرجال أكثر استخدامًا للماضي في الرواية الواحدة بمعدل (1.4) ضعف.

6(بلغ عدد الأفعال غير المكررة لدى الرجال (16) فعلًا, في مقابل (75) لدى النساء. نلاحظ هنا عودة النساء للتفوق في كم الكلمات غير المكررة,وهو الأمر الطبيعي الذي لا زال نلاحظه عبر الرواسة كلها, حيث لم يتفوق الرجال عليهن في هذا الجانب إلا في مرات قليلة ناتجة عن تفوقهم الكاسح في بعض الحقول.

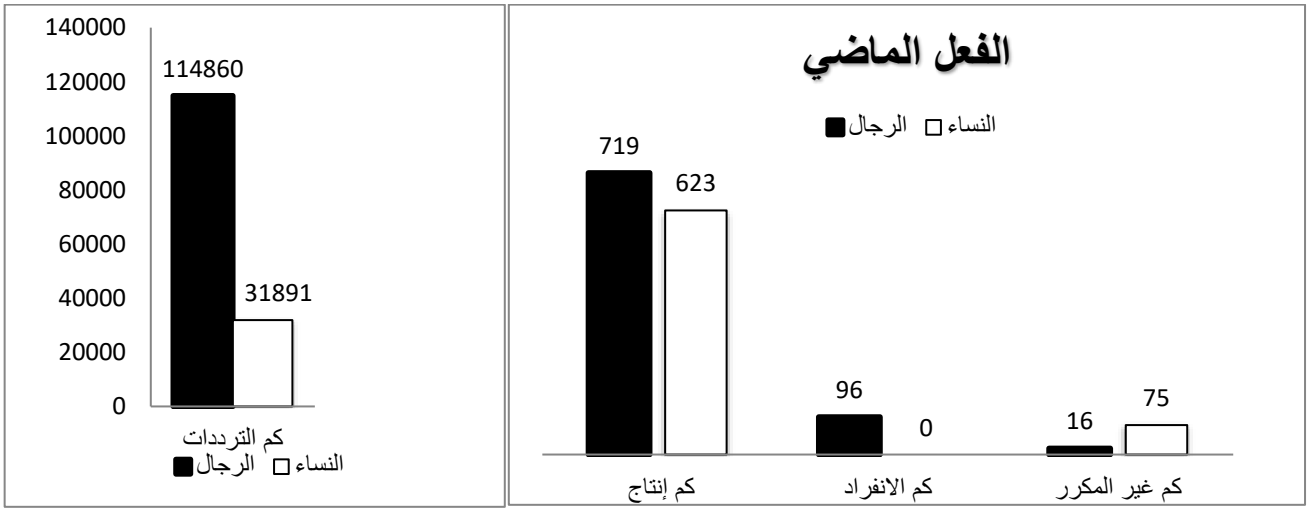

(شكل رقم: 32)

1.3 الرجل والمرأة والفعل المضارع

1.3.1 الفعل المضارع لدى الرجال

الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار
يعرف	5608	يمكن	1310	نسطل	1	يندعق	1
يكون	5041	يفعل	1252	يرفس	1	يسلف	1
يقول	4866	يعني	1250	يسمو	1	يزأط	1
يرى	2278	يريد	1153	ينسحر	1	تذر	1

يعود	1634	يستطيع	1153	يسطو	1	يتملعن	1

1.3.2 الفعل المضارع لدى المرأة

الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار	الفعل	التكرار
يقول	2231	يرى	619	يعطف	1	يفح	1
يكون	1773	يحمل	598	تنط	1	يجرب	1
يعرف	917	يجلس	503	تحوي	1	يُحرّم	1
يعود	893	يقف	493	يخصص	1	ينفَضّ	1
يريد	743	يذهب	448	يلين	1	لا ينفك	1

النتائج:

1(رصدنا لدى الرجال (1241) أصل فعلي من الأفعال المضارعة, في مقابل (1077) لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (164) فعلًا.

2(انفردت النساء بـ (10) أفعال لم يستعملها الرجال وهي: (يشّيد – يلفلف – يشيطن – ينيب – يدُبك – يحتلم – تشعشع – يُسلِم – يعزب – يزغر)

3(انفرد رجال بـ (174) فعلًا لم تستخدمها النساء وهي: (ينصُب – تبخّر – يهبش – يشخط – يُعنى – يهبر – يلدع – يرِد – يرص – يزمر – ينخس – يرين – يريم – يحنن – يعفو – يسجى – يغرم – يغرف – يغمى – ينشر – يمكث – يبك – يلبث – يُشيد – يتجزأ – يخَّيل – يني – يهبّ – يرتدع – يسرب – تقشعر – يهمّ – يهوس – يتدافع – يتبختر – تتف – يثوّح – يبش – يتلكأ – يُخلِص – يهنأ – يشاع – يستأهل – يشتم – يسبغ – يسبسب – يستحسن – يجعر – يتلذذ – يتجرأ – يحشش – يطرقع – ينثال – يعتّد – ينسلخ – يزفر – ينتهز – يأبه – ينّدب – يزمع – يغّر – يعم – يتصادم – يتودد – يتحدى – يحفز – يرتعد – يرتمي – تتمايج – يخر – يفر – يندمج – يأنف – يتهلوى – يمتدح – يتأتى – يبرطع – يحتدم – يتملق – يغتاظ – ينتهك – يتلجلج – يربش – نوّج – تغم – يناجي – يستوزف – يزنّ – يساوم – يتغضن – يتعشق – يستثمر – يتضخم – يتعارض – يلعلط – يتضارب – توشي – ينسحر – يوشوش – يستلطف – تتشرق – يصهد – يضبب – يهندم – يرتفق – نسطل – يرفس – يسلف – يندمل – يزأط – يبتهل – يندعق – يشلح – يشغف – يفش –

يرتعب – يضمحل – يتضاءل – يهرش – يزغ – يستقطب – يستخسر – يتوأ – ينداح – ينتعش – تبخ – يبطل – يتمطى – يتجسس – يتحوج – يتوق – يرش – يصك – يشرخ – يلتحم – يشوشر – يتسربل – يرشو – زغد – ينجعص – يخصم – ينطبع – يلتمس – يخزن – ينبري – يعكرش – يورط – يهيج – ينافس – يستهزئ – تغرورق – يغمغم – يفشخ – يسفسف – يسفر – يتفتف – يتفلسف – يتفصص – يتقشى – يتفانى – يتفزز – يتقود – يتفجع – يتفلحس – يتفونج – يتفوعن – يتفوتك – يتفاوض – يخوف – يسكر – يتفحم – يتقوه – يتفاقم – لا يفتأ)

4) بلغ مجموع ترددات الفعل الماضي لدى الرجال (106309) مرة, في مقابل (34036) مرة لدى النساء, أي أن الرجال أكثر استخدامًا للمضارع بمقدار (3.1) ضعفًا.

5) معدل ورود المضارع لدى الرجال بالرواية الواحد = $\frac{106309}{46} = 2311$ مرة / الرواية, بينما وصل معدل مجيء المضارع برواية النساء إلى $\frac{34036}{19} = 1791$ مرة / الرواية, أي أن معدل الرجال أكبر من معدل النساء بمقدار (1.2) ضعفًا, وهو أقل من تفوقهم في الفعل الماضي.

6) بلغ عدد الأفعال غير المكررة لدى الرجال (61) فعلًا, في مقابل (165) لدى النساء, مما يدعم تفوق النساء الدائم في هذا الجانب.

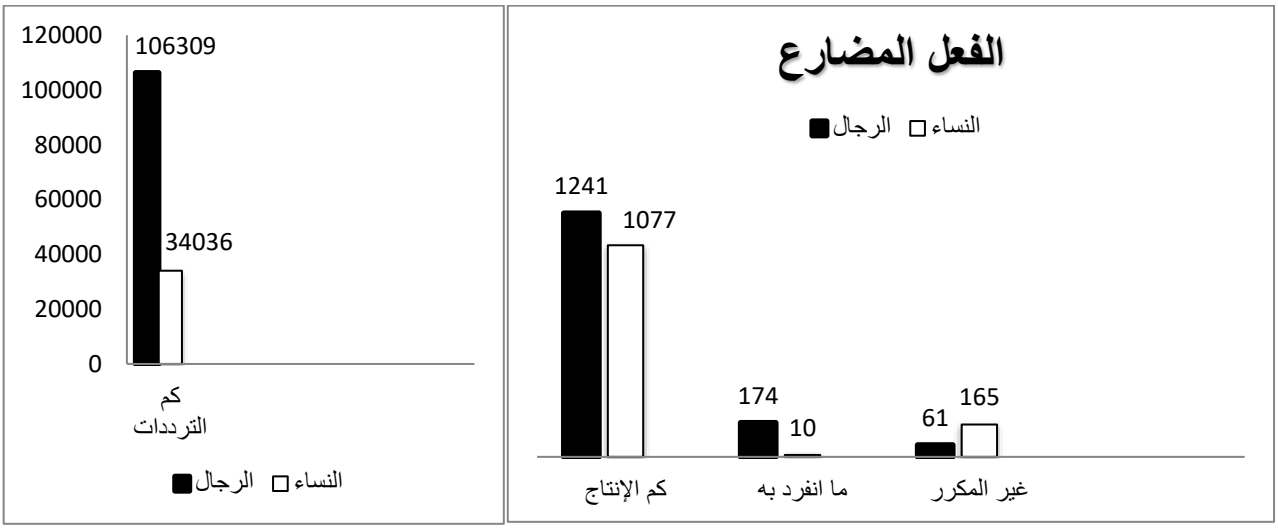

(شكل رقم: 33)

7) على الرغم من أن الرجال تفوقوا على النساء في كم إنتاج الأفعال ماضيها ومضارعها, كما تفوقوا في كم ترددها أيضًا, بيد أن هناك ظاهرة لا بد من رصدها؛ فعلى الرغم من أن إنتاج الرجال من المضارع كان أكثر من حيث حجم التنوع مقارنة بالماضي – حيث رصدنا لديهم (1241) أصل فعلي من الأفعال المضارعة مقابل

(719) أصل فعلي من الماضية, أي ضعف الإنتاج تقويًا – إلا أن معدل تردد الماضي لديهم كان أكبر من تردد المضارع, والعكس هو الصحيح لدى النساء. وإليك التالي:

لقد جاء تردد الماضي لدى الرجال أكثر من تردد المضارع لديهم بمقدار (8553) مرة, بينما زاد تردد المضارع لدى النساء فوق تردد الماضي لديهن بمقدار (2145) مرة. كما أن معدل ورود الماضي لدى الرجال كان أكثر من معدل المضارع لديهم بمقدار (185) مرة / الرواية الواحدة, لكن على الجانب الآخر كان معدل ورود المضارع لدى النساء أكبر من معدل الماضي لديهن بمقدار (113) مرة / الرواية الواحدة. وانظر الشكل التالي:

الفعل الماضي	الرجال	النساء
كم الإنتاج	719	623
كم التردد	114860	31891
المعدل بالرواية الواحدة	2496	1678
الفعل المضارع		
كم الإنتاج	1241	1077
كم التردد	106309	34036
المعدل بالرواية الواحدة	2311	1791
زيادة الماضي عن المضارع	8553	0
زيادة معدل الماضي	185	0
زيادة المضارع عن الماضي	0	2145
زيادة معدل المضارع	0	113

(شكل رقم: 34)

1.4 الرجل والمرأة وأسماء الأفعال

أسماء الأفعال لدى الرجال / النساء

الرجال				النساء	
اسم الفعل	التكرار	اسم الفعل	التكرار	اسم الفعل	التكرار
سرعان	597	هيهات	10	آه	9
آه	182	شتان	3	هيا	4

هيا	90	حذار	3	آمين	4
هيه	50	حي	2	سرعان	2
بله	46	دونك	1	هاك	1
هاك	20	آمين	1		
أف	13				

النتائج:

1(أنتج الرجال من أسماء الأفعال (13) اسمًا, في مقابل (5) فقط لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (8) أسماء.

2(ما استعملته النساء من أسماء قد استعمله الرجال, وبالتالي لم تنفرد النساء بشيء.

3(انفرد الرجال بـ (8) أسماء لم تستخدمها النساء وهي: (هيه – بله – حي – أف – هيهات – شتان – حذار – دونك)

4(مجموع ترددات أسماء الأفعال لدى الرجال (1018) مرة, في حين بلغت ترددات هذه الأسماء لدى النساء (20) مرة فقط, أي أن الرجال أكثر من النساء استخدامًا لتلك الأسماء بمقدار (50) ضعفًا, وهي غلبة شديدة.

5(هناك اسمين فقط لم يكررهما الرجال, في مقابل اسم واحد لم تكرره النساء.

6(استخدام الرجال لهذه التراكيب اللغوية القديمة وبهذه الكثرة لهو دال – كما رأينا مسبقًا في الحقول الدلالية, وكما سنرى لاحقًا في استخدامهم لبعض التراكيب القديمة – أقول أن هذا الاستخدام دال على رغبة الرجال في التجديد اللغوي, وهذا يتم من خلال طريقتين: الأولى هي إحياء القديم, الثانية هي ابتكار الجديد؛ وذلك حتى لا يظل الكاتب محصورًا وسط كلمات وتراكيب معدودة لا يفتؤ يدور في فلكها, مما يكون مدعاة لتكرار ما قد قيل من قبل, وهو الأمر الباعث على الإملال.

7(إذا كانت الأفعال بأسمائها تكون جملة فعلية أينما وقعت فعليه يصبح لدينا الشكل التالي:

الجملة الفعلية	الرجال	النساء
التردد	225696	66477
المعدل بالرواية الواحدة	4906	3498

وعليه فتردد الجملة الفعلية لدى الرجال أكثر من تردده لدى النساء بمقدار (3.3) ضعفًا, كما أن معدل الجملة الفعلية في رواية الرجال جاء أكثر من معدله في رواية النساء بمقدار (1408) مرة.

وعند هذه المنطقة لا بد من الحذر, لأنه إذا اتفقنا على أن الرجال يفضلون زمن الماضي على زمن المضارع كما بيناه سابقًا من خلال ترددات كلا الفعلين, فإننا قد نختلف عندما نقول أن جملتهم الفعلية – بناءً على تلك الترددات – كانت أكثر من النساء تردّدًا, وذلك لأنه قد يقول قائل إنك قد أضفت إلى القوائم السابقة (كان وأخواتها) وهي أفعال ناقصة تدخل على الجملة الاسمية فتنسخ إعرابها, وهناك خلاف حول ماهية جملة كان وأخواتها, أتعتبر إسمية أم فعلية؟ والحق أن إدراج كان وأخواتها ضمن القوائم السابقة أمر لا مناص منه, فهي أفعال بإجماع علماء العربية, حيث أنها تتصرف تصرف الأفعال, كما تدخلها تاء الفاعل, وهو الأمر المتعذر على الأسماء والحروف, أضف إلى ذلك أن الغرض من ذكرها هو التعبير عن زمن المعاني التي تقع في خبر المبتدأ, فصارت هي وخبرها دالة على الزمن والحدث معًا, فلو قلت: كان الرجل واقفًا, تكون قد دللت على حدث القيام في زمن الماضي؛ فلكل هذه الاعتبارات وجب أن تكون مع الأفعال[1]؛ وإذا كانت هذه الأفعال تأتي ناقصة في أوقات كثيرة فهي قد تأتي تامة في أوقات أخرى, حيث ترفع الفاعل, شأنها في ذلك شأن غيرها من الأفعال, وحينها تصبح جملتها فعلية ولا جدال في هذا, ولك أن تعلم أنه حتى وهي ناقصة فقد يسمى اسمها فاعلًا وخبرها مفعولًا, وقد وقع ذلك في عبارة المبرد (ت: 286هـ) وكثير من الكوفيين, ولقد قال سيبويه (ت: 180هـ) عن اسمها اسم فاعل, وذلك تشبيهًا له بالفاعل[2].

---

[1] انظر: الوراق (أبو الحسن محمد بن عبد الله ت:381هـ), علل النحو, تحقيق: محمود جاسم محمد, مكتبة الرشد, ط1, الرياض, (1999/1420), (ص: 141)

[2] انظر: السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت:911هـ), همع الهوامع في شرح جمع الجوامع, تحقيق: عبد الحميد هنداوي, المكتبة التوفيقية, القاهرة, (408/1)

والحق أننا لو أخذنا الجانب الشكلي للجملة لصارت جملة كان وأخواتها فعلية لا إسمية, وذلك لأن شرط الجملة الإسمية أن تتصدر بالاسم, وكان وأخواتها من الأفعال, وإذا كان النحاة قد اشترطوا أن تبدأ الجملة الفعلية بالفعل فكان وأخواتها أفعال, وهم – أعني النحاة – لم يشترطوا في هذه الفعل المتصدر أن يكون ناقصًا أو تامًّا؛ وعلى الرغم من ذلك, وحتى لا نُتهم بالشكلية, وحتى لا نتورط في أحكام تحتاج لمزيد من الدرس والاستقصاء, فإننا لن نرجح أيًا من الطرفين, فأما كونها – أعني كان وأخواتها – من الأفعال فلا خلاف في ذلك, وعليه أدرجت بقوائم الأفعال؛ وأما جملتها فإن اعتبرناها فعلية فالنتائج كما سبق بيانه أعلاه, لكن ماذا لو اعتبرت إسمية وطرحت ترددتها من النتائج السابقة؟ هل يتأثر تفوق الرجال في كم تردد الجملة الفعلية وينعكس الوضع فتتفوق النساء مثلًا؟ الحق أنه لن يتغير شيء ذو بال.

إن كم ترددات الأفعال لدى الرجال (225696) فعلًا, وتردد كان وأخواتها لديهم (36001) مرة, وعند فصل جملتها عن جملة الأفعال يصير مجموع الجمل الفعلية دون كان وأخواتها (189695) جملة؛ أما النساء فترددات أفعالهن (66477) فعلًا, وتردد كان وأخواتها لديهن (12598) مرة, وعند فصل جملتها عن جملة الأفعال يصير مجموع الجمل الفعلية دون كان وأخواتها (53879) جملة؛ وبالتالي يظل تفوق الرجال بمقدار (3.5) ضعفًا, أي أنه لم يقل عن تفوقهم قبل الفصل, بل إنه قدزاد, فقد كان مقدار التفوق قبل الفصل (3.3) ضعفًا؛ وحتى معدل تردد الجملة الفعلية داخل الرواية الواحدة بعد الفصل هو الآخر لم يتأثر كثيرًا, فبعد الفصل يصير معدل الجملة الفعلية بالرواية الواحدة لدى الرجال (4123) جملة, أما معدلها بالرواية الواحدة لدى النساء فيصير (2835) جملة, أي يظل التفوق الذكوري في استخدام الجمل الفعلية وبمقدار (1288) جملة, وهو ما لا يختلف كثيرًا عن معدل تفوقهم قبل الفصل.

وعليه فالخلاف حول طبيعة جملة كان وأخواتها لن يؤثر في طبيعة نتائج التحليل, وما انطبق على كان وأخواتها ينطبق على أفعال الرجاء والمقاربة والشروع, فعند حذف ترددتها هي الأخرى لن تتأثر النتائج في كثير, وإنما كان التركيز على كان وأخواتها لما لها من تردد كثيف داخل الخطاب الروائي, فهي أكثر فعل تردد لدى الرجال والنساء في زمن الماضي, كما أنها ثاني أكثر فعل تردد في زمن المضارع.

2. الرجل والمرأة والجملة الإسمية

2.1 الجملة الإسمية المتصدرة بالضمير

الرجال				النساء			
الضمير	التكرار	الضمير	التكرار	الضمير	التكرار	الضمير	التكرار
هو	10639	أنتم	242	هو	2014	هما	128
أنا	6844	هما	214	هي	1871	هن	47
هي	6792	إيّا	95	أنا	1683	أنتم	32
أنت	3736	هن	52	أنت	643	إيّا	10
هم	1173	أنتما	14	هم	339	أنتما	5
نحن	1094	أنتن	4	نحن	332		

النتائج:

1) استخدم الرجال (12) ضميرًا, بينما استخدمت النساء (11), فالضمير (أنتن) لم تستعمله النساء مطلقًا.

2) بلغ مجموع ترددات الجملة الإسمية المتصدرة بالضمير لدى الرجال (30899) جملة, بينما بلغ حجم ترددها لدى النساء (7104) جملة, بتفوق ذكوري يصل إلى (23795) جملة, أي أن الرجال يتفوقون بمقدار (4.3) ضعفًا.

2.2 الجملة الإسمية المتصدرة بالعوامل اللفظية

2.2.1 الجملة الإسمية المتصدرة بـ (كان وأخواتها)[1]

الرجال				النساء			
العامل اللفظي	التكرار	العامل اللفظي	التكرار	العامل اللفظي	التكرار	العامل اللفظي	التكرار

[1] يلاحظ أننا قمنا بدمج ترددات كان وأخواتها, فدمجنا الماضية بالمضارعة بمن جاء منهم على صيغة الأمر, وهي (كن) فقط, وذلك طالما قد ورد الفعل ناقصًا, داخلًا على الجملة الإسمية, ناسخًا لها, أما ما كان منها تامًا له فاعل فتمت تنحيته, ولقد كان قليلًا للغاية.

كان	26621	ما دام	230	كان	10087	أمسى	6
صار	2999	أمسى	12	ليس	993	بات	4
ليس	1722	أضحى	6	صار	727	أضحى	4
أصبح	1687	لا يبرح	6	ظل	330	لا يبرح	1
ظل	1582	ما فتئ	4	أصبح	229	لا ينفك	1
ما زال	721	لا ينفك	3	ما زال	211		
بات	479			ما دام	36		

النتائج:

1(لقد استخدم الرجال كان وكل أخواتها دون استثناء, بينما لم تستخدم النساء (ما فتئ) مطلقًا, في حين استخدمها الرجال بصيغتيها الماضية والمضارعة, وهو ما يزال يدعم القول برغبة الرجال في إحياء القديم من الألفاظ والتراكيب لضرورة التجديد اللغوي.

2(بلغ مجموع الجملة الاسمية المتصدرة بـ (كان وأخواتها) لدى الرجال (35998) جملة, في مقابل (12596) لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (23402) جملة, وهذا التفوق يقارب بشدة نتائج التحليل السابق والخاص بالجملة الإسمية المتصدرة بالضمير.

3(تفوق الرجال على النساء في استخدام الجمل الإسمية المتصدرة بكان وأخواتها جاء بمقدار (2.8) ضعف

2.2.2 الجملة الإسمية المتصدرة بأفعال المقاربة والرجاء والشروع[1]

الرجال		النساء	
العامل اللفظي	التكرار	العامل اللفظي	التكرار
راح	1769	راح	351
كاد	1465	كاد	203
بدأ	782	بدأ	116
أخذ	582	أخذ	48
جعل	231	أوشك	25

[1] يلاحظ أنه قد تم دمج ترددات الماضي بالمضارع في تلك الأفعال كما كان الوضع مع (كان وأخواتها), غير أن الوضع هنا أسهل كثيرًا, حيث أنه لا يأت المضارع إلا من كاد وأوشك فقط.

أوشك	176	شرع	6
شرع	171	عسى	4
عسى	17	جعل	1
طفق	3	طفق	1

النتائج:

بلغ مجموع الجمل الاسمية المتصدرة بأفعال الرجاء والمقاربة والشروع لدى الرجال (5196) جملة, في مقابل (755) جملة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (4441) جملة, أي أن إنتاج الرجال أكثر من إنتاج النساء بمقدار (6.8) ضعفًا, وهو فارق ضخم للغاية.

2.2.3 الجملة الإسمية المتصدرة بـ (إن وأخواتها)[1]

الرجال		النساء	
العامل اللفظي	التكرار	العامل اللفظي	التكرار
إن	18135	إن	7635
لكن	6093	لكن	918
كأن	3433	كأن	783
إنما	695	لعل	101
لعل	618	كأنما	44
كأنما	125	ليت	6
ليت	77	إنما	6

النتائج:

[1] سيتم إدراج (إنما وكأنما) الداخلة على الجملة الاسمية فقط, فمعلوم أن (ما) الكافة عندما تدخل على (إن) فهي تبطل عملها, ووقتها لا تختص (إن) بالجملة الاسمية, لذا أدرجنا منها ما دخل على الجملة الاسمية فقط؛ كما يجب أن ننوه أنه تم الفصل بين (إن) الداخلة على الجملة الاسمية, عن (إن) الشوطية, عن (أن) الناصبة للمضارع, ولقد اضطررنا لذلك على الرغم مما تتطلبه من جهد عسير.

1(بلغ مجموع الجمل الإسمية المتصدرة بـ (إن وأخواتها) لدى الرجال (29176) جملة, في مقابل (9493) جملة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (19683) جملة, أي أن إنتاج الرجال جاء أكثر من إنتاج النساء بمقدار (3) أضعاف.

2(وعلى جميع ما سبق يصبح مجموع الجمل الإسمية المتصدرة بالعوامل اللفظية لدى الرجال (70370) جملة, في مقابل (22842) جملة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (47528) جملة, أي أن إنتاج الرجال جاء أكثر من إنتاج النساء بمقدار (3) أضعاف. وعليه يظل الرجال متفوقون على صعيد الجملة الإسمية المتصدرة بالعامل اللفظي كما كانوا متفوقين على صعيد الجملة الفعلية, بل وبنفس النسبة, وهي الثلاثة أضعاف, بل قد نذهب إلى أكثر من ذلك, فعند دمج ترددات الجملة الإسمية المتصدرة بالضمير مع الجملة الإسمية المتصدرة بالعامل اللفظي يصير لدينا (101269) جملة لدى الرجال, في مقابل (29948) جملة لدى النساء, ليتفوق الرجال بمقدار (3.3) ضعفًا, وهي عين النسبة التي خلصنا إليها في تحليلنا للجملة الفعلية, لتظل النتائج تتضافر على أن الرجال يتفوقون في الإنتاج اللغوي على النساء بمقدار (3) أضعاف, سواء كان هذا الإنتاج على مستوى الكلمة كما رأينا في الفصل الأول, وذلك حين أنتج الرجال ثلاثة أضعاف ما أنتجته النساء من كلمات, أو كان على مستوى الجملة كما رأينا في هذا الفصل.

وقد يعتقد البعض أن هذا أمر طبيعي, فما دام الرجال قد تفوقوا على صعيد الكلمات بهذا القدر فهم بالتبعية سيتفوقون على صعيد الجمل, وبالقدر نفسه أيضًا, وهذا التوهم غير صحيح, فقد ينتج المرء كمًّا أكبر من الكلمات لكنه أدنى في عدد الجمل, والعكس صحيح أيضًا, ولك أن تنظر إلى التالي:

قالت رضوى عاشور في تقريرها: "**تطلعت إلى ساعتها, قفزت من مقعدها, سيختل الجدول, سكبت الطعام, جلس الأولاد للغداء, انتهوا من وجبتهم**"[1] (عدد الكلمات = 16, عدد الجمل = 6)

وقالت ميرال الطحاوي في خبائها: "**يضحك من قلبه بفرح, ثم يضعني, يجلس, يخلع عقاله فيبدو أصغر سنًّا, يرفع كوفيته البيضاء على رأسه**"[2] (عدد الكلمات = 17, عدد الجمل = 6)

وقال بهاء طاهر في واحته: "**لا يعلق بشيء ولا ينظر نحوي بل يقلب في الملف الآخر المكتوب عليه بخط كبير بالإنجليزية "واحة سيوة"**"[1] (عدد الكلمات = 18, عدد الجمل = 3)

---

[1] تقارير السيدة راء ص: 76

[2] الخباء ص: 40

وقال خوي شلبي في صحوائه: **"لم أكن أود معرفة هذه الشخصية, بل تجنبتها من أول وهلة حتى قبل أن أعرف عنها أي شيء"**[2] (عدد الكلمات = 18, عدد الجمل = 3)

ليصبح مجموع الكلمات لدى المرأتين (33) مكونين بها (12) جملة, هذا في حين كان مجموع الكلمات لدى الرجلين (36) مكونين بها (6) جمل فقط.

وها نحن نرى أن الرجال أنتجوا في الأمثلة السابقة عددًا أكبر من الكلمات لكن أقل من حيث الجمل,وعلى النقيض نجد أن النساء أنتجت كمًّا أقل من الكلمات لكن أعلى من حيث التراكيب, لتصل إلى الضعف,وعليه فكم إنتاج الكلمات لا يعبر عن كم إنتاج الجمل بالضرورة.

3. الرجل والمرأة والأساليب النحوية

3.1 الرجل والمرأة وأسلوب المدح والذم

الرجال		النساء	
فعل المدح / الذم	التكرار	فعل المدح / الذم	التكرار
حبذا	44	-	0
نِعم	24	-	0
بئس	1	-	0

النتائج:

[1] واحة الغروب ص: 11

[2] صحواء المماليك ص: 5

1(بلغ مجموع ما أنتجه الرجال من هذا الأسلوب النحوي (69) جملة, بينما النساء على الجانب الآخر لم تستعمله مطلقًا.

2(معلوم أن أسلوب المدح والذم من الأساليب اللغوية القديمة, والشبه منقرضة حديثًا, ومعنى أن الرجال يستخدمونها دون النساء أن الرجال يعملون على إحياء الكلمات والتراكيب النحوية القديمة بغية التجديد اللغوي, أما المرأة فهي تتجنب غالبًا كل ما هو قديم لغويًّا, كأمثال هذا الأسلوب, كما أنها – من ناحية أخرى – تتجنب ابتكار الجديد, فهي غالبًا ما تسير في المنطقة الوسطى من اللغة.

3.2 الرجل والمرأة وأسلوب القسم

الرجال							
القسم	التكرار	القسم	ت	القسم	ت	القسم	ت
والله	924	وحياة والدك	5	ورب النبي	2	وحق مولانا الحسين	1
بالله	347	والمصحف	4	وحياة سيدنا الحسين	2	وحق أبنائي	1
بحق الله	52	وحياتي	4	وما أعبد	2	بحق الديانة	1
والنبي	42	وتربة أمي	3	ورحمة أبي	2	ويمين المصحف	1
وربنا	42	وحياة النبي	3	ورأس أبي	2	تالله	1
ورحمة الله	23	وحياة أبوك	3	والمرسي أبو العباس	2	وحياة جناب الله	1
بذمتك	19	وحياة أمك	3	والمصحف	2	وحياة دين النبي	1
علي الطلاق	14	وديني	3	وشرف أمي	2	وحياة المصطفى	1
وحق الله	10	وحق سيدي أبو المكارم	3	وحق جاه النبي	1	وحياة سيدي عبد الرحيم	1
وحق جلال الله	9	وحق النبي	3	بحق صداقتنا	1	وحياة رأس أبي	1
وحياتك	7	بحق العيش والملح	2	بحق جلال الله	1	ورحمة أبيك	1
وحق من جمعنا	7	بحق النبي	2	وحق الواحد	1	ورحمة المرحوم	1
وحق هذه الليلة	6	وحق الرب	2	وحق رءوس أولادي	1	علي الحرام	1
بحق جاه النبي	6	وحق صلاتي	2	بحق سيدي العتريس	1	وديانتي	1
وكتاب الله	6	وحق سيدي عبد الرحيم	2	بحق الأبالسة	1	بذمتي	1
وحق كتاب الله	5	وحق جلال البارئ	2	وحق أشرف خليقة الله	1	وحياة رأس أبيك	1

بحق الشيطان	5	وحق هذا المصحف	2	وحق سيدي جلال	1

النساء							
القسم	التكرار	القسم	التكرار	القسم	التكرار	القسم	التكرار
والله	133	بالله	45	والنبي	4	وحياتك	2

النتائج:

1(استخدم الرجال (67) شكلًا من أشكال القسم, في حين استخدمت النساء (4) أشكال فقط, ليتفوق الرجال بمقدار (63) شكلًا.

2(بلغ مجموع قسوم الرجال (1613) قسمًا, في مقابل (184) قسمًا لدى النساء, ليصل تفوق الرجال على النساء إلى (8.7) ضعفًا.

3(بلغ معدل ورود أسلوب القسم في الرواية الواحدة لدى الرجال (35) مرة, في حين بلغ معدل ورود هذا الأسلوب في الرواية الواحدة لدى النساء إلى (9) مرات فقط, أي أن معدل الرجال جاء أكبر من معدل النساء بمقدار (3.8) ضعفًا.

4(إن القسم يحدث – عادة – عندما يواجه الإنسان ضغطًا ما, لذا يصبح استخدام القسم نوعًا من العلاج لهذا الضغط, فالقسم يحررنا من هذا الشعور الضاغط خاصة عند مواجهة تهديد معين, فالقسم في مواجهة أحد الأشخاص يعني أن هذا الشخص يمثل تهديدًا, لذا يلجأ الشخص إلى القسم للسيطرة على هذا التهديد أو الهجوم المحتمل من المُهدِّد وإيقافه؛ لكن ليست كل القسوم تسير على هذا المنوال, فالقسم قد يستخدم كشكل من أشكال العدوانية والعنف, وذلك مثلما يقسم الرجل في مواجهة زوجته (علي الطلاق), وكما يقسم صاحب العمل في وجه عامله (والله لئن لم تفعل...), هنا يصبح القسم نوع من أنواع العدوانية والعنف اللفظي.

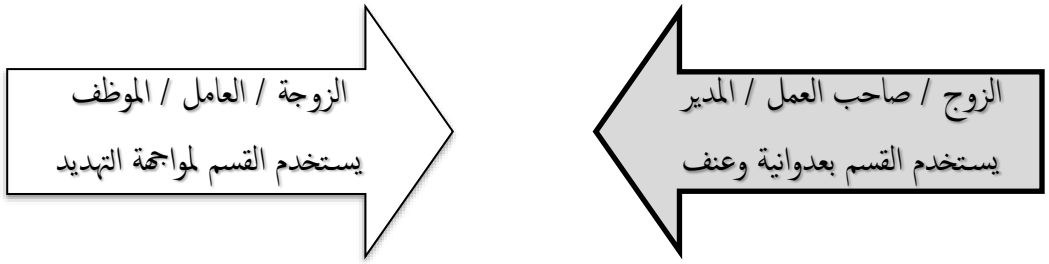

(شكل رقم: 35)

وعليه يصبح استخدام القسم – في الغالب – مرتبطًا بالمواقف التنافسية / التشاحنية, وبما أن هذه المواقف غالبًا ما يكون أحد أطرافها رجل, ذلك أن التنافسية والتشاحن بين النساء أضعف من حيث حجم مساحتها ودرجة قوتها مقارنة بما هو متحقق لدى الرجال, وبما أن التنافسية جزء من طبيعة الرجل كان من الطبيعي أن ترد تلك التنافسية وهذا التشاحن بغزارة داخل خطابه الروائي, وهذا ما استتبع بالضرورة غزارة القسوم المستخدمة داخل الخطاب, سواء كانت من حيث كم الإنتاج أم من حيث حجم التردد. والحق أن كثيرًا من الدراسات الغربية قد أثبتت ما تثبته الدراسة الحالية من كون الرجال أكثر استخدامًا لأسلوب القسم, ولك أنت تنظر في ذلك للأعمال التالية: [Bailey and Timm (1976), Jay (1996), McEnery (2005) , Mehal and Pennebaker (2003), Guvendir (2015)]

5(الملاحظ على قسوم النساء أنها من نوعية القسوم اللغوية المنتشرة على الألسنة والمتوسطة الحدة / القوة, وذلك مقارنة بقسوم الرجال التي اتسمت بعضها بالحدة الشديدة مثل: علي الطلاق, علي الحرام من ديني, وشرف أمي ... إلخ, بل إن بعض قسوم الرجال قد كان متطرفًا للغاية مثل: بحق الشيطان, بحق الأبالسة.

6(وإذا كنا قد برررنا لم يستخدم الرجال دون النساء القسم بشكل كبير,ولاحظنا أن السبب يكمن في التنافسية الشديدة بين الرجال, يبقى أن نعلل لم كان الرجال دون النساء أكثر استعدادًا لتلك التنافسية والحدة, والتي تتطلب استخدام القسوم بشكل كبير؟ أولًا يجب أن نعترف بأن القسم يعتبر من السلوكيات اللغوية العنيفة aggressive والتي تتصل بالتعبير عن العواطف القوية,ولأن الذكور أكثر قوة وعدوانية من الإناث فهم الأكثر استعدادًا للنطق بألفاظ القسم القوية, لكن يبقى سؤال: لِم كان الرجال أكثر عدوانية وعنفًا من الإناث؟ إن الذي يجعلهم أكثر استعدادًا لاستعمال القسم هو التركيب الفسيولوجي لدماغ brain الذكور, والذي يختلف نوعيًّا عن تركيب دماغ الأنثى, فدماغ الذكور يميل لخلق السلوك العدواني القوي أكثر من النساء, فقد أثبتت الدراسات في مجال التشريح

العصبي للمخ البشري أن العدوانية لدى الرجال ترجع لصغر القشرة المخية الجبهية[1] Orbitofrontal Cortex مقارنة بحجمها لدى النساء[2], فتلك القشرة هي المسئولة عن تنظيم الاستجابات العاطفية, وصغر حجمها لدى الرجال هو ما يجعلهم أكثر استجابة للعدوانية والعنف[3].

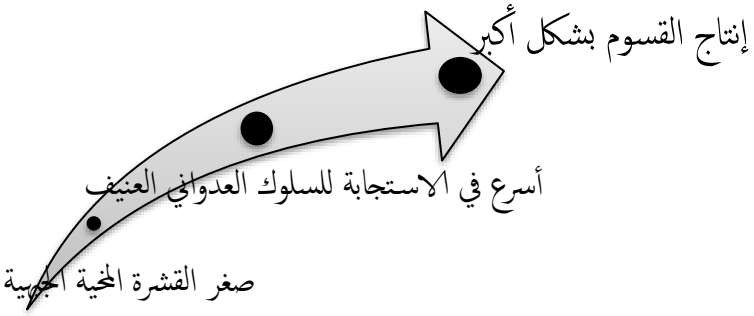

(شكل رقم: 36)

3.3 الرجل والمرأة وأسلوب الاستفهام

الرجال				النساء			
الأداة	التكرار	الأداة	التكرار	الأداة	التكرار	الأداة	التكرار
هل	4313	متى	335	هل	1760	كم	87
كيف	2330	أي	135	كيف	761	أي	61
ماذا	1486	بماذا	35	لماذا	753	أية	21
لماذا	1459	أية	14	أين	413	بماذا	7
أين	786	بم	6	ماذا	372	بم	1
أ	451	بكم	3	متى	126	بكم	0

[1] وتسمى أيضًا بالقشرة الحجاجية الجبهية, وهي منطقة من الدماغ موجودة فوق العين, في الفص الجبهي للمخ, ويرتبط عملها بالتكامل الحسي, والتوقع, وصنع القرار.

[2] Gur, R.C.; Gunning-Dixon, F.; Bilker, W.B.; and Gur, R. E. (2002): Sex differences in temporolimbic and frontal brain volumes of healthy adults. Cereb: Cortey, 12,998-1003

[3] See: Herpertz, S.C.; Nagy, K.; Ueltzhoffer, K.; Schmitt, R.; Mancke, F.; Schmahl, C.; Bertsch, K. (2017): Brain mechanisms underlying reactive aggression in borderline personality disorder-sex matters. Biological Psychiatry.

كم[1]	403	أ	103

النتائج:

1(بلغ مجموع تردد هذا الأسلوب لدى الرجال (11756) مرة, في مقابل (4465) لدى النساء, أي أن إنتاج الرجال جاء أكثر من النساء بمقدار (2.6) ضعفًا.

2(وهذه النتيجة تناقض ما ادعاه بعض الباحثين الغربيين في هذا الشأن[2], ومن الحق أن هناك العديد من الدراسات الغربية الحديثة قد توصلت إلى نتائج مشابهة لما توصلت إليه الدراسة الحالية, ففي دراسة لكم الأسئلة المطروحة من الرجال والنساء في اجتماعات السيمنار وُجِد أن الرجال أكثر تسؤلًا من النساء بمقدار (2.5) ضعفًا[3], وتوصلت دراسة أخرى إلى نفس النتيجة, وذلك حينما درست كم الأسئلة المطروحة من الرجال والنساء في المؤتمرات العلمية[4].

وبعيدًا عن تلكم الدراسات التي كانت مادتها حوارات منطوقة نقول: إن استخدام تقنية السؤال داخل الخطاب الروائي تأتي غالبًا على شكلين, فإما أن تكون جزءًا من جمل حوارية dialogue تدور على ألسنة الشخصيات, وإما أن تكون جزءًا من حوار داخلي monologue يدور داخل وعي الشخصية, وعلى هذا الفهم لطبيعة حضور أسلوب الاستفهام داخل الخطاب الروائي نقدم أنموذجين يوضحان مدى صحة النتائج السابقة.

---

[1] يلاحظ أنه قد تم الفصل بين كم الاستفهامية ونظيرتها الخبرية, ولقد وردت الخبرية لدى الرجال (91) مرة في مقابل (32) مرة لدى النساء.

[2] انظر التمهيد / الاختلاف اللغوي بين الرجل والمرأة / اختلاف الأسلوب الكلامي.

[3] Women much less likely to ask questions in academic seminars than men. University of Cambridge. 27 spt, 2018. Science Daily.com

[4] Hensley, A.; Sutherland, W.J.; Johnston, A. (2017): Men ask more questions than women at a scientific conference. Journals.Plose.org

(1) أنموذج الحوار الخارجي Dialogue

ففي رواية "نقطة النور" لبهاء طاهر ورد حوار على مساحة صفحة ونصف تقريبًا, وذلك عندما تقدم شعبان لخطبة فوزية[1], وفي هذا الحوار تم طرح (11) سؤالًا من قِبل أهل العروس على شعبان؛ أما على الجانب الآخر فنجد في رواية "خديجة وسوسن" لرضوى عاشور حوارًا على مساحة الحوار نفسها (صفحة ونصف تقريبًا), وفي مناسبة شبيهة بالمناسبة السابقة, وذلك حين تقدم مجدي لخطبة زينب[2], غير أن أهل العروس هنا طرحوا على مجدي (8) أسئلة فقط.

(2) أنموذج الحوار الداخلي Monologue

والحوار الداخلي هو حوار الشخصية مع نفسها, حيث ينقل لنا الراوي ما يدور داخل وعي الشخصية من كلام, وبتطبيق نفس الشروط السابقة نجد في رواية "نقطة النور" حوارًا داخليًا قد شغل مساحة (8) أسطر, قام فيه سالم بطرح (10) أسئلة على نفسه[3], بينما نجد في رواية "خديجة وسوسن" حوارًا داخليًا قد شغل المساحة نفسها, بيد أن خديجة قد طرحت فيه (5) أسئلة فقط[4].

وعلى جميع ما سبق لا نستطيع إلا وأن نميل مع القول بأن الرجال أكثر من النساء طرحًا للأسئلة.

3.4 الرجل والمرأة وأسلوب النداء

الرجال		النساء		الرجال		النساء	
الأداة	التكرار	الأداة	التكرار				
يا	14231	يا	2718	الندبة			
اللهم	225	أيها	18	وا حسرتاه	1	-	0
أيها	142	اللهم	18	الاستغاثة			
أيتها	20	أيتها	9	يا لله	1	-	0

(1) نقطة النور ص: 28

(2) خديجة وسوسن ص: 46

(3) نقطة النور ص: 64

(4) خديجة وسوسن ص: 48

يأيتها	1	-	0				
يأيها	1	-	0				

النداء التعجبي

الرجال		النساء		الرجال		النساء	
يا للعجب	25	-	0	يا للشؤم	1	-	0
يا للغرابة	10	-	0	يا للتعاسة	1	-	0
يا للمصيبة	7	-	0	يا للبجاحة	1	-	0
يا للكارثة	6	-	0	يا للوقاحة	1	-	0
يا للمفاجأة	5	-	0	يا للمصادفة	1	-	0
يا للدهشة	4	-	0	يا لجمود قلبك	1	-	0
يا لهم	4	-	0	يا لعمري	1	-	0
يا لهول	4	-	0	يا لكرمك	1	-	0
يا للعار	4	-	0	يا للأهوال	1	-	0
يا للفظاعة	3	-	0	يا للحسرة	1	-	0

النتائج:

1(بلغ حجم استخدام الرجال لهذا الأسلوب (14756) مرة, في مقابل (2763) مرة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (11993) مرة, بما يعني أن إنتاج الرجال كان أكثر من إنتاج النساء بمقدار (5.3) ضعفًا.

2(معدل ورود النداء بالرواية الواحدة لدى الرجال وصل إلى ≃ 321 مرة / الرواية, في حين وصل لدى النساء إلى = 145 مرة / الرواية, بتفوق ذكوري يصل إلى (176) مرة / الرواية.

3(وإذا كان أسلوب النداء غالبًا ما يرد في جمل حوارية تدور بين الشخصيات فإن ذلك يدل على أن الرجال كانوا أكثر من النساء استخدامًا لهذه الجمل الحوارية داخل خطابهم الروائي.

وإليك أنموذجين مما أظهرهما برنامج التحليل لاستخدامات (يا) لدى الرجال / النساء, ندلل بهما على ادعائنا بأن أسلوب النداء كان غالبًا ما يأتي مصاحبًا لجمل حوارية:

من الاعتذارات المحرجة : والله	يا	فلان الرسالة وصلت متأخرة أو
الخواجة ؟ ولكن هل لاحظت	يا	منار أنني أتعامل مع الناس
تقول وسط دموعها حرام عليك	يا	بابا . . سمعتنا يا
يا بابا . . سمعتنا	يا	بابا .. فيعدها وهو يعتذر
وأى حقوق ؟. . انتهى	يا	صاحبى زمن الارتياع عندما ذبحوا
اضحك مع أمك في البيت	يا	شاطر. نظرت الابنة للناحية الأخرى
مصر عند النافورة. أليس كذلك	يا	أبلة؟ - نعم بالطبع، لماذا
نحوها وقالت: - أنت أهلاوية	يا	أبلة؟ فقالت الفتاة : أنت
ما سببه؟ قال سمير: أتذكر	يا	كمال؟.. من أيام المدرسة كنت
.. أنا لست تائها عنكم	يا	أهل الرحبة .. لا غالى
، ثم تقول لمحمود تعلم	يا	أبا حنفى ٠٠ لابد أن

(شكل رقم: 37, وهو الخاص بالرجال)

يوميا إلى جلسة الإشعاع. أقول	يا	حسناء لا داعي. أجلس في
لا تحملا هما. انتبهي لصحتك	يا	دكتورة، وإن شاء الله تقومي
ولذلك حين استقبلنا وقال: أهلا	يا	دكتورة رضوى كان يعرفني، رغم
لكي أقول لنفسي حصل خير	يا	رضوى ها أنت في نهاية
له بصوت واضح: الله يحرقك	يا	سيد، ثم شددت الغطاء على
أن آتي بها. هل يمكن	يا	مي أن تعتني بها؟ عزة
صاح وائل في ابنته: يلا	يا	هند (تبعته هند صاغرة، وقد
ففتحتها فانسكبت عليك. لأسبوعين	يا	مي لم يجد حمام ولا
يعلق، ثم قال بسرعة: طيب	يا	ستي، خلي حريتك تنفعك. ثم
دخلت حتى قال: إيه الحكاية	يا	دكتورة؟ إنت دولة داخل الدولة؟
ليس هناك مقدس إلا القرآن	يا	دكتورة، هذا التعنت في الرأي

(شكل رقم: 38, وهو الخاص بالنساء)

4(والجدير بالملاحظة أن الرجال استخدموا أسلوب الندبة مرة واحدة, وكذلك أسلوب الاستغاثة, كما استخدموا (58) شكلًا مختلفًا من النداء التعجبي, بمجموع تكرارات يصل إلى (134) مرة, هذا في حين أن النساء لم تستخدم أيا من تلك الأساليب داخل أعمالهن الروائية؛ ولا شك من أن أسلوب الندبة, الاستغاثة, وحتى النداء

التعجبي من الأشكال اللغوية القديمة, والتي يفتؤ الرجال يستخدمونها داخل أعمالهم بغية إحيائها, وذلك عملًا منهم على التجديد اللغوي والذي يتطلب ابتكار الجديد وإحياء القديم.

3.5 الرجل والمرأة وأسلوب التعجب

الرجال		النساء	
الصيغة	التكرار	الصيغة	التكرار
سبحان	237	سبحان	21
ما أفعل	97	ما أفعل	5
أفعل بـ	1	-	0

النتائج:

1(استخدم الرجال أسلوب التعجب بصيغته السماعية (237) مرة, في مقابل (21) مرة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (216) مرة, مما يعني أن إنتاج الرجال فاق إنتاج النساء بمقدار (11.2) ضعفًا.

2(وصل معدل التعجب السماعي عند الرجال إلى (5) مرات / الرواية الواحدة, أما معدل النساء فقد وصل إلى مرة واحدة بالرواية الواحدة.

3(استخدم الرجال أسلوب التعجب بصيغتيه القياسيتين (98) مرة, في مقابل (5) مرات فقط لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (93) مرة, مما يعني أن إنتاج الرجال فاق إنتاج النساء بمقدار (19.6) ضعفًا.

4(وصل معدل التعجب القياسي عند الرجال إلى (2.1) مرة / الرواية الواحدة, أما معدل النساء أقل من الصفر بكثير حيث سجل (0.2) مرة / الرواية الواحدة, مما يعني أن أغلب روايات النساء لغتها تخلو من هذا الأسلوب.

5(هذا الأسلوب – وخاصة صيغة (أفعل بـ) – ينسجم مع استخدامات الرجال للندبة, الاستغاثة, والنداء التعجبي, وغيرها من التراكيب القديمة التي يعمل الرجال على إحيائها.

القسم الثاني: اختلاف الجملة بين الرجل والمرأة على صعيد العينة

لقد تم اختيار عينة متوازنة بشكل كبير بين الرجال والنساء, وذلك بغية تحليل جملها على غوار ما تم في القسم السابق, لكن مع التركيز على أنواع الجمل التي لم نستطع – لضخامة المادة – أن ندرسها بها. وهذه العينة قد ضمت من جانب الرجال: رواية "خالتي صفية والدير" لبهاء طاهر, وقد بلغ عدد صفحاتها (120) صفحة من الحجم المتوسط؛ وتاريخ أولى طبعاتها كان العام (1991), بالإضافة إلى مجموعة خيري شلبي القصصية "أسباب للكي بالنار", وقد بلغ عدد صفحاتها (106) صفحة من الحجم المتوسط, وتاريخ أولى طبعاتها كان العام (1988). أما من جانب النساء فضمت: رواية "نقوات الظباء" لميرال الطحاوي, وقد بلغ عدد صفحاتها (125) صفحة من الحجم المتوسط, وتاريخ أولى طبعاتها كان العام (1999), بالإضافة إلى مجموعة رضوى عاشور القصصية "رأيت النخل", وقد بلغ عدد صفحاتها (102) صفحة من الحجم المتوسط, وتاريخ أولى طبعاتها كان العام (1988). وعلى الرغم من أن العينة – كما نرى – متوازنة بشكل كبير إلا أن نتائجها التحليلية تكاد تتطابق والنتائج التحليلية للمادة ككل, وهذا أمر مثير للدهشة, فكون الرجال متفوقين في الإنتاج اللغوي على صعيد المادة ككل هو أمر طبيعي, فقد قدموا (46) عملًا روائيًا في مقابل (19) فقط لدى النساء, فتفوقهم من هذه الناحية أمر مقبول, أما أن تظهر نفس النتائج – تقريبًا – داخل عينة مدخلاتها القصصية متساوية, اثنان من كل طرف, بعدد صفحات متساوٍ تقريبًا, ويظل التفوق الذكوري حاضرًا فهذا أمر مثير للغاية. وانظر إلى الإحصاء التالي:

العينة	الرجال	النساء
عدد الكلمات	45752	30862
الكلمات غير المكررة	14382	12704
الكلمات المكررة	31370	18158
ن.م للكلمات غير المكررة	31.40%	41.10%
ن.م للكلمات المكررة	68.50%	58.80%

فارق ن.م للكلمات الغير مكررة	-	9.7%
فارق ن.م للكلمات المكررة	9.7%	-
المادة ككل		
فارق ن.م لغير المكرر بالمادة ككل	-	8%
فارق ن.م للمكرر بالمادة ككل	8%	-

(شكل رقم: 39, ن.م = نسبة مئوية)

وها نحن نرى أن تحليل العينة يفرز ما أفرزته المادة من قبل, فعلى الرغم من التقارب في مدخلات العينة إلا أن الرجال كانوا الأكثر في الإنتاج اللغوي, وبزيادة تصل إلى (15070) كلمة,ولأن هذا الفارق في الإنتاج اللغوي كبير للغاية, نرى الرجال تفوقوا في كم الكلمات غير المكررة أيضًا, بيد أن هذا التفوق لا يتناقض وما ذهبنا إليه سابقًا من أن النساء أكثر من الرجال تفوقًا في هذا الجانب, وذلك لأننا عند حساب النسبة المئوية للكلمات غير المكرر بالنسبة لكم الكلام المنتَج نجد أن نسبة النساء أكبر من نسبة الرجال بفارق كبير, يصل إلى (9.7%), وهي تقريبًا عين النسبة المئوية التي أفرزتها المادة ككل كما هو موضح أعلاه؛ وما ينطبق على غير المكرر ينطبق على المكرر, حيث تفوق الرجال هنا كما تفوقوا هناك, وبنسبة ضخمة أيضًا, تصل إلى نفس نسبة تفوق النساء على الرجال في جانب غير المكرر.

1. الرجل والمرأة والجملة الفعلية

أنتج الرجال (3867) جملة فعلية[1], في مقابل (2556) جملة فعلية أنتجته النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (1311) جملة, وهي تقريبًا ذات الزيادة التي قرناها بالقسم الأول عند تحليل للجملة الفعلية على صعيد المادة ككل, فقد كان معدل زيادة الجملة الفعلية لصالح الرجال بمقدار (1288) جملة.

1.1 الجملة الفعلية المتصدرة بفعل يتعدى إلى مفعولين

أنتج الرجال (61) جملة يتعدى فعلها إلى مفعولين, في مقابل (39) جملة لصالح النساء.

1.2 الجملة الفعلية المتصدرة بفعل مبني للمجهول

أنتج الرجال (30) جملة متصدرة بفعل ماض مبني للمجهول, في مقابل (2) فقط لصالح النساء, كما أنتج الرجال (13) جملة متصدرة بفعل مضارع مبني للمجهول, في مقابل (16) جملة لصالح النساء؛ ليصير مجموع ما أنتجه الرجال من جمل فعلية متصدرة بفعل مبني للمجهول (43) جملة في مقابل (18) جملة لصالح النساء.

[1] يلاحظ أننا قرنا هنا بالجمل الفعلية المتصدرة بفعل تام فقط.

2. الرجل والمرأة والجملة الاسمية

الجملة الاسمية المكونة من مسند إليه ومسند, والمسند إليه ليس ضميرًا

استخدم بهاء طاهر في رواية "خالتي صفية والدير" (141) جملة اسمية من هذا النوع, بينما استخدم خيري شلبي في مجموعته "أسباب للكي بالنار" (174) جملة, ليصبح مجموع الجلمل الاسمية لدى الرجال (315) جملة؛ وعلى الجانب الآخر نجد مريد الطحاوي قد استخدمت في روايتها "نقوات الظباء" (274) جملة اسمية, بينما استخدمت رضوى عاشور في مجموعتها "رأيت النخل" (176) جملة, ليصير مجموع الجمل الاسمية لدى النساء (450) جملة,وعليه تتفوق النساء على الرجال في هذا النوع من الجمل الاسمية بمقدار (1.4) ضعفًا.

3. الرجل والمرأة والجملة المنفية

وهي الجملة المتصدرة بأداة نفي كـ (لا – لم – لن ... إلخ), وقد بلغ ترددها لدى الرجال إلى (837) جملة, في مقابل (554) جملة لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (1.5) ضعفًا.

4. الرجل والمرأة والجملة الشرطية

وهي نوعان: الأولى متصدرة بأداة شرط جازمة,والثانية تتصدر بأداة شرط غير جازمة؛ فمن النوع الأول أنتج الرجال (20) جملة, في مقابل (4) فقط لدى النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (5) أضعاف؛ أما النوع الثاني فقد أنتج منه الرجال (155) جملة, في مقابل (78) جملة لصالح النساء, بتفوق ذكوري يصل إلى (1.9) ضعفًا.

5. الرجل والمرأة والجملة الاعتراضية

وهي الجملة التي تأتي في أثناء الكلام فتوقف تدفقة, فهي تعترض مجرى الكلام المتصل, وشرطها ألا يكون لها محل من الأعراب[1], ولقد وردت هذه الجملة في رواية بهاء طاهر "خالتي صفية والدير" (4) مرات, وفي مجموعة خيري شلبي "أسباب للكي بالنار" (21) مرة, ليصل مجموع الجمل الاعتراضية لدى الرجال (25) جملة؛ وعلى الجانب الآخر نجد مريد الطحاوي استعملتها برواية "نقوات الظباء" (6) مرات, بينما استعملتها رضوى عاشور بمجموعتها "رأيت النخل" (22) مرة, ليصل مجموع الجمل الاعتراضية لدى النساء (28) جملة.

---

[1] ابن هشام (عبد الله جمال الدين بن يوسف, أبو محمد الأنصاري) (ت: 761هـ), مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, بيروت, (1411هـ/ 1991م), ص: 446

وقد يبدو تفوق النساء ضئيلًا للغاية بالعينة, لكنه يظل تفوقًا, والحق أنه من خلال قراءاتنا المتعددة للمادة نشعر أن استخدام النساء لهذه الجمل كان أكثر من الرجال, لكنولأننا لا نستطيع الاعتماد على الشعور بالأبحاث العلمية,ولأن الإحصاء الدقيق داخل المادة ككل أمر متعذر للغاية[1], فسنكتفي بما أفرزته العينة.

القسم الثالث: جملة المرأة

1. التنظيم بالوصف في مقابل التنظيم بالإتباع Parataxis vs Hypotaxis

قد لاحظنا أن هناك نوعين من التنظيم الجملي يخضع لهما الخطاب الروائي الممثل للمادة قيد الدراسة,وهما ما يطلق عليه التنظيم بالوصف Parataxis والتنظيم بالإتباع Hypotaxis , لكن بدايةً لا بد من التعرف على معنى هذين النوعين من التنظيم الخاص بالجمل قبل أن نعرف أيهما يكثر عند الرجال / النساء أو يقل.

أما Parataxis فهي كلمة مكونة من مقطعين, السابقة اليونانية –Para وتعني: بجانب, ثم كلمة taxis وتعني تنظيم؛ أما Hypotaxis فهي الأخرى مكونة من السابقة اليونانية –Hypo والتي تعني: تحت, ثم كلمة taxis / تنظيم[2]. وعليه فالمصطلح الأول Parataxis يعني نوعًا من التنظيم يتم بين الجمل النحوية عن طريق رصفها بجانب بعضها البعض دون وجودرابط لغوي يجمع بينها: جملة, جملة [*لارابط لغوي بينهما*], فكل جملة في هذا النوع من التنظيم مستقلة عن الأخرى, فهي لا تتبع ما قبلها, وذلك مثل قولنا: قمت من النوم, ذهبت إلى العمل. وهذا المصطلح Parataxis يطلق في الكتابة الأدبية على الجمل القصيرة – غالبًا –والتي يتم تنسيقها دون وجود روابط لغوية تجمع بينها.

أما المصطلح الثاني Hypotaxis فهو يعني إتباع الجملة بجملة أخرى عن طريقرابط لغوي يجمع بينهما: جملة بعد جملة [*يوجدرابط لغوي يربط بينهما*], وذلك مثل قولنا نفس المثال السابق ولكن بوجود الرابط اللفظي

---

[1] ولو كانت الأعمال الروائية تطبع بعلامات ترقيم صحيحة لكان الأمر أسهل نسبيًا, لكن لله الأمر.

[2] Merriam-Webster's Collegiate Dictionary. 11th ed. 2005. Massachusetts: Merriam-Webster, Incorporated.

فنقول: بعدما قمت من النوم ذهبت إلى العمل. فالرابط اللفظي (بعدما) قام بربط الجملة الثانية بالأولى, وجعلها تابعة لها,ولا يتم معناها بدونها في ظل وجوده,وهذا الرابط هو المفتقد في الشكل الأول[1].

وبالتطبيق على المادة قيد الدراسة نجد أن النساء يكثرن من النوع الأول Parataxis بشكل لافت, أما الرجال فهم دون النساء في الاهتمام بهذا النوع من التنظيم الجملي, بل إنهم يميلون أكثر إلى النوع الثاني Hypotaxis.

ولنعط بعضًا من الأمثلة لنوضح بها كيف تستخدم النساء التنظيم بالرصف داخل خطابهن الروائي:

قالت ميرال الطحاوي في الخباء (ص: 47) "**أسمع تنهدات صوتها تفح بالدموع, أعود لأحتضن وجه صافية الناعس, الحالم بالخفوت, تؤنسني دقات قلبها وأنفاسها الرتيبة, أملُّ, أعاود الزحف إلى بسطة الدار, أسمع وقع قدمه, يخرج من حجرتها بلا نعل ولا عقال, أول مرة أرى رأسه المكشوف وجسده النحيل بلا عباءة ولا سروال, أخفت أكثر, يهرول, يفتح الباب, يئز, أسمع مغلاق بابه**"

وقالت في الباذنجانة الزرقاء (ص: 148) "**تمرين على الواجهات والأثواب ومحلات الهدايا, قلبان متشابكان من الفضة, إطار يصلح لصورة الزفاف, قلب أخر يصلح لصورة ابنتك التي تحلمين بها**"

وكما نرى فالجمل في تلك الفقرات تسير دون رابط يجمع بينها,وإنما هي جمل موصوفة بجانب بعضها البعض تنتقل بنا من صورة إلى أخرى بإيقاع سريع ناتج عن فقدان الروابط اللفظية بين الجمل. وانظر التالي:

قالت رضوى عاشور في أطياف (ص: 10) "**تدخل الحمام, تفرك أسنانها, تغسل وجهها, ترتدي زيها المدرسي وتغادر البيت**"

وقالت في الطنطورية (ص: 73) "**يرفعهما الموج, يغمرهما, يسبحان كأنهما السمك, يتسابقان, يتقافزان, يتشاجران, يعلو صوتهما, ينشر كلامه واضحًا مجلجلًا**" وقالت في الرواية نفسها (ص: 143) "**تنظر المرأة خلفها, ترى الموج يهدر ويموج, تنظر أمامها, تراه, تنظر عن يمينها وعن يسارها, تتطلع في وجوه أبنائها, تراها واضحة كاملة**"

---

(1) See: Masterclass.com/parataxis vs hypotaxis in literature/Nov 8, 2020. And see also: examples.yourdictionary.com/parataxis: Definition, Examples and Why writers use it.

على أن استخدام المرأة للتنظيم بالوصف قد يطول حتى يسود فقرات كاملة كما رأينا بخباء مينوال الطحلوي, وانظر إلى المقطع التالي من تقارير السيدةراء لرضوى عاشور (ص: 76)

"تطلعت إلى ساعتها, قفزت من مقعدها, سيختل الجدول, سكبت الطعام, جلس الأولاد للغداء, انتهوا من وجبتهم, رفعت رقم 2 الأطباق, قام رقم 1 بغسيلها, سمحت لرقم 4 بأن يقضي نصف سابعة في الرسم قبل البدء في كتابة الواجب, جلست راء لتدريس رقم 3 مادة الحساب, استيقظ رقم 7, أتت به راء وقامت بإرضاعه.."

وقالت في الرواية نفسها (ص: 49)

"جاهدت راء في مواصلة القراءة, غالبها النوم, أطفأت المصباح المجاور لسريرها, نامت. لم يدق جارها باب الغرفة ليسأل إن كان بإمكانه المساعدة, انتبهت راء من نومها مفزوعة إلى حد الخرس, كابوس. مجرد كابوس. همهمت. مسحت العرق عن وجهها, قرأت آية الكرسي, تناولت شربة ماء, عادت للنوم."

بيد أن الأمر لدى النساء لا يتوقف عند حدود الفقرة والفقرتين, بل قد يمتد عبر صفحة كاملة موصوف جملها بهذا الشكل التنظيمي, ولك أن تنظر إلى (ص: 112) من تقارير السيدةراء لترى ذلك جليًا, وهي الصفحة التي تبدأ بالمقطع التالي: "أمشي في شارع حمدو, أعبر إلى النهر, أحدق في الظلام الخفيف فأرى ماءه شحيحًا, كأنه جدول, له صوت, أنصت, أمر بقنطرة, ألتصق بجانب الطريق ..." وتستمر الصفحة على هذا المنوال إلى أن تنتهي بالمقطع التالي: "أجلس في مقهى, سأطلب عشاء, لا أطلب شيئا, أغادر, أمشي, أدخل مقهى آخر, أغادره, أجلس على مقعد حجري في الشارع, أدخن سيجارة."؛ على أن هذا الامتداد للتنظيم الموصوف عبر صفحة كاملة لم يأت عن طريق المصادفة, فلقد رصدناه مرة أخرى لدى رضوى عاشور, لكن هذه المرة في روايتها أطياف (ص: 29), و(ص: 242).

لكن يبقى أن نقدم إحصاءً لما قدمته النساء وما قدمه الرجال لهذا النوع من التنظيم الجملي وليس مجرد أمثلة هنا وهناك؛ لكن أولًا لا بد وأن يُعلم بأننا قد اشترطنا أن ما يُحسَب من ضمن هذا النوع من التنظيم يجب ألا يقل عن أربعة جمل متتالية لا أقل, شريطة ألا يربط بينها رابط, وعليه فكلما وجدنا أربعة جمل – وما فوقها بالتبعية – ولا يوجد بينها رابط لغوي اعتُبِرت هذه الجمل موصوفة, أما ما كان أقل من ذلك فهو أقل من أن يحسب من هذا التنظيم الموصوف, وعليه تكون النتائج هي التالي:

لقد استخدمت رضوى عاشور التنظيم بالوصف (151) مرة داخل جميع أعمالها, بمعدل يصل إلى (10) مرات / الرواية الواحدة؛ أما ميرال الطحاوي فقد استخدمته (30) مرة داخل جميع أعمالها, بمعدل يتخطى (7) مرات / الرواية الواحدة. والجدير بالذكر أن التنظيم بالوصف قد ورد في جميع الأعمال النسائية بحيث لم يخل عمل منه, يكثر في بعضها ويقل في البعض الآخر لكنه لا يختفي مطلقًا[1].

وعلى الجانب الآخر فقد نجد أن الرجال يقل لديهم استعمال هذا النوع من التنظيم بشكل ملحوظ, فلقد استخدمه بهاء طاهر (4) مرات فقط, وقد كان ذلك في عملين من أصل (11) عملًا روائيًا قدمها الرجل, أي أن هناك (9) أعمال قد خلت من هذا النوع من التنظيم؛ أما خيري شلبي فلقد استخدم التنظيم بالوصف (28) مرة في (16) عملًا من أصل (35) عملًا ضمتها المادة البحثية له, أي أن هناك (19) عملًا للرجل خلت من هذا التنظيم. وعند جمع ما قدمته النساء وما قدمه الرجال من التنظيم الموصوف نجد الفارق واضحًا, فالرجال استخدموا هذا التنظيم الجملي (32) مرة, بمعدل (0.6) مرة / الرواية الواحدة؛ أما النساء فقد استخدموه (181) مرة, بمعدل (9.5) مرة / الرواية الواحدة, أي أن معدل النساء أكبر من معدل الرجال بمقدار (15.8) ضعفًا.

الكاتب	التنظيم بالوصف Parataxis	المعدل بالرواية الواحدة
بهاء طاهر	4	0.3
خيري شلبي	28	0.8
رضوى عاشور	151	10.1
ميرال الطحاوي	30	7.5
المجموع		

[1] الجدير بالذكر أيضًا أننا قد وجدنا هذا النمط من الجمل وتنظيمها الموصوف في بعض الأعمال النسائية الغربية, ومنها المقطع التالي من كتاب هيلين سيكسو Cixous, H. (المرأة الجديد La Jeune ne'e) (The Newly Born Woman) قالت: "Alors elle, immobile et apparement passive, livree aux regards, qu'elle appelle, qu'elle prend" (p.237) "بعد ذلك, جمدت وبلدت على ما يبدو, ضحية للمحات الخاطفة, هذا ما أسمته, هذا ما أخذته" فهنا نرى رصف الجمل يتم دون رابط بينها, فلا نجد فعلًا = رئيسًا على الرغم من وجود جملتين تابعتين, لذا فعند قرائتنا لهذه الجمل قد نشعر بضياع المعنى من بين أيدينا أو قل قد نشعر بنفاذ الصبر نتيجة هذا التفكك الواقع بين الجمل. Cixous, Helene and Clement, Catherine (1975). La Jeune nee. Paris: Union generale d'editions. (Translated as Cixous, Helene and Clement, Catherine (1986). The Newly Born Woman. Manchester: Manchester University Press.

الرجال	32	0.6
النساء	181	9.5

(شكل رقم: 40)

يبقى أن نعلم ما الذي يعود على الكاتب من تبني نوعًا من التنظيم الجملي دون الآخر؟ فلا شك أن التنظيم بالوصف يعطي إيقاعًا صوتيًا مميزًا يشبه إلى حد كبير الإيقاع الشعري خاصة الشعر الحر, ولك أن تقارن بين قول رضوى عاشور التالي: "**أجلس في مقهى, سأطلب عشاء, لا أطلب شيئًا, أغادر, أمشي, أدخل مقهى آخر**" قارن هذا المقطع بالمقطع التالي, وهو قول لأحد الشعراء في رواية خيري شلبي "موال البيات والنوم" (ص: 152), وذلك لتلمح التقارب الإيقاعي بينهما, قال: "**اخضع, اركع, أولى بك أن تخضع, انظر قدامك خلفك فوقك من تحتك مدفع, لا ترفع رأسك لا ترفع, يقطع**" فالمقطع الشعري السابق جاء على بحر الخبب, حيث خُبن بحر المتدارك في جميع أجزائه تقريبًا, ولو تم تسكين الأفعال المضارعة في مقطع رضوى السابق لصار شعريًا, ومن بحر الخبب أيضًا, فيما عدا الجملة الثانية منه, حيث جاءت من بحر المتقارب.

وبعيدًا عن إيقاع هذا النوع من التنظيم نجد أن له أهمية أخرى مرتبطة بسرعة إيقاعه, فهذا التنظيم يختصر الأحداث وزمن الحكي مما يعطي الجمل سرعة إيقاع ناتج عن إلغاء الروابط اللغوية بين الجمل, والتي بإلغائها ننتقل من صورة / مشهد إلى آخر في سرعة كبيرة تلهث معها الأنفاس, لكن تلك السرعة في الانتقال بين المشاهد قد تولد نوعًا من المطاطية loose قد تشوش القارئ وتسبب له الإرباك, وذلك لأنه لا يوجد رابط بين الأسباب والنتائج داخل التنظيم الموصوف, فالمشاهد مفككة لا يجمع بينها شيء, وهنا مكمن الخطورة, فقد لا يدرك القارئ العلاقة بين هذه المشاهد التي لا يجمع بينها سوى علاقة التجاور, فعندما تقول ميرال الطحاوي في الباذنجانة الزرقاء: "**تمرين على الواجهات... قلبان متشابكان من الفضة, إطار يصلح لصورة الزفاف**" فإن لم يدرك القارئ أن هاتين الجملتين الأخيرتين تابعتان للجملة الأولى فلن يفهم عن الكاتبة شيئًا, فقد لا يدرك المتلقي أن القلبين والإطار اللذين تتحدث عنهما ميرال هما ما تراهما البطلة في الواجهات الزجاجية للمحلات التي تطوف عليها, وهو إن لم يفهم ذلك فسيتشوش, ولن يدرك العلاقة بين هذه الجمل التي لا رابط بينها؛ والحق أننا لو تجاوزنا الكاتبة وقمنا بوضع روابط لفظية بين الجمل لكانت أقرب إلى التناول من وضعها الأصلي, وانظر التالي: "تمرين على الواجهات فتلمحين قلبين متشابكين من الفضة وإطار يصلح لصورة الزفاف"؛ لذا وبسبب التشويش الذي قد يسببه التنظيم بالوصف كان التنظيم بالإتباع أكثر حبكًا ومنطقية منه, وذلك نتيجة وجود الروابط اللفظية, لذا كان هو

الأكثر ملاءمة للحكي الروائي, والذي يعتمد – غالبًا – على عنصر الحبك. ومن مميزات التنظيم بالإتباع أيضًا أنه أكثر انسيابية, حيث تنتقل من مشهد إلى آخر في سهولة ويسر دون أن يصيبك الدوار كما هو الحال مع التنظيم بالوصف, كما أنه لا يشتت الذهن بين أحداث قد تبدو للوهلة الأولى أن لا ثمة علاقة تجمع بينها, كما أنه يوجه القارئ إلى تحليل أعمق للعلاقات بين الجمل, كما يسمح بتسليط الضوء على جملة قد تكون من الأهمية أكثر من أختها, لذا صورها الكاتب في كلامه وجعل الأخرى تابعة لها. وإليك مثال على هذا النوع من التنظيم لتلحظ فيه قدر الانسيابية, وسهولة التناول, وربط الأسباب بالنتائج. قال بهاء طاهر في واحة الغروب (ص: 34)

"ذهبت إلى الصالة حيث تضع القلل في صينية على إفريز الشباك البحري ورفعت القلة التي تبخرها دائما بالمستكة وتغطيها بمفرش رقيق مخرم والتي يبدو فيها الماء بالفعل أبرد من غيرها. صببت الماء في الكوب النحاسي المزخرف بفروع نباتات ملونة ورجعت إلى الغرفة وفي نيتي أن أداعبها عن هذا الكوب الذي لا تشرب إلا منه لأن أبي أهداه لها ذات يوم"

فانظر إلى هذه الانسيابية حيث الانتقال من مشهد إلى آخر في سلاسة شديدة, ولو قيل هذا المقطع بالتنظيم الموصوف دون روابط لفظية لصار المقطع كالتالي: "ذهبت إلى الصالة, القلل في صينية على إفريز الشباك, رفعت القلة المغطاة بمفرش, صببت الماء في الكوب النحاسي, رجعت إلى الغرفة", والفارق واضح بين المقطعين, الأول منساب يتبع أوله آخره, أما الثاني فمتقطعة مشاهده لغياب الروابط.

يبقى أن نقر بأن التنظيم بالإرصاف –ولأنه ينسق الجمل ويجعلها متساوية وزنًا equal weight, وغالبًا ما تأتي جمله قصيرة للغاية, كما أنها لارابط لغوي يجمع بينها – يضمن لجمله أن تكون أقل تعقيدًا من الناحية النحوية مقارنة بالتنظيم بالإتباع, وذلك لأن إتباع الجملة بالجملة والربط بينهما برابط يجعلها أكثر تعقيدًا, ومما يزيده تعقيدًا زيادة حجم جمله, والتي هي غالبًا ما تكون أطول من تلك المستخدمة في الإرصاف. وما دام الأمر كذلك, وكان التنظيم بالإتباع هو التنظيم الذي يعتمده الرجال أكثر من النساء, والتنظيم بالإرصاف تكثر منه النساء دون الرجال, تكون جملة الرجل أشد تعقيدًا من جملة المرأة, وتميل المرأة للجملة الأقل تعقيدًا من الناحية النحوية أكثر من الرجل.

ومن الحق أنني لست بدعًا من الباحثين في ملاحظة أن المرأة تكثر من التنظيم بالإصاف, فلقد سبقنا إلى ذلك أوتو يسبرسن (Jespersen 1921:251) وجينيفر كوتس (Coates 2013:18), غير أننا قدمنا الدليل العملي على ذلك, ودعمناه إحصائيًا, ولم نكتف بمجرد الانطباعات الشخصية[1].

2. الرجال والنساء والإحالة النحوية Reference

إن الإحالة أداة من أدوات التماسك النصي[2] Cohesion, وهي نوعان: الأولى **إحالة خارجية**, والثانية **إحالة داخلية**؛ فأما الأولى فتحدث عندما تشير الجملة إلى أشياء في العالم الخارجي, وذلك مثل الجملة التالية: انظر إلى ذلك الشيء. فالجملة هنا تحيلك إلى شيء خارج نطاقها. أما الإحالة الداخلية, فتحدث عندما تحيلك الجملة إلى شيء داخل الجملة, وبالتالي فالإحالة الداخلية نوعان: الأولى إحالة **قبلية anaphora**, والثانية إحالة **بعدية cataphora**, فأما الأولى فتعني استعمال مؤشر لفظي يشير إلى كلمة سابقة عليه, مثل: انظر إلى الشمس التي في الأفق إنها تغرب. فالضمير المتصل يعود على كلمة الشمس التي أتت قبله؛ أما الإحالة البعدية فهي على العكس من الأولى, فهي تعني استعمال مؤشر لفظي يشير إلى كلمة لاحقة عليه, مثل قولنا لنفس الجملة السابقة لكن بالطريقة التالية: إنها تغرب, الشمس التي في الأفق.

---

[1] والجدير بالذكر هنا أن ماري هيات Hiatt M أكدت أن كتابة المرأة في عمومها تميل إلى الجمل القصيرة, والتي يُفترض أنها أقل تعقيدًا من الناحية النحوية من الجمل الطويلة. وعندما حللت الروابط المنطقية بين الجمل مثل: لأن, لذلك, على الرغم من ذلك however, because,so وجدت أن المرأة أقل استخدامًا لهذه الروابط, وللأسلوب المنطقي في كتابتها. بيد أن ملاحظاتها كانت هي الأخرى مجرد انطباع شخصي لا دليل عليه, كما أنها إرتبكت وخلطت بين التحليل النسوي وتحليل الأنثى, فقد خلطت بين أسلوب الكاتبة الذي يعتبر نسوي مع الأسلوب المتبع من قبل عدد من الكاتبات الذي يعتبر أنثوي, فلو أن الباحث وجد مثلًا أن هناك كاتبة تكثر من نوع ما من الجمل دون الآخر عليه أن يفترض أن هذه مجرد سمة أسلوبية لتلك الكاتبة, لكن إن وجد نفس هذا الأسلوب يتواتر لدى كاتبات أخريات, في الوقت الذي يقل لدى نظائرهن من الرجال, حينها حق له أن يعتبر = ذلك سمة لكتابة الأنثى. See: Hiatt, Marry (1977). The Way Women Write. New York. Teacher's College Press, Columbia University. In Mills (1995:39)

[2] التماسك النصي: هو مجموعة من الإجراءات التي تبدو بها العناصر السطحية للجملة مترابطة, ودالة على وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق, بحيث يتحقق الترابط النحوي في الجملة. وأدوات التماسك النصي كثيرة منها: الإحالة reference, والاستبدال supstitution, والحذف ellipsis؛ كما أن أدوات الربط التي تحقق هذا التماسك كثيرة أيضًا, منها: الضمائر بنوعيها المتصل والمنفصل, أدوات العطف, أسماء الإشارة, تراكيب من مثل: كذلك, إلا أن, مع ذلك, هكذا ... إلخ.

والحق أن المؤشر بالإحالة القبلية أقرب إلى الإدراك من الإحالة البعدية, وذلك لأنها تقدم الموضوع supject ثم تحيل إليه, أي أنها تحيل إلى ما سبق معرفته, وبالتالي يصبح من السهولة إدراك ما هو المقصود بهذا المُحيل؛ أما عند عكس الوضع, ويسبق المُحيل المُحال إليه / الموضوع, فيسبق الضمير – الذي هو في الأساس مبهم في أصل معناه – ثم يجيء من بعده الموضوع الذي يحيل إليه هذا الضمير فقد يربك المتلقي بعض الشيء, خاصة لو استمر تأخر الموضوع / المحال إليه وقتًا طويلًا, وكلمازاد تأخر معرفة الموضوعزاد الإرباك والتشتت؛ وعليه يكون استخدام الإحالات القبلية أقرب إلى الفهم, وأكثر انسيابية وسهولة من الإحالات البعدية المربكة, لذا ليس بمستغرب أن تكون الإحالات القبلية هي الأوفر حظًّا في الاستخدام من الإحالات البعدية.

وعلى الرغم من ذلك قد وجدنا أن النساء تكثر من استعمال الإحالات البعدية بشكل لافت, وذلك على الرغم مما قررناه من أن تلك الإحالات غير مريحة بالنسبة للمتلقي, الذي يتوجب عليه الصبر ليدرك ما المقصود من هذا المؤشر الذي تقدم وسبق المحال إليه. والتالي أمثلة لاستخدامات النساء لهذه الإحالات.

قالت منال الطحاوي في الخباء (ص: 27) "**أفتح بابها ببطء. نائمة؟ ناعسة؟ ناعسة يا أمي؟!**"

فالمؤشر اللفظي في (بابها) يحيل إلى (الأم), والكاتبة لم تمهد مسبقًا إلى أنها ذاهبة إلى باب غرفة الأم, وبالتالي عندما تبدأ بالمؤشر (بابها) لن نعرف باب مَن إلا عندما نواصل القراءة لندرك أن الضمير يحيل إلى الأم.

وقالت في الباذنجانة الزرقاء (ص: 41) "**وحين زرناه في بيته رأيت صورتها على الجدار, كانت جميلة فأحببتها, ونظرت على معصمها حيث يكون النبض رأيت صليبة زرقاء مدقوقة ...**" إلى الآن لا نعلم عمن تتكلم الكاتبة, فصورة من التي تتحدث عنها؟ وهذه المؤشرات اللفظية إلام تحيل؟ وبعد ستة أسطر كاملة نجد الكتابة تزيل هذا الغموض وتخبرنا من هي تلك التي أحبتها, قال: "**فذهبت في اليوم التالي إلى المدرسة وعلى رأسي غطاء أبيض كما رأيته في صورة العذراء**" والآن فقط نعلم أنها كانت تتكلم عن صورة العذراء مريم.

وقالت –والكلام مازال عن منال الطحاوي – في بروكلين هايتس (ص: 7)

"**تراه على خرائط الإنترنت ... تراه في عدسة البحث ... تراه يتعامد على بروكلين بريدج, ذلك الجسر الممتد الطويل**"

ومرة أخرى تبدأ بالضمير / المؤشر / المحيل وبعد ثلاثة أسطر من الكلام عن هذا الشيء الذي لا نعلم كنهه زاها تخبرنا بأنه جسر بروكلين.

وقالت رضوى عاشور في خديجة وسوسن (ص: 10) "**أبحث عنها بعيني وأنفي أيضًا إذ كانت لها رائحة مميزة, وجدتها فحملتها...**" إلى الآن لا نعرف ما هذا الشيء الذي تبحث عنه؟ لكن بعد ثلاثة أسطر نكتشفه "**إنها حقيبة يد كبيرة نسبيًّا**" فبعد ستة مؤشرات من الضمائر, والحروف المحيلة المبهمة, والتي لا نعرف إلام تحيل, نكتشف في السطر الرابع أنها تحيل إلى حقيبة.

وقالت في غرناطة (ص: 74) "**كاد يدير ظهره ليعود أدراجه حين رآها**" إلى هنا لا نعلم ما هذا الذي رآه فاستوقفه؟ وقد يتبادر إلى الذهن أنها فتاة, فماذا يكون غير الفتيات يستوقفن الشبان؟! غير أننا بعد ستة أسطر نكتشف التالي: "**حملها وشعر بجفلتها بين ذراعيه ... الظبية**" لتعود كل الضمائر من السطر الأول إلى السطر السابع لتحيل إلى ظبية.

على أن رضوى عاشور قد تتطرف في استعمال هذه الإحالات البعدية, والتي قد تصيبك بالضجر, ونفاد الصبر الناتج عن الإبهام وعدم معرفتك عن أي شيء تتكلم, أقول أنها قد يصل بها الأمر أن تبدأ بمؤشر, ثم يأتي المحال إليه بعد صفحة كاملة, بل وأحيانًا بعد أكثر من صفحة, ولك أن تنظر في ذلك إلى قولها في رواية قطعة من أورب (ص: 123) وذلك حين بدأت الصفحة بالمحيل فقالت: "**زارني في الأسبوع الأخير من سبتمبر عام 1982, لم أتعرف عليه, ذكرني فتذكرت ...**" فمن الذي تتكلم عنه الكاتبة؟ عليك أن تنتظر صفحة كاملة وأكثر / خمس فقرات / 24 سطر لتعلم أنه "إدي صالح" أحد أصدقاء بطل الرواية في الصغر.

وعلى الجانب الآخر لا نجد الرجال يستخدمون هذا النوع من الإحالات البعدية, فلم نرصد لديهم – على قراءاتنا المتعددة للمادة – أي مثال يصلح لأن يكون أنموذجًا للإحالة البعدية, فهم يعتمدون أكثر شيء على الإحالة القبلية, والتي تضع الموضوع أولًا ثم تحيل إليه؛ ونذكر من تلك الإحالات على سبيل التمثيل فقط قول خيري شلبي في لحس العتب (ص: 22) "**هو أول من اشترى ماكينة للتنرية بدلًا من المنراة اليدوية, هي عبارة عن بضعة مناخل فوق بعضها داخل صندوق خشبي لها حنك مفتوح**" وكما نرى فالضمير دائمًا يشير إلى ما قبله, (هي) تشير إلى الماكينة, (بعضها) تشير إلى المناخل, (لها) تعود لتشير إلى الماكينة. إذًا فالكاتب قد حدد الموضوع ثم استمر في الإحالة إليه, وهو عكس ما فعلته رضوى مع ظبيتها, حيث أحالت إليها قبل أن تحددها. والتالي مثال

آخر لنفس الكاتب من رواية بغلة العرش (ص: 185) "**اقتادني إلى سيارة بيجو ... فتح لي بابها فركبت بجواره**" وبالمقارنة مع باب موال في الخباء نجد الوضع معكوسًا. وانظر االتالي:

موال: أفتح بابها ... ناعسة يا أمي؟

خوي: سيارة بيجو ... فتح لي بابها

وقال بهاء طاهر في مجموعته ذهبت إلى الشلال (ص: 90) "**ما أنقذه هو أن السكرتيرة فضلت عليه منحة دراسية ... لا يذكر الآن وجهها وبصعوبة يذكر اسمها ... يعرف أنه وإن سخر من نفسه ومن سنه فهو يجيء الآن كما جاء كل عام لأن صورتها تستدعيه مثلما استدعته من قبل**" فالضمائر تحيل إلى السكرتيرة التي سبقتهم جميعًا, وبالمقارنة مع صورة موال نجد الوضع معكوسًا. انظر التالي:

موال: رأيت صورتها ... العنراء

بهاء: السكرتيرة ... صورتها تستدعيه

يبقى أن نحصي كم هذه الإحالات لدى النساء مقارنة بالرجال لنتأكد من أن النساء يتميزون دون الرجال في هذا النوع من الإحالة.

الكاتب	عدد الإحالات البعدية	المعدل بالرواية الواحدة
بهاء طاهر	0	0
خيري شلبي	0	0
رضوى عاشور	7	0.5
ميرال الطحاوي	10	2.5
المجموع		
الرجال	0	0
النساء	17	0.9

(شكل رقم: 41)

3. الرجل والمرأة والغموض ambiguty

لقد وجدنا أن كثيرًا من جمل النساء قد أصيبت بالغموض, وذلك راجع إلى عدة أسباب, بعضها متعلق بالبنية العميقة الخاصة بالجملة (المعنى), وبعضها الاخر يتعلق ببنيتها السطحية (الشكل).

ففيما يختص بمعنى الجملة قد نجد بجملة النساء لفظًا أو أكثر يحتمل أكثر من معنى مما يسبب غموض التركيب, أو قد يكون هذا اللفظ ذا دلالة غير واضحة, أو قد يكون غموض المعنى سببه غموض الصورة الفنية من تشبيه أو استعارة, أو لغلو هذه الصورة وبعدها عن الشائع المألوف, أو قد يكون الغموض قد لحق بالتركيب الدلالي دون التركيب النحوي, فمعلوم أن للجملة تركيب دلالي يناظر تركيبها النحوي, وقد يكون التركيب النحوي للجملة صحيحًا, وإنما دخلها الغموض من قِبل تركيبها الدلالي, وذلك مثل التركيب الشهير والذي يضرب به المثل في تلك الحالات: "الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بغضب". فالجملة السابقة صحيحة نحويًّا, لكنها بلا معنى في الحقيقة, وذلك رغم تكونها من كلمات واضحة الدلالة في حالة إفرادها. وعليه فهناك تركيب دلالي لا بد وأن يتوازى مع التركيب النحوي لتصبح الجملة مفهومة ولها معنى[1].

ومن ناحية أخرى فقد يدخل جملة النساء الغموضُ من ناحية الشكل, وذلك عن طريق أن يكتسب التركيب أكثر من معنى نتيجة بنيته النحوية المطاطية؛ وقد يأتي الغموض ناتجًا عن الركاكة النحوية التي أفسدت المعنى وأغمضته على القارئ.

---

[1] انظر في ذلك النوع من الغموض: خليل (د. حلمي), العربية والغموض, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, ط2, مصر, (2013), ص: 27

والشكل التالي يلخص أسباب الغموض في جملة النساء:

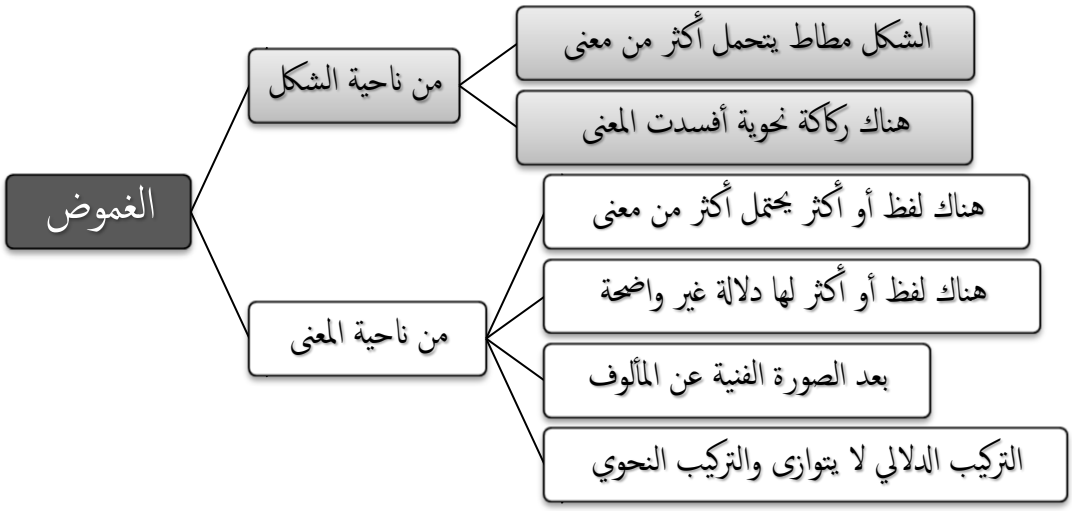

(شكل رقم: 42)

3.1 الغموض من ناحية الشكل

3.1.1 مطاطية الشكل بحيث يحتمل أكثر من معنى

لعل أبرز مفكر في العصر الحديث ناقش الاختلافات بين الرجال والنساء في أسلوب الكتابة الأدبية هي فرجينيا وولف Woolf, V., فقد كتبت في بداية القرن العشرين مقالًا تستعرض فيه رواية دورثي ريتشاردسن Richardson, D. (الأضواء الدوارة Revolving Lights) (1923), حينها وصفت الجملة النسوية بأنها أكثر مطاطية more elasticity وأكثر قابلية للتمدد / المط إلى أقصى حد, كما أنها –والكلام عن جملة المرأة – مغلفة بأكثر الأشكال غموضًا[1]. بيد أن أوصاف وولف "أكثر مطاطية وقابلة للتمدد" هي الأخرى غامضة بشكل كبير, بيد أنها اقتربت من إعطاء تقييم أكثر تحديدًا لجملة المرأة عند استعراضها لرواية (النفق The Tunnel) لنفس الكاتبة, فهنا زاها اقتبست مقطعًا لحوار داخلي حين ضمت فيه الكاتبةُ القارئَ إلى لاوعي الشخصية فقالت: **"إنه يشبه إلقاء شيء والعودة قهقري لشيء, أنت تعرف أنه هناك, وعلى الرغم من ابتعادك أنت تعود, لذا أنا عدت الآن"**, والحق أن العلاقة بين الضميرين (أنت – أنا) بالمقطع السابق غير واضحة, فقد يبدو أنهما يشيران إلى نفس الشخصية, وهو البطل الذي يتحدث, لكنهما أيضًا يتضمنان القارئ؛ فالخطاب يحتمل أن يكون موجهًا إليه

(1) Woolf, Virginia (1990 b). Dorthy Richardson and the Women's Sentence. In Cameron, Deborah. The Feminist Critique of Language: A Reader. London. Routledge. P.72

هو الآخر, وعليه فهذا الانزلاق المرجعي للضمائر هو ما تسميه وولف "مطاطية", وهو ما أطلقت عليه "الجملة النفسية للجنس الأنثوي The psycological sentence of feminine gender"[1].

وهذه الرؤية حول كتابة المرأة المختلفة عن كتابة الرجل من هذه الحيثية قد وردت كثيرًا لدى باحثات النسوية الفرنسيات, من أمثال هيلين سيكيو Cixous, H. (1976) ولوسي إريجراي Irigarary, L. (1985), بيد أن مناقشتهن جميعًا انحصرت على مستوى التنظير فقط, ونادرًا ما أعطين أمثلة محددة[2]. والآن حان الوقت لأن نعطي أمثلة لهذا النوع من المطاطية لدى النساء.

قالت مرال الطحاوي في بروكلين هايتس (ص: 143)

"الأباريق وحدها لها قضيب ضخم ناتئ تحمله النساء إلى الخلاء ليدسسنه بين الأفخاذ"

فالضمير في الفعل يدسسنه مطاط الدلالة, فهو قد يعود على الإبريق, لكنه يشير من طرف خفي إلى القضيب ليصبح هو المدسوس بين الأفخاذ, والحق أن الضمير قابل إلى هذا المعنى وذاك أيضًا, ولو أرادت الكاتبة أن تبتعد عن ذلك الغموض للجأت إلى تأنيث الضمير, وذلك ليتواءم وجمع التكسير (أباريق), فلو قالت (يدسسنها) لزال الالتباس, وصارت عودة الضمير على الأباريق حتمية لكنها لم تفعل. والتالي مثال آخر من نفس الرواية (ص: 91) "**وتشعر أن رجلًا في هذا العالم مازال يكترث لحضورها كانت هذه هي الحقيقة الوحيدة التي توصلت إليها في النهاية أن تسير, وأن تشعر بأن ثمة من يكترث لوجودك, وأن تشعر بأنك قادر على أن تحب**" فهذا الأنموذج يشبه كثيرًا ما فعلته دورثي ريتشاردسن في نفقها, فالضمير في البداية سار بصيغة الغائب (حضورها – توصلت), ثم انزلق هذا الضمير بمطاطية حتى أننا لا نعرف من هو الفاعل المستتر للفعل (تسير), فهل يكون (هي أم أنت), وسبب هذه المطاطية أن الكاتبة التفتت فجأة من الغائب إلى المخاطب, فبعد (توصلت) نفاجأ بـ (وجودك – تشعر – أنك قادر), فمن الذي تحادثه البطلة بهذا الضمير, هل تحادث نفسها؟ أم تضمن القارئ معها؟!

وقالت في الباذنجانة الزرقاء (ص: 116) "**سيفتح لك الباب ويقول لك: انزلي**" إلى هنا فالضمير بالمخاطب + زمن الاستقبال يوحيان بأن الراوية تحادث بطلتها, يدعم ذلك الفهم جمل جاءت بعد هذا المقطع من أنماط "**رأسك بين يديك, ويداك بين ساقيك في الحجرة المعتمة**", لكن بعد فترة نجد الضمير يتم مطه ليصبح ذا معنيين, فإما أن

---

(1) Woolf, V. (1965). Contemporary Writers. London: Horgarth Press. P.5-204; and in (Cameron, D. 1998:66)

(2) See: Mills, Sara. The Gendered Sentence. In Cameron 1998:65

تكون الراوية هي التي تحادث بطلتها, وإما أن البطلة قد جردت نفسَها عن نفسِها ثم راحت تخاطب نفسها فتقول: "**لكنه لم يقبّلك, ولم تغضبي, عقدت فمك كما كنت تفعلين طفلة, وسكبت عينيك دموعًا لم يرها, وتظاهرت بالعناد**", وقد يعتقد البعض أن الاحتمال الأول مازال هو الراجح هنا أيضًا, حيث الراوية تحادث بطلتها, لكن ماذا نقول عندما نجد بعد عشر صفحات كاملة قولها التالي: "**وعدت مهزومة أكثر لتجلسي فوق إحباطاتك تكتبين في أوراقك أشياء, لا هي قصص, ولا أشعار , إنها فقط خدوش وجهك**", إذًا فالراجح أن البطلة هي التي تحادث نفسها, وتكتب عن نفسها, أقول الراجح نوعًا ما, وذلك لأن احتمال أن الكاتبة لم تزل هي من تحادث بطلتها موجود أيضًا.

قالت رضوى عاشور في أثقل من رضوى (ص: 127)

"**إذ أنهى حكايته بالدعاء عليه لأنه بلا رحمة**"

فالضمير في (**لأنه**) هل يعود على الفاعل الذي أنهى حكايته؟ أم على المفعول الذي يحكي عنه؟ فهل الفاعل هو الذي بلا رحمة كونه دعا على رجل قد مات؟ أم أن المفعول هو الذي كان بلا رحمة وذلك قبل موته؟! وقارن ذلك بقول خوي شلبي في رحلات الطرشجي الحلوجي (ص: 105) وذلك عندما كان يتكلم مع إحدى الأمهات التي تشتكي له ابنتها التي كانت تعمل وتنفق عليهم لكنها ما لبثت أن هربت ولجأت إلى خزانة البنود قال: "**فطلبت خبرها فجاءت أنها – البنت – تستحق الشفقة**" فلاحظ هذا الاعتراض التوضيحي حتى لا يعود الضمير إلى الأم التي تتكلم معه, فخوي يقيد الضمير بهذا الاعتراض كي يرجع إلى الفتاة وحدها ولا تغمض دلالته على المتلقي.

نعود مرة أخرى إلى رضوى عاشور التي قالت في الطنطورية (ص: 188) "**كيف احتملتُ؟ كيف احتملنا وعشنا وانزلقت شربة الماء من الحلق دون أن نشرق بها أو نختنق**" وضمير المتكلم هنا ماذا تقصد به؟ هل تقصد به البطلة نفسها وعائلتها التي شهدت المجازر في المدن الفلسطينية؟ أم تضم إليهم القارئ؟ والذي شاهد أيضًا تلك المجازر إلى وقت قريب – بل ومازال يراها – ومازال يعيش, ويحتمل, ويشرب دون أن يختنق؛ والذي يؤكد احتمالية ضم القارئ لضمير الجمع هو إرداف المقطع السابق بالمقطع التالي: "**عند موت من نحب نكفنه برحمة ونحفر في الأرض عميقًا, نبكي, نعرف أننا ندفنه لنمضي إلى مواصلة الحياة**" فلا شك أن ضمير الجمع هنا يضم المتلقي وذلك لأنها تتكلم عن قضية إنسانية عامة.

والآن يتبقى السؤال: هل الرجال لا تصاب ضمائرهم بتلك المطاطية التي تجعل الضمير يضم أكثر من محال إليه؟ الحق أننا وجدنا الرجال إذا شعروا بأن الضمير سيصاب بتلك المطاطية تفادوها بتمهيد يحدد مرجعية الضمير, ويحول دون انزلاقه إلى غير ما تم تحديده له؛ وانظر إلى قول بهاء طاهر التالي من واحة الغروب (ص: 147) "**أزمتي؟ تسألني كاثرين عن أزمتي؟ أسأل نفسي**" فالكلام الآن بضمير المتكلم, ولأنه يعلم أنه بعد فترة سينتقل إلى المخاطب, ولكي يمنع هذا المخاطب من الانزلاق لغير النفس مهد وقال: "**أسأل نفسي**", لذا فهو عندما يقول بعدها بفقرتين: "**لكن تعال الآن انتهى وقت الخداع**" حينها نعلم يقينًا أن الأمر موجه إلى النفس,ولا يضم إليها شخصًا آخر؛ بيد أنه لم يستمر في أرجحة الضمائر, بل على العكس, فهو سريعًا ما ارتد إلى استخدام ضمير المتكلم فقال بعد جملته السابقة "**ما الذي فعلته أنا بالضبط في الثورة؟**" وانظر إلى (**أنا**) التي جاءت لتحدد التاء في الفعل أنها تاء الفاعل دون أختها المفتوحة الدالة على الخطاب, وكلها إجراءات تحول دون مطاطية الضمير؛ وإليك أنموذج آخر لإجراءات الرجال التي تحول دون الوقوع في المطاطية, قال خيري شلبي في بغلة العرش (ص: 205) "**قال ضياء: إن باهر اكتشف من ثاني يوم لزفافه أن كاملة أيوب كانت على علاقة بصديقه مدكور ... لا لم يكن اكتشافا لأنهم – ضياء والصحبة – حاولوا نصحه باللمحات الذكية**" فانظر ماذا فعل خيري منعًا لمطاطية الضمير, لقد قام بزيادة هذا الاعتراض المفسر للضمير (**ضياء والصحبة**) تفاديًا لأي سوء فهم أو غموض قد يحدث إذا ظل الضمير دون هذا الاعتراض الإيضاحي. والحق إن أمثال هذه التقنيات الإيضاحية التي تحول دون الغموض والمطاطية كثيرة لدى بهاء طاهر وخيري شلبي, وعليه فنحن لم نجد لدى الرجال من مثل هذه المطاطية أو الانزلاقات المرجعية للضمائر, والتي قد تسبب غموضًا في فهم الجملة كما رأينا لدى النساء.

3.1.2 الشكل به ركاكة نحوية أفسدت المعنى

ومن ذلك قول ميرال الطحاوي في نقوات الظباء (ص: 48) "**تفتح صدرها لتظهر عظمة ناتئة لتكشف نحولها على تلك العظام البارزة**" وهنا لا بد من حذف حرف الجر (على) لتتخلص الجملة من ركاكتها.

وقالت رضوى عاشور في الرحلة (ص: 30) "**ولم تكن الأشجار هي العلة وحدها بل كان أنني بدأت آلف المكان**" ومصدر الركاكة حذف اسم كان, فإما أن يقال: بل كان السبب أنني, أو كانت العلة أنني.

وقالت بالرواية نفسها (ص: 92) "**أشهد تساقط الندف الثلجية الناعمة والأرض لازالت تسكن الأبيض**" ومصدر الركاكة حذف الضمير من الفعل (تسكن), والصواب أن يقال (يسكنها), أو اللجوء إلى زيادة حرف جر لكلمة (الأبيض) مع بناء الفعل (تسكن) للمجهول فتصير الجملة (تُسكن بالأبيض).

وقالت في أطياف (ص: 128) "**هل كان دائمًا كذلك أم أن أنني لم أعرفه**" والركاكة مصدرها زيادة (إن), فلا بد من حذفها, لأنه لا يوجد ما يبرر وجودها.

وقالت موال الطحلوي في الخباء (ص: 43) "**والفلاحات جلابيبهن الزاهية يعقدن الطرح السود على جباههن ومن فتحة الصدر تتمايل الضفائر**" والحق أن الجملة الأولى ركيكة للغاية, فلا بد من زيادة حرف جر على (جلابيبهن) لتصير (بجلابيبهن), وذلك حتى يصير الفعل (يعقدن) خيرًا للفلاحات, كما أن حرف الجر (من) في بداية الجملة الثانية ركيك بعض الشيء, والأولى منه استخدام (على), وذلك لأن الضفائر لا تتمايل من فتحة الصدر وإنما تتمايل عليها.

وبعيدًا عن الركاكة العربية فقد نجد تلك الحال ممتدة إلى اللغة الإنكليزية, فنجد موال الطحلوي تقول في بروكلين هايتس (ص: 231) " The table are empty.. The dance floor's desetred ... You've the first leson to learnin' the blues" وهنا زاها تنقل عن أغنية فرانك سيناترا Frank Sinatra تعلُّم البلوز Learnin' the blues, لكنها تخطئ فيها أخطاءً نحوية كثيرة, ففي الجملة الأولى أفردت الموضوع (the table), والصحيح أنه جمع (tables), كذا ورد بالأغنية, ودل عليه الفعل المساعد (are), والذي جاء جمعًا هو الآخر؛ كما أن الجملة الثانية أصابتها الركاكة حين أخطأت في هجاء كلمة (deserted / مهجور) فقدمت حرف (t) على حرف (r), لتصبح الكلمة بلا معنى؛ أما الجملة الثالثة فحوت مركب من الأخطاء التي حرفت معناها تمامًا, فلقد أسقطت أفعال, وضمائر, وحرف جر كفيلة كلها بتغيير المعنى الذي أراده الشاعر, فهي بالشكل التي كتبته موال تعني: لديك الآن أول درس لتعُّلم البلوز, وصواب هذه الجملة هو التالي: You've had your first lesson in learnin' the blues, وتعني: لقد كان لديك أولى دروسك في تعُّلم البلوز.

والحق أن هناك الكثير من الأخطاء النحوية والإملائية لدى النساء والتي تغاضينا عنها توجيهًا منا أنها ربما كانت ناتجة عن الطباعة, على الرغم من أن روايات النساء طباعتها كانت أحسن حالًا من طباعة روايات الرجال, تلك الأخيرة التي لم نجد بها أي أخطاء نحوية أو ركاكة تصلح لأن تدرج هنا.

3.2 الغموض من ناحية المعنى

3.2.1 وجود لفظ أو أكثر له دلالة غير واضحة

واللفظ قد يكتسب الدلالة غير الواضحة من كونه غريبًا, فلا نجد له معنى, ومن ذلك قول مروال الطحلوي في الخباء (ص: 146) "**وكشفت أسنانها المقروضة عن وجه امرأة يرعى من جدائلها قاعود صغير**" فما هو القاعود الصغير؟ الحق أننا لا نعرف, ولعلها أرادت (القَعود) وهو الجمل[1], لكن حتى بعد ذلك الافتراض تبقى الدلالة غير واضحة, وذلك لأن التركيب بشكل كامل دلالته غامضة للغاية, فالكلام عن أرنبة بربية, وهذه الأرنبة كشفت أسنانها المقروضة عن وجه امرأة, وهذه المرأة يرعى من جدائلها جمل صغير؟!

وقد يكتسب اللفظ الدلالة غير الواضحة ليس لكونه غريبًا بل لأننا لا نعلم ماذا يقصد به الكاتب/ة؟ فمن الضمائر غير واضحة الدلالة قول مروال في الباذنجانة الزرقاء (ص: 44) "**وجاءت, فعلت الشيء نفسه, لطمتني على وجهي ...**" فمن هي التي تتكلم عنها الكاتبة؟ فالحق أنه لا يوجد مؤشر قبلي ولا بعدي تحال إليه هذه الضمائر, وغالب الظن أنها تحيل إلى ناظرة المدرسة, وذلك لأن السياق يعطي بعضًا من المؤشرات التي ترجح ذلك, منها أن الموقف كان بالمدرسة, حيث كانت البطلة تقف لتشاهد الصبيان وهم يلعبون كرة السلة, ومنها اضطراب المعلم أمام هذه الشخصية غير المعلنة, لكن يبقى كل ذلك مجرد افتراض مبني على بعض المؤشرات, فالغموض ناتج عن غياب الموضوع الذي تحال إليه الضمائر فجعلها غير واضحة الدلالة.

---

[1] القعود من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة. (تاج 51/9)

ومن الكلمات المألوفة لكنها غير واضحة الدلالة قولها في الخباء (ص: 36) "**ويعبئ الغلال صف من البنات الصغيرات, تنتقل (تعني الجدة) باتجاههن وتزفر: اللعنة على وجوه من أنجبكن, فلاحات نجسات قليلات الحياء. تزعق وتنادي: يا نجاسة لمي يدك. يعبئن في الأجولة وأنا أحبو من نافذة إلى نافذة .. تقترب الوجوه ويميل الجسد الرخو, ينحني قليلًا حتى يضع الشارب الكثيف الحمل فوق الرأس**" والفقرة قد تكون واضحة بعيدًا عن عدم فهمنا لسبب غضب الجدة على الفتيات الفلاحات, فنحن نراها تسبهن دون سبب واضح, فتصفهن بقلة الحياء, وتأمرهن بلم اليد, على الرغم من أن المشهد لا يوجد به ما يدل على أي شيء يستدعي الحياء أو لم اليد. بيد أننا سنفهم سبب غضبها عندما نفك شفرة الغموض التي تلت الفقرة الأولى؛ فلقد ظلت الفقرة واضحة إلى أن قالت: **تقترب الوجوه**, فوجوه من تلك التي تقصدها؟ قد يتبادر إلى الذهن أنها وجوه الفتيات الفلاحات اللائي يعبئن في الأجولة, وذلك لأنه لا يوجد ما يشير لغير ذلك؛ لكن من المقصود بالشارب الكثيف؟ بالطبع هي إشارة إلى رجال, وعليه نفهم أن الرجال كانوا يحملون الأجولة –وهو ما أغمضته الكاتبة – ليضعونها فوق رءوس الفتيات, واللاتي رمزت إليهن بالجسد الرخو, والذي يميل ليحمل الجوال, وعلى ذلك نفهم سبب غضب الجدة على هؤلاء الفتيات, وهو اقتراب وجوههن من وجوه الرجال, وملامسة أيديهن لأيدي الرجال أثناء تحميل الأجولة, ومن خلال ذلك نفهم قول الجدة: **فلاحات قليلات الحياء, يا نجاسة لمي يدك**. إذًا فالغموض ناتج من كون الكاتبة قد تكلمت في البدء عن فتيات يعبئن الأجولة ويحملنها, ولا وجود للرجال في المشهد صراحة, ثم غضب غير مبرر من الجدة, ثم تشير لوجود الرجال ولأسباب غضب الجدة بإشارات غامضة تحتاج لطول تمعن حتى نفهمها. ومن هذا النوع أيضًا قول رضوى عاشور في أثقل من رضوى (ص: 9) "**كنت بلغت الرابعة والستين حين بدأت الكتابة أعي أن هذه السنوات ستفلت حتمًا من حدودها, لأن أعمارنا كما هو معروف تفيض عن أعمارنا وتقفز بلا استئذان إلى ما قبلها أو ما حولها وتمتد متشعبة في التاريخ والجغرافيا**" فما هي السنوات التي تقصدها الكاتبة؟ هل هي سنوات العمر كله؟ أم تقصد السنوات الأربع التي تخطت بهن الستين؟ وما معنى أن السنوات ستفلت من حدودها؟ فما هي حدود السنوات التي تقصدها؟ ثم تبرر هذا الإفلات بشيء من المفترض أنه معروف –والحق أني لا أعرفه –وهو أن الأعمار تفيض عن الأعمار! فكيف يكون ذلك؟ كيف يفيض العمر عن العمر؟ كما أنها تقول إن هذه السنوات / الأعمار تقفز بلا استئذان إلى ما قبلها, والهاء هنا هل تعود على السنوات أم على العمر؟ وما الذي يكون قبل السنوات أو قبل الأعمار؟ غير أن الكاتبة ترددت في هذا القفز القبلي فقالت: أو تقفز (السنوات / الأعمار) إلى ما حولها, وعند ذلك نعود لغموض جديد فما الذي يوجد حول العمر أو السنوات؟ والحق أننا مهما أعدنا قراءة الفقرة السابقة, ومهما أجهدنا الذهن في

محاولة أن نعرف ماهية المقصود منها, وحتى لو توصلنا لشيء فهذا لا ينفي غموضها الشديد والناتج عن الدلالات الغير واضحة من الألفاظ. وقالت في رواية قطعة من أورِبا (ص: 39) "**تغطي ابنتك باسمًا ثم تأوي إلى فراشك لتجد عيني ذلك القط القابع قريبًا منك وميضًا لا تحتمله يلتمع في الظلام .. لا أحد يموت بالبرد ستقبل الولد ستحب الولد سنة الحياة**" فإلام يشير / يرمز ذلك القط؟ هل يشير إلى المرض؟ الموت؟ ومن هذا الولد الذي تتحدث عنه؟ فمن المقصود به؟ لا توجد أي إشارات قبلية أو بعدية تشير لكُنْه هذا الولد, فمن يكون؟ولا يجب أن يُفهم أنه ابن يُنتظر مولده, وذلك لأن البطل لا أولاد له, إنما هن ثلاث فتيات, فهل تقصد الكاتبة به محمود؟ وهو ولد من أبناء الجيران سيصبح صديقًا للبطل فيما بعد؟ قد يكون, مع العلم بأن شخصية محمود لن تظهر إلا مع الفصل التاسع, والذي جاء بعد هذا القول بأكثر من ستين صفحة!

وقالت مريال الطحلوي في بروكلين هايتس (ص: 141) "**وتنط لتتفادى المصير الذي تواجهه أمها بعد سكب الزيوت على فخذيها**" فما هو هذا المصير الذي تتحدث عنه الكاتبة؟ فالجملة وردت في سياق فتاة صغيرة تلعب الحجلة, أما أمها فمن باطن الكلام يبدو أنها تعاني من برود جنسي, أو قل إنها لا تجيد إثارة زوجها جنسيًا, ومن ثَم فهي لا تشبعه, أو على أقل تقدير هذا ما يراه زوجها فيها؛ ولكن ما علاقة مصير أمها بما تفعله البنت في اللعب؟ هل يكون المصير الذي تتفاداه هو البرود الجنسي؟ أم نفور الزوج منها لعدم معرفتها بما يثير الرجال؟ ولكن ما علاقة كل ذلك بلعب الحجلة؟ هل لأنها تنط, وبالتالي يتطلب هذا النط رفع الثوب مع فتح الساقين بعيدًا عن بعضهما, وبالتالي تصبح البنت مشهدًا مغريًا للصبيان, ومن ثَم يتلصصون عليها, وهي لا تعبأ بذلك؛ فهل تعني الكاتبة بكل ذلك أنها تتعلم فن الإغواء منذ الصغر لتتفادى مصير أمها المؤلم, هذا المصير الذي تواجهه في كل مرة يأتيها زوجها حيث يصيح فيها: **أنت طوبة يا بنت الكلب**. فهل يكون هذا هو المعنى الذي أرادته الكاتبة؟ قد يكون.

3.2.2 وجود لفظ أو أكثر يحتمل أكثر من معنى

ومن ذلك النوع قول رضوى عاشور في قطعة من أوربا (ص: 100) "**ألمح أولادًا أو بنات من الساكنين فوق السطوح يؤلون السلالم في طريقهم إلى مدارسهم فأفكر في البنات**" فكلمة البنات الأخيرة ماذا يعني بها البطل؟ من الظاهر قد يبدو الأمر واضحًا, فهو يفكر في البنات اللائي يؤلن على السلالم, لكن عندما نعلم أنه كان للبطل ثلاث بنات, وفي وقت قوله السابق كانت زوجته قد هجرته فتركت له المنزل وأخذت البنات معها, عندما نلم بتلك الأحداث ندرك أن الكلمة تتحمل أنه يفكر في بناته هو لا بنات الجيران, عندها يصبح مشهد البنات النؤلات على السلالم مجرد صورة حفزت ذاكرته على استعادة صورة بناته مباشرة؛ وعليه فأيهما تقصد الكاتبة بنات الجيران أم بناته؟ الحق أن الكلمة بسياقها اللغوي / التركيبي تحتمل المعنيين. وقالت بالرواية نفسها (ص: 152) "**سترى شهرزاد وجهها عندما ترى وجهها**" وهنا نجد غموضًا شديدًا, والسبب أن هناك اثنتين من شهرزاد بالرواية, شهرزاد الأم وشهرزاد الابنة, فمن تقصد منهما الكاتبة؟ وعلى هذه التعددية الدلالية لعلم الشخصية ستتعدد إحالة الضمير بالضرورة, وذلك في كل من كلمتي: (وجهها) الأولى والثانية, فالضمير علام يعود؟ الأم أم الابنة؟ وبأي ترتيب؟ فهل الأول يعود على الابنة والثاني على الأم؟ أم العكس؟ أم أن الضمير يعود على الأم وحدها؟ الابنة وحدها؟!

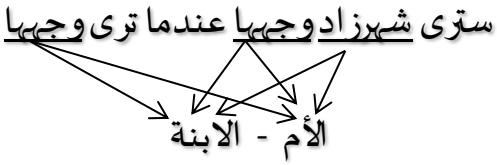

3.2.3 التركيب الدلالي لا يتوازى مع التركيب النحوي

فالتركيب النحوي قد نجده صحيحًا غير أن تركيبه الدلالي لا يعطي معنى صحيحًا كشكله النحوي, ومن ذلك قول مرال في الخباء (ص: 43) "**والفلاحات ... يجذبن في خيوط القطن وتمر كل واحدة مشوحة بالبنور رؤوسهن**" فما معنى هذا الكلام؟ فهو من الناحية النحوية صحيح, لكن المشكلة في بنيته العميقة غير المفهومة التي لا تتوازى مع صحته النحوية, فما الذي تجذبه الفلاحات في خيوط القطن؟ ولو قدمنا وأخرنا فقلنا: يجذبن القطن في خيوط, صار للجملة بعض المعنى, وإن كانت ركاكتها لم تفارقها, فعلى الفرض الأخير – أعني بالتقديم والتأخير – كان من المفترض أن يقال: يتوازن القطن في خيوط. والآن نأتي إلى الجملة الثانية, التي هي أشد غموضًا من الأولى,

فما معنى أن تمر الفلاحة تشوح رأسها بالبنور؟! فكيف تشوح الرءوس بالبنور؟! والحق أن هذه الفقرة من الخباء اجتمع فيها علتان: الأولى أن في بدايتها ركاكة نحوية, والثانية هي ما قررناه أعلاه, وعندما نقرأها دفعة واحدة نعلم كم الغموض الذي اجتمع فيها: "**والفلاحات جلابيبهن الزاهية يعقدن الطرح السود على جباههن ومن فتحة الصدر تتمايل الضفائر يجذبن في خيوط القطن وتمر كل واحدة مشوحة بالبنور رؤوسهن**" كما نرى فالتركيب النحوي من أوله إلى آخره صحيح, بيد أن الغموض ينبع من التركيب الدلالي. وقد ينسجم مع هذا النوع قول رضوى عاشور في أثقل من رضوى"**إن هذه السنوات ستفلت من حدودها لأن أعمارنا تفيض عن أعمارنا وتقفز إلى ما قبلها وما حولها**" فتركيبها النحوي هي الأخرى صحيح غير أن تركيبها الدلالي غامض للغاية.

3.2.4 بُعد الصورة الفنية من تشبيه واستعارة عن المألوف

إن لجوء الإنسان إلى التشبيه يعني أنه يعاني من معنى غامض لا يستطيع التعبير عنه صراحة, ومن ثَم فهو يلجأ إلى التشبيه رغبة في تقريب الصورة إلى المتلقي؛ فالقصد من التشبيه عامة هو البيان, تقريب الفكرة إلى الأفهام؛ وبلاغة التشبيه تنشأ من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء يشابهه, لكن بشرط أن أفهم أنا كمتلقي هذه الصورة التي تنقلني إليها, لكن إن غمضت علي الصورة التي تقدمها وقتها لن يؤدي التشبيه وظيفته التي أوكلت إليه.

انظر إلى قول رضوى عاشور في "أثقل من رضوى" (ص: 169)"**رأى ما رأى فيدخل ما رأى إلى جسم المرأة الستينية المجبول كتربة البلد بالمتراكم من ألف شيء لا تعرف كيف يصير أو يصيرها**" فماذا يعني هذا التشبيه؟ ولقد تتضح الصورة قليلًا إن تم التخلص من حرف الجر الداخل على كلمة (**المتراكم**), لكن على الرغم من ذلك تبقى الصورة غامضة, غير واضحة الدلالة, على الرغم من كونها تشبيهية, أي أن الغرض منها توضيح الفكرة, لكنها لا تنجح في ذلك, بل زادت الغموض غموضًا؛ فهي تقول إن ما رآه يدخل إلى جسدها, ولأن دخوله إلى الجسد غامض – مثل تأثيره فيها بعد الدخول – لذا رأها لجأت للتشبيه حتى نفهم كيفية الدخول, ونفهم ما أثره بعد هذا الدخول, لكنها قالت: إن دخول ما رآه من مشاهد إلى جسدها كتربة البلد بالمتراكم من ألف شيء؟!

ومن هذه الصور الغامضة البعيدة عن المألوف أيضًا قول مرزال في الخباء (ص: 146) "**وكشفت (الأنبة) أسنانها المقروضة عن وجه امرأة يرعى من جدائلها قاعود صغير**" فكيف تكشف أسنان الأنبة عن وجه امرأة؟ وإن كان, فما معنى أن هذه المرأة – التي كشفت عنها أسنان الأنبة – يرعى من جدائلها جمل صغير؟! فما معنى هذه الصورة (**يرعى من جدائلها جمل صغير**)؟ وما المراد منها؟ وعلام تدل؟!

والسؤال الآن: هل نجد أيًا من تلك الأمثلة أو ما يناظرها لدى الرجال؟ الحق أنه (لا), فلم نقف على أي مثال من المادة الممثلة للرجال – على ضخامتها – يصلح لأن يندرج تحت أي نوع من أنواع الغموض التي ذكرناها آنفًا, مما يؤكد أن جمل المرأة – كما قالت وولف Woolf, V. وهيات Hiatt, M. وسيكسو Cixous, H. وغيرهن من باحثات النسوية – كثيرٌ ما تتلبس بالغموض, على أنهن – أقصد باحثات النسوية – لم يدرسن هذا الغموض دراسة منهجية كما فعلت الدراسة الحالية, كما أنهن نادرًا ما أعطين أمثلة توضح مقصودهن من هذا التنظير. لكن المثير أن هؤلاء الباحثات على مدار قرن مضى تكلمن عن جملة المرأة دون جملة الرجل, فلم يلتفت إليها أحد, وقد قيل أن هذا نوع من التعصب لصالح الأنثى, لكن من الحق أننا لم نجد لجملة الرجل خصائص تخصها مما يتطلب دراستها, بل قد نقول إن جملة الرجل هي الجملة العادية / العامة general, التي يستخدمها الجميع, وعليه نستطيع أن نردد مع كريستيان روتشفورت Rochefort, C. "إن كتابة الرجل هي الكتابة, أما كتابة المرأة هي كتابة امرأة"[1].

(1) Rochefort, Christian (1981). Are women writers' still monsters? In E.Marks and I. de courtivron (Eds). New French Feminisms. Brighton: Harvester. Pp.7-183. And in Mills 1995:46

الفصل الثالث

التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الخطاب

التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى الخطاب

سيسعى هذا الفصل إلى تحديد مظاهر التمايز اللغوي بين الرجل والمرأة على مستوى البنى الخطابية الكبرى ومنها: كيف يتم التمثيل الجنوسي في خطاب الرجل / المرأة؟ فكيف ترى المرأة نفسها؟ وكيف ترى الرجل وتمثله في خطابها؟ والعكس, فكيف يرى الرجل نفسه؟ وكيف يرى المرأة في خطابه؟ وسيتم ذلك عن طريق المقارنة التحليلية بين كيفية تمثيل الأب والأم في خطاب الرجل وذلك في مقابل تمثيلهما في خطاب المرأة؛ كما سنناقش في هذا الفصل كيف يتم عرض الخطاب الخاص بالجنس Sex لدى الرجل / المرأة؟ فمن منهما يصرح؟ ومن منهما يوري؟ وما دلالة التصريح؟ وما هي دلالة التورية؟ كما أنه قد وُجِد لدى الطرفين روايتان تاريخيتان, فما هي بواعث العودة إلى الماضي لدى الطرفين؟ وهل عودتمها إلى الماضي كانت متفقة أم اختلفت؟ وإن اختلفت فما هي دوافع الاختلاف؟ وكيف تم الاختلاف على مستوى البنية الزمنية للرواية التاريخية؟ وكيف اختلفت كذلك على مستوى التبئير؟ كل ذلك سيحاول الفصل الحالي الإجابة عليه.

أولًا: التمثيل الجنوسي في رواية المرأة / الرجل

صورة الأب في رواية المرأة

إن الأب في روايات المرأة قيد الدراسة لم يزل يتسم بالسلبية الشديدة, فالكاتبات تعمدن وضع الرجل غالبًا في الهامش وذلك من أجل تعظيم دور المرأة, ففي رواية (الخباء) لميرال الطحاوي نجد الأب سلبيًّا للغاية, فهو بلا اسم, وذلك لأنه شخصية ممسوخة, بلا ملامح, وبلا دور تقويًا, فلا يظهر في الأحداث إلا بعد ثماني وثلاثين صفحة, وهو عدد كبير عندما نعلم أن حجم الرواية الكامل يتكون من مئة وخمسين صفحة لا غير, أي أن الأب لا يظهر في الأحداث إلا بعد مرور ثلث الرواية تقريبًا؛ ثم نرى فاطمة / البطلة تتكلم عنه بصيغة الغائب عند تقديمه تقول: "**يجيء يفرد عباءته ...**"[1] وهي نفس الطريقة التي استخدمتها عند تقديم جدتها حاكمة, وكأنها تشعرنا بمدى كراهيتها لهذين الشخصيتين التي تنفر حتى من ذكر اسمهما, وتكتفي بالإشارة إليهما بضمير الغائب, لكن وإن كانت فاطمة تكره الجدة لتسلطها الشديد, ولكراهية تلك الجدة المعلنة للبنات وخلفتهن, فإن منبع كراهيتها للأب هي سلبيته في مواجهة الجدة, فهو ضعيف أمامها؛ فالجدة تريد التخلص من بناته عن طريق تزويجهن صغارًا, والأب غير مقتنع بأن يزوج ابنتيه الصغيرتين لرجل وأبيه الطاعن في السن قال: "**لمن؟! منازع الذي هرم وسقط**

---

[1] الخباء ص: 39

فكه!"[1], وعلى الرغم من عدم اقتناعه فهو يوافق بصمته, ويترك الأمر كله للجدة, فهو لا يستطيع معارضتها؛ حتى عندما تأمره بخنق زوجته التي لا تنجب سوى الإناث, فهو يفعل, لكنه لا ينجح, فكلما نظر في عيني زوجته تراجع؛ فهو في داخله لا يرضى بما تفعله الجدة, لكن سلبيته وضعفه أمام أمه هي ما أدت إلى كل تلك المآسي التي عانت منها الزوجة وبناتها, وعندما تحمل الزوجة مرة أخرى ثم تُسقِط وليدها تدعو عليها الجدة, وهو لا يملك إلا التنهد والصمت؛ وعندما تتطاول ابنته الكبرى / صافية على الجدة لا يملك إلا التنهد والصمت؛ ثم تموت الزوجة فتأمره الجدة بالزواج من أخرى فيفعل, لكنه يهجرها, ولا يستطيع الاقتراب منها إلى أن تطلب منه الجدة الفعل فيفعل, بيد أنه لا يصبر معها أكثر من أسبوع واحد, ثم تأمره زوجته أن يبعد فاطمة / ابنته عن الدار أو تذهب هي إلى دار أبيها, فما كان منه إلا أن يذهب إلى ابنته ليطلب منها ذلك لكنه يظل صامتًا, ثم يقوم دون أن يقول شيئًا؛ وكما نلاحظ فالرجل سلبي للغاية, ضعيف الشخصية, لا يملك إلا الصمت وتنفيذ ما تقوله أمه, لا يتدخل في صنع القرار أو إيقافه, بل هو محايد دائمًا, لكنه الحياد السلبي بمعنى عدم الفعل أو حتى رد الفعل.

وفي (بروكلين هايتس) لنفس الكاتبة نجد الأب دائم الشجار مع الأم, وذلك بسبب هروبه المستمر من تحمل المسئولية "**أنا حاغور في داهية من وشك, إنت فاكرة إنك حتربطيني بكومة عيال؟**"[2] ثم يخرج من البيت وهو يركل الأبواب, ليتكسر زجاجها, ولتظل الأم بعدها تضمد جراحها وجراح الأبواب باللواصق البلاستيكية, وذلك لتمنع تسرب الهواء منها, خاصة في الليالي شديدة البرد؛ إن هذا الأب ومنذ تخرجه من الجامعة لم يلتحق بأي عمل, فقط يكتفي بتعليق لافتة على باب المضيفة تقول أنه محامي جنح بالمحاكم العمومية, لكنه بلا مكتب, ولا قضايا, ولا موكلين, ولا يزور المحكمة إلا إذا أراد أن يسلم على بعض أصدقائه, ليظل بتلك الهيئة المدعية على مدار الرواية كاملة, يرتدي زيه الكلاسيكي, ويجلس في مجلس المدينة أو الجمعية الزراعية يزور أصدقاءه الذين يسهر معهم ليلًا في مضيفته, ولا يعود إلى بيته إلا نادرًا, هربًا من مسئولياته تجاه أسرته, لكنه لا مفر من أن تذهب إليه ابنته / هند / البطلة لتطلب "فكة" لأمها, حينها ينفجر في وجهها بالسباب, وفي الأخير قد تعود الابنة بشيء, وفي أحيان أخرى قد تعود بالخيبة؛ وبينما نرى الجميع من حوله يغيّرون من نمط حياتهم, حيث نجد من يفتح مشروعًا تجاريًا يدر عليه دخلًا إضافيا بجانب عمله الأصلي, وذلك كالأستاذ إميل ناظر المدرسة, ومنهم من يسافر إلى بلاد النفط ليرسل الأموال مرارًا إلى أسرته, بينما الجميع يغير من أحواله يظل الأب على حاله, يجلس بالمضيفة,

---

[1] الخباء ص: 41

[2] بروكلين هايتس ص: 38

يستقبل الناس ليتكلم, ويسهر, ويحل المنازعات بشكل ودي دون اللجوء للمحاكم, مما يتطلبه عدة بكلاج من القهوة والشاي, وقد يتطور الأمر إلى ذبح أضحية إذا ما نجح في إتمام الصلح, على الرغم من حاجة أسرته الملحة للمال والطعام, والغريب أنه ينفق كل ذلك ليقنع المتخاصمين بالمصالحة على كيلة غلال أو خمسة جنيهات! ثم يظل يتفاخر بما أنجزه من عمل عظيم! وإذا عاتبته زوجته بأن البيت أهم والأولاد يحتاجون, حينها ينقلب حاله, فيذهب إلى مضيفته, يسهر ويسكر مع أصدقائه, هؤلاء الذين يصدقون كلامه الفارغ عن البلدان التي زارها وسافر إليها, وهو لم يتحرك من قريته, يتواطئون على تصديقه حفاظًا على جلسة المضيفة؛ إنه الأب المتقاعس الموهوم الذي يحمل حقيبة مليئة بالأوراق يقول عنها: إنها قضايا, وعقود, ومشكلات ناس في رقبته, وإنه لذلك لا يغفل عنها, فيظل يراجعها, ليثبت بذلك أهميته, وأنه مازال يحمل شهادة عليا في القانون, على الرغم من أنه لا يحب القضايا ولا المحاكم, ويرى أن كل شيء يمكن أن يحل بالتراضي؛ وعندما تواتيه الفرصة لتحسين أحوال أسرته فيسافر إلى الحج نراه أول العائدين منه قال: "**بلاد لا يتعاش فيها ولا تتسكن, هو النبي هاجر من شوية؟ وظلت الأم ترى ذلك تعبيرًا عن تقاعسه الأبدي في البحث عن رزق في بلاد صار الناس يتسابقون على حسناتها, وأنها وضعت أصابعها في الشق من تصرفاته الغريبة, ولزقته في جلسة المضيفة, وحل مشاكل لا دخل له فيها, فقط يبدد نقوده ورزقها ورزق أولادها**"[1]

وعندما يعرض عليه صديقه شامل الصيدلي أن يذهب معه إلى ليبيا يقول: "**لا, هو أنا مش لاقي آكل, عقد إيه وبتاع إيه, هو أنا مش لاقي بيت, إنت روح الله يسهلك, لكن أنا لا**"[2] فتعلو البيوت من حوله, ويظل بيته قديمًا منخفضًا, سقفه الخشبي لم يعد يقاوم المطر, فيمر هذا الأب المتخاذل على أولاده النائمين تحت أغطية مهلهلة بالية, لكنه يؤكد لنفسه صحة قراراته عندما يراهم بهذه الهيئة فيقول "**حد يترك هذه النعمة من أجل حبة فلوس**"[3].

---

[1] بروكلين هايتس ص: 180

[2] السابق ص: 181

[3] نفسه ص: 182

وإذا ما تركنا ميرال الطحاوي واتجهنا صوب رضوى عاشور نجد أن حال الأب لم يتغير كثيرًا, ففي روايتها (خديجة وسوسن) نجد خديجة / الأم هي التي تأمر, وتنهى, وتعاقب, وتحذر, وتوجه؛ والأب غائب طوال الوقت, وحتى أثناء وجوده لم يكن له دور تقويمًا, فعبد الناصر يتنحى, وتريد سوسن / ابنته أن تنزل إلى الشارع لتشارك في مظاهرات تطالب بعودته عن قرار التنحية, وبينما يظل الأب جالسًا, لا يحرك ساكنًا, تنزل الأم لتعيد ابنتها؛ وعندما يريد سعد / الابن دخول كلية الفنون الجميلة ترفض الأم التي تريده أن يعيد السنة ليحسن مجموعه من أجل أن يدخل كلية الطب, وقتها يقول الأب: "**دعيه وشأنه**", إلا أن الولد يعيد السنة بناءً على رغبة الأم, وبالفعل يدخل كلية الطب, ولا يعترض الأب, فهو يتصرف دائمًا وكأن لا شأن له بشيء, وعندما يسافر سعد إلى فرنسا ليشبع هوايته في الفنون لا يعترض الأب كالعادة, وإنما تذهب الأم إلى باريس لتعيد ابنها حرصًا على مستقبله من وجهة نظرها, حتى عندما يبدأ الأب ببناء المستشفى – حلمه القديم – نراه يترك الأمور كلها في يد خديجة / الأم, فنراها هي التي تشرف على العمال, والتجهيزات, والمعدات؛ غير أن قوة الأم وسلبية الأب وهامشيته تظهر بجلاء عندما تلتحق سوسن بالعمل السياسي داخل الجامعة, لنجد رجلًا يبدو من السياق أنه يشغل منصبًا كبيرًا في الدولة, يذهب ليحذر الأسرة من سلوك ابنتها السياسي, لكنه حين يختار من يكلمه في هذا الشأن نراه يختار مقابلة خديجة / الأم دون الأب, والذي من المفترض أن يكون هو الاختيار الأول لديه, لكن لعلمه أن الأب سلبي للغاية, ودوره هامشي, نراه يقول لخديجة: "**فكرت أن أحدث كمال (الأب) لكن قلت أنك أقدر على التصرف**"[1] لتقوم خديجة بحل المشكلة بنفسها, على الرغم من أنها أخبرت زوجها, غير أنه لم يفعل شيئًا كعادته, لتذهب الأم إلى الدكتور الجامعي الذي تعتنق سوسن آراءه السياسية وتطلب منه البعد عن ابنتها؛ إذًا فخديجة / الأم هي التي تقوم بكل شيء, أما الأب فهو في الهامش, وعلى الرغم من تفهمنا لغرض الكاتبة التي تعرض لأنموذج السلطة (خديجة), والتمرد عليها (سوسن), لكن هذه السلطة لو نسبت إلى الأب لكانت أليق وأوقع, بيد أنه الانحياز لصالح الأنثى, فالكاتبة جعلت من يتمرد على هذه السلطة سوسن لا سعد / الابن, هذا الأخير الذي أكسبته صفات أنثوية للغاية, حتى أن الكاتبة قد شعرت بذلك وأقرته قالت: "**ولو كان سعد كسوسن لبدت الأمور أقرب إلى المنطق**"[2] لكنه المنطق الذي تتمرد عليه رضوى عاشور, فجعلت الولد عندما تعنفه أمه يحدق في قدميه ولا يرفع رأسه[3], بل ولا يدافع حتى عن نفسه, لتتولى سوسن / أخته الدفاع عنه, وعندما يريد خطبة "فادية" وتعنفه الأم بالرفض نجد أيضًا

---

[1] خديجة وسوسن ص: 81

[2] السابق ص: 55

[3] خديجة وسوسن ص: 59

سوسن هي من تدافع عنه[1], ونتيجة هذا الضعف والخنوع الأنثوي من سعد نجد الأب لا يستأمنه على سره, بل يستأمن سوسن, تلك التي أظهرت من الصلابة, والعقل, والقوة ما يجعلك تظن أنها رجل مكتمل النضج, والحكمة, والشجاعة. وفي (الطنطورية) نجد قول الأولاد أن الأم / البطلة كانت صارمة, أما الأب فكان أحن عليهم منها[2], وأمين / الأب هو امتداد لكمال (خديجة وسوسن), فهو أيضًا طبيب, وهو كذلك يترك كل الأعمال والمسئوليات على عاتق رقية / الأم, فهي التي تفعل كل شيء, أما هو فلا نجده طوال الوقت؛ وكما كان كمال كان أمين, حيث التشابه الشديد في صفاتهما الخُلقية, حيث نجده هو الآخر هادئًا, طويل البال, قليل الكلام, لم يوبخ ولدًا يومًا, وعندما يخطئ أحدهم يقول: "**أصله يرده لا تخافي**", ليتماهى هذا القول مع قول كمال بخديجة وسوسن: "**دعيه وشأنه**"؛ وغير تلك اللمحات الخاطفة التي يظهر فيها الأب لا نجده على سطح الأحداث, وكأن دوره كان مجرد مبرر لإنجاب الأولاد التي تتحمل رقية مسئوليتهم بشكل كامل, ولو كانت القصة من بدايتها عبارة عن أم مع أولادها دون وجود هذا الأب لم تصب الرواية بكبير شيء, فهذا الرجل السلبي الهامشي عندما يشعر بقلق من ناحية علاقة زوجته بعبد / صديقها منذ الصغر لا يعلق, بل يترك التعليق لابنه الصغير, والذي يظهر كراهيته لهذا الضيف الثقيل, وذلك غيرةً منه على أمه وقرب هذا الرجل منها[3].

وعلى جميع ما سبق نستنتج أن صورة الأب في رواية الأنثى تميزت بالسلبية, والهامشية, والبعد عن التأثير في مجرى الأحداث, ففي "الخباء" و"بروكلين هايتس" كان الأب سلبيًّا, متقاعسًا عن القيام بدوره في حماية الأسرة ومراعاة شئونها؛ وفي "خديجة وسوسن" و"الطنطورية" وجدنا الأب دائمًا في الهامش, ليس له دور تقريبًا, كل ذلك رغبة من الكاتبات في إفساح المجال أمام بطلاتهن ليظهرن بمظهر الفاعلات, المؤثرات, المتحملات لنتائج سلبية الرجل وتقاعسه.

---

[1] السابق ص: 108

[2] الطنطورية ص: 75

[3] السابق ص: 127

صورة الأب في رواية الرجل

وعندما نتوجه إلى صورة الأب في رواية الرجال لعوضها في مقابل صورته في رواية الإناث نجد الوضع مختلفًا, ففي رواية "خالتي صفية والدير" لبهاء طاهر نجد الأب ليس هو البطل, لكن على الرغم من ذلك فهو يلعب دورًا محوريًّا في الأحداث, فهو الذي يتدخل للإصلاح بين حربي وخاله القنصل, كما نجده يتصف بالحكمة والذكاء في معالجة الأمور, فهو الذي ينقذ حربي وهو بين الحياة والموت وينقله إلى المستشفى, وعندما يفيق حربي يطلب منه الأب تسليم نفسه للشرطة, وذلك ليؤكد أنه بريء حتى لا تتعقد الأمور أكثر من ذلك, ونتيجة هذا التصرف الحكيم يجيء حُكم المحكمة على حربي مخففًا؛ ويظل يعمل هذا الأب الحكيم على توعية الناس بعدم مشروعية الأخذ بالثأر, فهو يخطب دائمًا بالمسجد ضد الثأر, ويأمل أن يأتي جيلًا جديدًا ينسى أمور الثأر والانتقام كما وضّح لابنه الذي لم يفهم موقفه, فهو من ناحية يظهر موافقته لصفية وفي ذات الوقت يراه يخطب ضد الأخذ بالثأر, فأفهمه أنه قد يأس من الكبار, لكنه على أمل من جيل جديد يخالف أباءه في هذه الأمور؛ نجده يحاول الإصلاح بين العائلات التي تدب بينها الخصومات, كما أنه هو صاحب فكرة اختباء حربي بالدير.

وفي رّهوة الخشخاش" لخيري شلبي وعلى الرغم من أن الأب لم يظهر كثيرًا على مسرح الأحداث إلا أن نصائحه المستمرة لابنه سواء كانت مباشرة وجهًا لوجه, أو غير مباشرة عن طريق المراسلة, نجد أن تلك النصائح هي التي أنارت له الطريق في كيفية التعامل مع عائلة الشماشرجية, فالأب هو أول من نّبه ابنه إلى جنون هذه العائلة, على الرغم من أن تعامل الأب في بداية الرواية مع أعمدة هذه العائلة لا ينم عن هذه المعرفة, حيث نجد الرجل يعلمهم حق العلم, يعلم أصلحهم وأفسدهم, يعلم ما يحبون وما يكرهون؛ وعلى الرغم من أن ابنه سيعيش مع واحد من أثرياء هذه العائلة إلا أنه لم يدعهم ينفقون على ابنه, فكان يعطيه ما يستطيعه من مصروف, وذلك ليكون الولد حريصًا على كرامته بينهم, فيحترمه الكبير قبل الصغير, نراه يأمره بالعفة, فلا يأخذ شيئًا لم يقدم ما يقابله من عمل وجهد, يأمره أن يكون عزيزًا, لا يقبل بقشيشًا حتى لا ُيقتل كبريائه, علَّمه أن الكبرياء لا يتجزأ, فإن هو تنازل عن شيء منه فكأنما تنازل عنه بالكلية, ومن ثم نجد الابن يعترف بأن نصائح أبيه كانت كالمقويات له, حيث شعر بعدها بأنه صار رجلًا محترمًا بحق, كما شعر بأنه قد قصّر في تقدير أبيه, وذلك لأنه وجد أمامه عملاًقا عظيمًا. هو الرجل الذي ُأحيل إلى التقاعد بعدما كان نائبًا لرئيس المجلس المحلي, فما لبث أن عاد إلى القرية ليخلع البدلة ويلبس الجلباب والسروال, ولا يأنف أن يحمل الفأس والمحراث ويفلح الأرض, وفي نفس الوقت

لم يكف عن قراءة الكتب والجرائد,ولا يتوقف عن كتابة الشعر العمودي في رثاء الأحباب والمناسبات العامة, بل وأحيانًا نراه يصعد المنبر ليخطب في الناس, كل ذلك كان يحمل الابن على الفخر بأبيه والتعلق به, ولعل مشهد وداع الابن[1] لأبيه يدل على كم هذا التعلق, فلولا الأم التي منعت الأب من الجري وراء السيارة التي يركبها ابنه لجرى وراءها ناصحًا, وموجهًا, ومرشدًا؛ وعندما تذهب الأسرة لحضور حفل زفاف عمرو بك الشماشرجي نرى الأب ينفرد بابنه لتستمر وتيرة النصائح, نصائح بألا يغتر بهذه الحياة الرخية التي يحياها فهي ليست أبدية, فهذا النمط من الحيوات كلما استرخى له استعبده؛ لذا نجد الأب يأمره بتعود الخشونة وقسوة المسئولية, ومن هنا يبدأ تغير البطل من ناحية تلك الحياة التي يحياها مع الشماشرجية,وعلى مدار الرواية تظل نصائح الأب ممثلة لعضلة ضمير البطل.

بيد أننا لا نقول أن جميع الآباء الذين تم تمثيلهم داخل خطاب الرجال كانوا بمثل الكيفية السابقة من حيث الحلم,والحكمة,والتعامل المتلطف مع أبنائهم, فقد نجد أبًا شديدًا كما هو الحال في "صهاريج اللؤلؤ" لخيري شلبي, بيد أن الكاتب قام بخلق مبررات لهذه الشدة / القسوة في بعض الأحيان, فهو يبررها بالحرص على مصلحة الأولاد,والخوف عليهم وعلى مستقبلهم, فالحاج مصطفى الصوفاني صاحب محل لتصليح وصنع الآلات الموسيقية, كما أنه يصاحب الكثير من الفنانين والموسيقيين, بل هو نفسه نراه موسيقيًا يعزف على آلة العود في فرقة صيت من حاشية البلوي, كما نجده يفتتح معهد لتعليم الموسيقى, ويبعث لنظارة المعارف مشروعًا لتعليم الموسيقى بالمدارس,وعلى الرغم من كل ذلك يُحرِّم على أبنائه جميعًا العمل بهذا المجال, ويمنعهم من الاقتراب منه بأي شكل, وذلك لعلمه بفساد الكثيرين ممن ينتمون إلى هذا الحقل, فهو يرى أن الحظ فقط والظروف السعيدة وحدها هي التي سمحت للفنانين الكبار أن يصبحوا كبارًا, لكن هناك الكثيرين لم تمنحهم الظروف هذا الحظ السعيد, مما حدا بهم للعمل خلف الراقصات والغوازي, لذا فهو يخشى أن يُصاب ولد من أولاده بهذه الكارثة, فالفن – كما يرى – مستقبله ببلادنا غير مضمون,والفنان قد يبيع شرفه وضميره تحت وطأة الحاجة.

---

[1] زهرة الخشخاش ص: 62

ونجد لدى الرجال أيضًا الأب الذي يخسر كل ثروته ويبددها, كما هو الحال في "لحس العتب" لخيري شلبي, لكننا لا نرى الابن يتهم أباه بالتقاعس والتخاذل كما فعلت الابنة / هند ببروكلين هايتس, بل نجد الابن يتلمس الأعذار لأبيه, فالأب الحاصل على عالمية الأزهر يخلع العمامة ويعمل بالفلاحة, وهي نفس مهنة الجد التي كونت لهذا الأخير ثروة طائلة, غير أن الأب لم يكن في براعة الجد, ولا حصافته, ولا قدرته على الادخار[1], هكذا رأه الابن وبرر حقيقة المشكلة؛ وعلى الرغم من أن الأب كان يرمي بالذنب كله على اتضاع الزمن, ونذالة الأيام, وكثرة العيال, إلا أن الابن رأى أن المشكلة الحقيقية ليست كما يدعى الأب, كما أنها ليست تقاعسًا منه, لكنها تكمن في كونه ليس بذكاء الجد, وليس لديه قدرة هذا الأخير على الادخار والأخذ في الاعتبار تقلبات الزمن.

وعلى جميع ما سبق نستنتج أن تمثيل الرجال لشخصية الأب يختلف تمامًا عن تمثيل الإناث له, فالرجال يمثلون الأب بصورة إيجابية لا سلبية كما وجدنا لدى الإناث؛ فالأب لدى الرجال نجده مؤثرًا في مجرى الأحداث عكس وضعه المهمش لدى الإناث, وحتى إن وجدنا تمثيله في هيئة قاسية أو مبددة لأموال الأسرة فإن الرجال قد يبررون تلك القسوة بالحرص على مصلحة الأبناء ومستقبلهم, كما يبررون ذلك التبديد لا بالتخاذل والتقاعس كما قالت الإناث بل بقلة الذكاء, وضعف القدرة على الإدخار, وعدم حساب تقلبات الدهر.

ولعل الشكل التالي يوضح الفارق بين تمثيل الأب لدى الرجال في مقابل تمثيله لدى الإناث:

الأب لدى الرجال	الأب لدى النساء
إيجابي	سلبي
مؤثر في الأحداث	في الهامش غالبًا
يتسم بالحكمة والذكاء والقوة	متخاذل ومتقاعس أو محايد بلا ملامح
يعمل من أجل مصلحة الأولاد سواء كانت المعاملة بالنصيحة أو بالشدة	يترك أمور الأولاد إلى الأم أو الجدة لتتصرف كما ترى ولا يتدخل مطلقًا
يقدره الابن ويتفهم شدته في بعض الأحيان	تلومه ابنته على تقاعسه أو لا تذكره بالمرة لأنه بلا دور تقريبًا

(شكل رقم: 43)

صورة الأم في رواية المرأة

[1] لحس العتب ص: 6

تحتل الأم في روايات الإناث المكانة الكبرى من حيث الكم, وأعني به اتساع المساحة الروائية التي تشغلها؛ ومن حيث الكيف, حيث التضحية, والمعاناة, وتحمل الأعباء, فترى الأم في خباء ميرال الطحاوي تمثل الجانب الشهيد, والذي يضحي دون أي بادرة تدل على التمرد, أو الغضب, أو حتى إظهار الألم؛ فهي دائمة الوجود داخل حجرتها, تلك التي لا تخرج منها مطلقًا, تلبي رغبات زوجها في الحمل والإنجاب, تكرر محاولات الحمل لتنجب له ولدًا حتى لو كانت تلك المحاولات قاتلة لها, وبالفعل تنجب أربعة ذكور, لكنهم يموتون جميعًا ودون سبب واضح, مما يجعل الجدة تعتقد أن الأم هي السبب, فتعتقد أن بطنها شؤمًا على الذكور, لذا ما تلبث أن تأمر ابنها / الزوج بخنقها, وهو بسلبيته وضعفه يلبي ويحاول, فيبرك فوقها محاولًا خنقها, وهي في ذلك لا تقاوم البتة, بل تتركه يفعل, وتكتفي بالبكاء بين يديه في ميلودرامية فجة تحاول بها الكاتبة جذب تعاطف المتلقي لشخصية الأم, مما يجعل الزوج يتعاطف معها ويتركها, وبعد محاولاته تلك للتخلص منها نجدها – ويا للعجب – تحمل منه مرةً أخرى, لكنها تُسقط وليدها مرة أخرى ثم تموت بموته. وكما الأم في (الخباء) نجد الأم في (بروكلين هايتس) لنفس الكاتبة, حيث المعاناة من ذلك الأب المتقاعس المتخاذل, الذي كلما فاتحته في موضوع العيش, والحياة, والأولاد كان المصير هو الدموع, والتنهدات, والزفرات, والوكلات, وما يكسره الأب من أبواب خلفه تبقى الأم تضمده باللواصق البلاستيكية كي لا يعبر الهواء البارد من شقوقه إذا جاء موسم البرد؛ وحتى عندما يترك الأب البيت ويظل على جلسته في المضيفة مع أصدقائه نرى الأم تقوم بخدمته وخدمة ضيوفه, فترسل لهم الطعام والشراب, وحتى الغيارات ترسلها له, وتسأل دائمًا إن كان يريد شيئًا؛ وها نحن نرى الأم تضحي طوال الوقت, تحرص على إسعاد زوجها, وحفظ بيتها وأولادها, بينما يظل الأب متقاعسًا, لا يهمه سوى شطحاته ورغباته فقط.

وفي رواية رضوى عاشور (خديجة وسوسن) –ولا داعي لإعادة الكلام – فإن الأم / خديجة هي التي تقوم بكل شيء, فهي البطل الحقيقي للرواية, هي التي تربي الأولاد, وتهتم بشئونهم, وتعمل على حل مشاكلهم, وهي التي تأمر, وتنهى, وتوجه, وتحذر, وهي التي تتحمل المسئولية كاملة وحدها, أما الأب فهو دائم الوجود خارج المنزل, وخارج الرواية تقريبًا. أما (الطنطورية) فهي الأم الصارمة التي تعمل طوال الوقت على توفير الجو الملائم لزوجها وأولادها كي ينجوا مما يحيط بهم من مخاطر تلاحق اللاجئين الفلسطينين, نراها تتدخل في كل التفاصيل ليصبح الابن من أولادها هو الأنجح والأكثر تفوقًا, فالصرامة تراها ضرورية لتربية الأولاد والحفاظ عليهم وعلى تفوقهم في ظل ظروف التهجير؛ إنها أم وزوجة لا تقتصر مهامها على بيت نظيف ولقمة لثلاثة صبية, وإنما هي المسئولة عن كل ابن تعليمه, سلوكه, أدبه, صحته, بل ونجاته من المخاطر؛ أما الأب فهو لا يلتقي بهم تقريبًا, بل والأحرى أن ليس له دور, فالأسرة إن نزلت بها مشكلة فالأم هي التي تحلها, والأب لا يملك سوى القول "**أصله يرده لا تخافي**", ليصبح نسخة من الأب في خديجة وسوسن, والذي كان لا يملك هو الآخر إلا قول "**دعيه وشأنه**"؛ وعندما يتبنى هذا الأب "مريم" بعد موت ذويها في إحدى الغارات الإسرائيلية لا يفعل شيئًا إلا أن يتركها لرقية / الأم, والتي تستجيب عن طيب خاطر لهذا الأمر الذي لن يكلف الأب سوى الاسم, بينما سيكلفها الكثير من الأعباء, فها هي ابنة جديدة تضاف إلى ثلاثة ذكور لديها, بالإضافة إلى حماة هرمة تتولاها بالرعاية, وليس هذا فحسب, بل ترى الأم أن عليها واجبًا تجاه الآخرين من اللاجئين الفلسطينين, لذا نراها تقوم بإعطاء دروسًا لمحو الأمية, ودروسًا أخرى لتقوية أطفال المرحلة الابتدائية, كما نجدها تطبع البيانات على الآلة الكاتبة للشباب, كل ذلك مضافًا إلى واجبات أخرى تقوم بها, كالغداء, أو التهنئة, أو حل إشكال عائلي, ولا غرو فهي البطلة المطلقة للرواية.

وحتى في رواية (فوج) لرضوى عاشور أيضًا نجد الأمر نفسه يتكرر, فعلى الرغم من أن دور الأم لم يكن كبيرًا إلا أنه اتخذ حيزًا روائيًا أكبر من الحيز الذي شغله الأب, كما كان دورها أكثر إيجابية منه, فالأم التي قُبِض على زوجها لنشاطه السياسي هي التي تحملت مسئولية ابنتهما الوحيدة, فكانت تذهب إلى العمل, وتقوم بواجباتها المنزلية, وتهتم بتعليم وتربية ابنتها, كما كانت تأخذها لزيارة أبيها في سجنه بانتظام, ظلت وفية إلى زوجها وبيتها حتى يخرج من السجن على الرغم من خوفها الشديد وتوترها لكونها تعيش وتتحمل هذه المسئوليات وحدها؛ ثم يعود الأب, ولا يقِّدر للأم كل تلك التضحيات, عاد ليفرض مكانته وقوته في البيت بدلًا من تعويض الزوجة عن سنوات السجن حبًا وتعاطفًا, فبدلًا من ذلك التقدير راح يدعو الأصدقاء إلى المنزل ليسهروا إلى أوقات متأخرة من

الليل, وهو في ذلك يطلب من زوجته القيام بخدمتهم, ولأنه بلا عمل فإنه يأخذ من أموال الزوجة لينفق على سهراته وأقلبه, حتى ينتهي الأمر بالطلاق, وعلى الرغم من كل ما فعله الأب كانت الأم لا تسمح لابنتها بالتكلم عن أبيها بشكل مهين أو غير لائق؛ وبعد الطلاق فإنه يتزوج ثانية وينجب, أما الأم فلم تستطع أن تبني حياة جديدة لاستمرار حبها له.

بيد أن هناك شيئًا خاص بأمر العلاقة بين الأم وابنتها قد تردد كثيرًا في روايات النساء دون الرجال, وهو الصدام الدائم بين الاثنتين, حيث تتمرد الابنة على تحكم أمها في ملبسها, وسلوكها, بل وفي درجة صوتها, وطريقة كلامها وضحكها ... إلخ, ومن ثم تعاقبها الأم إن خالفت تعليماتها, لتكرهها الابنة على ذلك, ولأن مشاعر الكراهية تجاه إحدى الوالدين مرفوضة من الوعي حينها ينقلب الحال لتشعر الابنة بأن الأم تضطهدها لأن هذه الأخيرة تكرهها, بل وتكره الابنة دون الابن؛ نلحظ ذلك في الباذنجانة الزرقاء لمريم الطحلوي (ص: 17) عندما تعود ندى / البطلة متسخة الملابس من اللعب في الشارع لتعنفها أمها وتضربها, غير أن الفتاة لا ترد مطلقًا, فقط تنظر إلى أمها بكراهية وغيظ, وتظل طوال الليل تبكي وتتساءل: هل هذه المرأة بالفعل أمها الحقيقية؟ كما أننا قد نلمح لدى الأم شعورًا بأن وجود هذه البنت نكبة لكل طموحاتها وما أُملته فيها, لتظل الأم تعاني من تمرد البنت وسوء خلقها, ولتظل الفتاة ترى في أمها عدوًا كارهًا مضطهدًا لها؛ ونفس هذه العلاقة نجدها في بروكلين هايتس لنفس الكاتبة (ص: 18), حيث علاقة هند / البطلة بأمها تتحول إلى جحيم, وكانت دائمة السؤال لأمها: "**لماذا لا تحبها؟ أو أنها ليست أمها؟**" وربما أعلنت الفتاة كراهيتها لأمها وقالت: "**بكرهك.. بكرهك**" وبالطبع فالأم لا تكره ابنتها, لكن المشكلة تكمن في كون الفتاة لا تريد أن تصبح كما أرادت لها أمها "**راضية حمولًا مطيعة**". إن الشعور تجاه الأم في هذه الحالات فإنه يسير تبعًا للقاعدة التالية: "أنا أحب أمي" ← لكن "أمي تعنفني باستمرار" ← إذًا "أنا أكره أمي" ← إحساس مرفوض من الوعي ← حينئذ يحدث إسقاط نفسي لتصبح العلاقة "هي من تكرهني", والدليل أنها تضطهدني ← لتصبح أخيرًا: "أنا أكره أمي لأنها تضطهدني"[1].

---

[1] لمزيد من التفاصيل حول هذه القاعدة يُنظر: البارانويا Paranoia, وتعرض سيجموند فرويد لموضوع البارانويا في دراسته المطولة لحالة "الرئيس شربير President Schreber" من خلال سيرته الذاتية, حيث كشف عن أهمية الجنسية المثلية والموقف الأوديبي السلبي في نشأة جنون الاضطهاد. (ثلاث مقالات في نظرية الجنسية, مرجع سابق ص: 173)

وإليك المزيد من الأدلة, ففي خديجة وسوسن لرضوى عاشور نجد خديجة وهي صغيرة توجهها أمها باستمرار وتكرر لها "**الولد أرحم**"[1], لترى البنت أن أمها تنحاز لأخيها دون وجه حق, وعندما تشتكي لإحدى زميلاتها تقول لها تلك الزميلة: "**هكذا الأمهات يفضلن الأولاد وينحزن لهم ويتعاملن معنا بقسوة غير مفهومه**" ثم تعلق خديجة على كلامها "**يبدو صحيحًا, فلماذا؟!**"[2] لتظهر القاعدة السابقة في كلام خديجة / الابنة وتتأكد حين تقول "**ليست الأمور بيني وبين أمي على ما يرام, شيء ما يعقدها ويعرقل سلاستها**" وعندما حكت ذلك لأمها تضايقت الأم, وتصورت أنها تهينها بهذا الكلام, وهنا تظهر القاعدة النفسية السابقة جلية في قول الابنة "**أنا أحبها فكيف أهينها؟ هي التي تهينني باستمرار وتكرر أن الولد أرحم**"؛ وبعد ذلك الصراع بين الأم وخديجة ينشأ صراع جديد, لكن هذه المرة بين خديجة / الأم وسوسن / الابنة التي ترى في أمها سلطة لا بد من التمرد عليها, وعلى سيطرتها الكاملة عليهم وعلى مقدرات حياتهم جميعًا, لكن الملاحظ أن الكاتبة عندما أرادت لإحدى الشخصيات التمرد اختارت الفتاة / سوسن دون الفتى / سعد؛ وما كانت تفعله خديجة وهي صغيرة من تمرد على أمها وأسرتها صارت تعيبه الآن على سوسن, لكن ليس هذا هو المهم هنا, إنما الأهم أن الكاتبة خلقت هذا التوتر الدائم بين الأم وابنتها (الأم × خديجة) (خديجة × سوسن), ولم تجعله بين الأب وابنه وإن كان أليق, ولا حتى بين الأم وابنها وإن كان أوقع.

وفي رواية (فوج) لرضوى عاشور أيضًا, نجد الوضع نفسه بين الابنة وأمها, فـ"ندى" / البطلة لا تحتمل الثوب الذي اختارته لها أمها عند زيارتهما لأبيها في السجن, ونجدها تعلق على ذلك بقولها "**قررت أنني لم أعد أحتمل الثوب المفروض عليّ, دخلت دورة المياه وخلعت الثوب وطويته وخرجت بملابسي الداخلية, ولتقل أمي ما تقول, لتصِح كما يحلو لها, إنها سيدة مجنونة على أي حال تصيح كثيرًا بلا سبب**"[3] وهذا هو أنموذج علاقتها بأمها "**تصرخ فأصرخ, تأمر فأضرب بأوامرها عرض الحائط**"[4] وهكذا تسير العلاقة كما أوضحنا أعلاه, ترتيد الأم السيطرة على سلوك الفتاة, ترفض الفتاة تلك السيطرة, فتعنفها الأم لتمردها عليها, مما يدفع الفتاة لتفسير ذلك التعنيف بأنه كراهية واضطهاد.

والحق أننا لا نريد الذهاب بعيدًا في هذه القضية, خاصة أن علاقة الفتاة بأبيها داخل خطاب النساء الروائي جاءت على النقيض من علاقتها بأمها, فعلى سبيل المثال نجد فاطمة / الابنة في (الخباء) تتعلق بأبيها تعلقًا

---

[1] خديجة وسوسن ص: 17

[2] السابق نفسه

[3] فوج ص: 11

[4] السابق ص: 41

عظيمًا, فعلى الرغم من سلبيته فهي تقر دائمًا بحبها له "**أحبه أحبه ... أحب صمته وشروده**"[1] وعلى الرغم من معرفتها بأنه كان يخنق أمها فهي تستمر في حبه, وهي بالنسبة له أميرة عدنانية أصيلة, ولا يقل لها إلا "**يا أميرة أبيك**"؛ لنجد ذات الوضع لدى ميرال الطحلوي أيضًا لكن هذه المرة في (نقوات الظباء)[2], كما نجده عند نفس الكاتبة بـ (بروكلين هايتس), فلقد كانت هند / الابنة هي الوحيدة بين إخوتها التي تستطيع أن تذهب إلى أبيها في المضيفة لتطلب منه المال لأمها, ولا تخاف هي من ذلك الطلب الذي كان دائمًا ما يغضب أباها, لكنها تقر بالرواية أنها مهما بلغ من قسوة وغضب فلن يتمادى حتى إن أراد ذلك على حد قولها, والأسرة تعلم منه ذلك والدليل أننا نراهم يتعمدون في كل مرة إرسال هند لا أحد غيرها, لأنه لن يردها – غالبًا – خائبة "**أحيانًا تذهب لتسأله عن فكة لماما, كانت هند تكره ذلك الجزء من مهامها المذلية التي لا يستطيع أحد غيرها القيام بها, ويرفض الإخوة الذكور الإقدام على المحاولة, ذلك التفاوض اليومي على النقود كان يتم من خلالها... لم يكن أحد من إخوتها يستطيع فعل ذلك, لأن أباها في النهاية يبتسم لطفلته ولا يستطيع أن يتمادى في قسوته حتى لو أراد**"[3], ولو ذهبنا لتفسير هذه الظاهرة لن نجد أنسب من عقدة أوديب Œdipus-complex التي تكلم عنها فرويد Freud, S., ففي فترة متأخرة من فترات نمو الطفل النفسي – حوالي السنة الخامسة – يتعلق الطفل بالوالد من الجنس الآخر (الابنة بالأب) تعلقًا لا يلبث أن يقع عليه الكبت بسبب الصراع الناشئ عن اصطدام هذا التعلق بمشاعر الغيرة, والكراهية, والخوف التي يستشعرها الطفل تجاه الوالد من نفس الجنس (الأم بالنسبة للابنة), وتلك هي عقدة أوديب الإيجابية, ولك أن تنظر في ذلك إلى قول فاطمة لأبيها في الخباء (ص: 40) "**سأبقى معك لن أتزوج غيرك**" لكن قول ندى في الباذنجانة الزرقاء (ص: 38) أوضح في بيان ذلك "**وأمي التي تقف الآن بيني وبين أبي كانت ترمقني بالنظرة نفسها**" وكانت تعني نظرة زميلتها إليها وهي –زميلتها – تحادث المعلم الذي تحبه ندى, وكأن الأم أخذت منها الأب كما أخذت زميلتها منها المعلم الذي تحبه, وإليك دليل آخر "**بعناد أكثر أبتلع دموعي ولا أتكلم, أمي لازالت تشرب الشاي ببطء وفي عينيها انتشاء يهزمني**", ثم يموت الأب فنجد العلاقة بين الأم وابنتها تتغير تمامًا, قالت "**ثم أمها صارت حزينة جدًّا وربما صارت ودودًا معها لأن الذي كانا يتعاركان على محبته (تعني الأب) قد مات**"[4].

---

[1] الخباء ص: 48

[2] نقوات الظباء ص: 21–77

[3] بروكلين هايتس ص: 79

[4] الباذنجانة الزرقاء ص: 112

غير أن العداء بين الابنة وأمها قد يحتمل عقدة أوديب السلبية أيضًا, وذلك عندما تحل مشاعر التعلق العشقي محل مشاعر العدوان التي يحسها الطفل حيال الوالد من نفس الجنس[1] (الأم وابنتها), وذلك مثل العداء الذي كان بين خديجة وسوسن لرضوى عاشور, فلم تكن سوسن لتتعلق بأبيها تعلق بطلة الخباء أو الباذنجانة الزرقاء بأبيهما, وإنما نجد سوسن تحب أمها حبًّا شديدًا على الرغم من الخلاف الحاد بينهما, والذي وصل إلى حد ترك سوسن للبيت, لكن على الرغم من ذلك نجد سوسن تقول: **"تفزعني وأحبها, ليس فقط لأنني نشأت على حبها ولكني أحبها لأني أحبها, وأعي تلك اللحظات التي تفاجئني فيها نفسي وهي تسعى إليها وتطلب القرب والقبول, وأرتبك لأني لا أعود أفهم إن كانت سوسن الواقفة بعيدًا تحمل ألف مأخذ على خديجة واقفة بعيدًا حقًا بكامل روحها أم أن شيئًا ما ينسلت منها ويخطو متلصصًا إلى المرأة الواقفة هناك يفتح ذراعيه ليطوقها وهو يهمس: انظري إلي يا أمي فأنا أحبك"**[2].

صورة الأم في رواية الرجل

إذا كانت المرأة في كثير من الأوقات تضع الأب في الهامش لتبرز دور الأم / المرأة ومدى تضحياتها فإن الرجل لا يفعل ذلك, فهو لا يخفي أحدًا في سبيل إعلاء شأن أحد, وإذا كان الرجل يقدم الأب في ثوب الحكمة, والقوة, والاحترام, فإنه لا يغفل دور الأم, ولا يقلل من خطر شأنها, بل على النقيض, فهو قد يرى أنها الجانب المكمل لسلوك الأب, فكلاهما (الأب / الأم) يكمل الآخر؛ ففي "المنخل الحرير" – إحدى قصص مجموعة الوتد – لخوي شلبي نجد الأم تقوم باكرًا, تأخذ نقودًا من زوجها لتذهب فتشتري القمح, وابنها يتعجب من هذه الحيوية على الرغم من أنها تشرب المر ليلًا ونهارًا, لتعود بعد ذلك كي تقوم بتنقية القمح حبة حبة, ثم تذهب لغسل القمح, ثم ترجع لتضعه فوق سطح الدار في الشمس ليجف, لتنزل إلى أسفل تجهز العشاء وتنظف الدار, ثم تحمل القمح مرة أخرى لتذهب به إلى ماكينة الطحين, ثم تعود مرة أخرى لتغربل الكيل, وهي في كل ذلك لا تغفل عن ابنها, ليتضح غرض الكاتب من ذلك كله, وهو بيان أهمية دور الأم / المرأة, ومدى تحملها من آلام ومشقات في سبيل أسرتها؛ وما قدمه خوي في المنخل الحرير يتطابق مع ما قدمه في "الخزنة" – إحدى قصص نفس المجموعة – فالأم في هذه القصة تتحمل الكثير من المشقة, والتعاسة, والفقر في سبيل بقاء أسرتها, وعلى الرغم من كل تلك التعاسة والشقاء فهي لا تتهم الأب بالتقاعس, بل على النقيض, فهي تحبه, تظل في نهارها قلقة عليه, ولو أمطرت السماء يتعاظم خوفها عليه, فتذهب إلى الأقارب والجيران ليلحقوا بالرجل قبل أن يغرقه المطر, وعندما تراه

---

[1] ثلاث مقالات في نظرية الجنسية, مرجع سابق ص: 186

[2] خديجة وسوسن ص: 110

مقبلًا تهم باستقباله, وتود لو حملته على صدرها, وهو الرجل الذي يغضبها فتترك له البيت, لكنها ما تلبس أن تعود حرصًا على بقاء أسرتها, ومع كل ذلك نجد الراوي / الابن لم يمل لأي من الطرفين (الأم / الأب), حيث نجده يتلمس الأعذار لهذا الأب الذي يعمل ويسعى – على الرغم من تقدمه في السن – لكن الحياة دائمًا ما تتعقد, وكذلك يبرر موقف الأم, فماذا تملك هي غير امتصاص بعض غضباته؟ وبهذه الطريقة لا نجد الكاتب يميل لطرف دون الآخر.

أما الخالة مسعدة في "بغلة العرش" لخيري شلبي أيضًا فهي أنموذج من ضمن نماذج عديدة قدمها الكاتب للمرأة المصرية على مدار مشروعه الروائي الكبير, وأنموذجها الأثير عنده هي المرأة التي تواجه الظروف الصعبة, غير أنها تتحمل وتكافح في سبيل خدمة أولادها, فالخالة مسعدة مات عنها زوجها بعدما ترك لها ستة صبيان وخمس بنات, لتتحمل مسؤليتهم وحدها, فيموت لها ثلاثة ذكور في حروب مصر المختلفة, ويذهب الرابع إلى حرب أكتوبر ليعود بلا يدين ولا رجلين, لتتحمل هي مسئولية البنات والولدين الباقيين, فزاها تعمل في الحقول هي وولديها, ليموت ابنها العاجز, فيذهب أحد الأولاد إلى ليبيا ليسجن هناك, ويذهب الآخر إلى العراق لكنه يختفي بعد حرب الخليج الأولى, لتبقى الأم وحدها تتحمل مسؤلية بناتها وزواجهن.

وفي "أكل العيال" – إحدى قصص مجموعة (ما ليس يضمنه أحد) – لخيري شلبي نجد الأم التي تقوم مع الفجر, تذهب إلى "حنفية" المياه العمومية, لتعود بالماء إلى البيت حتى يغتسل الجميع, ثم تنزل مرة أخرى إلى فرن الخبز, لتحضر منه جبلًا من الأرغفة يكفي أولادها السبعة, وبعدما ينتهي الجميع ويذهبون إلى مدارسهم تنهمك في عملها على ماكينة الخياطة, ثم تنتظر أن يأتي زوجها "الأسطى محروس السواق" عند الظهيرة ليعطيها ثمن الغداء, والذي تتفنن في تلفيقه ليشبع الأولاد؛ إنها المرأة التي تحسدها كل نساء الحي على ذكائها وقدرتها على التصرف, بينما يحسد الرجال زوجها على هذه السيدة, والتي لولاها ما استطاع العيش في هذه البلدة التي أكل فيها الناس بعضهم البعض؛ لتبقى الأم على هذا المنوال حتى يأتي يوم امتحان العيال, عندها تسير أم هبة متعجلة, لتتعثر في مشيتها أثناء مرور بلدوزر, فيعبر فوق ذراعها ليقطعها, وعلى الرغم من ذلك تقوم المرأة التي لا يشغل تفكيرها سوى العيال وأمرهم فتهرول وتقول: **"أكل العيال يا خرابي! يا مصيبتي! ... ساعدوني يا خلق ...وسقطت على الأرض في غيبوبة وذراعها الباقية تحتضن ما جمعته من أرغفة"**[1]

[1] ما ليس يضمنه أحد ص: 148

أما الأم في "إسطاسية" – لخيري شلبي أيضًا – نجدها طوال الوقت سندًا للبطل, وموجهته إلى الصواب دائمًا, وولاءها لما عرف لنفسه رأسًا من قدم, فهي التي تحميه من الأخطار, تحفظ له حقوقه, وتحافظ له عليها, تربي ابنها ليكون مثل أبيه الشيخ حامد الولي, والذي كان السبب الوحيد لاحترام أهل القرية لهذه العائلة, وعندما يحاول العم / العمدة استغفال البطل وسرقة حقه في ماكينة الطحين هي التي تدخلت, وكشفت عن الأوراق التي تثبت حق الابن في هذه الماكينة, وفي الأرض, وباقي ممتلكات العائلة؛ وعندما أراد بهاء / البطل التبرؤ من اسم هذه العائلة – بعدما رأى كم الفساد الذي يرعاه أعمامه ويقومون به – نراه هي التي تعنفه, وتمنعه من ذلك الفعل المشين, فوجهته بحكمة لما يجب أن يفعله, فهو إن اشتكى من ذراعه لن يقطعها, وإنما عليه أن يعالجها, لذا فعليه معالجة العائلة وتقويمها كما كان يفعل أبوه الشيخ, لا أن يتبرأ منها ويهجرها؛ وتستمر الأم طوال الرواية ممثلة للعقل المفكر والموجه للبطل, فهي التي تخطط لمستقبله وحياته, وذلك حتى يعيد للعائلة شرفها الذي لوثه الأعمام.

والحق أننا لو تتبعنا كيف يقدم خيري شلبي الأم على مدار مشروعه الروائي بالكامل لما أسعفتنا الأوراق, فنجد الأم حاضرة بقوة في "المنحنى الخطر", وفي "تقليب المواجع", وكذلك في "عدل المسامير", وهو في كل مرة يقدم الأم بهذا الشكل الرجولي, المتحمل للمسئولية, لكنه في ذلك لا يغفل حق الأب, والذي يعمل هو الآخر قدر جهده ليكمل هو وزوجته بعضهما البعض, فعلى سبيل المثال العم محروس السواق في قصة "أكل العيال" التي عرضنها آنفًا, فالرجل يخرج مع الفجر دون إفطار, ليسعى مبكرًا حتى يستطيع جلب نقود لغداء الأولاد عند الظهيرة, وهو الذي يتفق مع أحد المقاولين على ترك العشة التي يعيش فيها هو وأسرته مقابل أن يبني المقاول بيتًا يكن لعم محروس فيه شقة, إذًا فالرجل يسعى ويجتهد, يحاول تدبير أمور المعيشة ليكمل هو وزوجته بعضهما البعض؛ وعليه يتضح أن الرجال يوازنون بين أهمية الأب والأم ودورهما في رعاية الأسرة, على العكس مما وجدنا لدى الإناث حيث تهميش دور الأب وإظهار سلبيته والتركيز على ذلك في سبيل تعظيم دور الأم.

لكن بعيدًا عن الأم يبقى شيء يختص برؤية الرجل للمرأة لا بد من رصده, وهو رؤية الرجل للمرأة على أنها لغز غير مفهوم في بعض تصرفاتها, ففي "قالت ضحى" لبهاء طاهر نجد البطل الذي أحب ضحى, واعترفت هي له بحبها, وقد اتفقا على أن تُطلق من زوجها حتى يتسنى له الزواج منها, لكن فجأة تتغير ضحى من ناحية البطل, ليجدها في اليوم التالي لاعترافهما بحبهما وكأنها امرأة أخرى لا تعرفه, حيث تقابله ببرود شديد, ولا تريد أن تتذكر شيئًا مما كان بينهما في أي وقت, وتقول له: **"كل شيء انتهى ويحسن أن تنساه"** وعندما يسأل عن السبب

تقول: "**لا تسأل إنسان لماذا أحب؟ولا لماذا مات حبه؟**"[1] ليظل هذا اللغز بلا تفسير, ليسأل البطل الدكتور / القواد عن حكاية صديق أحب امرأة مخطوبة, وأحبته تلك المرأة وأعطته نفسها, وقالت أنها مرغمة على الخطوبة, ووعدته بفسخها, ولكنها فجأة تركت الصديق ورجعت إلى خطيبها, والصديق حائر لا يعرف لماذا أعطته نفسها؟ولا لماذا تركته ورجعت إلى خطيبها؟ ليرد الدكتور: "**سمعت كثيرًا من أمثال هذه القصص, النساء ألغاز لمن لا يعرفهن**"ثم يفسر الدكتور ذلك بأن المرأة مثل الرجل تريد أكثر من واحد[2], بيد أن هذه التفسير لا يُقنع البطل بله المتلقي.

وكما كانت ضحى لغزًا كانت صفية في "خالتي صفية والدير" لبهاء طاهر لغزًا آخر, فلقد أحبت صفيةُ حربيَ حبًّا شديدًا, لكنها حين وجدته لا يفكر فيها تزوجت من خاله القنصل, ليبدأ اللغز, وهو حب صفية الحقيقي لهذا القنصل, فلقد تزوجته كيدًا لحربي, والطبيعي أنها لم تحب هذا القنصل يومًا, لكنها لم تُظهر ذلك, بل على النقيض, فلقد منحت القنصل سعادة لم يحلم بها[3], كانت تخدمه وتسهر على راحته كما لو كانت تحبه بإخلاص, فهي تعد له فطوره, وتظل واقفة بين يديه حتى ينتهي, ثم تعد له ثيابه, وتساعده في لباسه, وتوصله إلى الباب وهي تنفض التراب عن ثيابه أو تسوي له ياقة قميصه, وتوصي السائق بأن ينتبه وهو يقود السيارة, وأن يُذكّر البك بموعد الغداء, ولقد كانت تبكي ويصفر وجهها إن غاب أو تأخر, وترسل الخدم للبحث عنه,ولا تذوق طعامًا إن أصابه برد أو صداع, وتظل مقعية بجانب فراشه طيلة أيام مرضه,ولا تجدي توسلات أحد إن طلب منها أن تنام ولو قليلًا, ليدهش كل ذلك الجميع, بما فيهم الراوي, والذي ظل في حيرة من أمرها إلى أن تقدم به العمر, فمازال يسأل نفسه: "**لماذا أحبت صفية بعد حبها الأول لحربي ذلك الرجل الذي يبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف عمرها؟ وهل أحبته لسبب ما؟ أو لعلة ما؟ أو أنها أحبته فحسب؟ مثلما تحب أية امرأة أي رجل؟**"[4] والحق أنه لم يعثر على إجابة لهذا السؤال / اللغز.

ولا تتوقف تلك الرؤية الملغزة للمرأة على بهاء طاهر, بل إننا نجد قصة بمجموعة خيري شلبي "تقليب المواجع" قد عنونها بـ "لغز الأنثى", حيث نجد المهندسة هبة, ابنة هلال بشر, هذا الرجل الهرم الذي تزوج من سكرتيرته الصغيرة, والتي كانت في عمر أولاده, لكنه أنجب منها هبة, وعلى الرغم من اعتراف هبة بالتعاسة التي

---

(1) قالت ضحى ص: 85

(2) السابق ص: 99

(3) خالتي صفية والدير ص: 56

(4) خالتي صفية والدير ص: 58

عاشتها أمها مع أبيها نتيجة الفارق العمري الكبير بينهما إلا أننا نجدها عندما ترى مشهد الطبيب الذي تخطى الثمانين من عمره متأبطًا زوجته التي كانت في الثلاثينيات من عمرها نجدها تشيعهما بنظرات الاغتباط والبهجة وتقول: "**يا بختك يا هَنَاكِ عقبالي يارب في عريس مفتخر كهذا!**"[1] وبالطبع فهذا موقف ملغز, ومتناقض, وغير مفهوم من الفتاة التي تقر بتعاسة أمها وفي نفس الوقت تريد تكرار تلك التجربة!

وفي نفس المجموعة السابقة نجد قصة "المنطقة الوعرة", حيث الطبيب مصطفى السعيد جابر, والذي كان في صباه شابًا وسيمًا, قويًّا, ممتلئًا رجولة وفتوة, شديد الثقة بالنفس, إلى أن جاء يوم استأجر فيه زملاءه امرأة للغسيل و"المكوى إن أرادوا", وإذا بالمرأة توافق على أن يضاجعها الجميع ما عداه, وعند سؤالها لماذا؟ تقول: **لا أعرف**, وهو بالتبعية لا يعرف السبب في صدها له, ليظل هذا اللغز محيرًا للجميع, ليتخصص الشاب بعد ذلك في طب النساء رغبة في فهم لغز المرأة يقول: "**أردت أن أفهم لغز المرأة, أن أدخل إليها من الباب السفلي الذي تتمركز فيه أسرارها, صممت على تأجيل الزواج إلى أن أدرسها وأفهمها جيدًا, نجحت في الدراسة, وفي حياتي العملية, لكنني لم أنجح في فهم أي شيء, فكل يوم أجابه جديدًا يكمن في هذه المنطقة الوعرة**"[2]

وعلى ما سبق نجد رؤية متحدة من جانب الرجال على أن المرأة في كثير من قراراتها وسلوكها – تجاه الرجل خصيصًا – ملغزة غير مفهومة.

---

[1] تقليب المواجع ص: 31

[2] السابق ص: 89

صورة الجدة المتسلطة في رواية الرجل / المرأة

ماذا لو أخذنا شخصية روائية طرحها الرجل وطرحتها المرأة من نفس المنظور /زاوية الرؤية[1], وذلك لنقف على حجم الاختلاف بين الرجل والمرأة في التعامل مع هذه الشخصية والحكم عليها وعلى تصرفاتها, فلتكن إذًا شخصية الجدة, وذلك لأن ما قدمه خيري شلبي في "الوتد" من شخصية الحاجة فاطمة تعلبة يتقارب بشدة مع ما قدمته ميرال الطحاوي من شخصية الجدة حاكمة في "الخباء", فالقصتان تتقاربان موضوعًا, وهو قوة الجدة / المرأة في البيئة الريفية / البدوية, فكلتا الجدتين يمتلكان سلطات واسعة على جميع أفراد الأسرة, وكلتاهما يسيطران على الأبناء والأحفاد,ولا يستطيع أي من هؤلاء معارضتهما في أي من أقوالهما, أو أفعالهما, أو قراراتهما؛ بل كل ما يتفوهان به مطاع من الجميع, شاءوا أم أبوا, هذا من جانب الموضوع والشخصية؛ أما من جانب المنظور /زاوية الرؤية فهو متساوٍ في كلا العملين, فصاحب المنظور في القصتين هو الحفيد / الحفيدة,والتي ترى وتروي لنا أعمال الجدة وأقوالها وسلوكها, لنحكم عليها بما توحيه لنا تلك الأقوال والأفعال؛ ليبقى بعد ذلك وجه الاختلاف الوحيد, ألا وهو جنس الراوي,وهو ذكر في رواية خيري, أنثى في رواية ميرال, ومن هنا اختلف تصوير الجدة والحكم على تصرفاتها, فالذكر يرى في قوة الجدة وتسلطها وسيطرتها وتَدًا يتماسك بسببه بناء الأسرة, أما الأنثى

---

[1] وجهة النظر Point of View / المنظور Perspective / الرؤية Vision / التبئير Focalization كلها مسميات لنفس الماهية, فالخطاب من حيث كونه طريقة لرؤية العالم يقترب مما أصبح مشهورًا في نقد الرواية بوجهة النظر بالمعنى الأيديولوجي, أي زاوية الرؤية التي يُرى منها موضوع العرض, فالخطاب الروائي يتضمن تضمنًا لا مفر منه نغمة المؤلف الضمني Implied Auther متبنيًا اتجاهه attitude في موضوعه, وهذا يعني كما قال واين بوث Wayne C. Booth في بلاغة المتخيل السردي Rhetoric of Fiction أنه يوجد داخل كل قصة قاص يتكلم, ويمكن اكتشافه,ولا توجد رواية محايدة أو موضوعية؛ ولقد عد بوث هذه الملحوظة على أنها حقيقة مركزية في البنية التركيبية للروايات. وعليه فوجهة النظر: هي ذلك الموقع المتخير قصدًا بحيث يمكن رؤية أحداث القصة من خلاله, فوجهة النظر هي تلبس الراوي بشخصية تحكي لنا قصة من وجهة نظرها. (يلاحظ أن المؤلف الضمني هو القناع, أو الشخصية الأخرى للمؤلف الحقيقي؛ فالمؤلف الضمني للنص يجب أن يُميز عن المؤلف الحقيقي, فخيري شلبي هو المؤلف الحقيقي, في حين أن الحفيد هو المؤلف الضمني) انظر فيما سبق: اللسانيات والرواية, مرجع سابق ص: 116-120؛ برنس (جيرالد) Prince, Gerald, المصطلح السردي, ترجمة: عابد خزندار, المجلس الأعلى للثقافة, ط1, القاهرة, (2003م), ص: 110؛ هينكل (روجر) Henkle, Roger B., قراءة الرواية: مدخل إلى تقنيات التفسير, ترجمة: أ.د. صلاح رزق, آفاق للترجمة, الهيئة العامة لقصور الثقافة, ط2, القاهرة, (1999م), ص: 204؛ وانظر أيضًا: Fairclough, Norman (2003). Analysing Discourse: textual analysis of social research. London: Routledge. P.124; and see also: Sunderland 2006:47

فقدرأت تلك السيطرة ديكتاتورية مقيتة لا بد من التخلص منها, على الرغم من أنه عندما تم التخلص من الجدة بممتلكاتها تبعثر المنزل وانهار بالفعل, لكن ميرال رأت أن هذا الظلم والقهر الواقعان على أهل الدار من الجدة ليس في صالح المنزل أو الأسرة, بل إنه يؤدي إلى كبت ومعاناة ينتج عنهما رغبة في الانتحار والخلاص من تلك الحياة القاسية.

إذًا فالقصتان على مستوى الموضوع والشخصية والتبئير تمتلكان نفس المقومات التي تسمح لنا بالمقارنة بين شخصية الجدة في كلا العملين, لكن الاختلاف الجوهري بين الخطابين كان على مستوى الراوي, والذي تأثر بجنسه الذكوري / الأنثوي؛ ولقد نلاحظ هذا التقارب من خلال الشكل التالي:

وجه التقارب	الخباء	الوتد
الراوي / المبئر	الحفيدة	الحفيد
الشخصية الرئيسية	الجدة حاكمة	الحاجة فاطمة تعلبة
ما تتميز به الشخصية	القوة / التحكم / السيطرة	القوة / التحكم / السيطرة
الفضاء الروائي	البيئة البدوية / البيت	البيئة الريفية / البيت
علاقة الرواية بنشأة المؤلف	ميرال صاحبة نشأة بدوية فهي من قبيلة الطحاوية بمحافظة الشرقية	خيري صاحب نشأة ريفية فهو من قرية شباس عمير بمحافظة كفر الشيخ
وجه الاختلاف	الراوية امرأة	الراوي رجل

(شكل رقم: 44)

الشخصية Character

إن الشخصية الروائية كائن ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص[1] دون أن تكون الشخص نفسه, وذلك لأن الشخص هو إنسان في الواقع, أما الشخصية فهي صورة تمثل الشخص الواقعي؛ والشخصية عنصر محوري في السرد, بحيث لا يمكن تصور الرواية بدونها, وذلك لأن التشخيص هو محور التجربة الروائية, والغاية الأساسية من إبداع الشخصيات الروائية هي أن تمكننا من فهم البشر ومعايشتهم[2], وعلى الرغم من تلك الأهمية فقد نواجه عنتًا عند تعريف الشخصية, والسبب هو اختلاف النظريات حول مفهومها, ففي النظرية النفسية تتخذ الشخصية جوهرًا نفسيًّا وتصير إنسانًا, أما النظرية الاجتماعية فتحول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي يعكس وعيًّا أيديولوجيًّا, وبخلاف هذا وذاك نجد المدرسة البنيوية تنظر إلى الشخصية على أنها علامة يتشكل مدلولها من مجموع أفعالها التي تنجزها في سياق السرد وليس خارجه, وعلى ذلك فالتحليل البنيوي بتجريده للشخصية من جوهرها النفسي ومرجعها الاجتماعي لا يتعامل مع الشخصية بوصفها شخصًا, وإنما بوصفها فاعلًا ينجز دورًا في الحكاية, فالعبرة من وجهة نظر البنيوية تكمن في ما تقدمه الشخصية من عمل, فهي لا تنمو إلا من وحدات المعنى؛ إن الشخصية تُخلق من الجمل التي تتفوه بها أو يتفوه بها الآخرون عنها[3], وهذا ما قرره فيليب هامون .Hamon, Ph حين قال: "إن الشخصية الروائية تتولد من وحدات المعنى, فهي لا تُبنى إلا من خلال جمل تتلفظ بها أو يُتلفظ بها عنها"[4] وأيد ذلك تودروف Todorov حين قال: "إن الشخصية الروائية مسألة لسانية قبل كل شيء, ولا وجود لها خارج الكلمات"[5]. وعلى ما سبق نقول: إن الشخصية الروائية محض خيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة يسعى إليها, فالشخصية قبل كل شيء قضية لسانية, ولا وجود لها خارج

---

(1) برنس (جيرالد) Prince, Gerald, المصطلح السردي, مرجع سابق ص: 42

(2) هينكل (روجر) .Henkle, Roger B, قراءة الرواية, مرجع سابق ص: 216

(3) لحميداني (د. حميد), بنية النص السردي, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر, ط1, بيروت, (1991), ص: 50

(4) هامون (فيليب) Hamon, Philip, سيميولوجيا الشخصيات الروائية, ترجمة: سعيد بنكراد, دار الحوار للنشر والتوزيع, ط1, سورية, (2013م), ص: 39

(5) فتاح (د. علي عبد الرحمن), تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل, مجلة كلية الآداب, عد (102), جامعة صلاح الدين, العراق, ص: 46

الكلمات[1], ومع ذلك فإن رفض أية علاقة بين الشخصية والشخص أمر لا معنى له, وذلك لأن الشخصيات تمثل الأشخاص فعلًا, ولكن طبقًا لصياغات خاصة بالتخيل, وعليه فالشخصية الروائية ليست سوى مجموعة من الكلمات[2] تمثل أشخاصًا من المحتمل وجودهم في الواقع.

والشخصيات تبعًا لفورستر Forster, E.M. – أحد رواد الرواية في مطلع القرن العشرين – نوعان: الأولى هي الشخصية المسطحة Flat character, وهي الشخصية المحكومة بفكرة ثابتة لمبدعها؛ أما الشخصية الثانية فهي الشخصية المدورة / المتكاملة Round character, وهي تلك الشخصية التي تجسد كل ضروب التنوع والتعقيد في الطبيعة الإنسانية[3]. وهنا نجد أول الفروق بين الرجل والمرأة في بناء شخصية الجدة المتسلطة, فالشخصية المسطحة تكون دون عمقٍ سيكولوجي, حيث لا تفاجئنا مطلقًا, بل تقتصر على سمات ثابتة ومحددة, كما هو الحال في شخصية الجدة حاكمة لموال الطحلوي, فلقد ظلت تلك الشخصية وفية لمشاعر الكراهية والاضطهاد للإناث دون أي مبرر لذلك, فلم تعط موال لتلك الشخصية أي عمقٍ يبرر تلك الكراهية لجنس الإناث, وكأنها تكره لمجرد الكره, وهذا لا يتفق وطبيعة الأمور؛ في حين نجد الشخصية المعقدة تحوي مشاعر متناقضة ومتنوعة, كما هو الحال وشخصية الحاجة فاطمة تعلبة لخوي شلبي, فلقد كانت تملك بُعدًا سيكولوجيًا لتلك القوة والسيطرة والتحكم التي تتمتع بها, فهي من ناحية قد تظهر القسوة, لكن من ناحية أخرى قد نجد في طيات كلامها ومواقفها ما يخفي حبًا وحنانًا شديدًا لأولادها, وبناتها, وأحفادها, بل وزوجات أولادها أيضًا, وقد ظهر ذلك بمشهدها مع ابنها عبد العزيز[4], والذي أراد أن يستقل عن بيت العائلة, ليتضح من خطابها له المزج بين القوة والسيطرة مع الحنان والحب, واتضح أيضًا هذا التعقيد في منولوجها الأخير قبل وفاتها مباشرة[5], حيث برزت قسوتها بمدى حبها للأسرة, وحرصها عليها وعلى ما ينفعها, هذا من ناحية, لكن من ناحية أخرى فقد كانت تلك القوة إثباتًا لقدرتها على حماية الأسرة وتحمل مسئولياتها لدى حميها خصيصًا, والذي رفض زواجها من ابنه بدايةً, متعللًا بأن

---

(1) Batsleer J, Davies T, O'Rouke R, and Weedon C (1985). Rewriting English: Cultural Politics of Gender Class. London: Methuen. In Mills 1995:123

(2) موير (إدوين) Muir, Edwin, بناء الرواية, ترجمة: إبراهيم الصيرفي, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة, القاهرة, ص: 213

(3) انظر: هينكل, قراءة الرواية, مرجع سابق ص: 227؛ موير, بناء الرواية, مرجع سابق ص: 213؛ برنس, المصطلح السردي, مرجع سابق ص: 188

(4) الوتد ص: 14

(5) السابق ص: 15

تلك الفتاة لا تصلح لعائلتهم الكبيرة, ولقد ولّد هذا الرفض مشاعرًا قوية لدى البطلة, مما جعلها تعمل طوال الوقت على إثبات خطئه في ذلك الحكم المبدئي عليها, أرادت أن تثبت له وللجميع بأنها تستطيع أن تنقل هذه العائلة لمكانة أفضل من مكانتها الحالية, وبالفعل نجحت في ذلك, نجحت في أن توحد الأسرة وتزيد مدخراتها وأملاكها من أراضٍ ومواشٍ ومزروعات.

دوال شخصية الجدة ومدلولاتها

إن الشخصية بالعمل الروائي ما هي إلا دال كأي دال لغوي آخر له مدلول محدد ينقله إلى القارئ, ويتم ذلك عن طريق تأويل مفردات هذا الدال؛ تلك المفردات التي تأتي على هيئة أوصاف, أقوال, أفعال الشخصية؛ وعليه يصبح كل ما يستخدمه الروائي في بناء شخصيته دالًّا له مدلول معين, وعلى المتلقي استنباطه لفهم الشخصية التي أمامه؛ وبالتالي فاسم الشخصية, وأوصافها, وشكل جسمها, ولون بشرتها, وحتى درجة صوتها, كلها دوال لها مدلولات محددة.

دال التسمية ومدلوله

يسعى الروائي وهو يضع أسماء الشخصيات الروائية إلى أن تكون مناسبة ومنسجمة – غالبًا – مع سلوك الشخصية, إن اسم الشخصية واختياره المحدد من قبل الراوي هو بالتأكيد دال على معنى, فقد يحمل رسالة من شأن المؤلف أن يبثها في نفس المتلقي, فقد يوحي هذا الاسم بجزء من السمات الشخصية, النفسية أو الجسدية, فثمة روابط منطقية تربط الشخصية بالاسم الدال عليها, وذلك لأن اختيار الأسماء للشخصيات في كثير من الروايات لا يكون اعتباطيًّا, وإنما يهدف الروائي من خلاله إلى جملة من الأهداف التي تُبرز الدوافع الكامنة من وراء اختياره له؛ وبالتطبيق على الروايتين قيد الدراسة نجد أن خوري شلبي قد اختار لبطلة روايته اسم (الحاجة فاطمة تعلبة), هذا في حين اختارت منال الطحاوي لبطلة روايتها اسم (الجدة حاكمة), وبالمقارنة بين الاسمين نجد ملامح الاحترام والتوقير حاضرة في لقب (الحاجة) الذي أطلقه الرجل على جدته, والذي لم يفتأ يكرره داخل الرواية بما يصل إلى (76) مرة؛ كما اختار الاسم العلم (فاطمة), وهو علم ملائم لدرجة انتشاره في البيئة الريفية, بيد أن الرجل لم يرتكز عليه كثيرًا داخل الرواية, فلم يتكرر هذا العلم سوى (7) مرات فقط؛ أما لقب العائلة (تعلبة)

فهو لقب يوحي بالمكر والدهاء, وهي الصفات التي لم تنفك الرواية تثبتها للحاجة فاطمة, ويدعم ذلك تكوار هذا اللقب (74) مرة داخل القصة.

إذًا فالوجل يرتكز على الأسماء التي توحي بالاحترام والذكاء, وقد نلاحظ ذلك بالجدول التالي:

الاسم	الحاجة	فاطمة	تعلبة	المجموع
التكرار	76	7	74	157
النسبة المئوية	%48.4	%4.4	%47.1	
الإيحاء	الاحترام والتوقير	حيادي	المكر والدهاء	

(شكل رقم: 45)

من الجدول السابق يتضح تركيز الوجل على دال الاحترام والتوقير والهيبة ومن ثم يليه دال المكر والدهاء؛ وقد يكون من المفيد هنا أن نذكر ما يؤيد ما ذهبنا إليه من إرتباط هذه الدوال بمدلولاتها.

1. دال (الحاجة) ← مدلول الهيبة والاحترام والتوقير

ومن ذلك ما ورد في الرواية (ص: 5) حين قال الراوي "**كثيرًا ما تمنى أبناء الدار موت الحاجة تعلبة,ومع ذلك ما تكاد تلك بها وعكة صغيرة حتى تنقلب الدار كلها, كأنها القيامة على وشك أن تقوم**" فانظر كيف تنقلب الدار لمجرد أن أصاب الحاجة تعلبة وعكة صغيرة, مما يوحي بخطورة وعِظم الشأن؛ وإليك موقف آخر, وذلك حينما طَالَبَ طاهر – أحد أبناء الحاجة تعلبة – زوجته بهانة بالتستر, وذلك لأن تكشفها سوف يطمع فيها الرجال "**حينها أمسكته الحاجة تعلبة من أذنه وفركتها بقسوة وهي تزأر فيه: لا أحد في هذه البلدة كلها يجرؤ على معاكسة امرأة متزوجة من ابن الحاجة تعلبة**"[1] وقولها السابق دال –ولا شك – على مدى هيبتها وتوقيرها, لا من أفواد الأسرة فحسب بل ومن القرية كلها؛ والتالي موقف آخر يثبت تلك الهيبة والاحترام, وذلك عندما طلب العمدة حضورها إليه لتعالجه فقالت للخفير: "**قل له: يا حضرة العمدة إن الحاجة تعلبة تفيد الناس مما وهبها الله دون أجر إلا من الله,وقل له أيضًا: إن الحاجة تعلبة لا تذهب لمن يبعث لها في طلبها, إنها لا تذهب إلا لمن تطلبه, فإن كان حضرة العمدة يطلب علاجي فليتفضل**

[1] الوتد ص: 9

بالحضور"[1] ولا أدل على مدى علمها بخطر شأنها من القول السابق, والذي لا تخشى فيه أحدًا بما في ذلك العمدة نفسه. إذًا فقد لاحظنا من المقاطع السابقة ما يشي بالهيبة والاحترام, ولاحظنا بها أيضًا ارتباط اسم الشخصية في كل مرة ذُكرت فيه بلقب (الحاجة), وهو اللقب المدعم لتلك الدلالة.

2. دال (تعلبة) ← مدلول المكر والدهاء

ومن ذلك مشهد إبلاغ بهانة –زوجة ابنها طاهر – للحاجة فاطمة أن طواجن اللبن في الحاصل بلغت عشرة "**فلما صعدت تعلبة**[2] **لتتولى بنفسها الإشراف على عملية عزل القشدة عن الرائب ... وجدت عدد الطواجن تسعة فقط فتساءلت ... فزعمت بهانة أن العاشر شربه الأولاد في الصباح, فاستدعت تعلبة كافة الأولاد ولفت بهم لتعرف بطريق غير مباشر إن كانوا قد شربوا في الصباح لبنًا ... فاتضح لها أن الأولاد لم يشربوا ... فجُنت تعلبة, وطقست, وسألت النسوان واحدة واحدة ... فشهدت سميحة أنها شاهدت الطاجن يندلق من بهانة غصبًا عنها**"[3] فانظر في المشهد السابق كيف تخلى الراوي عن لقب (الحاجة) لعدم حاجته إلى مدلوله هذه المرة, فهو يريد إثبات مكرها وذكائها أكثر من بث هيبتها واحترامها, لذا جاء لقب (تعلبة) متحررًا من لقب (الحاجة) الذي ارتبط به في المقاطع الأخرى.

وإليك مشهد آخر دال على ذلك أيضًا, وهو موقفها عندما أراد ابنها عبد العزيز الزواج من زينب حيث "**سلطت عليها تعلبة عيونها, وتعقبتها بعد ذلك, وسألت جميع الدور التي دخلتها مع أبيها ... ولم تكتف بذلك, فأرسلت من بنات العكايشة ومن نساء الثعالبة من يتجسس ويتسقط أخبارها الخفية**"[4] وكما نلاحظ فإن الراوي لا يذكرها بلقب الحاجة طالما لا يحتاج الموقف إلى التوقير والاحترام, وإنما يذكرها بلقب العائلة (تعلبة), وذلك عندما يدل المقطع على المكر والدهاء؛ بيد أننا نلاحظ أيضًا بالمقطع السابق أنه قد نسب البنات للعكايشة, وهم قرابة الأب, بينما نسب النساء للثعالبة, وهم قرابة الأم / الحاجة تعلبة, ومعلوم أن البنات غير ذوات خبرة في مثل تلك الأمور الخاصة بالتجسس, وتسقط الأخبار, ومعرفة خفايا العروس, وعليه فالبنات لن يفيدوها بشيء ذي بال حول هذه العروس, وذلك لقلة خبرتهن بمثل تلك الأمور؛ أضف إلى ذلك رأي تعلبة في العكايشة جميعًا, وهو كما تقول:"**العكايشة**

---

[1] السابق ص: 12

[2] لاحظ أنه ذكر هذه المرة (تعلبة) ليس مصحوبًا بلقب (الحاجة) كما في المرات السابقة, وذلك لحاجة الراوي إلى التأكيد على مدلول الدهاء لهذا اللقب دون غيره.

[3] الوتد ص: 10

[4] السابق ص: 11

طول عمرهم هُبل"[1], لذا فدور بنات العكايشة لا يعدو مجرد تمويه لما ستقوم به نساء الثعالبة ذوات الخبرات الكبيرة في تلك الأمور الخاصة بالزواج والعروس, والدليل على ما نذهب إليه هو التعقيب التالي من قبل الراوي **"فأرسلت الحاجة وفدًا من الثعالبة بينهن إحدى الماشطات, كشفن بصنعة لطافة على جسد الفتاة ...وذهبت الحاجة تعلبة بنفسها كزائرة تحمل بعض الهدايا لأبيها, ثم طلبت الجلوس إلى جوارها, وصارت تتحسسها قطعة قطعة بحجة أنها ترقيها من عين الحسود".**

وإذا ما تركنا الرجل / خيري واتجهنا صوب المرأة / ميرال نجدها قد اختارت لجدتها اسم (حاكمة), ومنه نستشف ملامح التسلط والتجبر بارزة؛ بيد أن ميرال –وإمعانًا منها في تثبيت مشاعر الكراهية والبغض تجاه الجدة – نجدها لم ترددد هذا الاسم العلم إلا (8) مرات فقط, منها مرة خاطبت به الجدة نفسها, بينما كانت ميرال تذكرها دائمًا على مدار الرواية كلها بذلك اللقب المحايد (الجدة), والذي تكرر (29) مرة, وفي كثير من الأحيان كانت تشير إليها بضمير الغائب: (هي / تاء التأنيث مثل: **قالت** / هاء الغيبة مثل: **إنها**) وكلها دوال توحي بمدلول واحد فقط هو الكراهية الباعثة على تجنب ذكر الاسم العلم؛ فبينما كان الرجل / خيري يحتفي بذكر اسم الحاجة فاطمة تعلبة (157) مرة كانت ميرال ترغب عن اسم جدتها, على الرغم من أن كليهما – الحفيد / الرجل / خيري والحفيدة / المرأة / ميرال – يتحدثان عن جدتهما القوية, والمتسلطة في كثير من الأحيان, إلا أن الرجل – ونتيجة لكون صفات القوة والسيطرة تلائمه أكثر – قد نظر إلى ما تفعله الجدة على أنه ضروري لربط أفراد الأسرة برباط قوي يمنع من انفراط عقدهم, بينما كانت المرأة على النقيض من الرجل؛ فلأن صفات القوة والسيطرة لا تلائم طبائعها فقد رأت أن تلك التصرفات تحكم تريد الخلاص منه, ولو بالانتحار واللجوء إلى الموت؛ وقد زعم أن ميرال – أو أية امرأة أخرى غيرها – تناولت قصة الحاجة فاطمة تعلبة لم تكن لتكتب عنها إلا كما كتبت عن قسوة الجدة حاكمة, ولعلك تشعر بذلك عندما استهل خيري روايته بقوله **"كثيرًا ما تمنى أبناء الدار موت الحاجة تعلبة"** لكن من هؤلاء الذين يعنيهم خيري؟ إنهن نساء الدار, ولك أن تلحظ ذلك في سلوك مريم زوجة درويش أكبر أبناء الحاجة, وذلك عندما كانت تصبر على قسوة الحاجة انتظارًا لموتها, ومن ثَم الجلوس مكانها على عرش المنزل, وقد تلحظ ذلك أيضًا من خوفها من أن يذهب ذلك العرش لإحدى بنات الحاجة[2], فتلك الرؤى والرغبات ينسبها الرجل / خيري دائمًا لنساء الدار؛ أما الرجال –وهم أبناء الحاجة – فعلى النقيض من ذلك, فهم يدركون قيمتها,

---

[1] الوتد ص: 14

[2] انظر: الوتد ص: 8

ويرغبون في بقائها, وخير دليل على ذلك هو موت الحاج درويش أكبر أبناء الحاجة حزنًا عليها, فلقد كان موته حسرة على أمه أثناء مرضها الأخير, فعندما علم من الطبيب أن لا أمل في بقائها مات متحسرًا, لاحظ أنها لم تمت بعد, لكن خوفه من فقدانها يميته حزنًا.

نعود إلى دوال الجدة حاكمة ومدلولاتها فنقول إن كل ما يدل على الجدة سواء كان اسمها (حاكمة) أم لقبها المحايد (الجدة) أو حتى ضمير الغائب العائد عليها (هي) لا تستخدمه موال إلا للإيحاء بمدلول واحد هو الكره والنفور الناتج عن تجبرها وقسوتها,ولا أدل على ذلك من المقطع التالي, والذي تقوم فيه الكاتبة بتقديم شخصية الجدة, فهي لا تُعرفها باسمها,ولا حتى بدورها التي تقوم به, وهو كونها جدة للحفيدة, بل تقدمها بضمير الغائب فتقول: "**.. هي الآن تدخل, يفتحون لمقدمها أيضًا الباب الكبير ,ويقف الجميع بانتظارها**"[1] فلاحظ أن الضمير فقط هو الدال على الجدة, فالرغبة في التجاهل والنفور من ذكر الاسم العلم أو حتى ذكر الدور ألجأ الكاتبة / الحفيدة إلى استعمال الضمير؛ أضف لما سبق أن المقطع – وكما يحمل شعورًا بالكراهية – يحمل كذلك بعض أمارات التبجيل الناتج عن السطوة والسيطرة, والدليل هو وقوف الجميع بانتظارها, وفتح الباب الكبير الذي لا يُفتح إلا لسيد البيت؛ ولعل المقطع التالي يؤكد مدلولات تلك الدوال التي عرضناها "**ثوبها أزرق داكن لا يتغير, فقط العباءة التي ترتديها دون سائر النسوة, وهل هي نسوة؟! إنها أمنا جميعًا, أمنا الغولة الكبيرة, المتلفعة بتلافيع الرجال, تنخر فرسها العجوز الضخمة, وخلفها حمار بخرجين يسحبه العبد, ويتبعها صبيان يحرثان بأقدامهما المفلطحة في الرمال, يقف الجميع دون مدخلها... تهرول صافية أولًا لتقبّل يدها, يتبعها أفراد البيت, تمرر يدها السوداء المعروقة بكبرياء عليهم**"[2] لاحظ أن المشهد السابق هو مشهد تقديم الشخصية, والذي يحرص فيه الراوي – غالبًا – على تقديم الشخصية باسمها ودورها الذي تلعبه داخل الحكي, ويحرص كذلك على ألا يبهمها بتلك الطريقة التي اتبعتها موال, حتى أنك لو لم تكمل القراءة فلن تعرف من هي تلك التي يقف الجميع دون مدخلها؟ لكن الحفيدة / موال تتجنب ذكر الاسم, وتتجنب ذكر الدور, إنه نفور متعمد, فلعلك تلحظ بالمقطع السابق أن كل ما يرتبط بالجدة باعث على النفور والكراهية, فالفرس الذي تركبه الجدة عجوز وضخم, والحمار يسحبه عبد لا خادم, والصبيان لا يمشيان, بل يحرثان الأرض بأقدامهما, كما أن تلك الأقدام ضخمة, غليظة, ومفلطحة؛ أما يد الجدة فسوداء, مما يشي بسواد البشرة عمومًا, كما

---

[1] الخباء ص: 15

[2] السابق نفسه

أن اليد معروقة, مما يدل على التخشب والطعن في السن؛ إذًا فالمشهد ممتلئ بمشاعر الكراهية والبغض, تلك المشاعر الناتجة بطبيعة الحال عن تسلط وكبرياء الجدة.

دال الأوصاف الخارجية ومدلولاتها

بينما كان الرجل / خيري مقلًا من تناول أوصاف الحاجة فاطمة تعلبة الخارجية تفننت المرأة / ميرال في رسم صورة خارجية مؤلمة ومنفرة للجدة حاكمة, فأما الرجل فلم يذكر من أوصاف فاطمة تعلبة سوى أنها فاقدة لمعظم أسنانها[1], مما يشي بتقدمها في السن, لكن غير هذا الوصف لم يقدم الرجل شيئًا عن مظهرها العام, فلم يذكر بدانة أو نحافة, ولم يشر لبياض أو سواد, ولم يقل بأنها ترتدي شيئًا يميزها عن باقي نساء الدار, وإن دل كل ذلك على شيء فليس فله سوى مدلول واحد فقط, وهو أن الحاجة فاطمة تعلبة لا تختلف كثيرًا عن نساء الدار, لا في الجسد, ولا في اللباس, وبالتالي فلم يهتم الحفيد / الراوي بذكرها؛ بيد أنه يدل على شيء آخر, وهو التوقير والاحترام, خاصة أن الراوي ذكر يحكي عن أنثى, وعندما يحكي الذكر عن الأنثى التي يوقرها ويحترمها فهو بالتأكيد سيتجنب كل ما يخدش حياءها, لأن كل وصف ذكوري لجسد المرأة سينصرف تأويله على أساس جنسي, وخاصة لو كانت تلك الشخصية حقيقية, أو مستوحاة من شخصية حقيقية وكانت ذا قربى, فهذا مما يعقد الأمور أكثر[2]؛ لكن بالنسبة للمرأة / ميرال فالأمور أقل تعقيدًا من الرجل, فلن يؤول كلامها على أساس جنسي, كما أن نظرة المرأة إلى المرأة تختلف عن نظرة الرجل إليها, فمثل تلك التفاصيل الخاصة بمظهر المرأة الخارجي لن تفوتها امرأة مثلها, بل قد تنتبه لما لا ينتبه إليه الرجل, أو ما ظن أنه غير هام وغير ذي بال, فلقد وصفت الجدة بالخفة, والنحافة, وفمها تبرق فيه الأسنان المذهبة مثل فم الغولة, وثوبها أزرق داكن لا يتغير, إنما تغير العباءة التي ترتديها دون سائر النسوة, كما أنها تتلفع بتلافيع الرجال, ويدها معروقة تمررها بكبرياء على الجميع ليقبلوها, وعيناها تتحسسان كل ما حولها, ويوجد حول وسطها حزام من ذهب / حياصة مليئة بالدوائر الذهبية والعملات الثقيلة, وظهرها مقوس قليلًا, وتشد كميها الواسعين لتبرز بين عروقها السوداء صنوف النبايل والأساور في كلتا

---

[1] الوتد ص: 12

[2] يلاحظ أن الحاجة فاطمة تعلبة مستوحاة من الحاجة فاطمة نوحاية زوجة عم خيري شلبي. (انظر: شلبي (خيري), أنس الحبايب ص: 91-94)

اليدين, وفي قدمها خلخال ذهبي يبدو قميئًا وسط العواقيب النحيلة, كما أن البروز والنتوءات في كواحلها ظاهرة, وعيناها ضيقتان, صغيرتان, ماكرتان, ومشيتها عنيفة, وجسدها متخشب, وظهرها مقوس[1].

إن كل تلك الأوصاف التي ذكرتها الحفيدة / ميرال هي دوال لها مدلولات متعددة, فمنها ما يدل على تقدم السن مثل: الجسد المتخشب, والظهر المقوس, وفقدان الأسنان واستعاضتها بأسنان ذهبية, واليد المعروقة؛ ومن الأوصاف ما يدل على الكبر والتعاظم مثل: الدخول في موكب مكون من فرس تركبه, وخلفها حمار يدلدل أذنيه في تذلل وخضوع, كما يضم الموكب عبيدًا وغلمانًا هم عبارة عن خدمها الخاص, أضف لكل ما سبق تقديمها ليدها بكبرياء ليقبلها الجميع؛ ومن الأوصاف أيضًا ما يدل على القبح مثل: تشبيه فمها بفم أمنا الغولة, وجعل بشرتها سوداء, وبروز عروقها, ونتوءات كواحلها, وعواقيب قدمها النحيلة, وعيناها الضيقتان, وتجاعيد وجهها حاصرت بروز الوجه بالبقع الداكنة[2], وكلها أمارات قبح ودمامة.

لقد وعت ميرال في إلصاق كل صفة من شأنها بث الكراهية والنفور من الجدة, فلم تفوت أيا من مظهر خارجي دال على القبح إلا وألصقته بها, وقد يبدو ذلك جليًا عبر المخطط التالي:

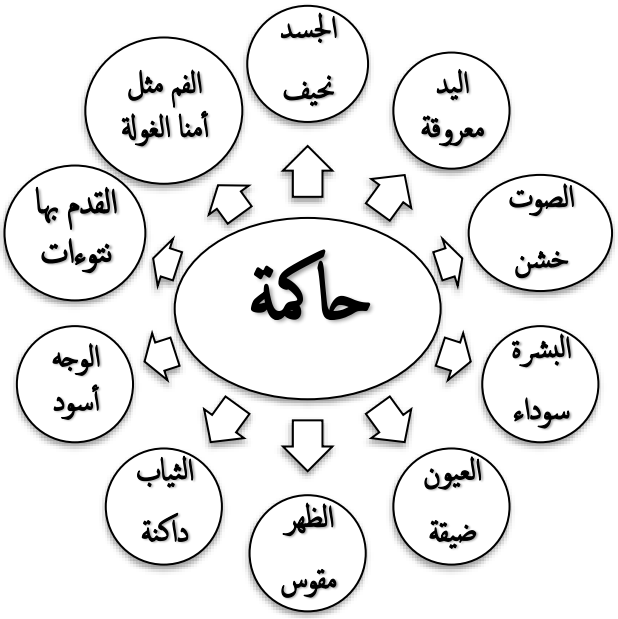

(شكل رقم: 46)

---

[1] الخباء ص: 15-43

[2] الخباء ص: 91

هنا يجب الاعتراف بدقة المرأة في تحديد كل تلك التفاصيل, فلم تدع شيئًا من أوصاف الجدة إلا أتت عليه, بل ووصفته بدقة شديدة, فلاحظ تحديدها للون الثياب بالأزرق الداكن, لم تقل أسود, بل أزرق داكن؛ وانظر إلى ملاحظتها لليد وعروقها, والكاحل ونتوءاته, والبقع الداكنة على الرغم من سواد الوجه, كلها تفاصيل تغافل عنها الرجل / خوي عمدًا, وذلك لانشغاله بالتوقير, والذي منعه – كونه رجلًا – من أن يتطرق إلى جسد الجدة, فمعلوم أن وصف الرجل لجسد الأنثى له وضعٌ وحكم وردةُ فعلٍ مغايرة لما لو كانت امرأة هي التي تقوم بهذا الوصف, لأنه كما قررنا مسبقًا أن وصف الذكر لجسد الأنثى سيصرف المتلقي إلى رؤية جنسية بحتة, خاصة والرجل / خوي معجب بهذه الجدة, وعلى ذلك فلو وصفها بأوصاف خارجية فهو لن يصفها كما فعلت موال مع حاكمة, بل سيصفها بما هو جميل, وهنا سيقع في إشكالية رؤية الحفيد المتطرقة لجسد المرأة, مما سيؤول بأنه رؤية جنسية؛ لذا فلقد تعمد خوي / الرجل تجنب الدخول في مثل هذه الإشكالية, والذي دعانا للقول بالتعمد هو خطاب خوي شلبي عن المرأة في كافة أعماله, فهو غالبًا لا يغفل عن وصف المرأة وصفًا جسديًا مفصلًا, وما فعله في الوتد من تجنب الوصف الجسدي هو من الأمور النادرة عنده.

دال سلوك الشخصية ومدلوله

قد تتفق الجدة حاكمة مع الحاجة تعلبة في سلوكهما المتسلط المراقب لكل شيء, إلا أن انطباع الرجل / خوي تجاه هذا السلوك يختلف تمامًا عن انطباع المرأة / موال, فانظر كيف تعرض المرأة هذا السلوك المتسلط المراقب للجميع والموزع للأدوار: "**<u>لا أحيها</u>, فإن عصاها التي تنخز بها الفرس سوف تدفسها في كل شيء, في صوان إخوتي, في دواليب الكرار, في جرار السمن والجبن, فضلًا عن مخابئ الخزين, وعريشة الطيور, وستعد بيض البط الذي فقس, والحمام الذي زغب, وستفتح صوامع الغلال لتتأكد من أنه لم يصبه السوس ولم تمد النسوة أيديهن إليه, تسبقها خطوات صافية الوجلة وهي تتلقى الأوامر: الغرف ناقصة نظافة! الفول للعليق, الحمام لا تذبحي منه فردة**"[1] "**تدس منخارها**[2] **في كل الخزائن والصناديق: هذه الثياب لماذا لم تخاط؟! هل نجليها لزميها؟!**"[3] وها هي تصدر المقطع بكراهيتها لهذا السلوك المراقب بقولها "**لا أحيها**", لكن ولم تكرهها؟ لأنها تدس منخارها فيما لا يعنيها كما ترى الحفيدة.

---

[1] الخباء ص: 16

[2] لاحظ قولها منخارها لا أنفها, وكلها صيغ لتأكيد الكراهية تجاه الجدة.

[3] الخباء ص: 35

أما على الجانب الآخر فالرجل / خوي نظر إلى هذا التسلط وتلك المراقبة نظرة مخالفة لنظرة المرأة / موال, فبينما رأته تلك الأخيرة تسلطًا, وديكتاتورية, وتدخل في شئون لا تعنيها, نجد الرجل رآها ضرورية للحفاظ على موارد الأسرة؛ وبالنسبة لتوزيع الأدوار على الأفراد فقد رآه الرجل نوعًا من الحفاظ على وظائف أعضاء الأسرة, وذلك حتى يبقى المجموع سليمًا قويًا؛ والآن ندلل على تسلط ورقابة الحاجة فاطمة تعلبة وتوزيعها للأدوار على أعضاء الأسرة جميعًا. حيث نجد في الرواية (ص: 5) أن الحاجة تعلبة تخزن الشاي والسكر في دولابها الغائص في حائط بجوار رأسها مباشرة,ولا تسمح لأحد باستعماله إلا بإذن منها, ونجد أن الحفيد / خوي لا يرى في ذلك تسلطًا, أو تحكمًا وحرمانًا, وإنما هو نوع من الحفاظ على الموارد خشية الإهدار؛ وانظر المقطع التالي: "**وعندما ينطلق صوتها فجأة مدويًا كالقنبلة الصاعقة: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فتبصق النسوة في عيهن, ثم تكف الأصوات عن اللغو, وتنهض كل إلى عمل معروف لها سلفًا**"[1] وها هو يقر بأن ما كانت فيه النساء لغو لا فائدة من ورائه, ولكن تعلبة لا تسمح بهذا العبث, فهناك عمل لا بد من القيام به, ولولا هذه الرقابة المستمرة لاستمر اللغو وضاع العمل؛ إذًا فهذه الرقابة في نظر الرجل / خوي هي من تمنع اللغو والتكاسل؛ وانظر الى المقطع التالي وذلك عندما تصحو الحاجة تعلبة, فتتحول الدار إلى مولد صغير, حينئذ تتسابق النسوة في الخروج إليها لتبدأ الحاجة تعلبة في توزيع الأدوار: "**البنت التي لم تنم إلا بعد الفجر, أليست تعرف أن اليوم يومها في كنس الدار؟ الولد الشملول أليس الدور عليه ليسرح بالهائم؟ الطويل الهايف هل نسى أنه مكلف بانتظار المياه في الترعة؟ العيان بكيفه أليس وراءه ساقية سوف تدور في الحوض الجديد؟ ...هل هذه رجولة هل خلفت رجلًا لينام في حضن امراة؟!**"[2] إن كل ما تقوم به تعلبة – كما يرى الحفيد / خوي – هو حرص على القيام بالأدوار, وذلك حتى تظل الأسرة محتفظة بأسباب قوتها ونمائها, وإن هي لم تقم بتلك الرقابة المستمرة وتوزيع الأدوار انفرط عقد الأسرة وضاعت قوتها, وحينها سينام من ينام, ويلغو من يريد, ويسهر من يشاء؛ لكن علينا أن نلاحظ أن الرجل / خوي لم يذكر كل ذلك التأنيب والتوبيخ مصحوبًا بمشاعر الكراهية أو النفور كما وجدنا لدى المرأة / موال, وإنما عرضه بشكل يوحي بتأييده التام لما تقوم به الجدة. ولعله من نافلة القول هنا أن نُذكّر بقصة طواجن اللبن, والتي وجدتها الحاجة تعلبة ناقصة, فلم تهدأ حتى عرفت أين ضاع الطاجن الأخير؛ فكل هذا الإشراف, وذلك التسلط, وتلك الرقابة له مبرر واحد في نظر الرجل / خوي, ألا وهو ضبط إيقاع الأسرة, وتجنب انفلاتها؛ في حين عدته المرأة / موال ضربًا من ضروب الجبروت, ومبرره لديها رغبة الجدة في التخلص من بنات الابن, لا حرصًا عليهن وعلى مصلحتهن؛ والحق أن

---

[1] الوتد ص: 8

[2] السابق ص: 5

الرجل قد يبرر رغبته في تزويج ابنته بأنه ضرب من الحرص عليها, ورغبة في ستوتها, أما الفتاة فقد تؤول ذلك رغبة الأب / الأسرة في الخلاص منها.

بيد أن رؤية الرجل للتسلط والرقابة تتفق وطبيعة شخصيته, والتي تتسم بمثل تلك الصفات, فشخصية الرجل في عمومها متسلطة مراقبة بطبيعتها, لذا فهو يرى مثل هذه السلوكيات ضرورية, واجبة؛ أما المرأة فهي على النقيض من ذلك, فهي ترى الرقابة جبروتًا لا بد من التخلص منه, فهي بطبيعتها رافضة لهذا السلوك الذكوري المتسلط المراقب لها, لذا نراها ترغب في الخلاص منه ومن كل مسبباته.

دال حوار الشخصية ومدلوله

دال الحوار الخارجي (الديالوج Dialogue)

لا تدل حوارات الجدة حاكمة مع أية شخصية أخرى في الخباء إلا على مدلول واحد فقط, وهو كراهية الجدة لبنات الابن وزوجته, بل وكراهيتها للنساء جميعًا, ودون مبرر واضح, فهي ترغب في الخلاص من كل ما هو مؤنث, فلا تتكلم إلا بسببهن,ولا تقوم إلا بإيذائهن؛ ومن هنا كان حكمنا على شخصية الجدة بأنها مسطحة, وعلى توصيف الحفيدة / موال للجدة بالمبالغة الزائدة, فليس من طبيعة الأمور أن توجد امرأة أيا ما كانت طبيعتها, بيئتها, خلقها, خلفيتها الثقافية, أن تكون بمثل هذه القبح, والفحش في القول, والكراهية لمجرد الكراهية؛ ولك أن تنظر إلى المقطع التالي: "**تصب الصبية النحيلة ساسا في فنجانها ثم فنجانه, ترعق بصوتها الخشن: يا بنت أنت وهي, يا خلفة السوء, تعالي. تتقدم منها صافية, تكمل بنفس لهجتها المستاءة بلا مناسبة: والله خلفتكم حرام, الله ابتلاه** – تعني ابنها – **وهو صابر**"[1] فلاحظ المبالغة من حيث كون الغضب والاستياء بلا مناسبة سوى كونهن فتيات,ولاحظ كلامها التالي عن أم الفتيات: "**هذه الممسوسة, والله حرام فيها الزاد جلابة خلفة السوء**"[2] وقولها عن الحفيدة: "**ملعونة يا خلفة السوء, دعيها تنكسر رقبتها على صدرها, دعيها تغور في داهية**"[3] وقولها للفلاحات: "**اللعنة على وجوه من أنجبكن, فلاحات نجسات قليلات الحياء. ترعق وتنادي: يا نجاسة لمي يدك.. يا نجاسة اتعدلي لاعدل رقبتك تحت نعلي, تبصق وتنادي**

---

[1] الخباء ص: 17

[2] السابق نفسه

[3] نفسه ص: 35

وتعاود: **يا نجاسة, يا دود الأرض, متى تغسلن وجوهكن في ماء الحياء. سلرعي يا خليعة لاخلع نعلي في ضبك المفتوح**"[1] وقولها لفتيات الغزبة: "**هناك .. هناك .. بعيد يا نجاسة .. بعيد يا خليعة .. بعيد يا بعر المطايا**"[2] وتقول للفلاحات اللائي يغنين في فرح صافية: "**اخرسي يا خليعة, تركلهن بما تطوله يدها. - اخرجن يا بغايا, يا قليلات الحياء, فلاحات نجسات مفضوحات بلا ستر, بغايا. – يا ستنا فرَح فرّح الله ديلك. – هذا كلام لا يقال إلا في زرابئهن الموشي البغايا**"[3] ولا زال تنعت أحفادها البنات بخلفة السوء وخلفة الشؤم كما في الصفحات: (37, 40, 41, 62, 72, 81, 85), إذًا فحاكمة لا تتكلم إلا بما يثير في القارئ شعورًا بالغضب والكراهية تجاهها, لكن عندما نتأمل ذلك نجد أن كل هذا الضرب, والسب, والغضب, هو في الحق غير مبرر, فلم تنجح الكاتبة في تبرير سلوك الجدة الحاقد, أو لعلها تعمدت ذلك, حيث أرادت خلق شخصية مسطحة لها سلوك واحد طوال الوقت, وهو السلوك الكاره للإناث, لأننا لا نجد مبررًا لهذه العقد النفسية تجاه الأنثى, فلم تكره الجدة الإناث إلى هذا الحد؟ فكل ما هو مؤنث هي تسبه, سواء كان من الأحفاد أم زوجة الابن, فضلًا عن الفلاحات وبنات القرية, وحتى بناتها, فقد دعت الله بأن يريحها منهن, ولقد طابت نفسًا عندما نجحت في ذلك قالت: "**يكفينا الله شر بلاياهن, والله ما عاشت لي بنت, قالوا: يا حاكمة أين تذهب بناتك؟ قلت: الله يكفيني شرهن مصلية والله وداعية**"[4] ويبدو من السياق أنها وأدتهن, فلقد تشككت النسوة من ذلك فسألوها عن سر الوفاة أهو قدر أم..؟ فقطعت حديثهن وقالت: "**قدر الله, داعية ومصلية ما يبقى لي منهن شيء**"[5]؛ ليبقى السؤال: لم كل هذا الكره والغضب والعنف تجاه المرأة؟ هذا ما لم تبرره موال, كعادة كثير من النساء في رغبتهن بإظهار أنفسهن في الجانب المضطهد المظلوم, وبلا سبب غير كونهن إناث, وهذا ما أدانته فرجينا وولف Woolf, V. في كتابات تشارلوت برونتي Charlotte Bronte, حيث كانت تلك الأخيرة تكتب كامرأة, ومن الخطأ الفادح لأي شخص – كما ترى وولف – أن يكتب وهو يفكر في جنسه, قالت: "إن الكتابة عن جنس الكاتب بغضب يؤدي إلى كتابة فقيرة, فشكسبير Shakespeare كان عظيمًا لأنه لم يكن لديه أي رغبة في

---

(1) نفسه ص: 37

(2) الخباء ص: 38

(3) نفسه ص: 43

(4) نفسه ص: 73

(5) السابق نفسه

الوعظ والاحتجاج"[1]؛ والحق أننا لا نريد التورط في أحكام القيمة التي ذهبت إليها وولف, وإنما كان عرض كلامها مرتبطًا بما قدمته ميرال من جنون الاضطهاد الغير مبرر لجنس الإناث.

وإذا ما تركنا ذلك واتجهنا صوب خوري وجدنا النقيض مما قدمته المرأة / ميرال, فالحاجة فاطمة تعلبة لديها سبعة ذكور وابنتان, وبالطبع فجميع الذكور متزوجون, إذًا فالدار تحوي تسع نسوة غيرها, سبع من التسع زوجات لأولادها, وطبيعة الأمور تقول أن المرأة قد تحقد على زوجة الابن لكنها لا تحقد غالبًا على بناتها كما فعلته حاكمة, وعلى الرغم من أن دواعي خوري / الرجل كانت مواتية ليجعل من تعلبة حاقدة وكارهة لزوجات أولادها إلا إنه لم يفعل, لنرى تعلبة لا تحمل أية ضغينة تجاه أية واحدة من نساء أبنائها, بل نراها لا ترضى بظلم واحدة منهن من قِبل زوجها, وهذا ما نجده في دفاعها الشديد عن بهانة زوجة ابنها طاهر, وذلك عندما طلب طاهر من زوجته التحشم, وذلك لأن تكشفها ربما يُطمع فيها الرجال "**فأمسكته الحاجة تعلبة من أذنه, وفركتها بقسوة وهي تزأر فيه: لا أحد في هذه البلدة كلها يجرؤ على معاكسة امرأة متزوجة من ابن الحاجة تعلبة وشقيق الحاج درويش, اللهم إلا أن تكون هي التي تجلب المعاكسة, وليس هذا, الشر بره وبعيد من طبيعة بهانة, إنها خسارة في عظمك**"[2] وبالطبع فهذا على النقيض من موقف حاكمة, والتي طلبت من ابنها أن يبرك فوق زوجته ويخنقها ليتخلص من عبئها[3].

وعندما علمت الحاجة تعلبة بأن بهانة قد كسرت طاجن اللبن, وكذبت عليها فقالت: إن الأولاد قد شربوه في الصباح, نجد الحاجة تعلبة لم تعنفها, بل على العكس من ذلك, فقد قومتها, ورأت أن ذلك الكذب لا يليق ببهانة التي علمتها الحاجة تعلبة, ولا يليق بشيم أهل هذه الدار, ولا يليق بمن زار قبر النبي ρ وحج البيت, وما كان من بهانة وهي تسمع كل هذا إلا أن هزت رأسها موافقة على كل ما تقوله الحاجة[4].

وبينما كانت حاكمة تدفع ابنها لقتل زوجته والزواج بأخرى, وقد نجحت في مسعاها, كانت الحاجة تعلبة تعنف ابنها عبد العزيز لأنه أراد الزواج على زوجته فقالت: "**منذ متى يتزوج أولادي على زوجاتهم, لم يعد ينقصني إلا أن أجيء لكل رجل منكم بعدد من الجواري يرضين مزاجه, الزواج عندي مرة واحدة, أبوك لم يتزوج علي, وأبي لم يتزوج على أمي,**

---

(1) Woolf, V (1977 [1929]). A Room of One's Own. London: Granada. P.99

(2) الوتد ص: 9

(3) الخباء ص: 90

(4) الوتد ص: 10

ولولا موضوع الخِلفة ومشاكله ما زوجت أخاك عيسى أكثر من مرة"[1], إذًا فتعلبة – دائمًا وأبدًا – لا ترضى بظلم نساء الدار, هذه هي المرأة التي تتمنى نساء الدار موتها كما تتمنى موال موت حاكمة, غير أن الرجل / الحفيد / خيري لا يتمنى ذلك, لأنه يرى في صرامتها ضرورة للحفاظ على تماسك البيت, وهذا ما وضح من حوارها مع ابنها عبد العزيز عندما أراد الانفصال عن البيت فقالت: **"اسمع يا ولد, من لا تعجبه العيشة, من لا يعجبه العيش مع الحاجة فاطمة تعلبة فليرحل هو, فليخرج من الباب بطوله, وحده, حتى بدون ثيابه, حتى بدون أولاده, فأنا الذي ربيت, وأنا الذي زوجت, وأنا الذي أكسو وأطعم, والأولاد أولاد الدار قبل أن يكونوا أولاد أحد منكم, ولا أفرط في ظفر واحد منهم, ولا حتى في ظفرك أنت أيها الشايب العايب, ولكن من أراد أن يفرط في الدار فخير للدار أن تفرط فيه, إنه يصبح كعود جف, ولا بأس من رميه بعيدًا عن الحزمة الخضراء, الدار هي دار العكايشة, ولقد تعبت في الإبقاء عليها مفتوحة متكاملة ذات قوة وهيبة, ولست مستعدة للتخلي عنها على آخر الزمان"**[2] ومن القول السابق نجد ملامح القوة والسيطرة في قولها **"فأنا الذي ربيت, وأنا الذي زوجت, وأنا الذي أكسو وأطعم"** كما نجد ملامح الحنو والعطف **"ولا أفرط في ظفر واحد منهم, ولا حتى في ظفرك أنت أيها الشايب العايب"** كما أن شرطها للخروج من البيت هو ترك الأولاد, وما ذلك إلا لون من رغبتها في إثناء الابن عن قراره في الخروج, فهي تريد أن تصعب الأمر عليه لا أكثر, وذلك حتى تثنيه عن قراره بالضغط عليه من ناحية منعه من أولاده. إذًا فكل ما تقوله الحاجة تعلبة ما هو إلا مزيج من القوة والعطف, الرقابة والحرص, والكل يخدم غرضًا واحدًا هو الحفاظ على البيت وتماسكه؛ وعلى النقيض من ذلك نجد كلام الجدة حاكمة, والذي لا يؤدي إلا لتقويض المنزل وهدمه, فكم من مرة طلبت من الابن الخلاص من زوجته, وقد طالبته بضرورة تزويج بناته الصغار للخلاص منهن أيضًا, وأمرته بالزواج من أخرى لتنجب له ذكرًا, وانظر لأقوالها التالية عن تزويج البنات: **"قيدها بقيد من حديد وارميها في بيت سعيد, والله بيت فيه كل هذه الرزايا بيت شؤم, طير الطيرة الغيرة حتى يخلف الله عليك بالولد"**[3] **"والله جلبة شؤم وقنايتهم حرام, بضاعة تربيها لغيرك, إن تركتها بارت, وإن بعتها عليك الخسارة"**[4], وانظر لأقوالها عن أم البنات: **"تغور في داهية جلابة الشؤم"**[5] **"هي قالت له أن يرك فوق جسدها ويقتلها"**[6] وفي

---

[1] السابق ص: 14

[2] السابق نفسه

[3] الخباء ص: 43

[4] السابق ص: 72

[5] نفسه ص: 81

[6] نفسه ص: 90

الأخير تم للجدة ما أرادت, ماتت الأم, وتزوجت البنات, وتزوج الابن, غير أن البيت صار خرابا لا يدخله أحد,ولا حتى صاحب

دال الحوار الداخلي (المونولوج Monologue)

إن شخصيتي (تعلبة / حاكمة) لم تناجيا نفسيهما بالمعنى المفهوم من المونولوج في الروايتين, بيد أن خوري شلبي قد قدم في نهاية قصته حوارًا دار بين الحاجة فاطمة وأولادها وزوجاتهن, وذلك في مرض الحاجة تعلبة التي ماتت على إثره, لكنه لم يكن حوارًا بالمعنى المفهوم من كلمة حوار, حيث تتبادل الشخصيات الحديث, وإنما كان أشبه بمونولوج داخلي تخرجه الشخصية إلى العلن, فهي تحادث نفسها لكن أمام أولادها وأحفادها, وذلك لتبين لهم سر ما كانت عليه من شدة, وسيطرة, وقسوة في بعض الأحيان, قالت: "**لقد دخلت هذه الدار وهي مجرد جران,ولم يكن أبوكم يملك أكثر من ثلاثة أفدنة, هي كل نصيبه من تركة جدكم؛ العكايشة طول عمرهم هبل,كانوا لا يوافقون على زواج أبيكم مني ...وقال جدكم لأبيكم: كيف تتزوج بنت أرملة لا عائلة لها؟ وقد غاظتني هذه الكلمة ...وقد كان صادقًا, فمن يجيء بالعكايشة بجلالة قدرهم للثعالبة الغلابة؟ ...وكان شرفًا كبيرًا لعائلتي المتواضعة أن تصاهر العكايشة هذا صحيح,ولكن كان شرفًا لأبيكم أن تزوج فاطمة تعلبة ...ولذا فإنني وإن أحببت جدكم لم أغفر له كلمته,ويظهر أنه هو الآخر كان يخشاني,ويخشى مني على داره,وكنت أطمئنه أولًا بأول على مستقبل ابنه,وعلى شرف العائلة,ولم يكن يبدو عليه أنه راض, فأُصبحُ يومي وأنا على غير انبساط, وأنتم كنتم تلومونني,وتنحلون وبري بينكم وبين أنفسكم,وتتهمونني بادخار عرقكم في دولابي, وإنني لا أصرف عليكم إلا بحساب شديد, وربما كان هذا صحيحًا, ولكنكم الآن تملكون عشرين فدانًا, كلها من حسن تدبيري, وفوق هذا تملكون ما هو أهم, هو كونكم جماعة, يغلق عليكم باب واحد,ويرعاكم قلب واحد, مثلما الرب واحد ... إن جدكم ظل إلى وقت طويل غير راض, لكنه أخيرًا خضع وابتسم, وفي كل ليلة أقيم فيها فرح في هذه الدار حضرها,ورأيته يشارك فيها مبتسمًا فرحًا راضيًا**"[1] فها هو خوري يعطي عمقًا سيكولوجيًّا لسلوك الشخصية, في حين أن موال لم تعط أي بُعد نفسي للجدة حاكمة فيما تقوم به من أعمال أو تتفوه به من كلمات دالة في مجموعها على الكراهية الغير مبررة تجاه الإناث, لتصبح الجدة حاكمة تكره لمجرد الكره, وتتسلط لمجرد التسلط, وتراقب لمجرد الرقابة,ولا مبرر نجده لكل ما تفعله.

---

[1] الوتد ص: 14-15

دال الوتد في كلتا الروايتين

أخيرًا يبقى اختلافٌ بين الرجل والمرأة في النظر لهذا الدال / الوتد في كلتا الروايتين, فأما خوي / الرجل فالوتد عنده رمز عائد على المرأة / الحاجة فاطمة تعلبة, فما دام الوتد لغة هو ما رُزّ / يثبت في الأرض[1], ومن هنا كانت الجبال أوتاد الأرض[2], لأنها تثبتها, فكذلك كانت الحاجة فاطمة تعلبة, كانت هي الوتد الذي يثبت أركان المنزل ويشد أجزاءه؛ أما الوتد في رواية موال / المرأة فقد جاء دالًا على التقييد الذي أرادت الحفيدة / الراوي الضمني الفكاك منه, والهرب من أسره, لذا نجد أول جملة في الرواية كانت "**إلى جسدي, وتد خيمة مصلوبة في العراء**"[3], ثم نجد في أثناء الرواية أن البطلة تتماهى مع الصقرة –ولاحظ أنها صقرة لا صقر – التي كانت مقيدة هي الأخرى بوتد[4] بالعراء, هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى نجد الرواية تقول أنه لو كان هناك وتدٌ يقيم البيت ويدعم أركانه لكان الرجل لا المرأة, وذلك عكس ما ذهب إليه خوي, فلقد جاء على لسان حاكمة وهي تُرغب ابنها في الزواج من أخرى لتنجب له ولدًا / وتدًا قالت: "**البيت بلا رجل واحة بلا بئر, أرض خراب, ما يقيم الخيمة إلا الوتد – الولد – والوتد يلزمه أرض – امرأة – تحتضنه**"[5].

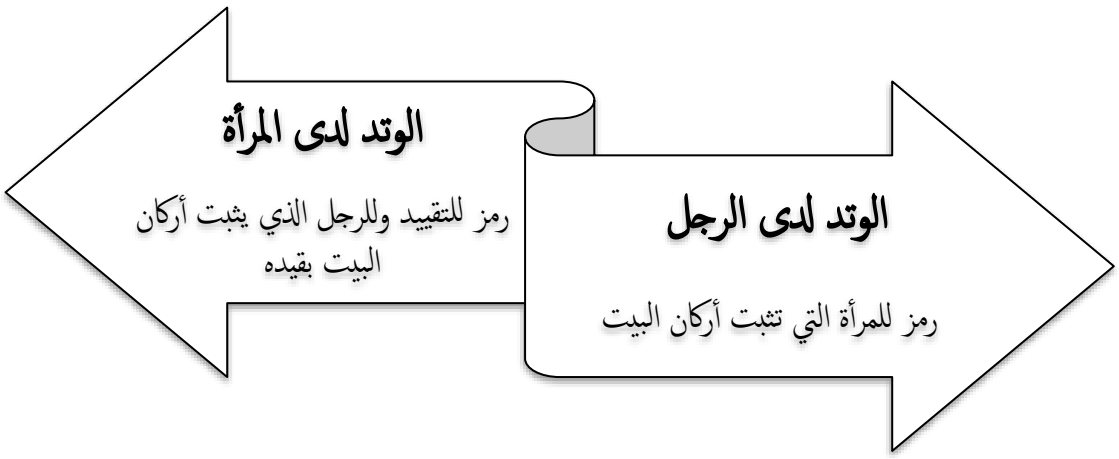

(شكل رقم: 47)

---

(1) تاج العروس (249/9)

(2) قال تعالى ﴿ والجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (النبأ الآية: 6)

(3) الخباء ص: 9

(4) السابق ص: 20

(5) نفسه ص: 94

والآن نقدم جدولًا يلخص اختلاف دوال شخصية الحاجة فاطمة تعلبة ومدلولاتها عن دوال شخصية الجدة حاكمة ومدلولاتها:

الدال ومدلوله	الحاجة فاطمة تعلبة (خيري شلبي)	الجدة حاكمة (ميرال الطحاوي)
دال الاسم	الحاجة / فاطمة / تعلبة	الجدة / حاكمة / هي
مدلول الاسم	التوقير / الاحترام / الدهاء	التحكم / التجبر / الكراهية
دال الأوصاف الخارجية	فمها بلا أسنان.	الأسنان ساقطة / يدها سوداء معروقة / عيناها صغيرتان / ظهرها مقوس/ جسدها متخشب / عراقيب القدم نحيلة / صوتها خشن.
مدلول الأوصاف الخارجية	تقدم السن	القبح / تقدم السن
دال سلوك الشخصية	تخزين الشاي والسكر في دولابها / توزيع الأدوار على الأبناء والبنات والزوجات.	عصاها تدفسها في كل شيء / تعد البيض والحمام / تتأكد أن الصوامع لم يصبها السوس / تلقي الأوامر لتوزع المهام.
مدلول سلوك الشخصية	الرقابة / التسلط	الرقابة / التسلط
دال حوار الشخصية	-لا أحد يجرؤ على معاكسة امرأة متزوجة من ابن الحاجة تعلبة. - بهانة خسارة في عضمك. - لم تعنف بهانة وإنما قومتها. - تعنيف الابن عندما أراد الزواج بأخرى.	- لا تنادي البنات إلا بخلفة السوء والشؤم. - والله خلفتكم حرام. (الحفيدات) - هذه الممسوسة حرام فيها الزاد (الزوجة) - اللعنة على وجوه من أنجبكن, فلاحات نجسات قليلات الحياء. -يا نجاسة اتعدلي , يا دود الأرض... (الخادمات)
مدلول حوار الشخصية	عدم الرضا بظلم الزوجات / الحرص على تماسك الأسرة.	كراهية البنات, وزوجة الابن, والرغبة في الخلاص منهن جميعًا دون مبرر واضح.

(شكل رقم: 48)

مما سبق يتضح جليًا أن خطاب الرجل عن الجدة القوية يختلف عن نظيره عند المرأة.

تمثُّل المرأة بصورة الرجل في خطابها الروائي

يبقى سؤال: ماذا لو تمثلت المرأة بصورة الرجل في خطابها الروائي, هل تجيد تمثيل هذا الدور؟ أم أن أنوثتها ستظهر في خطابها بشكل غير واع منها؟

وخير إجابة على السؤال السابق هو ما قدمته رضوى عاشور في روايتها "قطعة من أوربا", وذلك حين ابتكرت شخصية كهل مُقعد تتحدث من خلاله, فنجد هذا الكهل مولعًا بالتنقيب في الصحف, والكتب, والإنترنت, من أجل توثيق الأحداث التي مرت على مصر منذ عهد الخديو إسماعيل إلى الآن؛ وهو في ذلك يحاول الربط بين كل تلك الأحداث, لكن دون جدوى حقيقية تذكر, اللهم إلا إن أرادت الكاتبة أن تقول أننا – كمصريين وعرب – تحت وطأة مؤامرة كونية كبرى متعددة الأطراف منذ عهد الخديو إسماعيل إلى اليوم!

نعود لهذا الكهل / المؤلف الضمني الذي أطلقت عليه الكاتبة تسمية بذلت جهدًا كبيرًا في مقدمة الرواية لتبريرها, وهي تسمية (الناظر), بمعنى الشاهد على الأحداث, وهذا الناظر ما هو في الحقيقة إلا رضوى عاشور, لكن بصيغ المذكر وضمائره, فهو يمثل الجانب البحثي الذي توظفه الكاتبة لأغراضها التأريخية, وهي إذ تختار محورًا تبدأ منه سرعان ما تتزلق فوقه لتقع على سطح الأحداث الراهنة لعالم اليوم, فعلى الرغم من أن عنوان الرواية "قطعة من أوربا", وهو عنوان يشير إلى مشروع الخديو إسماعيل في تحديث البنية المعمارية لمدينة القاهرة في القرن التاسع عشر, وذلك استكمالًا لما قام به جده محمد علي باشا لجعل القاهرة قطعة من أوربا, بيد أن الصفحات المخططة لهذا المشروع ما لبثت أن تضاءلت أمام سيل المعلومات المتدفق عن أحداث مشتعلة في منتصف القرن العشرين, وخاصة الصراع العربي الإسرائيلي, وبذلك تنتقل بؤرة الرواية إلى الجرح النازف في وجدان رضوى عاشور, وهي القضية الفلسطينية, والتي سخّرت أغلب مشروعها الروائي في خدمتها, والسبب واضح, وهو زواجها من فلسطيني حكمت عليه الظروف بالتهجير والشتات مع أسرته وعائلته, لذا كان من الطبيعي أن يؤثر همّها الخاص على كتاباتها؛ لكن – وبغض النظر عن ذلك – يبقى السؤال الأهم هنا: هل أجادت الكاتبة دور الذكورة / الرجل؟

الحق أن هناك الكثير من الجمل والعبارات التي تدل على أن صاحب الخطاب امرأة لارجل, من ذلك استجابة ذلك الكهل الحانية والمشفقة على المرأة الحامل[1], نقول: إن تلك الاستجابة ما هي في الحقيقة إلا استجابة أنثى لا ذكر, ذلك أن الرجال أبعد ما يكونون عن تلك الاستجابة, فهم عند رؤيتهم للحوامل قد يستثارو جنسيًا, وذلك لأن الحمل رمز لعملية التلقيح, وباعث لها, وناتج عنها, أو هم قد يستقبحون قوام المرأة الحامل, لما فيه من انبعاجات تخفي ما يحبونه من جسدها, وذلك كحبهم بروز صدرها وضمور خصرها, أما مشاعر الخوف, الإشفاق, الاستواحام التي تكلم عنها الناظر / رضوى فلا محل لها من منظور الرجال, فهذه مشاعر تنبع فقط من عيني امرأة تتماهى مع نظيرتها, وترق لها, لأنها قد مرت بتجربتها من قبل.

أضف لما سبق أن تشبيه هذا الناظر لنفسه بالمرأة الحامل عندما قال "**أشعر كأني امرأة حامل في طلقها الأخير**"[2] يدل على أن المتكلم أنثى لارجل, وذلك لأن هذه التجربة – أعني تجربة الحمل والطَلق والولادة – لا تدخل في خوة الذكور, مهما تمثلوها, فهي لا تشكل جزءًا من رصيدهم الشعوري, أو حتى اللاشعوري, ولذا فهم إن استخدموا هذا التشبيه فهم يعنون به التشابه الشكلي فقط, أي عِظم البطن, أما أن يعقد الرجل الصلة التشبيهية بين نفسه وبين امرأة حامل من حيث المعاناة والألم فلا نظن أنه يفعل,ولا نحسب أن مؤلفًا ذكرًا قد يفعل ذلك,والسر أن هذا التشبيه لا يفهمه الرجال إلا من ناحية الشكل فقط, لأنهم لم يمروا بهذه التجربة, لذا فهم لا يدركون حجم الألم الخاص بها وأبعاده, نعم هم يسمعون أقاويل عن ذلك, لكنهم لا يدركون كنهه,وعليه فلا غرو أن نجد بهاء ظاهر في روايته "الحب في المنفى" يقول: "**منتفخة البطن كالحامل**"[3],وها أنت ترى أن الرجل اعتمد على التشابه الشكلي فقط, ويؤكد ذلك أيضًا قول خوري شلبي في "لحس العتب" عندما شبّه مؤلفه الضمني نفسَه بالحامل, وذلك عندما أصابه هو وأخوه انتفاخ في الطحال انتفخت بطنهما على إثره فقال: "**كأننا حوامل**"[4], إذًا فالرجال لا يفهمون من هذا التشبيه إلا شكله فقط,واستخدام الكاتبة هذا التشبيه للتعبير عن المعاناة دال على أن صاحب الخطاب أنثى مرت بتجربة الحمل,والطَلق,والولادة, ومن ثَم أدركت حجم المعاناة والألم, فاستعملتها خطأً مع شخصية رجل.

---

[1] قطعة من أورربا ص: 35

[2] السابق ص: 152

[3] الحب في المنفى ص: 32

[4] لحس العتب ص: 37

ويستمر الناظر في تماهيه مع الحوامل بشكل يؤكد على أن هذه الشخصية أنثى لا ذكر يقول: "**يحيرني شكل استجابتي للمرأة الحامل, ابنتي, أو ابنة أحد أصدقائي, أو معارف, أو امرأة عابرة تلتقطها عيني في الطريق, شعور كأنه الإشفاق, أو التوجس, أو الخوف, أو شيء آخر أجد صعوبة في تعريفه, لأنه مبهم, وغير محدد, ورغم ذلك أعرفه دائمًا, لأنه يتكرر, ليس فقط عندما أتملى البطن المتكور وامتلاء الثديين, بل في لمحة ترسل العينان فيهما إشاراتهما البرقية إلى الرأس, فتأتي الإجابة الفورية: اضطراب ما, انقباض, أو اختلال طفيف في الحركة المنتظمة لعضلة القلب, أو دوار لا يدوم سوى جزء من الثانية, اضطراب بسيط غير ملحوظ, ألحظه**"[1] فانظر إلى هذه الدقة في تشخيص حالة المرأة الحامل, إنه تشخيص لا يستطيع وصفه حتى الطبيب المختص, لا يستطيعه غير امرأة مرت بهذه التجربة من قبل, فمَن مِن الرجال يلحظ في المرأة الحامل الاختلاف في الحركة المنتظمة لعضلة القلب؟ ومن منهم يشعر بأن لديها دوارًا لا يدوم سوى جزءًا من الثانية؟ ومن منهم يربط بين الحمل وامتلاء الثديين؟ من منهم يلحظ ذلك؟ أو يدرك أن هذا الامتلاء ناتج عن الحمل؟ وانظر إلى سؤال الناظر /رضوى التالي: "**فلماذا تصيبني فكرة الحمل بالأسى والارتباك؟! للدقة لا أسى, ولا ارتباك, بل فزع مكتوم تتصفى صرخته فلا يصل منها سوى صوت واهن**"[2] فلماذا قد يقع الرجل من فكرة الحمل وهي لن تصيبه إلا بما يفرحه حيث إنجاب البنين والبنات؟ إن هذا الفزع هو فزع مَن مر بتجربة الألم المصاحب للحمل والولادة, إنه فزع الأنثى.

---

[1] قطعة من أوربا ص: 35

[2] السابق ص: 35

وإذا كان الناظر تكلم عن المرأة وتجربة الحمل بشكل يكشف عن أنوثته, فهو يقوم أيضًا ببعض الأفعال التي تدل على كينونته المؤنثة, فهو مثلًا دائم الحديث عن البنات, فيتحدث عن بنت جميلة / ممثلة / بطلة الفيلم / شهرزاد وهي تحكي لشهريار, بل إن انطباعه حيال صوت الممثلة "زوزو نبيل" وهي تقول: **بلغني أيها الملك السعيد** وإعجابه بذلك[1] ما هو إلا انعكاس لإعجاب رضوى, والتي كررت نفس العبارة بنفس الإعجاب في سيرتها الذاتية (الصرخة)[2]؛ كما نجد لهذا الناظر ثلاث بنات, وله ثلاثة جيران كلهم من الإناث (دنيز – فرنشيسكا – أديل), وعندما كانت أمه تجلس معهن كان يشاركهن –وهو شاب – الجلسة, ويتحدث معهن في أمور نسائية خالصة, منها مثلًا: شراء ملابس داخلية / لانجيري, وقمصان نوم, وأرواب, وليزوزات[3]؛ولا نعتقد أن هناك ولدًا يحب جلسة أمه مع جيرانها من النساء, بله أن يتكلم معهن في تلك الأمور النسائية المحضة, وعليه فهذا البطل هو رضوى, لكن بضمير المذكر, وعليه أيضًا نرى أن المرأة /رضوى لم تنجح في تقمص شخصية الرجل, فما هكذا يفكر الرجل بخصوص الحوامل, وما هكذا يفضلون تلك الجلسات النسائية المثيرة لنفورهم في كثير من الأوقات.

وعلى الجانب الآخر لم نجد أحدًا من الرجال قد جعل مؤلفه الضمني امرأة, فجميع الرواة من الذكور, بيد أن الرجال عندما يتلبسون بشخصية الأنثى كما فعل بهاء طاهر مع صفية في "خالتي صفية والدير" وكاثرين في "واحة الغروب" ولبنى في "نقطة النور"؛ وكما قدم خيري شلبي من أمهات ونساء عديدات, كما في "إسطاسية", وفاطمة تعلبة في "الوتد", والخالة مسعدة في "بغلة العرش", ولولية في "زهرة الخشخاش", وبسيمة في "الشطار"؛ أقول عندما يتلبس الكاتب بتلك الشخصيات الأنثوية فلا نجد ما يشي بأن المتحدث رجل, بل نشعر أن صاحبة الخطاب أنثى حقيقية, لقد أجادوا تقديم الإناث لتوهم المتلقي بأن المتحدث أنثى, لا ذكر يتحدث من خلالها, وعليه فلم نجد لديهم هذا العوار الذي صاحب ناظر رضوى؛ والحق أنني لا أرى مبررًا لرضوى عاشور في جعل بطلها رجلًا, فلِمَ لم تكن أنثى باحثة, وذلك كما فعلت مع "شجر" في "أطياف", ومع "ندى" في "فوج"؟!

---

[1] نفسه ص: 25

[2] الصرخة ص: 80

[3] لباس نسائي, وهو لباس مستدير, يلبس من الرأس ليتزل حول العنق مغطيًا الصدر والظهر, وهو أشبه بمفرش الطاولة المستدير.

ثانيًا: الرجل والمرأة والرواية التاريخية

إن الرواية التاريخية تُبنى حكائيًا على التاريخ, فهو مادتها التي تشكلها, لكنها تضيف عليه, وتختزل منه, وتتصرف فيه؛ والرواية لا تعتبر تأريخًا, وذلك لانصراف كل لون منهما إلى مهامه المتفق عليها بين العلماء والأدباء, كما أنها ليست إعادة لكتابة التاريخ, بل من الممكن اعتبارها إعادة لتدوين الماضي على نحو جمالي.

ويميز الرواية التاريخية عدة ملامح لا بد لها منها, وإلا لن يصح إطلاق وصف التاريخية عليها, ومن هذه الملامح: 1- سرد أحداث تاريخية مثبتة, بقصد إعادة استيعابها, وتجديد طريقة عرضها. 2- مادتها الأولية هي التاريخ, أما أهدافها فمتعددة الأبعاد. 3- أن يعيد الروائي تشكيل مادته التاريخية تشكيلًا روائيًا فنيًا, على أن تكون إعادة التشكيل ضمن منظور آني يربط المادة الحكائية الماضية بالحاضر المُعاش. 4- باختيارها حقبة تاريخية محددة تعد تبئيرًا واسع الأبعاد. 5- أن ينطلق الروائي في إعادة كتابة المادة التاريخية من وجهة نظر تخصه لغايات متعددة[1]. وعلى ما سبق تصبح الرواية التاريخية - كما قال جورج لوكاش Lukacs, G. - لجوءًا إلى الماضي من أجل إثارة الحاضر[2], فالتاريخ هو المادة التي يشكلها الروائي مركزًا على ما يفيد رؤيته الفنية, فتلك الروايات عبارة عن إعادة الماضي لكن بصورة خيالية, شريطة ألا يعبث الروائي بمجريات الماضي الأساسية, فعمل الروائي ينصب على ما هو خيالي, والذي يجب ألا يتعارض مع ما كان واقعًا, فهو لا يحول الهزيمة إلى نصر مثلًا, إنه لا يزيف التاريخ من ناحية كونه تاريخًا, بل يبرز معالمه بصورة فنية لا تتعارض مع كلية الأحداث التي وقعت فيه.

---

[1] انظر: الشمالي (د. نضال), الرواية والتاريخ: بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية, عالم الكتب الحديث, الأردن (2006) ص: 110

[2] لوكاش (جورج) Lukacs, Georg, الرواية التاريخية, ترجمة: د. صالح جواد الكاظم, وزارة الثقافة والإعلام, دار الشئون الثقافية العامة, ط2, بغداد (1986) ص: 89

والرواية التاريخية حتى تكتسب صفتها الأدبية لا بد لها من إعادة تشكيل المادة الحكائية / التاريخ تشكيلًا تواصليًا مع الحاضر المعاش, فالروائي لا يعوض التاريخ وهدفه مجرد العرض, فتلك مهمة المؤرخ لا الروائي, وإنما الروائي يريد عقد الصلة بين ما حدث وما يحدث الآن, أو ما قد يحدث لاحقًا, فالرواية التاريخية جنس أدبي يستلهم من التاريخ مادة له, ثم يصوغها في شكل فني يكشف عن رؤية صاحبها, تلك الرؤية التي قد تكون تعبيرًا عن تجربة من تجاربه, أو معالجة لقضية من قضايا مجتمعه,وهو في ذلك يتخذ من التاريخ ذريعة للتعبير عن موقفه من هذه التجربة وتلك القضية.

زمن القصة وزمن الخطاب

إن زمن القصة يظهر في زمن المادة الحكائية, فكل مادة حكائية لها بداية ونهاية, إنها تجري في زمن, سواء كان هذا الزمن مسجلًا أم غير مسجل؛ أما زمن الخطاب فهو تجليات تومين زمن القصة وفق منظور خطاب مميز, ودور الكاتب يكون في عملية تخطيب الزمن[1], أعني إعطاء زمن القصة بعدًا متميزًا وخاصًا, فمثلًا قد يكون زمن القصة يبدأ من عام (700م) وينتهي في عام (800م) لكن زمن الخطاب لا يلتزم بهذا التوتيب, فقد يبدأ الروائي زمن خطابه من (710م) ثم يتقدم به إلى (720م) لكنه ما يلبث أن يعود إلى (700م) ومنها ينطلق إلى عام (800م) ومن خلال هذه العملية يكتسب زمن الخطاب خصوصيته التي تكمن في تخطيبه لزمن القصة, لذلك يمكن في خطاب آخر يعمل على نفس المادة التاريخية أن يخطّبها بشكل مختلف.

زمن القصة وزمن الخطاب بين الرجل والمرأة

لقد قدمت رضوى عاشور ثلاثية غرناطة عام (1993م) وهي رواية تاريخية تعكس مأساة العرب الموريسكيين الذين فرضت عليهم الظروف أن يصمدوا أمام السلطة القشتالية التي فرضت عليهم التنصير أو التهجير؛ فتبدأ الأحداث من يوم اجتماع الحمراء الشهير, والذي تأكد فيه سقوط مملكة غرناطة وإعلان الخضوع والاستسلام للقشتاليين, وكان ذلك في عام (1492م) من هنا تبدأ الرواية برصد أوضاع أهل غرناطة الحياتية, والتي تزداد سوءًا يومًا بعد يوم, ليستمر رصدها من قِبل الكاتبة وصولًا إلى عام (1609م) وهو العام الذي يشهد طرد آخر عرب الأندلس, وذلك بعد صدور قرار الحكام الإسبان بهذا الشأن؛ وعليه فزمن القصة يمتد من عام (1492م) إلى عام (1609م) مما يعني أنه يشغل (117) عام؛ هذا من ناحية زمن القصة, أما من ناحية زمن الخطاب فلقد

---

[1] انظر: تحليل الخطاب الروائي, مرجع سابق ص: 89

ظل وفيًا لزمن القصة, حيث سار متوازيًا معه, فالجزء الأول "غرناطة" قد استهلك (35) عام, حيث يبدأ عام (1492م) وينتهي عام (1527م) حيث إعدام سليمة حفيدة أبي جعفر الوراق حرقًا, وذلك لاتهامها بممارسة السحر؛ أما الجزء الثاني "مريمة" فقد استهلك (54) عام, حيث يبدأ من عام (1527م) لينتهي عام (1581م) أما الجزء الثالث والأخير "الرحيل" فقد استهلك (28) عام, حيث بدأ عام (1581م) وينتهي عام (1609م) حيث قرار التهجير وترحيل جميع العرب من الأندلس.

زمن القصة = البداية 1492م ← النهاية 1609م

زمن الخطاب = البداية 1492م ← النهاية 1609م

أما خيري شلبي فلقد قدم روايته "رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمان" عام (1991م) وهي رواية تاريخية تحكي مأساة المصريين عبر الزمان, فهي رواية تنتقد الأوضاع السياسية والاجتماعية لمصر منذ بناء مدينة القاهرة على يد القائد جوهر الصقلي إلى وقتنا الحالي, فالكاتب أراد من خلال ارتداده التاريخي أن يقول أن الأوضاع المتردية للمجتمع المصري وحكامه لم تتغير كثيرًا منذ بناء عاصمته, والسبب أننا لا نعالج الأسباب الحقيقية للمشكلات السياسية والاجتماعية, بل نكتفي بعلاج الظواهر لا أصول المشكلات.

فأما زمن القصة فهو يبدأ من القرار الخاص ببناء مدينة القاهرة عام (358هـ) وينتهي في زمن كتابة الرواية, وهو عام (1400هـ) أي أن القصة استهلكت (1042) عام, بيد أن زمن الخطاب لا يسير بشكل متوازٍ مع زمن القصة, كما هو الحال وثلاثية غرناطة لرضوى عاشور, بل كان يتقدم, ويتأخر, ويتأرجح بين البداية والنهاية بشكل يدير الرأس في أحيان كثيرة؛ فتبدأ الأحداث منذ تلقي البطل – الذي يسافر عبر الزمن – دعوة لحضور الإفطار على مائدة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي, وذلك بمناسبة أول رمضان يحضره الخليفة في القاهرة, لكن البطل يذهب متقدمًا أربعة أعوام, أي في عام (358هـ) وهو العام الذي يعطي فيه القائد جوهر الصقلي الأمر ببناء القاهرة, ومن هذا العام يتأخر البطل إلى موعد الإفطار عام (362هـ) ثم يتأخر منه إلى العصر الحديث عام (1400هـ) ليعود إلى (792هـ) وهو عصر الملك الظاهر سيف الدين, ومنه يرجع إلى (401هـ) وهو عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي, ومنه يتأخر إلى (567هـ) وهو عصر صلاح الدين الأيوبي, ومنه يتقدم إلى قدوم المعز إلى القاهرة عام (362هـ) ومنه يتأخر إلى (487هـ) عصر المستنصر بالله الفاطمي, ليتأخر إلى (567هـ) عصر صلاح الدين الأيوبي ثانية, حيث يحضر جرد خزائن الدولة الفاطمية على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش,

ثم يتأخر إلى الحاضر (1400هـ) ثم التقدم إلى (380هـ) عصر العزيز بالله الفاطمي, ثم يتأخر إلى (501هـ) عصر الآمر بأحكام الله, ثم يتأخر إلى (512هـ) ليسجن البطل في خزانة البنود, والتي جُعلت لسجن الوجهاء وأرباب الدولة, والتي بناها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي, ثم ينتقل إلى (401هـ) زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي, ومنه إلى (440هـ) زمن المستنصر بالله الفاطمي, ثم يتأخر إلى (698هـ) عصر الناصر محمد بن قلاوون, ثم يتأخر أكثر إلى (741هـ) زمن السلطان سيف الدين أبو بكر المنصور, ثم (742هـ) زمن السلطان الناصر أحمد, ثم العودة إلى الحاضر (1400هـ) ثم التقدم إلى (381هـ) زمن العزيز بالله الفاطمي, ثم التأخر إلى (403هـ) زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي, ثم التأخر إلى (702هـ) عصر السلطان محمد بن قلاوون, ثم التأخر إلى (761هـ) عصر السلطان الملك الناصر حسن, ثم الحاضر (1400هـ) ثم الرجوع إلى (743هـ) عصر الصالح عماد الدين إسماعيل أبو الفداء, ثم التأخر قليلًا إلى (744هـ) ثم الختام في العصر الحديث (1400هـ)

زمن القصة = البداية 358هـ ← النهاية 1400هـ

زمن الخطاب = البداية 358هـ ←362هـ ←1400هـ ←792هـ ←401هـ ←567هـ ←362هـ ←487هـ
←567هـ ←1400هـ ←380هـ ←501هـ ←512هـ ←401هـ ←440هـ ←698هـ ←741هـ
←742هـ ←1400هـ ←381هـ ←403هـ ←702هـ ←761هـ ←1400هـ ←743هـ ←744هـ
←1400هـ.

فالدعوة التي تلقاها البطل كانت عام (362هـ) غير أن الكاتب لا يذهب إليها مباشرة, بل يعود إلى ما قبل ذلك بأربعة أعوام, حيث الأمر ببناء مدينة القاهرة, وهذا الرجوع لم يأت عشوائيًا, فالكاتب له رغبة من وراء ذلك, وهي رغبته في إثبات أن هذه المدينة كانت شؤمًا منذ اللحظة الأولى لبنائها, فلقد رأى المنجم يقول "**كارثة, لقد بدأ البناء في أشد اللحظات نحسًا ... فحين بدأ البناء كان الطالع غير سعيد ... كان كوكب المريخ القاهر في صعود**"[1], وعند سؤال المنجم: مَن أعطى أمر البدء بالعمل وضَربَ الأجراس؟ يتضح أنه غراب, فالغراب هو الذي وقف فوق الأجراس وراح ينقرها, ليبدأ العمل في تلك اللحظة المشؤمة, وليظل هذا الشؤم مخيمًا عليها عبر العصور التالية؛ وعليه فالتنقلات عبر الأزمنة لم تكن عشوائية, بل لها دلالة وخصوصية؛ والتالي أنموذج أخر على ذلك, فالراوي عندما

[1] رحلات الطوشجي الحلوجي ص: 15

قدّم مشهد سكب الذهب السائل على عتبة قصر المعز لدين الله الفاطمي سنة (362هـ)[1] وكأنه الإسمنت, أتبعه بمشهد الشدة المستنصرية عام (487هـ) وهذا دال على أن مظاهر البذخ, والإسواف, والتبذير في المشهد الأول هي التي أدت إلى الشدة بالمشهد الثاني؛ وعليه فإن تخطيب الزمن لا يأتي عشوائيًا, وتنقلات ابن شلبي خلال الزمن ليست بالعشوائية, كما قد يتوهم البعض, بل هي ذات دلالة, حيث تغطي الأحوال الاجتماعية, والاقتصادية, والسياسية لمصر منذ نشأة القاهرة إلى عصرنا الحديث, والتي لم تتغير في كبير شيء من حيث جوهرها, فجل ما تغير هو أشكالها فقط.

والتالي أشكال توضح اختلاف الرجل والمرأة من ناحية تخطيب الزمن داخل روايتهما التاريخية:

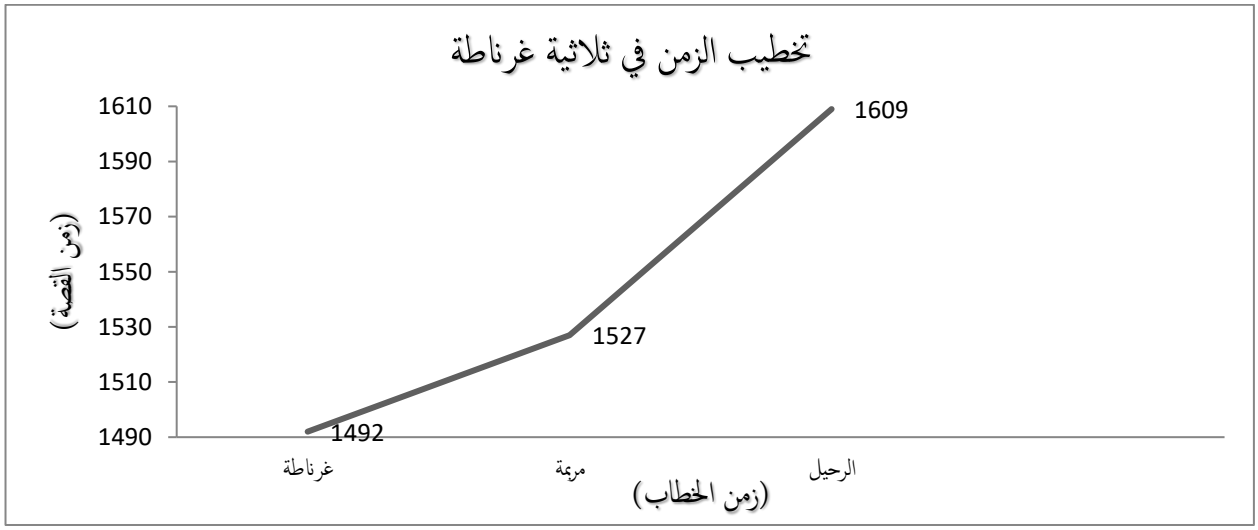

(شكل رقم: 49)

[1] السابق ص: 32

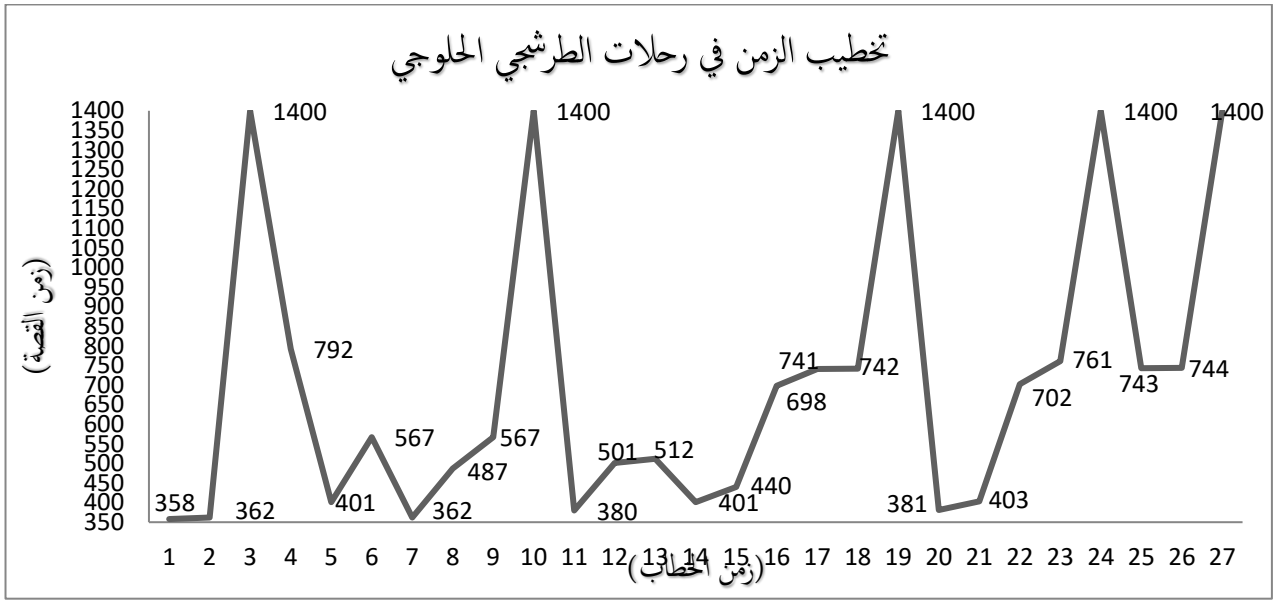

(شكل رقم: 50)

والأشكال السابقة توضح أن رضوى عاشور قد اختارت الشكل التقليدي / الكلاسيكي لتخطيب زمن روايتها التاريخية, حيث تصاعد الزمن الروائي من البداية إلى النهاية, ولم تُخل به مطلقًا؛ والحق أن هذا هو الشكل الألين للكاتب والمتلقي على السواء, أما خيري فلقد اختار الحل الأصعب, فأخذ يتنقل عبر الأزمنة بحرية شديدة, وجرأة يحسد عليها, وذلك من أجل رغبته في إثبات أن أحوال القاهرة لم تتغير منذ تاريخ نشأتها إلى وقتنا الحالي, حيث يتغير الملوك, السلاطين, والدول الحاكمة, لكن الحال كما هو, شعبٌ مستسلم لحكامه يفعلون به ما يشاءون.

زاوية الرؤية / أشكال التبئير Focalization

وهي تتعلق بالتقنية المستخدمه من قبل الراوي لحكي القصة, فالتبئير هو المنظور Perspective الذي من خلاله تعرض الوقائع والمواقف المسرودة؛ فهو الوضع التصوري أو الإدراكي الذي يتم وفقًا له التعبير عن الوقائع[1], والتبئير له ثلاثة أشكال عامة تحكم جميع أشكال السرد وهي:

1- الرؤية من الخلف, وفيها يكون الراوي أكثر معرفة من الشخصية (الراوي > الشخصية), وهذه التقنية يستخدمها السرد الكلاسيكي غالبًا, فالراوي العليم يقف خلف الشخصيات, ويشاهد الأمور على حقيقتها, كما أنه

[1] جيرالد برنس, المصطلح السردي, مرجع سابق ص: 87

يطلع على خفايا شخصياته, ومن هنا كانت تسميته بالراوي العليم, وفي هذه التقنية يصعب تحديد المبئر, فلا يوجد قيد مطود إدراكي أو تصوري يتحكم في المادة المقدمة, لذا فالتبئير يصبح في مستوى الصفر (التبئير الصفري Zero Focalization)

2- **الرؤيــة المصــاحبة**, أو **الرؤيــة مــع**, وفيهـا يكـون الـراوي مسـاويًا للشخصـية فـي المعرفـة (الـراوي = الشخصية) فلا يقدم معلومات أو تفسيرات إلا بعد أن تكون الشخصية نفسها قد توصلت إليها, وفي هذا الشكل يكثر استخدام ضمير المتكلم, والراوي في هذا النوع من التبئير إما أن يكون شاهدًا على الأحداث أو مشاركًا فيها, ولذا فغالبًا ما تكون الشخصية نفسها هي التي تقوم بسرد الأحداث, كما أن هذا التبئير يعرض ما يجري في نفس الشخصية وما يدور بخلدها, لذا فهو يسمى بالتبئير داخلي Internal Focalization.

3- **الرؤيــة مـن الخـارج**, وفيها تصبح معرفة الراوي أقل مما تعرفه الشخصيات (الراوي < الشخصية) فلا يعرف الراوي إلا القليل, فهو يعتمد كثيرًا على الوصف الخارجي, وصف الحركات, والأصوات, ولا يعرف ما يدور بخلد الشخصيات, فهذه الروايات تخلو من وصف المشاعر النفسية, وغالبًا ما يكون هناك وصف خارجي محايد لحركة الأبطال, وأقوالهم, كما يوجد وصف للمشاهد, لكن مع غياب أي تفسير أو توضيح؛ والقارئ في هذه الحالة يجد نفسه أمام مبهمات كثيرة, وعليه أن يُجهد نفسه لإكساب تلك المبهمات دلالة معينة, حينها يكون التبئير خارجيًّا External Focalization[1].

[1] انظر: لحميداني, بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, مرجع سابق ص: 47-48

التبئير بين الرجل والمرأة

فأما ثلاثية غرناطة فيحكمها التبئير في المستوى الصوتي أو الرؤية من الخلف, تقول "**ذلك اليوم رأى أبو جعفر امرأة عارية تنحدر في اتجاهه من أعلى الشارع كأنها تقصده**"[1] فمن صاحب الصوت؟ إنه الراوي العليم, ولعل سيطرة هذا التبئير مبرّر في هذا النوع من الروايات بأننا نلمس في الرواية التاريخية شكلًا قديمًا, يشبه النصوص التاريخية القديمة, والملاحم الشعبية, والتي كان يسيطر عليها راوٍ عليم يتحكم في عرض المادة القصصية, يتحكم في: من, ومتى, وأين, وكيف, ولماذا حدث ما حدث؟ هذا من جهة, ومن جهة أخرى نجد أن متطلبات هذا اللون من الروايات يصعب – غالبًا – على الراوي المشارك في الحدث, وذلك لأن رواية غرناطة قد امتد زمنها لأكثر من قرن من الزمان, ومن المتعسر أن يكون هناك راوٍ مشارك ملم بالأحداث.

لكن بعيدًا عن غرناطة رضوى عاشور نجد أن خوري شلبي قد اعتمد في رحلات الطرشجي الحلوجي على التبئير الداخلي, فالراوي مشارك في الأحداث, وعلى الرغم من أن الرواية غطت مساحة زمنية تفوق الألف عام, إلا أن خوري ابتكر طريقة تسمح لبطله المشاركة في أغلب الأحداث التي مرت على القاهرة منذ نشأتها إلى لحظة كتابة الرواية, فلجأ الرجل إلى الفانتازيا fantasy, أو الإفراط في الخيال, وذلك حين جعل من نفسه شخصية تستطيع التجول عبر الأزمان بحرية, بحيث يُسمح لها بالتقدم والتأخر داخل الزمن, والحق أنه حل مبتكر, وقد مكن الكاتب من تغطية كم كبير من الأحداث في أزمنة متباعدة ليصل إلى هدفه من ذلك, وهو بقاء الحال منذ البدء حتى الآن؛ فبدلًا من أن يحصر الرجل نفسه في حقبة زمنية معينة, ويسقط ما حدث فيها على الواقع الحالي, استطاع بإبداع مبتكر أن يتجول خلال الأزمنة, ليرصد فيها مظاهر التردي الاجتماعي, والسياسي, والاقتصادي في المجتمع المصري منذ إنشاء مدينة القاهرة.

---

[1] غرناطة ص: 8

وعلى ما سبق نجد أن المرأة /رضوى اختارت الحل الأسهل والأقل تعقيدًا, أو قل الحل التقليدي, استخدمته لمعالجة مشاكل اليوم بالارتداد تاريخيًّا إلى حقبة مماثلة لما يحدث الآن, أما الرجل / خيري فكان أكثر جرأة منها, حيث طرح رؤيته عبر شخصية تتنقل داخل الأزمان بحرية شديدة, وذلك لرصد مشاكل اليوم لكن من منظور تاريخي متعدد الأبعاد.

الرجل والمرأة والشخصية التاريخية

إن التعامل مع الشخصية التاريخية داخل الرواية التاريخية يأخذ أكثر من شكل, فهناك الشخصية التاريخية المفعلة في الحدث, وهناك الشخصية التاريخية المقصاة عن الحدث, وهناك الشخصية التاريخية المفترضة في الحدث. فأما الأولى فهي من المعضلات التي تؤرق الروائي, وذلك بسبب قانونها التاريخي الخاص, فتوظيف الشخصية التاريخية في العمل الروائي يتطلب دراية كاملة بالأحداث التي اشتركت فيها, بالإضافة إلى تلك الأحداث التي لم تشترك فيها أيضًا, ليبقى السؤال: ما هي اللغة التي سوف تتحدث بها هذه الشخصية؟ هل ستتحدث مثل باقي الشخصيات؟ أم سيكون لها لغة خاصة بها؟ بيد أن الصعوبة لا تقف عند المرجعية التاريخية فقط, بل تتعداه إلى المرجعية التخيلية أيضًا, وذلك عندما تتورط تلك الشخصيات التاريخية في حوار أو في موقف مع شخصيات متخيلة, فكيف سيجعلها الروائي تتعامل مع ذلك؟ لتبقى قدرة الروائي على التخييل, وربط الأحداث, واستنتاجها أمورًا كفيلة بأن تقدم إليه تصورًا جيدًا عنها, وذلك حتى يعمد إلى توظيفها في روايته, توظيفًا يخدم أغراضه منها. وإذا ما تركنا الشخصية التاريخية المفعلة في الحدث, واتجهنا صوب الشخصية التاريخية المقصاة عن الأحداث, فقد نحكم عليها بأنها مجرد إطار في العمل الروائي, فهي لا تشارك في الحدث بشكل مباشر. أما الشخصية الأخيرة فهي الشخصية التاريخية المفترضة / المتخيلة, وهي شخصيات الرواية الخياليون, وتلك الشخصيات لا تحدها مرجعية تاريخية, ولا تقيدها نصوص التاريخ القديم, لذا فقد يُسنَد إليها بعض الأدوار التاريخية دون حرج.

وبالتطبيق على الروايتين نجد أن المرأة /رضوى عاشور أقصت جميع الشخصيات التاريخية عن الأحداث في ثلاثيتها, حيث كانت هذه الشخصيات مجرد إطار عام تدور الرواية وأحداثها في مداه, فلقد كانت تلك الشخصيات ثانوية للغاية, ولم تشارك بشكل مباشر في أي حدث بالرواية, بل ظل صداها متحقّقا لكن من على بُعد, ولم تصل إلى حد الدور المؤثر في الحدث إلا من طرف خفي, ومن هذه الشخصيات: أبو عبد الله محمد الصغير, والذي أعلن استسلام غرناطة للقشتاليين, ومنها أيضًا: موسى بن أبي غسان, رمز المقاومة؛ والملك فرديناند ملك قشتالة, والملكة إيزابيلا ملكة أراجون. وكلها شخصيات هامشية للغاية؛ ويضاف إليها: كريستوبال كولون (كريستوفر كولومبس) والوزير يوسف بن كماشة, وأولاد السلطان أبي الحسن, سعد ونصر اللذان تنصّرا؛ لكن بعيدًا عن الشخصيات التاريخية الحقيقية نجد أن أبطال الرواية الفاعلين هم من الشخصيات التاريخية المتخيلة, مثل: أبو جعفر الوراق بطل الجزء الأول, وأمه, وزوجته, وحسن, وسليمة, ونعيم, وسعد, ومريمة بطلة الجزء الثاني, و"علي" بطل الجزء الثالث؛ وعليه نجد أن المرأة /رضوى تحوجت, أو قل أنها أقصت الشخصيات التاريخية الحقيقية عن الرواية, على الرغم من كونهم يلعبون دورًا مؤثرًا في حياة الأبطال الخياليين, هؤلاء الذين أعطتهم مزيدًا من الاهتمام وأنوار البطولة.

وعلى النقيض مما فعلته المرأة /رضوى نجد الرجل / خيري قد عَمُر خطابه الروائي التاريخي بهؤلاء الأبطال التاريخيين, فلقد قعّلهم في النص دون حرج أو إقصاء؛ ومن هذه الشخصيات التاريخية المُقعّلة في النص: تقي الدين المقريزي, ابن خلكان, جوهر الصقلي, ابن تغري بردي, ابن عبد الحكم, بهاء الدين قراقوش, أبو سعيد النهاوندي, عبد السلام بن محمد بن طوبر الكاتب[1], السلطان سيف الدين أبو بكر المنصور, السلطان الناصر أحمد, محي الدين بن عبد الظاهر القاضي, الصالح عماد الدين إسماعيل أبو الفداء ...وغيرهم كثير, وكلها شخصيات تاريخية فاعلة في النص, تتحدث مع البطل ويحدثها, بيد أن الأمر لا يقف عند حدود الشخصيات التاريخية القديمة, بل قد نجد شخصيات من المشاهير المعاصرين, فنجد: نجيب محفوظ, عبد الرحمن الشرقاوي, نابليون بونابرت, المستشرق البريطاني ستانلي لين – بول, أستاذ التاريخ الدكتور حسن إبراهيم حسن, المهندس

[1] كذا بالأصل, والحق أنه لا توجد شخصية تاريخية بهذا الاسم, وصوابها: عبد السلام بن الحسن بن طوير (ت: 617هـ), وهو كاتب ومؤرخ مصري؛ والراجح أن خيري يقصد ما ذهبنا إليه, ابن طوير الكاتب لا ابن طوبر, فالسياقات تقول ذلك, ولعله كان خطأ مطبعيًّا, فكثير ما وقعت الأخطاء المطبعية بهذه الرواية, فكم من مرة كتبوا اسم المستشرق "ستانلي لين – بول" كتبوها "ستانلي ليفربول", وأحيانا "ليبول", وهو الأمر المستغرب من دار نشر كبيرة كمدبولي.

حسن فتحي, الدكتور حسين فوزي, الدكتورة سعاد ماهر؛ بيد أن هذه الشخصيات الأخيرة كانت مجرد ضيوف على الأحداث, حيث لم تتدخل في الأحداث مطلقًا باستثناء ستانلي لين – بول, لتبقى الشخصيات التاريخية القديمة هي الفاعلة في النص, كشخصية القائد جوهر الصقلي, والذي وصفه البطل بأن لكنته غير واضحة, وغير منسابة انسياب اللسان العربي[1], ومثل ابن تغري, وبهاء الدين قراقوش, وابن طوير, والسلطان الناصر أحمد, لكن الكاتب وإن تعامل بحرص مع بعض الشخصيات, مثل: جوهر الصقلي, فهو لم يتعامل بمثل ذلك الحرص مع شخصيات أخرى, فقد قدم بعضها بجرأة شديدة, مثل: المقريزي, الذي ناول البطل قطعة من البطيخ قائلًا: "روق دمك"[2], كما أنه قد جعل من بعض هذه الشخصيات من له القدرة على التنقل عبر الأزمان هو الآخر, فابن طوير الكاتب يقابله ابن شلبي في القاهرة عام (1400هـ) وعندما يسأله عن كيفية ذلك يقول: "**كما تأتّى لك الانتقال إلى عصورنا**"[3], وكأن الأمر أشبه بمن يقرأ كتابًا في التاريخ مثلًا, فهو بقراءته يذهب إلى القدماء من ناحية, وهم بنفس القراءة يجعلهم يأتون إليه من ناحية أخرى. أما الشخصيات الخيالية بهذه الرواية فهم: البطل ابن شلبي الطرشجي الحلوجي, والأمير جوعل, وكل سكان جزانة البنود, وهم جميعًا يلعبون دورًا مؤثرًا في الأحداث لا يقل عن دور الأبطال التاريخيين.

وعلى ما سبق نجد أن الرجل / خيري كان أجرأ من المرأة /رضوى في التعامل مع الشخصيات التاريخية, حيث فعلها في الحدث, ولم يتحرج من تخيل كيفية كلامها وتصرفاتها مع الشخصيات التاريخية الأخرى أو حتى مع الشخصيات الخيالية المقحمة عليها, أما رضوى فقد وضعت كل الشخصيات التاريخية في الهامش, وركزت كل جهودها على الأبطال الخياليين.

---

[1] رحلات الطرشجي الحلوجي ص: 11

[2] السابق ص: 22

[3] نفسه ص: 59

هدف الرجل / المرأة من العودة إلى الماضي

يبقى السؤال: لماذا العودة إلى الماضي؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نعلم أن كل نص مهما بُعد عن حاضره يبقى مرتهنًا بطريقة أو بأخرى إلى بند من بنود الحاضر, والرواية التاريخية نص يبتعد في ظاهره عن الحاضر, ويتوغل داخل الماضي, لكنه يبقى وليد اللحظة الراهنة, وما ابتعاده في الماضي إلا طريقة لفهم الحاضر؛ فالرواية التاريخية في كثير من نماذجها استعارة عصر غابر لتمثيل روح العصر الحاضر, فالمرسل لا يرمي من وراء ذلك الارتداد إلا أن يقول: "هكذا عاش آباؤنا, وهكذا نعيش الآن"؛ فالحاضر الآني هو نتاج ما مضى, لذا فالكاتب يواجه مسئولية مركبة عند معالجة الرواية التاريخية, فهو من جهة مدعو لتناول مرحلة أو عدة مراحل تاريخية, ومن ثم إعادة إنتاجها وتقديمها للقارئ, وذلك بعدما يبث فيها الحياة, وفي كل ما تحمله تلك المرحلة من حقائق, ووقائع, وتفاصيل؛ لكنه من جهة أخرى مطالب بألا يقع فريسة للسرد التأريخي, لأن تلك الأخيرة مهمة المؤرخ لا الروائي, فالروائي حين يختار ميدان الرواية التاريخية فإنه يفعل ذلك لأنه مسكون بهاجس, أو قضية فكرية أو نفسية معينة, يود التعبير عنها, لذا فهو يختار من التاريخ مرحلة, أو مراحل معينة, تنسجم وهذا الهاجس, ثم يختار شخصيات وأحداث محددة من هذه المرحلة / المراحل تخدم الهدف الذي يريد التعبير عنه.

وبالتطبيق على المادة قيد الدراسة نجد أن هاجس المرأة /رضوى عاشور كان سياسيًا وطنيًا, وهو كيف يتم التفريط في الأوطان عن طريق الاتفاقيات والصفقات مع الأعداء, وما هو المصير البشع الذي سيلقاه الناس نتيجة لذلك؛ فرضوى انطلقت في روايتها من هاجس ملح, وهو فترة سقوط الأندلس في آخر معاقلها "غرناطة", وتوقيع اتفاقية التسليم مع القشتاليين, ثم عملت على إسقاط ذلك – ولو بشكل غير واع منها – على القضية الفلسطينية في عالم اليوم, فهي تريد أن تقول: هذا ما تم في الماضي, وهو ما يتكرر اليوم في فلسطين؛ فالمرأة مسكونة بهاجس ضياع فلسطين عن طريقة الاتفاقيات مع العدو الصهيوني, لذا اختارت من التاريخ المعادل الموضوعي لهاجسها, وهو زمن سقوط غرناطة, وتسليمها بنفس الطريقة, طريقة الاتفاقيات الكاذبة, ومن ثَمّ أسقطت هذه القضية على تلك؛ بيد أن هذا الإسقاط تم بشكل غير واعٍ منها, حيث نجدها في "أطياف" تنكر ذلك, على الرغم من أن الكثير من النقاد – على حد قولها – الذين تكلموا عن رواية غرناطة رأوا هذا الإسقاط, لكنها أنكرت ذلك فقالت: **"فاجأني ذلك الربط الذي لم يدر بذهني طوال فترة كتابتي للنص"** وقالت: **"حين أستطيع الكتابة عن فلسطين سأكتب عنها, ولا أظن أنني بحاجة للرجوع خمسمائة عام إلى الوراء لكتابتها ما دامت حية وحاضرة إلى هذا الحد في داخلي,**

وجزءًا أيضًا من حياتي اليومية,وفاجأتُ الصحفي الذي سألني بأن غرناطة كانت معادلًا لخوفي أثناء حرب الخليج,وكنت صادقة"[1] والحق أن مسألة الصدق التي تكلمت عنها الكاتبة لا محل لها من الكتابة الفنية, فالكاتب / الفنان عندما يعمل على خلق فني فإن تحكم اللاشعور في العمل وكيفية إخراجه قد يفوق في كثير من الأحيان تحكم الوعي والشعور[2], والحق أن رضوى تسقط خطابها التاريخي على فلسطين, وإن لم تع ذلك, وذلك لأن كل المؤشرات داخل الرواية تقود إلى ذلك الإسقاط؛ وإليك الأدلة على ما ذهبنا إليه:

1. لقد تم إصدار هذه الرواية عام (1993م), ومن طبائع الأمور أن الكاتبة قد عملت على هذه الرواية – والتي هي أضخم مؤلفاتها, وأبرزها على الإطلاق – قبل هذا العام بعدة سنوات, خاصة مع كون الكاتبة أستاذة جامعية لا تتفرغ إلى العمل الروائي – على حد قولها بسيرتها الذاتية – سوى في إجازاتها التي هي أشهر قليلة, وعلى ذلك فإن كتابتها للرواية من المرجح أنها بدأت أواخر الثمانينات, بداية التسعينات على حد أقصى. والمعلوم أن الانتفاضة الفلسطينية الأولى قامت عام (1988م) ولم تهدأ قليلًا إلا في عام (1991م) ومشاهد هذه الانتفاضة تتطابق ومشاهد المقاومة في غرناطة, وانظر المشهد التالي من مقاومة أهل البيازين, والذين انتفضوا لمقاومة القشتاليين: **"والبعض كنعيم يصعد الأسوار محملًا بالحجارة والشتائم ليلقيها جميعًا على رءوس أولاد الحرام الذين**

---

[1] أطياف ص: 246

[2] ولا غرو في ذلك, فكثير من الأمراض والعقد النفسية قد تم استنباطها من خلال الأعمال الفنية, فلم يسم سيجموند فرويد عقدة أوديب إلا من خلال عمل سفوكليس, ولم يطلق كارل يونج على عقدة أوديب السلبية اسم عقدة إلكترا إلا من خلال عمل يوريبيدس, فلقد رأى هؤلاء العلماء أن العمل الفني يشبه الحلم, حيث يرى فيه الإنسان ما يود أن يراه دون كبت من الوعي, فالكاتب قد يتكلم أثناء العمل الفني بأمور يخجل من الحديث عنها في الواقع, فالعمل الفني يحرر اللاوعي جزئيًا من سيطرة الوعي, حيث يوهمه بأن ما يقوله مجرد خيال, وهُم, لن يلومك عليه أحد, ومن هنا يتحرر لاوعي الكاتب, وهذا ما دعا فرويد وعلماء النفس لتحليل اللوحات الفنية والأعمال الأدبية؛ وعلينا أن نعلم أن هذه النظريات ليست مجرد كلام يقال ويردد دون ظهير من الواقع, إنها عقد نفسية دفينة, قد لا يشعر بها الكاتب نفسه, فعلى سبيل التمثيل فقط نذكر الروائية والشاعرة الأمريكية سيليفيا بلاث (Plath, S. (1963, والتي مات عنها أبوها وهي في الثامنة من عمرها, وعندما تكبر وتتزوج يهجرها زوجها بعد ثماني سنوات وذلك لارتباطه بغيرها, حينها تكتب قصيدة (Daddy / أبي), لتصف فيها كم هو جبار هذا الأب, والذي عاملها بقسوة تشبه مصاصي الدماء, أو الجندي النازي في معاملة اليهودي وإحراقه, والسؤال الآن: ما دخل الأب في سياق الكاتبة الحالي؟ إن الزوج هو الذي هجر لا الأب؟ والإجابة التي زاها هي أن الأب بالقصيدة ما كان سوى معادلًا للزوج في الحقيقة, فالزوج في أعماق لاوعيها كان أبًا بديلًا لها, لكنه تخلى عنها بالزواج من أخرى, كما تخلى عنها الأب بالوفاة وهي صغيرة, فهي تكلم زوجها حقيقة لا أباها, لتنتحر بعدها وتصبح تلك القصيدة آخر قصائدها.

جاءوا لاقتحام الحي. وانهمرت الحجارة والسباب من كل مكان"[1] **"عند باب البنود تحلق الأهالي حول الشباب العائدين ليسمعوا ويسألوا: رجمنا بيته بالحجارة ولم نوفر مسبة"**[2] فهذه المشاهد تتطابق مع انتفاضة الحجارة الفلسطينية, وهذا التشابه ليس مجرد تشابه عشوائي مع انتفاضة الحجارة, لكنه مقصود, تشير به الكاتبة لما ينتظر الفلسطينيين إن تركوا المقاومة كما حدث في البيازين, والتي استجابت لوعود الكلاديناك, ففتحت الأبواب, وتوقفت الانتفاضة, فما لبثت أن علقت المشانق لأعضاء حكومة الأربعين التي شُكلت أثناء الانتفاضة.

2. إن اتفاقية تسليم غرناطة والتي بمقتضاها يتم خروج المقاتلين, وترك المقاومة والقتال, وإحلال السلام بين الجانبين تتماهى واتفاقية أوسلو (1993م), فلقد كان من أهم مبادئ أوسلو نبذ منظمة التحرير الفلسطينية العنف, والإرهاب, والمقاومة المسلحة ضد إسرائيل, بيد أن هذه الاتفاقية لم تكن وليدة ليلة وضحاها, بل ظل التحاور والتفاوض بشأنها منذ الانتفاضة الأولى (1988م) وبالتالي فأخبار الاتفاقيات كان يتم تداولها على مدار السنوات, فلقد جاءت هذه الاتفاقية بعد مؤتمر مدريد (1991م) فهي – اتفاقية أوسلو – ابنة هذا المؤتمر الشرعية, كما أنها ببنودها, والقلق بشأنها, وشأن مصداقيتها, تولد قلقًا ما يلبث أن يتردد على لسان أبي جعفر الوراق بعد إقرار اتفاقية غرناطة فيقول: **"سينكلون بنا بعد التسليم, والمعاهدة ليست إلا ورقة لا قيمة لها, وسيشرعون سيف الترحيل على رقابنا, ما الذي يمنعهم من فعل ذلك حين يملكون البلد ويصبح لهم"**[3] فيرد عليه آخر: **"المعاهدة تنص على معاملتنا معاملة شريفة, واحترام عاداتنا وتقاليدنا, وحريتنا في البيع والشراء, ومن حقنا الاحتفاظ بأملاكنا, وأسلحتنا, وخيولنا ... حتى أسرانا سيعودون إلينا أحرارًا معافين"**[4] ليرد عليه أبو جعفر: **"حبر على ورق"**. فانظر إلى نص اتفاقية غرناطة بحق عودة الأسرى, وهو نفس البند المتحقق باتفاقية أوسلو بحق عودة اللاجئين, وما مخاوف أبي جعفر من عدم الالتزام بتنفيذ بنود الاتفاقية إلا مخاوف رضوى نفسها.

3. ومن الدلائل المؤكدة لما ذهبنا إليه أيضًا من أن غرناطة انعكاس لفلسطين هو تصوير الكاتبة لرقصة نعيم في فرح سعد[5], فلقد كانت تلك الرقصة دبكة فلسطينية خالصة قالت: **"ثم يبدأ نعيم رقصته منمقة, مرهفة, وئيدة في آن, كالتقاسيم تتابع, وتعاد, وتخفت, يصاحبها إيقاع الأيدي المصفقة في انتظام, ترتفع ذراعاه فتستطيل قامته**

---

(1) غرناطة ص: 61

(2) السابق ص: 60

(3) نفسه ص: 16

(4) نفسه ص: 17

(5) نفسه ص: 82

المشدودة, ثم يتمايل جذعه قليلًا قليلًا, كأنه لا يتمايل, ثم يدق الأرض بقدميه, وينزل ببطء ذراعيه يلامسان ردفيه, وينفخ صدره كقوس مشدود, ثم ينطلق, وتتسارع دقات الساقين والفخذين, يعلو ويهبط, ثم يعلو ويهبط, تتابعه العيون محدقة والأنفاس مبهورة".

4. عندما يعود الحاج دييجو العطار من الحج, ويقوم بتوزيع الهدايا التي قدم بها من حجه, نجد علَّيا – بطل الجزء الثالث – يختار هديته تلك التي قدم بها الحاج دييجو من القدس[1], ولا يختار هدية قادمة من الحرم المكي!

5. اعتماد أهل غرناطة على الزيتون في طعامهم, وبيعهم, واحتفالهم بحصاده[2] ما هو إلا انعكاس لاحتفال واحتفاء الفلسطينيين بالزيتون خصيصًا, فمعلوم أن هذا المحصول يلعب دورًا كبيرًا في حياة الفلسطينيين[3] دون الإسبان[4], ومن قرأ الطنطورية لرضوى عاشور, وهي قصة لاجئة فلسطينية اضطرتها ظروف الحرب إلى التهجير والخروج من فلسطين, أقول من يقرأ الطنطورية يرى هذا التشابه بين اهتمام واحتفاء الفلسطينيين بالزيتون واهتمام أهل غرناطة به خاصة في جزئها الثالث / الرحيل.

6. مشهد عودة "علي" في النهاية إلى غرناطة رغم قرار الترحيل يتشابه والمشهد الأخير في الطنطورية, وذلك حين عاد حسن ورقية إلى الطنطورة مرة أخرى, ليحول بينهما السلك الشائك, ففي المشهدين إيحاء بالأمل في العودة مرة أخرى إلى الأراضي الضائعة.

7. في روايتها تقارير السيدة راء تذهب رضوى عاشور إلى غرناطة, تسير في الشارع, وعند التقاء الشارع بطريق النهر نجدها تقول التالي: **"هنا على الأرجح حفر العمال خندقًا لحمايتهم من اقتحام الكتائب الحي عام 1936م**

---

[1] السابق ص: 473

[2] نفسه ص: 421

[3] تشير التقديرات إلى أن إنتاج الزيتون يمثل 57% من الأراضي المزروعة في فلسطين.

[4] لقد اشتهرت مملكة غرناطة بالعديد من المحاصيل الزراعية, لكن تبقى الحبوب هي ما أولاها الغرناطيون الجانب الأكبر من اهتمامهم وعنايتهم, فقد نجد للقمح والشعير أهمية خاصة لديهم, باعتبارها من المحاصيل الأساسية التي يعتمد عليها اقتصاد الدولة, إذ كانا يشكلان موردًا من موارد الدخل. [انظر: معوض (إسراء محمد), الزراعة في مملكة غرناطة في ظل بني الأحمر, مجلة البحث العلمي في الآداب, عد (18), ج (4), كلية البنات للآداب والعلوم والتربية, جامعة عين شمس, القاهرة (2017)]؛ بيد أن هذا لا ينفي اهتمامهم بالزيتون, لكن هذا الاحتفال المبالغ فيه بهذا المحصول تحديدًا, وتركيز الكاتبة عليه دون سواه, وذلك رغم كونه في المرتبة الرابعة أو الثالثة على أحسن تقدير, يدل على أن الكاتبة كانت تكتب وفي لاوعيها فلسطين.

أتذكر خندقًا آخر أقامه أهل دير ياسين على مداخل قريتهم"[1] فانظر إلى ذلك الربط بين ما تراه في وعيها وبين ما يستدعيه لاوعيها, فما تراه في غرناطة يعكسه لاوعيها على فلسطين بالضرورة.

الحق أنه بعد كل تلك الأدلة لا أعلم كيف تنكر الكاتبة ذلك؟ فهل ينطبق ما حدث في غرناطة على ما حدث في حرب الخليج الأولى كما تدعي الكاتبة؟! فالحق أنه لا وجه للمقارنة بين الحادثتين, لكن عند إسقاط ما حدث في غرناطة على ما حدث في فلسطين – خاصة وقت كتابة الرواية, والذي توافق والانتفاضة الفلسطينية الأولى ومبادئ اتفاقية أوسلو – وقلق رضوى من ترك المواجهة, والتسليم للاتفاقية التي لا تضمن شيئًا, فهي مجرد ورقة كما قال أبو جعفر الوراق بالرواية, عند هذا الإسقاط نجد التطابق واقعًا.

والحق أيضًا أن القضية الفلسطينية تشغل بال رضوى بشكل كبير, فهي تشغل حيزًا كبيرًا من وعيها ولاوعيها على حد سواء, ولا غرابة في ذلك إذ كنا نعلم أنها امرأة متزوجة من شاعر فلسطيني حكمت عليهم ظروف جنسيته بالشتات والفراق, ومن هنا تأثرت حياتها الشخصية بشكل مباشر بما يحدث في فلسطين, وهو ما جعلها تهتم اهتمامًا زائدًا بقضية حاضرة في حياتها اليومية على حد تعبيرها في أطياف؛ نعم قد تنكر ذلك, بيد أن المتتبع لمشروعها الروائي يعلم يقينًا إلى أي مدى تشغل هذه القضية بال, وفكر, وشعور رضوى, بل قد ندعي أن القضية الفلسطينية شغلت رضوى أكثر مما شغلتها قضية وطنها, والسبب هو ارتباط هذه القضية – أعني الفلسطينية – بحياتها الشخصية مباشرة, ومن هنا كانت أزمتها شديدة.

وعليه فإن المرأة /رضوى أرادت إسقاط قضية ماضية على قضية حاضرة, إسقاط ما حدث بالأندلس بعد الهزيمة وترك المقاومة على ما حدث ومازال يحدث في فلسطين, وهذا الإسقاط يجر الوعي العام إلى التنبه والحيطة والحذر.

وإذا ما تركنا رضوى, واتجهنا صوب خيري شلبي لنجيب على نفس السؤال: لماذا العودة إلى الماضي؟ نجد أن الرجل كان يسافر عبر الزمن منذ بناء القاهرة, والذي صادف شؤمًا في الطالع إلى وقتنا الحاضر ليجد أن الأحوال لم تتغير في كثير, فنفس مظاهر الفساد, والتردي السياسي, والاقتصادي, والاجتماعي لم تزل موجودة؛ فلقد نجد مظاهر الرشوة وسرقة موظفي الدولة للمال العام حاضرة منذ القدم إلى اليوم[2], وبينما نجد في خزائن

---

[1] تقارير السيدةراء ص: 111

[2] رحلات الطرشجي الحلوجي ص: 29

الحكام الآلاف من القطع الذهبية, والكثير من المجوهرات والكنوز, نسمع الباعة في الشارع يبيعون الكلب الحي بخمسة وسبعين دينارًا, بينما الكلب الميت بخمسين دينارًا فقط, فالناس تأكل الكلاب والجيف, أما الحكام فينهبون أموال الشعب المستكين[1], ليترك البطل ذلك الزمان ويعود في نفس المشهد إلى العصر الحالي, فيجد أن الظروف لم تتغير كثيرًا, حيث الشعب مازال لا يجد ما يقيم أوده.

إذًا فالرواية في مجملها نقد للشعب المصر المستكين لمغتصبيه وحكامه الظالمين, وتلك الاستكانة انتظارًا لقَدَرٍ قد لا يأتي ويريحهم منه؛ وهي –أعني الرواية – في نفس الوقت نقد للحكام الذين لا هَم لهم سوى إشباع رغباتهم وشهواتهم فقط, فهؤلاء الحكام على استعداد تام للتعاون مع اللصوص والانتهازيين مقابل مساندتهم لهم في الوصول إلى كرسي الحكم والاستقرار عليه, لذا نجد الأمير خرعل –كبير اللصوص – يقول: "**إن الملك في مصر ينزع انزاعًا, والسلطان والأمراء مشغولون بأحلام الثروة والجاه, إن دماغ كل واحد منهم لا يفكر إلا في نفسه فحسب, وغدًا ترانا – أهل الخزنة – ملوكًا بدورنا, لأنه سيكون دائمًا ثمة من يستعين بنا لمساندته**"[2] فسكان خزانة البنود هم المعادل الموضوعي للصوص من رجال الأعمال في العصر الحديث, وعندما ينظر البطل إلى أهل الديار المصرية نجده يقول: "**سكان خزانة البنود هم أبرز ما على أرض مصر وأقواهم جميعًا**"[3].

إذًا فعودة خيري شلبي إلى الماضي واضحة الأسباب, تلك التي يمكن إجمالها في النقاط التالي: 1-رصد مظاهر الفساد, وأحوال مصر المتردية, والتي لم تتغير منذ بناء القاهرة إلى الآن. 2- نقد للحاكم المصري الذي يرعى الفساد في المجتمع في سبيل بقائه على كرسي حكومته. 3- نقد للمجتمع الذي يرى الفساد, وظلم الحاكم, لكنه لم يشجبه, بله أن يقاومه, بل يستكين له, وأحيانا يسانده.

ولعله من المفيد هنا أن نؤيد ما ذكرناه بأمثلة تؤكد صحة وجهتنا:

فأما الفساد الذي لم يتغير فقد نجده في مشهد رشوة الطواشي بهاء الدين قراقوش لابن شلبي, وذلك عندما علم بأنه أحد أعضاء لجنة جرد القصور الفاطمية, حيث "**ضحك الطواشي, وصفق بكفه على كفي, كأننا صديقان من ألف عام, وحين سحبت كفي الصغيرة من كفه الكبيرة وجدتها – كفي المتواضعة – قد التصقت بها عدة أشياء أظنها ورقة**

---

[1] السابق ص: 50

[2] نفسه ص: 118

[3] نفسه ص: 110

مالية وقطعة جوهر"[1] وانظر إلى إشارة "**كفه الكبيرة**" و"**كفي الصغيرة المتواضعة**", فابن شلبي قد يختلس, أو يرتشي, لكنه يرتشي على قدر حجمه في الدولة, فهو يأخذ القليل, بينما الطواشي صاحب المكانة والمركز الكبير فله يد كبيرة, تختلس الكثير. وقد نجد مشهد آخر على هذا الفساد, وهو مشهد رشوة أحد موظفي الجرد لابن شلبي حتى لا يدقق كثيرًا في عمله, قال "**أمين الدفتر كان قد أحضر لفة كبيرة وضعها بجواري, بطرف عيني تفحصتها, فإذا بها بقجة ملابس همس في أذني: هدية بسيطة للذكرى**"[2] وعندما يتمنع ابن شلبي متعللًا بأنه لا يقبل الهدايا, أو أنه لا بد من أن يدفع ثمنها, نجد الموظف يرد قائلًا "**الإنسان لا يدفع ثمن الشيء مرتين, لقد دفع كل المسلمين في مصر ثمن هذه الرفاهية الغالية**"[3] وبهذا التحايل الفلسفي يقبل ابن شلبي الهدية دون تأنيب من ضميره.

والتالي مزيد من الأدلة على مظاهر الفساد عبر العصور:

- رشوة ابن شلبي للحارس الذي قبض عليه, قال "**وصار يتابع يدي, ويسيل عليها بنظرات ضارعة, فأخرجت ورقة من فئة المائة مليم دفعت بها في يده, فأطبق على يدي, ولما سحبتها منه وجدت أن الخاتم الفضي الذي كان في إصبعي الصغير قد اختفى**"[4] فالحارس في هذا المشهد لا يكتفي بقبول الرشوة, بل هو لص أيضًا؛ على أن اتهام خيري للحكام والقائمين على حماية الدولة باللصوصية هو اتهام منتشر في الكثير من أعمال الرجل, فمن يقوم بحمايتك هو من يقوم بسرقتك.

- اختلاس أموال الأوقاف منذ القدم, قال "**الجنود يسحبون الهرماس وولده وينهالون عليهما ضربًا بالمقارع والعصي حتى سقطا مغشيًّا عليهما, ثم ينصرف الآخرون إلى الدار فيعملون فيها الهدم, فقلت: ماذا حدث لهذا الرجل؟ قالوا: اختلس من أموال وقف الجامع وأثرى على حسابه, فقلت: إذن فالتلاعب في أموال الوقف قديم وعريق**"[5]

- الولد الذي كان يحمل بقجة الملابس / الرشوة في العصر الأيوبي نجده هو نفسه الولد الذي يتاجر في العملة في وقتنا الحديث, وهو نفس الولد الذي نصح ابن شلبي بالتهاون في الجرد وقبول الرشوة[1], وكأن أخلاق المصري لم تتغير عبر العصور.

---

[1] رحلات الطرشجي الحلوجي ص: 38

[2] السابق ص: 45

[3] السابق نفسه

[4] نفسه ص: 66

[5] نفسه ص: 214

أما بالنسبة للحاكم الذي يرعى الفساد, وينظر إلى مصلحته الشخصية دون التطرق لمصلحة الناس, بل هو قد يحتقر الناس في داخله, فقد نرى ذلك واضحًا في كلام السلطان أحمد بن قلاوون, وهو السلطان المنحل, المتحلل من كل قيمة, فهو يرى في ابن شلبي / المصري مخلوقًا متخلفًا, قال "**أرى عن قرب كيف لا يزال هناك بعض المخلوقات المتخلفة تشغل نفسها بفلسفات, وقيم, وأمجاد, وقضايا تاريخية, وأوهام لا معنى لها ولا قوام**"[2] والغريب أنه يقر بأن فلسفته السابقة هي فلسفة كل السلاطين, لكن الأمر يختلف من سلطان لآخر حسب قوة كل منهم على الاختباء وراء قناع, كقناع حماية البلاد, حماية الخلافة, حماية الشعائر, حماية الأقوات, حماية الرفاهية, تلك الأخيرة التي لم توجد قط إلا في قصور السلاطين. فالحاكم في ظاهره يبدو بمظهر المدافع عن قيمة, بينما هو من الداخل متحلل من كل القيم.

وإذا ما تركنا السلطان جانبًا قد نجد ذلك متحققًا كذلك في سلوك نائب السلطنة / الجوكندار, والذي هو في ظاهره يحارب الفساد, لكنه في حقيقته لا يفعل, فهو مثلًا يحارب الخمر التي يصنعها أهل الخرابة البنود ويشربونها, بيد أنهم لو امتنعوا عن شربها ظاهريًا لتركهم وما يفعلون, حتى لو علم يقينًا أنهم يشربونها في السر, فهو على أتم استعداد لأن يقبل بذلك؛ إذًا فكل ما يقوم به هو علاج المشكلة الدينية بسلوك ظاهري فقط, وذلك لعلمه أن الدين يلعب دورًا كبيرًا في حياة المصريين, لكنه لا يعالج المشاكل الحقيقية بالمجتمع, بل إنه يهدم الخرابة, ويريق الخمر, ويترك أهل الخرابة دون أدنى ضرر, وهو بهذا الفعل لا يدرك أنه يحررهم من أسر الخرابة؛ إذًا فهو يعمل لصالحهم, وإن كان ظاهريًا غير ذلك؛ وهذا هو مشروع خيري شلبي الأثير, والذي ما فتئ يقدمه بأعماله الروائية, ألا وهو نقد الحكومات التي تعمل لصالح الانتهازيين من رجال الأعمال, فهي تعمل لحمايتهم وحماية مصالحهم, وتقبض منهم ثمن تلك الحماية, ومن ثَم تدعهم يمتصون دماء الشعب المستكين كيفما شاءوا.

أما نقد الكاتب للشعب المصري داخل الرواية فكثير, فهم في نظره يسلكون مسلك الخدم ويرضون به, يقول: "**أجمع الموهوبين المشردين من بني شلبي, وما أكثرهم! فأكتب لهم عقودًا في عشرات المهن والحرف بأجور بالنسبة لهم مجزية تمامًا, صحيح أنني سأسفحه في نصف ما يستحقه تقريبًا, ليضاف إلى مستحقاتي العديدة, ولكن أي صعلوك من بني شلبي يقبل العمل بأي سعر أفرضه عليه, ثم إنني لن أختار سوى الموهوبين منهم في مهنة الخدم, أكثرهم قدرة على الحركة أحسن من يداعب أطفالي ويوصلهم إلى المدارس, ألبق من رأيته يقدم القهوة لضيوفي الأجانب, أقواهم ذاكرة في الاحتفاظ بعشرات**

---

[1] السابق ص: 45, 51

[2] نفسه ص: 200

الحوارات التي سمعها في عشرات الغرف ليحكيها لي بكل التفاصيل, أكثرهم تجاوبًا معرغباتي وتقمصًا لآرائي"[1] وعليه فهم في نظره مجرد خدم,رضوا بأن يكونوا رعاعًا, يرضون بالمذلة في سبيل استمرار حياتهم البائسة, بل وقد يصل الأمر بهم أن يساعدوا من يذلهم على الإفراط في إذلالهم, يقول: **"ركلتني رعشة وتيقنت من تعس الديار المصرية, حتى لكأنها سنة كونية لا تراجع فيها,وقلت في نفسي: أعان الله أهلها على الاحتمال,ونظرت في أنحاء الخزنة فرأيت أبناء الديار المصرية الذين تزايد انتماؤهم للخزنة يسمعون الكلام الذي أقوم بتسريبه من الشباك لهم, فإذا هم يؤيدون كل حرف فيه, ويرسلون أو يجيئون هم أنفسهم بكلمات تشجيع للسفاح على مزيد من السفح,وللقاتل على مزيد من القتل,واللص على مزيد من اللصوصية,وكنت أراهم وأرى بينهم الكثير من بني شلبي فأخصهم بنظرة احتقار تحتية يجدون لذة في تجاهلها"**[2] لكن من الحق أن الكاتب كان يقر بأن هذا السلوك ليس سمًّا عامًا لجميع المصريين, وإنما هو سمت اللصوص منهم على مر الزمان, قال: **"ولم أكن أنزعج من حقارتهم هذه, لعلمي أنهم لا يمثلون بني شلبي على الحقيقة, نعم,وهذه النماذج من بني شلبي أيضًا لا تمثل الديار المصرية, إنهم مجرد لصوص وسماسرة وانتهازيين يتواجدون في كل عصر"**[3] لكن هذا لا يمنعه من توبيخهم على ذلك المسلك الذي يتأذى به المجموع **"وقلت لهم: لماذا تجاهرون بالولاء لمن لا ولاء له؟ وتظهرون الحب لمن لا يستأهل الحب؟ وتشجعون على المضي في طريق من سار في طريق تعذيبكم وشرب من دماء إخوانكم؟"**[4] ليكون المبرر لديهم أن لا شيء سيتغير, قاومنا أم هادنّا حكامنا الظالمين, فالظلم باق, والسفح قائم, شئنا أم أبينا, لتحمل بذلك الرواية دلالة ألا أمل في تغير تلك البلاد, طالما ظل هذا سلوكهم, وظلت تلك معتقداتهم **"فقال قائل منهم: لأننا نعرف أن كل شيء سيمضي على ما هو عليه, سواء رغبنا أو لم نرغب,والظلم باق,والسفح قائم, سواء رضينا أم أبينا, فمن الخير لنا أن يكون الأمر ولو في الظاهر متفقًا مع رغبتنا.وقال آخر: اعلم أنه لا ناقة لنا في الأمر ولا جمل,ونحن نشتري الحاكم بكلمة طيبة, أو قل نتقيه ونتقي شره"**[5].

---

[1] رحلات الطوشجي الحلوجي ص: 80

[2] السابق ص: 109

[3] السابق نفسه

[4] نفسه

[5] نفسه ص: 110

وعلى جميع ما سبق يصبح ارتداد رضوى عاشور إلى الماضي سببه معالجة القضية الفلسطينية, والتي ارتبطت هي بها ارتباطًا شخصيًّا, على أن الرواية في نهايتها حملت دلالة التفاؤل, والأمل في العودة إلى الأراضي المحتلة؛ هذا في حين كان ارتداد خيري شلبي إلى الماضي رغبة منه في رصد أحوال الشعب المصري المتردية منذ العهد الفاطمي إلى الوقت الحالي, وذلك رغبة من الرجل في الوقوف على الأسباب الحقيقية لتلك الأحوال المتردية تمهيدًا لعلاجها, لتحمل الرواية شعورًا باليأس من تغيير الأوضاع, وذلك بسبب اعتقاد المصريين أن كل شيء سيبقى كما هو مهما فعلوا أو قالوا, وبالتالي فهم بهذا الاعتقاد يكرسون للفساد وظلم الحكام.

ثالثًا: الرجل والمرأة والخطاب المتمرد

يحفل الخطاب الروائي الأنثوي دون الذكوري بالعديد من أشكال التمرد على العديد من القوى التي تواها المرأة كابتة لها ولمجرى حياتها, لكن وقبل البدء في عرض تلك الأشكال ومناقشة أسبابها لعله من المفيد أن نُعرّف التمرد الأنثوي أولًا كمصطلح.

مفهوم التمرد الأنثوي

يعرف التمرد في علم الاجتماع بأنه محاولة فردية لتغيير الواقع الاجتماعي, بيد أن هذه المحاولة – وبسبب فرديتها – محكوم عليها بالفشل, وذلك لأن تغيير الواقع الاجتماعي يحتاج إلى ثورة اجتماعية عامة, لا محاولات فردية؛ أما التمرد بالمعنى الفلسفي فهو فعل التحدي الذي يمارسه الفرد ضد قوى عاتية لا يستطيع إلحاق الهزيمة بها, وعلى الرغم من ذلك فهو يواصل المحاولة, يواصل التحدي والصراع رغم تكرار الفشل, وذلك لأنه لا خيار لديه سوى التمرد في مواجهة تلك القوى, والتي قد يمثلها الإله / الدين / المجتمع, وكذا قد تفعل المرأة التي تعرضت –ولا تزال تتعرض – إلى أشكال مركبة من الضغط, والقهر, والاضطهاد عبر آلاف السنين, لكنها تواصل تمردها الفردي ضد القامع الذكوري, وضد منظومة القيم, والعادات, والتقاليد, والتشريعات, والقوانين التي صاغها لتأبيد استلابها, والتأكيد على بقائها في القالب الذي وضعه لها, وكذلك فهي تواصل تمردها ضد المحظورات التي حرم عليها تجاوزها, أو الخروج عليها, مثل: الدين وأحكامه الخاصة بها, حيث تتجلى ملكية السيد الذكر للأنثى, وفي مواجهتها تلك تذهب الكتابة الأنثوية إلى النص كي تمارس حريتها المفقودة في المجتمع, لتصبح الكتابة أفق أوسع للحرية, تحقق فيها المرأة توازنها المفقود بين ذاتها الداخلية وذاتها الاجتماعية, بين ما ترغب في إعلانه وبين المسكوت عنه[1].

---

[1] ينظر: أبو نضال (تريه), تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط1, بيروت, (2004), ص: 25

أشكال التمرد الأنثوي داخل الخطاب الروائي

يأتي التمرد الأنثوي داخل الخطاب الروائي قيد الدراسة على ثلاثة أشكال: الأول يكون فيه التمرد على القوى الاجتماعية التي تحاول ترويض المرأة, وكبتها, وقهرها, وقد تمثل هذه القوى: الأم / الأب / الزوج / العادات والتقاليد؛ أما الشكل الثاني فيكون التمرد فيه على السلطة الدينية, والتي تدعم بدورها السلطة الاجتماعية في ترويضها للمرأة, وذلك عن طريق حجبها بعيدًا عن أي دور فاعل في المجتمع؛ أما الشكل الثالث فهو التمرد على السلطة السياسية, بيد أن هذا النوع من التمرد لا تنفرد به المرأة فقد يشاركها الرجل فيه.

التمرد على القوى الاجتماعية

التمرد على سلطة الأم

لقد قدمت ميرال الطحاوي في الباذنجانة الزرقاء أنموذج على هذا الشكل من التمرد, فندى بطلة الرواية ومنذ مولدها وهي تحاول التمرد والخلاص من سلطة أمها[1], ولاحظ قولها التالي: "**وتخط وهي تقلب بين مراجعها خطوطًا كثيرة تحت التمرد, ومشاعر الذنب والعدوان بين الأم والابنة**"[2] والسبب في ذلك التمرد هو رغبة الأم التي تريد لابنتها ما لا تريده الابنة لنفسها, فالفتاة تريد أن تحيا كما أرادت لا كما يريد لها الآخرون[3], بيد أن هذا التمرد ما يلبث إلا أن يكلفها الكثير من الضرب, والقرص, مخلفًا وراءه بقعًا زرقاء لا تكاد تغيب حتى تعود من جديد, فالأم بهذه الرواية تمثل إحدى القوى الاجتماعية التي تبدأ من عندها قهر الأنثى وإخضاعها لسلطة المجتمع, لذا نجد الأم على مدار الرواية دائمًا ما تملي على الفتاة كيف تعيش, وكيف يجب أن تتحدث, وكيف تضحك, وكيف تلبس, وكيف تعامل الناس, وبالتبعية تتمرد الفتاة ضد كل هذه الكيفيات التي تكبتها, وتحاول مسخ شخصيتها, تقول: "**ستتحدث أمي عن صوتي الذي يجب أن يبقى منخفضًا, وعن فمي الذي يجب أن يغلق تمامًا, خاصة في حضور ضيفاتها, وعن ضحكتي التي يجب أن تكون قصيرة, ومهذبة, وبمناسبة**"[4] إن هذا التمرد على سلطة الأم نجده هو عينه يتكرر لدى نفس الكاتبة, لكن هذه المرة في رواية بروكلين هايتس, فقد كانت هند "**تتحول إلى دابة حرون, تتحول علاقتها بأمها**

---

[1] انظر: الباذنجانة الزرقاء ص: 17

[2] السابق نفسه

[3] انظر: السابق ص: 26

[4] السابق ص: 35

جحيم ... فلم تكن قادرة على الاستسلام المبكر في مثل هذه المعارك مع أمها, إنها تناوش بكلمات وخربشات تنتهي عادة بأن تتلقى على وجهها عدة صفعات"[1] وعلى الرغم من كل محاولات الترويض تلك لم تكن هند قادرة على أن تكون كما تشتهي الأم[2], لكن يبقى السؤال: ما الذي تريده منها الأم؟ إن الأم تريدها راضية, حمولًا, مطيعة, كي تستطيع أن تعيش في غابة من الذكور[3], وعليه نجد الأم تعدها سلفًا للدور المنوط بها مستقبلًا, وهو أن تصبح امرأة كغالبية النساء في المجتمع, متزوجة, خانعة, راضية بسلطة الذكر / المجتمع الذي يريدها قابعة في مكانها, خادمة لهذه السلطة, ومكرسة لها عبر تجهيزها هي الأخرى لبناتها كي يقمن بنفس الدور في المستقبل؛ وكما رصدنا تمرد الفتاة ضد سلطة أمها عند ميرال نجد نفس التمرد لدى سوسن برواية رضوى عاشور "خديجة وسوسن", حيث لا تقبل الابنة بسيطرة أمها الكاملة على أبنائها كي تجعلهم كما تريد هي, لا كما يريدون هم لأنفسهم, لذا فهي طوال الوقت دائمة التمرد على قرارات أمها الخاصة بها وبأخيها سعد, ولعل هذا التمرد هو من جعل البطلة / سوسن هي الوحيدة التي تخرج رابحة في النهاية من جحيم أمها المتحكمة.

التمرد على سلطة الأب

نجد ذلك متحققًا عبر شخصية سلمى برواية رضوى عاشور "حجر دافئ", وذلك حين تتمرد على سلطة أبيها عندما رفض طلاقها من سعيد, غير أنها أصرت على ما أرادت, وبالفعل حصلت عليه, لترغب بعد ذلك في السفر للعمل بالخارج, فيرفض أبوها مجددًا, لكنها – ورغم انفعاله الشديد ورفضه القاطع – تسافر وتحصل على وظيفتها, وهي إذ تعرض تسلط أبيها عليها, وعلى أخواتها, نجدها تتمثله بالصورة التالية: **"حلمت بأبي وقد وضع بناته تحت حزام عريض شده على خصره خوفًا من أن يفلتن, وهن يصحن طالبات النجدة لأن الحزام يضغط عليهن إلى حد الاختناق"**[4] وعندما تسألها صديقتها بشرى: **"بذمتك رأيت هذا في الحلم؟"** قالت: **"لم أره في الحلم ولكن رأيته"** إذًا هو ليس حلمًا بل صورة ذهنية لأبيها, ولتسلطه عليهن, ورغبتهن جميعًا في الخلاص منها.

---

[1] بروكلين هايتس ص: 18

[2] انظر الرواية ص: 19

[3] السابق نفسه

[4] حجر دافئ ص: 74

التمرد على سلطة الزوج

إن الزوج هو المكمل لعمل الأب والأم في تسلطهما على المرأة, حيث رغبته هو الآخر في إخضاعها, وترويضها تحت قبة سيطرته الكاملة, لذا نجد سعيد زوج سلمى في "حجر دافئ" يعمل جاهدًا من أجل السيطرة الكاملة على زوجته, وذلك من خلال منعها من كل ما تحب فعله, فهو يريدها قابعة, قانعة بما يقدمه لها,ولا شيء فوق ذلك, فلقد منعها من ركوب الدراجة, ومنعها عن العمل, وأراد لها أن تبقى حبيسة المنزل, تهتم بشئونه هو فقط؛ ولقد نجد مثل هذا التمرد على سيطرة الزوج حاضرًا أيضًا في قصة ليليت برواية ميرال الطحاوي بروكلين هايتس, وذلك عندما تركت لزوجها كل شيء, حتى ابنهما, وسافرت إلى أمريكا لتعيش كما أرادت, وهو نفس الفعل الذي قامت به هند بطلة الرواية, ليبقى الفارق أن تلك الأخيرة أخذت ابنها معها ولم تتركه لزوجها.

التمرد على العادات والتقاليد

وهذا ما نجده في تمرد فاطمة بطلة خباء ميرال الطحاوي, وذلك حين تتمرد على نظام البيئة البدوية, والذي تمثله الجدة حاكمة, ورغبتها في التخلص من الفتيات, فبالنسبة للجدة ما البنات سوى عبء لا بد من التخلص منه, فأما بناتها – بنات حاكمة – فالواضح من السياق أنها تخلصت منهن عن طريق الوئد قالت: **"يكفينا الله شر بلاياهن,والله ما عاشت لي بنت, قالوا: يا حاكمة أين تذهب بناتك؟ قلت: الله يكفيني شرهن, مصلية والله وداعية؟ - صدقت يا جدة صدقت, لكن بيموتوا كده, قدر الله يا جدة, قدر الله أم..؟ - قدر الله يا بنت, داعية ومصلية ما يبقى لي منهن شيء, مسافة ما البنت توأوأ يأتيها ستّار الصبايا يحمل ويشيل"**[1] هذا من جهة بناتها, وأما من جهة حفيداتها فقد عملت على التخلص منهن عن طريق الزواج المبكر, لذا نجد فاطمة بطلة الرواية تتمرد على هذا الوضع, عن طريق الهروب, لتظل طوال الرواية تحاول الهرب مرارًا وتكرارًا حتى تنجح في النهاية, ولكن بالهروب إلى الموت.

ومن هذا الشكل أيضًا تمرد شجر (الجدة) في أطياف رضوى عاشور على العادات والتقاليد, والتي تقول بضرورة زواجها من أولاد عمها بعد وفاة زوجها, ولكنها ترفض, وتتمرد على ذلك, لذا **"كره أولاد العمومة استغناءها, كرهوا رفضها الزواج, ثم كرهوا قدرتها على إدارة شأنها اليومي وكأنها ليست من الولايا ... ظلوا يراقبونها وينتظرون أن تثبت**

---

[1] الخباء ص: 73

لها الأيام -وتثبت لهم أيضًا- بطلان الخروج على ما سنه الآباء والأجداد ..."[1] لكن خذلتهم شجر, فلقد كانت عنيدة ومتمردة؛ وفي "خديجة وسوسن" لنفس الكاتبة نجد تمرد خديجة على كل الأعراف الاجتماعية منذ صغرها, فهي تلعب كرة القدم أفضل من الذكور, بل وتهزمهم فيها, كما نجدها حين تُفتح ورشة نجارة في الشارع الذي تسكنه زاها ترغب في العمل كنجّارة, وعندما يعترض الأب وتعترض الأم على ذلك بحجة أنها مهنة ذكور نجدها لا تعترف بذلك[2].

التمرد على السلطة السياسية

وهو حاضر بقوة في خطاب رضوى عاشور الروائي, فغالبية بطلاتها يشاركن في العمل السياسي, ويتمردن على السلطة الحاكمة, شأنهن في ذلك شأن الرجال, فشجر / المعادل الموضوعي لرضوى عاشور في أطياف تشارك في الاعتصام داخل الجامعة[3], وعندما يؤنبها رئيس الجامعة على ذلك فلا تعتذر عما قامت به, ليقول لها الجد ممتدحًا: "عنيدة يا شجر"[4], وبسبب هذه الفعلة لا تُعيّن شجر /رضوى بجامعة القاهرة, بل يتم تعينها في جامعة عين شمس, لأن رئيس القسم آنذاك قال: "لا أريد هذه البنت"[5]؛ على أن التمرد السياسي في أطياف لا يقف عند حدود شجر /رضوى, وإنما قد نجد صورًا لهذا التمرد عندما تتكلم الكاتبة عن المعتقلات السياسيات داخل السجون, وكيف أنهن يكملن تمردهن السياسي حتى داخل السجن, فلقد تمردن على خطاب جمال عبد الناصر السياسي, والذي ادعى فيه أنه لا يوجد مسجون سياسي واحد في مصر, كما تمردن على الأوضاع غير الآدمية بالسجون السياسية[6], ثم تتبع الكاتبة ذلك بالكثير من القصص الخاصة بهؤلاء النسوة المتمردات سياسيًّا, وقد كان من أبرز من تكلمت عنهم د. لطيفة الزيات؛ وبعيدًا عن أطياف نجد في "سراج" لرضوى عاشور أيضًا تمرد العبيد على السلطان, ورغبتهم في خلعه, وإعدادهم لثورة تحقق مطالبهم؛ وفي رواية "فرج" لنفس الكاتبة نجد مشاركة ندى في اعتصام الجامعة مرتين[7], ونتيجة لهذا النشاط السياسي فهي تسجن؛ وفي "خديجة وسوسن" نجد

---

(1) أطياف ص: 3

(2) خديجة وسوسن ص: 14

(3) أطياف ص: 87

(4) السابق ص: 91

(5) نفسه ص: 141

(6) نفسه ص: 265

(7) فرج ص: 72, 78

سوسن بطلة الجزء الثاني من الرواية تشارك في أنشطة سياسية داخل الجامعة[1], ليذهب أحدرجال الدولة لتحذير أمها من ذلك النشاط؛ وفي "أثقل من رضوى" نجد تمرد الكاتبة نفسها على وجود الحرس الجامعي داخل حرم الجامعة[2], كما نجد مشاركتها في المظاهرات التالية لأحداث يناير (2011م)[3] وتأييدها المطلق لها ولمطالبها.

التمرد على السلطة الدينية

إن خطاب المرأة الروائي – دون خطاب الرجل – يحفل بالكثير من العبارات التي تحمل معنى التمرد على السلطة الدينية, والتي تراها المرأة نوعًا من السلطات المُخضعة لها, ولبني جنسها من البشر جميعًا, ولقد تستغل القوى السياسية والاجتماعية السلطة الدينية من أجل تثبيت هذا الإخضاع, وجعل الناس يتقبلون واقعهم المؤلم راضين به؛ وقد نلمح ذلك في قول موال الطحاوي على لسان بطلتها بالباذنجانة الزرقاء "**كنت ساعتها لا أزال أخاف الرب الذي يرانا, لكنني كفرت بأن الصبر مفتاح الفرج, وأن أحب عباده إليه الفقراء, ومن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ... تحاول البنت التي تستلقي أسفل فراشي أن تضيف إلى معارفي مقاطع إضافية**: قُل لَو أَنَّ أَهلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ ... **وتحشو أحاديثها بحكاية سويسرا البلد المترف الذي يكثر فيه الانتحار, والأمراض والأوبئة التي ترافق البلدان الغنية, وأرهقتني بتبتلاتها المسائية في تفريج الكروب, لذلك كانت أول من دفعت إليها بعضًا من المسقعة, وأنا أراه تمامًا, وأرفعه بمواجهة عينيها, فأر صغير, مقلي ومتبل ... كُلي, الفئران ليست نجسة, وحلال أكثر من دجاج أمريكا الفطسان دون تحليل دمه بالشهادتين**"[4]؛ لذا البطلة بعد ذلك ترفض تشبيه صديقها لها بالملاك فتقول: "**إن الملائكة حمقى**"[5] وهي إذ ترفض هذا التشبيه وتنعت الملائكة بالحمق فهي تعني أنها لا تريد أن تكون خاضعة مثلهم لسلطة فوقية تأمرها وتنهاها, فهي لا تريد مثل هذا الإخضاع, لذا دائمًا ما كانت تتمرد على أية سلطة تحاول ترويضها, لذا نراها في مشاجرات دائمة مع مشرفة مبنى الطالبات, والتي تريد أن تتدخل في شئون حياتها, وفي طبيعة سلوكها, فضلًا عن أوقات دخولها وخروجها.

---

(1) خديجة وسوسن ص: 60, 80

(2) أثقل من رضوى ص: 9

(3) السابق ص: 114

(4) الباذنجانة الزرقاء ص: 87

(5) السابق ص: 125

بيد أن تمرد المرأة على السلطة الدينية لا ينبع فقط من رغبتها في عدم الإخضاع, بل قد يكون منبعه التعرض لضغوط دنيوية, والتي لا تفهم منها المرأة ما الحكمة الإلهية منها؟ فالإنسان عندما يتعرض إلى العديد من الضغوط المتتالية يبدأ في اللجوء إلى قوة عليا تعينه على التخلص منها, بله أن تخلصه هي منها من تلقاء نفسها, لكن إن لم تستجب هذه القوة فهو / الإنسان تحت وطأة المعاناة المستمرة والمتصلة قد يتمرد عليها, بل وعلى وجودها, حيث يتشكك في وجودها من عدمه, لأنه لم يعد يفهم تصاريفها للأمور, وهذا ما نلمحه في قول هند لزاهات في بروكلين هايتس لميرال الطحاوي "**أنا لا تجوز علي الصدقة, أنا لا أعرف شيئًا عن هذا الرب الذي تتحدثون عنه, أحاول نسيانه على الأقل الآن**"[1] ونلمحه كذلك في قول ليليت لابنها بنفس الرواية "**قالت له بعناد: أنت عايزني أقعد ألف حولين إيه؟ الكعبة يعني؟ يا بني أنا لا بحب اللف ولا الدوران, روح أنت, وإن كان عايز يغفر لي سيغفر**"[2].

إن عدم فهم الحكمة الإلهية من ظلم البشر لبعضهم البعض, وعدم تحرك الإله لنصرة عباده, أو على الأقل إنقاذهم, وإبعاد الضرر عنهم, كفيل بأن يجعل الإنسان متشككًا في حكمة هذه الآلهة؟ بل ومتشككًا حتى في وجودها من عدمه, ففي غرناطة لرضوى عاشور نجد أبا جعفر الوراق بعدما تحرق كتبه يلجأ إلى فراشه في تلك الليلة ويقول لزوجته: "**سأموت عاريًا ووحيدًا لأن الله ليس له وجود**"[3], كما نجد أم جعفر تتشكك في قدرة الإله, بل وتتشكك في وجوده حيث "**كان الكلام الذي ينقله لها نعيم يثلج صدرها ... لأنها كانت قد وجدت أخيرًا عدالة من السماء لرقتها غيابها, وملأها شك كان يداهمها أحيانًا متقمصًا صوت أبي جعفر بعد حرق الكتب**"[4], ونفس الأمر نجده عند سليمة حفيدة أبي جعفر, حيث كانت "**تفكر في الموت الذي يقهر ويذل, وفي الإنسان أمام الموت لا حول له ولا قوة, وفي الله في السماء العالية هل يشاهد كل شيء في صمت ولا مبالاة ... بدا لها الله مبهما وغير مفهوم وجبارًا إذ يحمل عباده ما لا طاقة لهم به**"[5] ليتكرر هذا النمط من التفكير لدى سليمة ويتأكد بعد سجنها, وذلك حين تساءل الراوي العليم "**فكيف لها في سجنها القشتالي الضيق أن تكشف عن سر ذلك العصفور (الروح) الذي يرحل بقانون رب مبهم؟!**"[6], إلى أن تصل الشكوك ذروتها في خطاب مريمة إلى الرب, وذلك حين كشفت رأسها, وتطلعت إلى السماء, وتحدثت بصوت

---

(1) بروكلين هايتس ص: 158

(2) السابق ص: 236

(3) غرناطة ص: 52

(4) السابق ص: 128

(5) نفسه ص: 148

(6) نفسه ص: 151

مسوع: "ما عدنا نطيق,والله ما عدنا نطيق, فلماذا تبلونا بكل هذا البلاء؟ هل طلبنا منك الكثير؟ لم أطلب جاهًاولا مالًا, ما طلبت سوى أن أكحل قبل الموت عيني برؤية الصغار,وأن أدفن بعد الموت بما شرعته من غسلوكفن ... فلماذا تضن وأنت الكريم؟ ولماذا تستبدوتقهروتتجبر وأنت الرحمن الرحيم؟ أجهدت مريمة عقلها لتجد مسلكًا تسلكه بين سببونتيجة يعجز عقلها ... فلا شيء يعقل,ولا شيء مفهوم ... هل أتى الأجداد جرمًا تعاقبنا عليه؟ أم أنك خلقت الكون للبشر بخيرهموشرهم يسيرونه على هواهم كيف يكون؟ ولماذا تتركهم ما دمت تعرف هواهم هكذا شرس ولعين؟!"[1] وإذا كان هذا هو حال الناس في غرناطة فقد نجده هو عينه في الطنطورية, وذلك عندما تنهدت الخالة وقالت: "الله يرحمهاويكافئها على صبرها" لتودرقية / البطلة "ألم يكن أحسن أن يرحمها في حياتهاويبقي لهاولوولدًاواحدًا من الثلاثة؟!" وعندما تطلب منها الخالة قول الحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه زاها ترفض ذلك, فلا تقول شيئًا[2].

ولعله من الأدلة السابقة يتضح أن تمرد المرأة على السلطة الدينية نابع من الضغوط الممارسة عليها,والتي تحمّل المرأة الإلهَ أسبابها, وذلك لأنه يعلمهاولا يتدخل في رفعها,والحق أنه كان من الأولى توجيه هذا التمرد ضد من يمارسون تلك الضغوط على أرض الواقع ومواجهتهم, وذلك كما فعل الرجال, وكما سنراه لاحقًا, فليس الرب هو من يقتل الفلسطينين في الطنطورة, وليس هو من فرض التنصير على أهالي غرناطة, وليس هو من تخاذل وترك القضيتين في حوذة الأعداء, وليس هو من يفسر النصوص الدينية على هواه لفرض سيطرته على النساء والمجتمع ككل كما في الباذنجانة الزرقاء وبروكلين هايتس.

---

[1] نفسه ص: 341

[2] الطنطورية ص: 101

كيف تواجه المرأة السلطات التي تحاول إخضاعها؟

فأما السلطة الدينية فهي كما رأينا تتمرد عليها بالتشكك فيها وإنكارها, أو على أقل تقدير إثبات عدم معقوليتها, وأما السلطات الاجتماعية كالأسرة, والعادات, والتقاليد, والمجتمع ككل, فإن المرأة تلجأ إلى الركض / الهروب, لذا نجد خطاب المرأة الروائي يمتلئ بمعاني الركض والهرب, فندى بطلة الباذنجانة الزرقاء فكرت في الهروب كثيرًا لكنها كانت دائمًا ما تثني نفسها[1], ولا يتوقف الأمر عند حدود البطلة فصديقتها هند كانت تُرَبط في ساق الفراش, ولقد كانت تهرب من بيتهم حين ينامون, وتذهب إلى ندى؛ كما نجد صديقة ثانية لندى تعاني التقييد هي الأخرى, لكنها لا تستطيع الهرب "**والصديقة التي كانت أمها دائمًا تكويها في ساقها لم أعد أذكر اسمها, كانت تبكي, وتكشف فخذيها, وتريني العلامات, وعندما صارت أطول مني قليلًا كانت تكلمني من خلف ثقوب بابهم, وتقول إن أباها منعها من الخروج**"[2]؛ وفي الخباء نجد فاطمة / البطلة تقول: "**عاودتني فكرة الهرب, وكانت ثلاثة نوافذ صيفية ضخمة مفتوحة, كل واحدة تكاد تصل السقف, وأبواب ضخمة لكنها مرشوقة بالأعمدة الحديدية المتداخلة, فلا يعبر منها إلا البعوض الذي يطن بشراهة, ولا تخرج منها الأنفاس المتوترة**"[3] ولاحظ في الأنموذج السابق كيف صورت البطلة البيت وكأنه السجن الذي تود الخلاص منه بأي شكل, تقول: "**هذا الباب لا يفتح إلا مرتين**"[4] "**أقلب وجهي في السماء, لا شيء غير السور العالي من كل الجهات ... كيف يمكن تسلقه**"[5] "**أعاود الهرب, ومن شجرة إلى أخرى يحاصرني الخواء**"[6] "**ولم أعد أطيق النوافذ, ولا السور, ولم أعد أطيق إلا حافة الشجرة العالية أتسلقها بالليل, وقد أغفو عليها, ولا أطيق البيت ... فالبيت ضيق مهما اتسع**"[7] "**قلت لزهوة: تعالي لنهرب**"[8] لتظل كل تلك المحاولات من أجل الهروب حتى النهاية؛ إن شعور الأنثى بالتقيد في هذه الرواية واضح جدًّا, فمنذ بدايتها نجد قول الكاتبة "**إلى جسدي وتد خيمة مصلوبة في العراء**"[9], والوتد رمز التثبيت والتقييد, فهو مثبت للخيمة, مقيد لها ولحركتها, وهذا التقييد نجده بالرواية ينال من الحيوانات

---

(1) الباذنجانة الزرقاء ص: 27

(2) السابق ص: 127

(3) الخباء ص: 10

(4) السابق ص: 13

(5) نفسه ص: 31

(6) نفسه ص: 93

(7) نفسه ص: 97

(8) نفسه ص: 138

(9) نفسه ص: 8

كما ينال من النساء, بيد أن الحيوانات التي نالها التقييد كانت إناثًا هي الأخرى لا ذكورًا, فلاحظ أن الصقرة قد دقوا لها أمام البيت وتدًا, وظلت في طرف الخيط تتلوى إلى أن ماتت[1], تمامًا كأم فاطمة, والتي تظل حبيسة غرفتها لا تخرج منها إلا ميتة, لذا فالبطلة –وعلى مدار الرواية – تريد الهرب من هذا المصير المظلم؛ وبعيدًا عن الخباء نجد هند في بروكلين هايتس تتمرد على زوجها, وعلى أسرتها, وتترك مصر, وتسافر إلى أمريكا لتعيش كما أرادت, أو كما تخيلت أنها تريد[2], حتى أننا نلمح رغبات الهروب متحققة بأحلامها وهي صغيرة, فلقد كانت تحلم بأن تصبح رائدة فضاء, أو مضيفة طيران[3], تقول: **"وفي الليل تتفقد السماء, ويصبح طموحها في الهروب أكثر وضوحًا - بابا أنا أريد أن أصبح مضيفة طيران ... - بابا أن نفسي أطلع عالمة فضاء. ترد عليها أمها ... أنت كدا دايمًا عايزة تطيري"**[4], وكانت كلما غضبت تقول لأمها **"حامشي, حسيبكم وامشي ..."** وعندما هربت بالفعل وأمسك بها أخوتها بعد لأي **"وقفت أمها التي انقضت فوقها, وقرصتها في فخذها, وتركت القرصة لمدة طويلة علامة قانية لتذكرها بما قالته لها أمها: أنا ما عنديش بنات يغضبوا ويسيبوا بيت أبوهم"** ومع ذلك ظلت تغضب في الليل والنهار وتهدد بالهرب[5].

على أن الأمر لا يتوقف على بطلات الروايات الخياليات, حيث نجد رضوى عاشور في سيرتها الذاتية تردد ذلك الخطاب المتمرد, والراغب في الهرب بعيدًا عن السلطة الاجتماعية المقيدة لها تقول: **"الركض حالة أعيشها دائمًا, وفي مراهقتي ركضت خوفًا من جسدي النامي, ومن الحرملك المنتظر, ثم بقيت أركض لكي لا أفقد نديتي للرجال من أبناء جيلي, أركض لكي أستقل, أركض لكي لا يعيدني أهلي إلى حظيرة حريم ووصايتهم, وأركض لكي لا يزج بي المجتمع في خانة الدونية المعدة سلفًا للنساء"**[6] وحظيرة الأهل ووصايتهم التي تتكلم عنها رضوى عاشور هي ما عبرت عنه ميرال الطحاوي ببروكلين هايتس, وذلك عندما رأت أن بيت أبوها ما هو إلا سجن تود لو خرجت منه ولا تعود قالت: **"باب بيت أبيها ضخم قديم ... تراقب حركة الكون من خلفه ... وسط التهديدات ترحف من تحته, تفتحه بحذر, تختلس النظر إلى بنات لا يشبهنها يلعبن هناك ... يجرها أحد إخوتها من شعرها إذا تسكعت أمامه, تقول لها أمها: حاكسر رجلك لو عتبتيه. فتنظر إلى العتبة الفاصلة وتخبئ اشتهاءاتها إلى يوم تخرج منه ولا تعود ... لكن باب بيت أبيها كان دومًا عاليًا ومغلقًا, تقف خلفه ويقف أمامها, تسير هند الآن في ضواحي بروكلين أكثر, ولا تكل من المشي, كأنها تحقق أمنية قديمة بأن تسير في بلاد لا**

---

(1) السابق ص: 20

(2) بروكلين هايتس ص: 21

(3) السابق ص: 17

(4) نفسه ص: 180

(5) نفسه ص: 194

(6) الرحلة ص: 46

يعرفها فيها أحد"[1] بيد أن كلام موال السابق ليس مجرد كلامًا يجري على لسان بطلة برواية خيالية, فعلى الرغم من أن موال لم تكتب سيرتها الذاتية بعد, إلا أننا قد نرصد من أقوالها وتصريحاتها ما يؤيد تمرد بطلاتها ورغبتهن في الهروب, وذلك حين قالت: "أعتقد أن حياتي حافلة بالتمرد مثل كتاباتي, تمردت على أسرتي باكرًا, وتمردت على الكثير من المدارس الفكرية التي انتميت إليها, وتمردت على الشكل التقليدي للنص, وتمردت على نفسي, ودفعت ضريبة هذا التمرد, كل مرة كنت أدفع ضريبة ما"[2], وعليه يصبح فعل التمرد والرغبة الملحة في الركض والهرب واقع معيش لدى هاتين المرأتين,ولا يقف هذا الفعل وتلك الرغبة عند حدود بطلات رواياتهن المتخيلات.

---

[1] بروكلين هايتس ص: 38-39

[2] عزوز (لحسن), أنشودة الذات النسوية والتكوين المستقبلي في روايات موال الطحلوي: معرفية الكتابة بأقلام النساء, محور تمثيلات الخطاب النسوي في الأدب العربي, ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر فلادلفيا الدولي (23), جامعة الشهيد حمة لخضر الوادعي, قسم اللغة العربية وآدابها, كلية الآداب واللغات, (2018)

نتائج الضغوط الممارسة على المرأة

من جميع ما سبق يتضح أن الضغط يمارس على الأنثى منذ وقت مبكر من أجل إخضاعها, وكلما تقدمت في العمر اشتد الضغط وتضاعف, حينها تقوم المرأة بفعل التمرد على كل تلك الضغوط, برفضها تارة, ومحاولة الفكاك منها عن طريق الركض والهرب تارة أخرى, بيد أن هذه القوى الضاغطة تنجح في إفقاد المرأة ثقتها بنفسها, تنجح في تثبيت فكرة "أنا لا أصلح" بذهنها[1], وبالتالي فعليها أن تتوارى, وتبتعد, إلا أن هذا الإحساس ما يلبث إلا أن يزيد المرأة إصرارًا على إثبات العكس, وأنها تصلح, وأنها لا تقل عن غيرها من الرجال, لذا نجدها تعاند, وتحاول دائمًا جذب الانتباه إلى أعمالها, والتي قد تبالغ في جعلها أكثر تمردًا وشذوذًا, فما ذلك سوى رغبة في جذب الانتباه, وإيجاد معنى للوجود, فالمرأة بتمردها, وعنادها, وشذوذها عن المألوف تعمل على إثبات وجودها, وأنها حاضرة تصلح لفعل الكثير. والتالي أدلة تفصيلية لما ذهبنا إليه:

إن نجاح القوى الضاغطة في هز ثقة المرأة بنفسها نجده حاضرًا في رحلة رضوى عاشور حين قالت: "**منذ طفولتي المبكرة رحت أغالب الخوف ... نشأت بين ثلاثة صبية هم إخوتي, ولأنني كنت دائمًا أخشى أن تنسب إليهم الشجاعة والإقدام لأنهم ذكور وأن يرتبط بي الضعف والتخاذل فقد كنت دائمًا أقفز للمواجهة, تاركة خوفي ورائي, أمد يدي لآخذ حقنة التطعيم أولًا وأدعي أن الحقنة لا تؤلم, لا أراوغ في تناول الدواء المر, بل آخذه في هدوء متكلف, مدعية أن مرارته مقبولة, أراهن أخي الأكبر أنني أستطيع تجاوز قدرته على التحمل, لا أبدي خوفي حين أضطر للدخول إلى مكان مظلم**"[2] وهذا السلوك المتحدي من رضوى عاشور هو سلوك طبيعي بالنسبة لفتاة نشأت بين الذكور, فمعلوم أن الفتاة الوحيدة التي تعيش في أسرة ليس بها سوى الذكور قد تنزع إلى اتخاذ طابع مذكر[3], بيد أنه من جهة أخرى قد نجد أن مشاعر الخوف وفقدان الثقة واضحة للغاية في كلامها السابق, وذلك نتيجة السياق الاجتماعي الذي يقرنها بالذكور, لكنها تغالب وتعاند هذا الشعور, على أنها لا تنكره, وسيظهر هذا الإحساس الدفين أكثر وضوحًا في أثقل من رضوى حين تقول: "**ومع ذلك بقى السؤال معذبًا للطفلة والصبية تفتقد الثقة في الذات, وتجتهد لتؤكد لنفسها أنها تستطيع أن تفي**

---

[1] من الحق أن المرأة شديدة الضعف والحساسية تجاه المعتقدات السلبية والغير صحيحة من حيث كونها جنس أدنى, فلو كانت صغيرة وتعرضت لإساءة مباشرة أو غير مباشرة عندئذ تصبح أكثر ضعفًا وهشاشة, وتشعر بعدم قيمتها, عندها يصعب عليها تحديد قيمتها الحقيقية, وعميقًا من لاوعيها يكمن هذا الإحساس بعدم القيمة. (Gray 2003: 53)

[2] الرحلة ص: 43-44

[3] إبراهيم (د. زكريا), سيكولوجيا المرأة, مكتبة مصر, القاهرة, ص: 35

بالمطلوب, هل هو شيء في الجو يصيب الفتيات؟ أعني الثقة والتساؤل عن القدرة؟"[1] لتؤكد الكاتبة على ذلك في الصرخة حين تقول: **"إن النساء بحكم الواقع التاريخي الذي تكون في سياقه يفتقدن غالبًا الثقة بالنفس إن لم ينتهن ويتعهدن هذه الثقة الهشة بالعناية"**[2] وعليه يصبح الواقع الاجتماعي والاعتبارات الاجتماعية المعدة سلفًا للأنثى هي من تنجح في إفقاد المرأة ثقتها بنفسها, وأنها لا تصلح, تلك العبارة الأخيرة التي ترددت بكثرة داخل خطاب ميرال الطحاوي, حيث نجدها تتكرر بالباذنجانة الزرقاء ثلاث مرات[3], ويتكرر معناها في بروكلين هايتس حين شعرت البطلة أنها لا تصلح كابنة, حيث لم تكن كما أرادت لها أمها,ولا كما أمل فيها أبوها؛ ولم تصلح لأن تكون زوجة, حيث خانها زوجها مرات ومرات, ومن ثم طُلقت في النهاية؛ ولم تصلح لأن تكون ممثلة كما تمنت, حيث فشلت في آداء مشهد تمثيلي بسيط ليطردها المخرج على إثره؛ وحتى كونها أُم, دائمًا ما كانت تشعر بأنها لا تصلح لأن تكون أمًا, فهي لم تقدم لابنها الأم التي يتمناها, لذا نرى الابن على مدار الرواية دائم الانتقاد لها. وعلى الرغم من كل تلك المشاعر الفاقدة للثقة, وعلى الرغم من الإحساس الدفين بعدم القدرة نجد دفاعات المرأة النفسية ضد تلك المشاعر حاضرة, حيث نجدهن طوال الوقت ينفين تلك المشاعر, ويسعين لإثبات عكسها, يتضح ذلك من خلال بطلاتهن اللائي جعلنهن صاحبات ريادة وتفوق, ففي خديجة وسوسن لرضوى عاشور نجد خديجة تلعب مع أخيها وصديقه كرة القدم وتتفوق عليهم[4], وذلك على الرغم من كونها لعبة ذكورية, لتثبت أنها تتفوق على الذكور في ألعابهن, لتفعل خديجة كما كانت تفعل رضوى في واقعها مع إخوتها؛ وفي بروكلين هايتس لميرال نجد البطلة دائمًا ما تحلم بأن يكون لها دور البطولة في قصة كبيرة, أن يكون لها دورًا مؤثرًا في الحياة, لذا نراها دائمة السعي وراء تلك البطولة, فكانت أول من ارتدت الحجاب المسدل الطويل, وأول من لبست القفاز الأسود في يدها[5], وأول من استبدل صباح الخير بالسلام عليكم, وكانت أول من صمم الوقفات الخماسية للوعظ والإرشاد في المدرسة, كانت طوال الوقت مشغولة بأن تكون شيئًا عظيمًا, ومثلما كانت أول من لبس الإسدال الأسود الطويل كانت أول من خلعته, ودخلت في متاهة طويلة من التفسيرات التي تجعل تراجعها مقبولًا, واختياراتها

---

(1) أثقل من رضوى ص: 262

(2) الصرخة ص: 18

(3) الباذنجانة الزرقاء ص: 33, 83, 90

(4) خديجة وسوسن ص: 19

(5) بروكلين هايتس ص:86-87

الجديدة مسنودة بدعم النصوص التي تفسرها على هواها, لتملك هذا الوعي المغاير للآخرين[1], وهي بكل ذلك تريد جذب الانتباه إليها, ولكونها تصلح لأشياء كثيرة, تريد أن يكون لوجودها معنى لا يمكن تجاهله, فنجد ذلك متحققا أيضًا عندما تلعب مع الأطفال, حيث نجد أنها "**كانت تجعل كل الأطفال حولها في اللعبة,وهي تحب أن تكون في الوسط تمامًا حيث لا يمكن تجاهل وجودها**"[2].

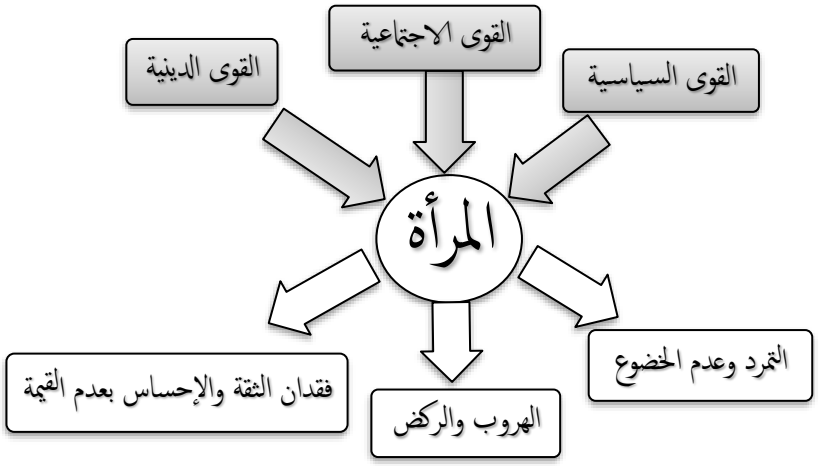

(شكل رقم: 51)

الرجل والخطاب المتمرد

وإذا ما تركنا جانب المرأةواتجهنا ناحية الرجل نجد الوضع مختلفًا تمامًا بخصوص التمرد, فلأن الرجال ينشأون في سياق اجتماعي مغاير, فلا يتعرضون لمثل تلك الضغوط التي تتعرض لها المرأة من القوى المختلفة, من هنا لا نجد لدى الرجل هذا النوع من التمرد,ولا نجد تلك الرغبة في الهروب والركض التي تركز عليها النساء وتعطيها مساحة كبيرة من خطابها الروائي, بيد أن هذا لا يعني أن الرجل لا يتمرد هو الآخر, فلقد نجد تمرد الابن على سلطة أبيه برواية خوي شلبي "صهريج اللؤلؤ", وتمرد "صالح هيصة" على القوى الاجتماعية التي تريد قهره وإجباره على ما لا يريد, فصالح يرفض الخضوع لسلطة الأب / الوظيفة / مدرب الملاكمة / الوزير الذي كان يحرس مكتبه / القرارات السياسية /وحتى إغواء الإناث له, كما فعلت حياة الوي, حيث لم يستجب لإغوائها, وذلك لأنه لا يريد أن يفعل إلا باختياره,والكل بهذه الرواية متأثر بما يفعله صالح, حيث نجد كل الأبطال يريدون الخروج على القوانين والأعراف الاجتماعية المقيدة لهم؛ لكن غير هذين المثالين (رواية "صهريج اللؤلؤ" و"صالح

---

[1] السابق ص: 88-89

[2] نفسه ص: 126

هيصة" لخيري شلبي) لا نجد أمثلة تصلح هنا لأن تقارن بما قدمته النساء, وذلك لأن الرجال قد يعالجون العديد من المشكلات الاجتماعية التي تصيب المجتمع بالعطب, كما يعالجون الكثير من المشكلات السياسية التي تسبب انحدار الأوطان, كما يعالجون مشكلات الإنسان من حيث كونه إنسان يحمل العديد من التناقضات والعقد النفسية التي تنغص عليه حياته, أما حينما يتطرقون لما تتعرض إليه المرأة من قهر وكبت فهم لا يصورنها كما تصور المرأة نفسها, وذلك حين تصورها بصورة المتمردة, والتي تركض وتهرب بعيدًا عن تلك الضغوط, أو حين تصورها بصورة المواجِهة, والتي تدفع ثمن تلك المواجهة؛ إنهم يركزون في تصويرهم إياها على مدى صبرها في مواجهة تلك الضغوط, ويمتدحون فيها ذلك الصبر, وتلك القوة في التحمل, وذلك مثلما فعل خيري شلبي في "الوتد", وكما فعل في "تقليب المواجع", "إسطاسية", "بغلة العرش", "لحس العتب", ففي كل تلك الأمثلة نجد نماذج من نساء تعاني الكثير من الضغوط من أطراف عدة, لكنهن في مواجهة تلك الضغوط يتصبرن, ويتحملن في سبيل أسرهن بشكل يدعو إلى الإعجاب والتقدير.

إذًا فالرجل في مجمل أعماله يهتم بموضوعات أكثر عمومية من تلك التي تهتم بها المرأة, فهي موضوعات تهم المجتمع بأسره,ولا تخصه وحده من حيث كونه رجلًا, والسر في ذلك أنه لا يتعرض لما تتعرض له المرأة من قهر وكبت يوجه إليها من العديد من الجهات, لكن إذا كان الرجل – في بعض الأحيان – يوافق المرأة من حيث تمرده هو الآخر على السلطة الاجتماعية والسياسية الراغبة في قهره فهو لا يتمرد على السلطة الدينية من ناحية كونها السبب في تلك الضغوط التي يتعرض لها كما وجدنا لدى الإناث, فالرجال إن واجهوا ضغوطًا وقهرًا ومن ثم عالجوها في أعمالهم فهم لا يصرفون أسبابها إلى السماء التي ترى ولا تفعل شيئًا, كما فعلت رضوى في غرناطة والطنطورية, وكما فعلت ميرال في الباذنجانة الزرقاء وبروكلين هايتس, بل إنهم يصرفونها إلى أسبابها الحقيقية, وهي ظلم البشر لبعضهم البعض, وفساد الأنظمة الحاكمة وقهرها لشعبها, لذا لا بد من إيقاف هؤلاء الذين يمارسون الظلم, ويشجعون الفساد, وهذا الإيقاف لن يأتي من السماء, بل من فعل المواجهة؛ بيد أن الرجل وهو يواجه نجده يحاول تفهُم لم يقوم الظالم بما يقوم به؟ وأبرز أنموذج على ذلك هو رواية "صحراء المماليك" لخيري شلبي, ففيها ما يشبه ما قدمته رضوى عاشور في "فرج", إذ سلطت الضوء على المساجين السياسيين ومعذبيهم من العسكر, غير أن المرأة ركزت فقط على إظهار مدى بشاعة هؤلاء العسكر, ومدى تلذذهم بتعذيب المسجونين, وتفننهم في ذلك عبر مشاهد تعذيب بشعة قاموا بها في سادية مفرطة؛ وكانت رغبتها من ذلك واضحة, وهي تقبيح

صورة هؤلاء العسكر لدى المتلقي؛ بيد أن خيري في صحوائه حاول أن يتفهم شخصية هذا الضابط الذي يقوم بتعذيب غيره, لذا قدم بُعدًا نفسيًّا واجتماعيًّا يبرر سبب قيام هذه الشخصية بما تقوم به, ففهمي القواز, الضابط الظالم, الذي يتفنن في تعذيب مساجينه, نجده على قدر كبير من الخوف, والجبن, ووضاعة الأصل, وعلى قدر هذا الجبن وهذه الوضاعة كانت القسوة وانعدام الحس الإنساني, فأبوه إبراهيم خليل كان "صرامتي", ثم تحول إلى حارس خاص للشيخ القواز وزير الأوقاف, والذي أعطاه لقبه, أو قل سرقه إبراهيم منه, هذا الحارس الذي كان قاسيًا على من هم دونه, كان شديد الخوف ممن هم في مرتبة الشيخ, ولقد ورث ابنه خليل شراسته, فكان يسرق زملاءه, ويضربهم, ويخطف أكلهم, ليأتي والد الولد المضروب ويضرب فهمي باللكمات والصفعات, فما تزيده الإهانة إلا وحشية ونذالة, ليدخل بعد ذلك كلية الشرطة, وذلك بعدما يعطف عليه الحاج عبد الفتاح الشامي, صاحب العائلة الشهيرة بالكرم والغنى, ويعطيه اسم ابنه المتوفي "فهمي", ليصبح اسمه: فهمي القواز, بدلًا من: خليل إبراهيم, فيدخل كلية الشرطة بواسطة من طرف الحاج الشامي, ليستسيغ بعدها خليل اسم "فهمي", وذلك هروبًا من أصل أبيه الوضيع, فيسرق اسم ابن الحاج الشامي كما سرق أبوه لقب القواز من الشيخ, لكنه لا يكتفي بذلك, بل يسرق تاريخ عائلة الحاج الشامي كله فينسبه لنفسه, كما يسرق ابنة الشيخ فيتزوجها, بعدما يقتل خطيبها, لتصبح كل تلك الأكاذيب عُقد يخشى من افتضاح شأنها, مما يشعره باطنيًّا بالخوف طوال الوقت, لكنه يكتسب قوة من سلطته كضابط بالشرطة, مع معرفته بوضاعته الحقيقية, ليصبح شخصية مركبة, تتظاهر بالقوة الناتجة عن منصبها, لكنها من الداخل شديدة الوهن والضعف, لذا عندما كان مأمورًا للسجن ظهرت نذالته, وخسته, ووحشيته التي هي انعكاس لضعفه وجبنه, ظهرت على المساجين وطرق تعذيبهم, وكأنه يثبت لنفسه قبل أن يثبت لهم أنه الأقوى, لذا فعندما يخرج من الخدمة ويفقد سبب قوته تظهر حقيقته الضعيفة المرتعدة, ليصبح كلما رأى شخصًا ممن وقع عليه تعذيبه ارتعد, جرى خائفًا, بل وبال على نفسه حينًا, لقد صار خائفًا من كل شيء, ويظن أن الجميع يتربص به, فقوته المدعاة ليست متأصلة فيه, بل مكتسبة من منصبه, والذي بضياعه ضاعت هي الأخرى؛ هنا نرى الرجل / خيري يعمل على تحليل شخصية هذا الضابط السادي, يحاول فهم أبعادها, ولِمَ تقوم بما تقوم به, ولا يكيل لها الاتهامات تلو الأخرى لتشويهها فقط, كما فعلت رضوى بكل أعمالها الروائية المرتبطة بالعمل السياسي, والتي لم تلتمس أي عذر, ولم تحاول أن تفهم لم يقوم مَن يعذب بما يقوم به, وكأنه يعذب ويقتل لمجرد التعذيب والقتل, لتتفق مع أختها مرال, والتي أظهرت الجدة بمظهر بشع, يكره لمجرد الكره.

يبقى أن نقول: إن التركيز هنا قد كان مُنصبًا على تمرد الأنثى دون الرجل, هذا الذي لم نجد لديه إلا أمثلة قليلة قد تُقارن بما لدى المرأة من تمرد, والسبب في اتساع مساحة التمرد في خطاب المرأة دون الرجل واضح, وهو أن الرجال لا يوجد لديهم ما يدعو لهذا الحجم من التمرد, فالرجل لا تفرض عليه أمه سلوكًا معيّنا, ولو فرضه عليه أبوه فهو يبرره بأن ذلك في صالحه, ليصبح رجلًا يقدر على مواجهة الحياة, وذلك كما وجدنا في شرق النخيل لبهاء طاهر, وكما وجدنا أيضًا في عدل المسامير, والعراوي, وزهرة الخشخاش لخيري شلبي؛ كما أن الرجل لن يعاني من زوج يملي عليه شروطه, ويفرض عليه نمط حياته؛ كما أن حساب المجتمع للرجل أهون كثيرًا من حساب نفس المجتمع للمرأة؛ كما أن العادات والتقاليد لا تجبره على تقبل الالتزام بها إلا بمقدار لا يقارن بنظيره المطلوب من المرأة.

رابعًا: الرجل والمرأة والخطاب الخاص بالجنس

Sexual Discourse

لقد وجدت إحدى الدراسات الحديثة أن الخطاب الخاص بالجنس Sex هو بالنسبة للمرأة خطاب غير مقبول, والحديث عنه غير مريح لهن بالمرة, وهن – عادة – ما يتجنبه؛ فالكلام عن الحياة الجنسية الخاصة بالمرأة من الأمور شديدة الحساسية ومن أكثرها حظرًا, وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى طبيعة النساء, والتي تميل في معظمها إلى الحياء والتستر, وذلك بالمقارنة مع طبيعة الرجال. لقد وجدت الدراسة أن الكلام بخصوص الحياة الجنسية للمرأة, ورغبتها فيه, وحتى مشكلاتهن المتعلقة به, وجدت أنها أمور في غاية الحساسية, لذا اعتبرت الدراسة أن الكلام الجنسي هو كلام ذكوري بالدرجة الأولى, فبناءً على مقابلات عدة مع مجموعة من النساء يقدرن بـ (95) امرأة من مختلف الأعمار, من بين (20) إلى (68) عام, وُجِد أن أغلب هؤلاء النسوة اعتبرن موضوع الجنس غير مقبول الكلام عنه, ولم يكن يشعرن براحة أثناء حديثهن في هذا الموضوع, ولقد أظهرن خوفًا من الحكم عليهن عند الحديث حول الرغبات الجنسية أو سلوكهن الجنسي[1].

والحق أن تحليل المادة الروائية قيد الدراسة في خطابها الخاص بالجنس يؤيد نتائج الدراسة السابقة من حيث كون الحديث الجنسي مثيرًا لضيق المرأة, وأنها في العادة تتجنبه؛ ففي خطاب رضوى عاشور الروائي والمكون من (15) عملًا لا نجد أي مشهد جنسي سوى في غرناطة وحدها دون البقية, مما يعني أن هناك (14) عملًا آخر خلت من المشاهد الجنسية تمامًا. وفي غرناطة – على ضخامة الرواية – نجد ثلاثة مشاهد جنسية فقط جاهدت رضوى لسترها وراء اللفظ. والتالي عرض لتلك المشاهد:

1. مشهد سعد وسليمة: **"أقبل عليها فالتقيا لقاء صاخبًا محمولًا على شوق الجسد وحرمان الروح تطلب الوصل وتلح فيه, أنالها وأنالته, فرفعتهما موجة الوصل عاليًا, وهما يشهقان بين حياة وموت, وموجة تغمر, وأخرى ترفع, وقاع مظلمة عميقة, وزرقاء عالية, تتوهج بحرارة شمس لاهبة تتقد, يشهقان, يجمح البدن والروح فيه تحتشد ... وعلى شاطئ الوصول سكنا"**[2]

---

(1) Montemurro B, Bartasavich J, and Wintermute L (2015). Let's not talk about sex: the gender of sexual discourse. Sexuality & Culture. 19, 139-156

(2) غرناطة ص: 165

2. مشهد حسن والجارية: "خلعت ملابسها ووقفت أمامه عارية, كان جسدها فائرًا وخصيبًا, شهق مأخوذًا, ثم مد كفيه ومر عليه ببطء, من أعلى الكتفين حتى أسفل الساقين, ثم ألصق وجهه به, ومر بشفتيه مقبّلًا ومدغدغًا, راحت المرأة تموء كقطة برية, فزاده مواؤها شبقًا على شبق, فأمالها على الفراش, وغمرها بجسده, وطاشت فيه نار الفعل حارقة تعلو وتلتهب"[1]

3. مشهد نعيم ومايا: "وبين الأشجار ورفة الأغصان على حافة الجدول أعطته المرأة نفسها ... كان نعيم يصهل كمهر جموح زُلزلت الأرض من تحته زلزالها, فراح يركض, يدك الأرض, وهي تهتز به وتميد, فيضطرم عدوه, وتشهق روحه, وقد اجتمع عليها نصل السكين والرجفة الحيية, تنهل من كوثر الجنة, وهي تشتعل محرقة بالنار"[2]

والملاحظ على المشاهد الثلاثة السابقة أنها –وعلى عرضها لمشاهد جنسية – قد خلت من أي لفظ خادش للحياء أو مسيل لماء الوجه, على السواء في ذلك وجه المرسل أو المتلقي, فتلك المشاهد الحميمة قد ابتعدت عن استعمال الألفاظ الصريحة للجماع والمثيرة للخجل؛ فإذا ما تركناها واتجهنا صوب ميرال الطحلوي الممثل الثاني لجانب المرأة وجدنا نفس ما وجدناه لدى رضوى, سواء من حيث ندرة المشاهد, أو من حيث البعد عن استعمال الألفاظ الخادشة للحياء, وبالسعي وراء تلك المشاهد لرصدها لم نجد في أعمال ميرال إلا ما ورد في الباذنجانة الزرقاء من مشهدين جنسيين فقيرين للغاية, سواء من ناحية كم المشهد (طوله / قصره / كم الكلمات المستعمله في إظهاره), أم من ناحية كيفه (كيف الكلمات المستعملة خادشة أم غير خادشة للحياء), وأول هذين المشهدين هو التالي "قال: اخلعي ملابسك. كنت لا أزال أخجل من الزغب الذي علا ساقي وتنامى بين مفرقيهما ...وكان يخلع سرواله بسرعة, ورائحة فمه مليئة بالكحول, وضرسه المتورم له طعم الصديد, مد لسانه عميقًا في فمي, وجذبني تحته, لوث دمي عدة أوراق على الأرض"[3] وثانيهما هو التالي: "أما حين ننام ونتوحد ... فلا أعتقد أننا نكون واحدًا, يكون عادة ثملًا, جسده فوقي حمل من الهذيان, ويختبر ما تقوله أمه عن رجولته بجولات يحرص على أن تكون كثيرة, لأنه لا يتعب ... يكون لحظتها بعيدًا جدًّا, يهذي باستفسارات عن مدى اقتناعي بآدائه, ولا يستطيع أن يحدد إن كان بداخلي أو خارجي, مصرًّا أن يبكي كل مرة, فأمد له صدرًا أموميًّا لأقنعه بأنه رجُلي المبتغى"[4] وكما هو الحال عند رضوى نرى هنا مشاهد جنسية خالية من أي لفظ خادش, وانظر لذلك الحذف الذي قامت به ميرال في قولها: لا يستطيع أن يحدد إن كان بداخلي أو خارجي, فلقد

---

[1] غوناطة ص: 198

[2] السابق ص: 207

[3] الباذنجانة الزرقاء ص: 69

[4] السابق ص: 98

تعمدت الكاتبة حذف اسم كان بالجملة السابقة, فأصل الجملة هو التالي: **لا يستطيع أن يحدد إن كان عضوه بداخلي أو خارجي**, فانظر كيف تجنبت اللفظ الخادش حفاظًا على ماء الوجه.

أضف للمشاهد الخمسة السابقة مشهدًا سادسًا ورد برواية ميرال الطحاوي بروكلين هايتس, والحق أنه ليس مشهدًا, بل تصورًا لمشهد, بمعنى أن البطلة لا ترى ما تقوله, ولكنها تستنبطه من صوت هزهزة السرير في الشقة أعلاها, قالت: "**الشقة التي تعلوها شقته, تصبح الموسيقى العالية هي الوسيلة الوحيدة لتختلط مع إيقاع الأجساد اللاهثة, والشهقات المتتالية, وتداخل العبارات الجنسية مع إيقاع الخبط المتتالي فوق رأسها بالضبط, حيث يقع فراشه, ترفع هي بدورها صوت التلفزيون أو المكيف كي يعطي بعض الضجيج المضاد, ولا تعرف كيف تنام إلا بعد انتهاء المعركة الجسدية فوق رأسها**"[1], هذه هي كل المشاهد التي وردت لدى النساء, ولقد كانت في (3) أعمال فقط, من أصل (19) عملًا مقدمًا منهن, مما يعني أن هناك (16) عملًا قد خلو جميعًا من أي مشهد حميم.

فإذا ما تركنا النساء واتجهنا صوب خطاب الرجال وجدنا حضور الخطاب الجنسي بصورة كبيرة وواضحة, دون مواربة أو مواربة, وذلك كالمشهد التالي من رواية الدساس لخيري شلبي قال: "**مال على صدرها بأنفاس لاهثة, صار يلثم القرط حبة حبة, يمرغ وجهه وأنفه في عجينة الثديين سكرانًا بنكهة الجسد الأنثوي المشدود ... أما هي فراحت تنتفض, تسند ذقنها فوق رأسه المتمرغ في صدرها ضاحكة في وجل, حلمة ثديها كانت منتصبة تحت شغاف القميص الوردي, فأطبق عليها بشفتيه راح يمصها في نشوة عارمة**"[2] والحق أن المشهد السابق بالمقارنة مع مشاهد الإناث فاضحٌ للغاية, حيث حوى العديد من الكلمات والعبارات الخادشة للحياء, والمسيلة لماء الوجه؛ لكن من الحق أيضًا أن ليس كل الرجال على قدم المساواة في عرض تلك المشاهد, فقد نجد لدى بهاء طاهر مشاهد جنسية عديدة, كما نجدها أطول وأكثر عددًا مما وجدنا لدى النساء, لكنها على طولها وكثرتها تكاد تخلو من أي لفظ خادش, بل إن روايته "نقطة النور" بنيت في الأساس على ثيمة theme العقدة الجنسية لدى الإنسان, غير أننا لا نجد بالرواية ما يخدش الحياء كما فعل خيري بالمشهد السابق, والتالي هو تفصيل المشاهد الجنسية لدى بهاء طاهر

في رواية "الحب في المنفى" نجد مشهدًا جنسيًا طويلًا, بيد أننا لا نعثر فيه على ما يخدش الحياء, قال: "**وكنت أحتضنك, أتحسس كل جزء من جسمك, كأني لو تركتك فستتسربين من بين أصابعي, كأني لو لم أضمك بين أحضاني فستتلاشين فجأة, أتحسسك كأن أصابعي ستخلد إلى الأبد هاتين الوجنتين حين تتضرجان بالرغبة, حين ترتسم فيهما تلك**

---

[1] بروكلين هايتس ص: 105

[2] الدساس ص: 74

الخطوط وأنت في قمة النشوة,وكأن وجعًا لا يحتمل يتخلل فرحة لا تحتمل, أتحسس الشفتين اللتين تنفرجان في تأوه يرتعش له الجسد كله ... أتحسس كتفيك الملساوين المدورين, أريد أن أثبت أصابعي لحظة انتفاضهما تلك لتظل حية إلى الأبد حين ينهض صدرك شامخًا مستنفرًا وأنت تلهثين, أمر بيدي على ذراعيك الجميلتين, على ساقيك البيضاوين الطويلتين, على هاتين القدمين الرقيقتين الناعمتين ... أمر بشفتي على جبينك ... أقبل جفنيك ... أريد أن أخلدك في أصابعي, وفي يدي, وفي شفتي, أخشى في قمة الحب من الفقد"[1] والحق أن المشهد على الرغم من طوله لم يحو أية كلمة خادشة للحياء, لكننا من ناحية أخرى نراه أجرأ نسبًيا وأطول من المشاهد المقدمة من جانب النساء, ومما يؤكد ذلك المشاهد الأربعة التالية من رواية بهاء طاهر واحة الغروب:

1. مشهد مايكل وكاثرين: **"في المرات القليلة التي طرحني فيها الحب كان يتصرف كأنه يقدم لي خدمة عظيمة, خدمة يتعجل الانتهاء منها, لم أكتشف جسدي في الحقيقة إلا مع محمود ... عرفت مع محمود أن ممارسة الحب لحظة خارقة, يحلق بها جسدان معًا خارج مدار العالم ...وكأن تلك الشهقة الأخيرة هي الميلاد الجديد ... شيء لم أعرفه مع مايكل, يختلف تمامًا عن لزوجة العرق والاشمئزاز وتوتر الجسد المتعطش إلى الارتواء وارتياحه مع ذلك للخلاص من عذاب الاشتباك الذي لا يفضي إلا إلى تقزز من النفس ومن شريك الفراش"**[2]

2. مشهد محمود وكاثرين: **"وفي تلك الليلة في الخيمة ضاجعني محمود, أو ضاجعته أنا بحرارة ولهفة, نشبع جسدين من مجاعة طالت, حريصين مع ذلك ألا نصدر أي صوت, لكن الأصوات التي نكتمها تزيد من توتر الجسدين واندفاعنا مشدودين ليغوص كل منا في جلد الآخر ينشد الخلاص"**[3].

3. مشهد محمود وكاثرين: **"تندس في حضني, وتغمرني بالقبلات, في وجهي, وفي رقبتي, بعصبية وسرعة إلى أن تستثيرني بالفعل وتخرجني من هدوئي, وفي ليال أخرى تتوسل إلي أن أكون ناعمًا ورقيقًا, تتحسس صدري ببطء شديد ...وتريد أن تقود هي المعاشرة, فأرفض وأمارس العشق على هواي كما تعودت, فأخضعها تمامًا في الفراش,وأظن -رغم تذمرها - أن ذلك يرضيها ويمتعها مثلما أرضاها منذ بدء علاقتنا"**[4]

4. مشهد محمود وكاثرين: **"تلك الليلة التي حاول أن يضاجعني فيها محمود وهو مخمور ففشل جن جنونه, ظل يحاول بعصبية وغضب, يدمدم ويسب نفسه,وينهض من الفراش ليدور حول نفسه ويخبط جبينه, ثم يعود مترنحًا من جديد,**

---

[1] الحب في المنفى ص: 207

[2] واحة الغروب ص: 29

[3] السابق ص: 64

[4] واحة الغروب ص: 90

ليرتمي فوقي ويحاول مرة أخرى فيشتد غضبه ...وحاولت رغم تقززي منه ومن نفسي أن أهون عليه ... لا فائدة, ظل يحاول إلى أن هده التعب وهدني ...وما حدث في الأيام التالية زادني نفورًا, بمجرد عودته في الظهيرة اليوم التالي وقبل تناوله الغداء جرني إلى الفراش فنجح, ثم جرب مرة أخرى في المساء ونجح, وكان عنيفًا أكثر من المعتاد كأنه ينتقم من نفسه ومني"[1]

وكما نرى فإن المشاهد أطول مما لدى النساء, كما أنها أصرح في ألفاظها وعباراتها؛ بيد أن الخطاب الخاص بالجنس لدى بهاء طاهر قد لا يقف عند حدود المشاهد المتناثرة هنا وهناك داخل العمل الفني, بل قد يشغل عملًا كاملًا كما هو الحال في روايته "نقطة النور", ففيها نجد جميع الأبطال يعانون من عقدة الجنس, فحضرة الباشكاتب – بطل الرواية – يظهر أمام الجميع بمظهر الرجل الورع, المتدين, المريد لأن يصبح وليًا من أولياء الله, وعلى الرغم من ذلك المظهر فهو يخفي مجلاته الإباحية بدرج مكتبه داخل البيت, ويغلق عليها بالمفتاح, ولا يقبل أن يدخل أحد إلى غرفته إلا وقت التنظيف فقط, على أن الأمر لا يقف عند حدود المجلات, بل نراه يتلصص على وجوه / أعناق / أقدام / سيقان النساء أثناء مشيه في الشارع, ثم نراه يتزوج من نازلي هانم ليفرغ معها طاقته الجنسية, فلقد كان زواجًا لإشباع رغبة جنسية من الطرفين ليس إلا, فنازلي هانم تشبه حضرة الباشكاتب, إذ تظهر بمظهر الهانم الوقور, خافتة الصوت, الوديعة, الهادئة, لكن الأحداث تكشف أنها تجيد المواقعة, وإصدار الأصوات والصرخات الملتهبة, لقد أظهرت من التهتك السافر ما لم يتوقعه حضرة الباشكاتب, والذي ظن أنه سيعلمها من فنونه ما لا تعرفه هي, فاتضح أن خبرتها في تلك الأمور قد تفوقه؛ أما شعبان – ابن حضرة الباشكاتب – فيبدو من السياق أن هناك من اعتدى عليه جنسيًا وهو صغير, ولقد ظهرت بوادر ذلك عندما رأيناه ينصح ابنه سالم ويحذره من أن يلمس أحد مؤخرته أو يقترب منه, ولاحظ أن تلك النصيحة وجهها الأب لابنه, لا ابنته فوزية, والتي هي أولى بهذا النصح؛ فلقد ضاجعت فوج ابن الجيران قبل زواجها منه, مما اضطر الباشكاتب وشعبان – أباها – أن يوافقا على زوج لم يكونا مقتنعين به؛ أما لبنى – صديقة سالم – فقد اعتدى عليها مدرسها الخاص في البيت, وبموافقتها, كما أنها ضاجعت سالم في نفس المكان تقريبًا؛ أما أبوها فلقد طلق أمها لعلمه بخيانتها, وذلك حين وجدها في منزل صديقه, وهي من بعد طلاقها تتزوج من هذا الصديق لتتأكد شكوك الزوج في خيانة زوجته, الأمر الذي سبب له أزمة نفسية شديدة, حيث ظن أنه غير مشبع للنساء, فراح يختبر ذكورته وقوته الجنسية مع الكثيرات, لكنه لا يصدق أية واحدة منهن حول تأكيداتها له "أنه وحش كاسر", وذلك لأنهن يمارسن معه الجنس مقابل المال, لذا فهن يعطينه ما يريده من قول وفعل؛ أما سالم فهو الوحيد بهذه

---

[1] السابق ص: 172

الرواية الذي كان طاهرًا نقيًا, سره كعلانيته, لذا كان يوجه سبابه إلى الجميع عندما تنتابه حالات الصرع, بما في ذلك الجد / الأب / الأخت, هؤلاء الذين يعيشون في الكذب, غير أنه سقط في الخطيئة مع لبنى, مما أعاده إلى أزمته المرضية مرة أخرى.

إذًا فبهاء طاهر يقدم رواية كاملة تعتمد على ثيمة الجنس, وهذا طرح جريء منه, لكن على الرغم من ذلك نراه على مدار الرواية لا تصدر منه كلمة خادشة, ليبقى أجرأ من ناحية الكم, ومن ناحية الطرح, كما أنه أصرح من النساء في استخدام الألفاظ, بيد أن صراحته هذه لا تقارن بما نجده عند ممثل الذكور الثاني خيري شلبي, حيث وجدنا لدى الأخير جرأة شديدة, سواء من ناحية كم المشاهد الجنسية وكم تنوعها, أو من ناحية الكيفية التي أظهر بها تلك المشاهد, حيث كان صريحًا للغاية من ناحية اختياره الألفاظ المستخدمة لإبراز تلك المشاهد؛ فالرجل قد أظهر الجنس بجميع أشكاله, السوية منها والشاذة, وبكيفيات صريحة, فاضحة, وخادشة للحياء.

والتالي تفصيل لما ورد لدى خيري شلبي من مشاهد جنسية:

1. <u>المشاهد الجنسية السوية (رجل وامرأة)</u>: ومن ذلك المشهد التالي من رواية وكالة عطية, والذي كان بين البطل وابنة عمه بدرية "**ألصقت نفسي بظهرها حتى اختفيت تمامًا بين الإليتين, ومددت ذراعي فطوقت صدرها متلفقًا كل ثدي بيد, صرت أضغط عليهما برقة مرتعشة مضطربة ... فانقضضت على شفتيها لثمًا وتقبيلًا ... إذا بها تتراخى وتتهاوى, فوجئت بأنني سحبتها نحو السرير**"[1], والتالي مشهد آخر بنفس الرواية: "**صرت أرصفها بالقبل في كل بقعة, من الكتفين إلى العنق إلى الشفتين إلى جدائل الشعر الأسود وما بين الثديين فالثديين**"[2], وفي زهرة الخشخاش: "**لا أذكر متى ولا كيف انتقلت من مقعدي لأسند فخذي الأيمن على مسند مقعدها, لكنني أذكر أن كتفي الأيمن صار ملتصقًا بثديها ... ثارت الشفاه الظمآنة على الشفاه الصادية من جفاف الحرمان تلاقت في التحام لا يعرف الوجل ... صرنا في قبضة قوة عاتية لا تستطيع قوة في الأرض أن تفكها, لا أدري كيف ولا متى حملتها بين ذراعي ... حتى وصلت بها إلى السرير, إنما دريت كل الدراية أنها كانت لا تزال بكرًا وأنني أول من اخترق غشاء بكارتها**"[3] وفي موال البيات والنوم: "**كل الدلائل تشير بل تؤكد أن هذه التي تلتحم بحضني عاشق ومعشوق هي نازك بلحمها ودمها ورائحتها وبحة صوتها القادمة ... من داخل أطراف قدميها العاريتين وكعبيها**

---

[1] وكالة عطية ص: 75

[2] السابق ص: 303

[3] زهرة الخشخاش ص: 212

الغائصين في لحم سلسلة ظهري ... فيما هي تتلوى وتنتفض كعضلة القلب تعزف معزوفة الألم النشوان..."[1] ليستمر المشهد السابق على مساحة صفحتين كاملتين, حيث ينتهي في (ص: 286), كما نجد بنفس الرواية مشهد مجامعة البطل لمايسة البحراوي / عزيزة (ص: 374), لكنه كان أقصر نسبيًّا من مشهد نزك, لتستمر المشاهد الجنسية الطويلة في رواية "وثانينا الكومي / الجزء الثاني من الأمالي", حيث نجد مضاجعة البطل لزوجة المعلم صفصف "**فأدرت المرأة,وكسرت ظهرها,وسللت مسمارى,ورفعت ذيل قميصها,ودككت الحصن المنيع دكًّا حاميًّا**"[2] ليشغل المشهد السابق (5) صفحات كاملة, من (ص: 368) إلى (ص: 373), وفي رواية "وثالثنا الورق / الجزء الثالث من الأمالي" نجد مشهد جنسي آخر, أطول من سابقه, وذلك حين يضاجع البطل راقصتين / فكيهة وبديعة, ليشغل هذا المشهد (7) صفحات كاملة من (ص: 670) إلى (ص: 677)

2. الإغواء: ومن ذلك مشهد إغواء حياة الوري لصالح هيصة: "**جلست فوق ركبتيه, أحاطته بذراعها, مالت قليلًا على كتفه, فتدفقت جدائل شعرها ... على رأسه, اندلق الثديان السائبان تحت غلالة القميص العاري الظهر والكتفين ... الثديان مبططان كرغيفين من العجين ...وقد التصق العجين ببعضه في أعلى لوح الصدر, وانفصلا عن بعضهما في الأسفل, وقد دبت فيهما الحيوية فانتصبت الحلمتان, اخترقا غلالة القميص, صارتا جمرتين تلهبان كتف صالح ...**"[3] ليشغل مشهد الإغواء السابق صفحتين كاملتين.

3. البرود الجنسي لدى النساء: ومن ذلك المشهد التالي من رواية نسف الأدمغة: "**في كل مرة أكون كأنني على موعد مع عروس, أشحن دماغي بالكيف, أعود آخر الليل أكاد أضاجع على روحي من شدة الهياج ... أكون محرجًا لو هي سألتني في دهشة النوم عما أريد, فهل يا ترى أقول لها قومي لكي أضاجعك؟... أتعمد الاصطدام بالأشياء ... فتصحو شكلًا ...ويبقى جسدها نائمًا ... هاك أعضاؤه منثورة ... تحت يديك فاعبط وداعب واحضن وقبّل وضخ الكلام الفارغ في الأذنين ... فكل ذلك لا فائدة تأتي من ورائه ... هي متعجلة دائمًا تحب أن أبدأ العملية من نهايتها, تأخذ الوضع الملائم من أول خطوة, تستدرجني إلى الإيلاج ...وينتهي الأمر ... يصيبني القرف, أحاول التخليص دون جدوى, أظل أرزع رزعًا مما قلبك يحبه, فلا هي تستمتع,ولا أنا أرسو على شاطئ النهاية**"[4], ليشغل المشهد السابق صفحتين كاملتين يشرح فيهما أبو ميمي لصديقه الأستاذ الصحافي مأساته مع زوجته من ناحية برودها الجنسي.

---

[1] موال البيات والنوم ص: 284

[2] الأمالي ص: 373

[3] صالح هيصة ص: 180

[4] نسف الأدمغة ص: 158

4. العجز الجنسي لدى الرجال: ومن ذلك ما نجده من شخصية عمرو بك الشماشرجي في روايةزهرة الخشخاش, حيث فض الرجل غشاء بكارة زوجته بإصبعه[1] قال: "**حملني على ذراعيه,رمى بي فوق السرير,وارتمى فوقي لاهثًا يصب فوق صدري وعنقي شلالات من العرق الزنخ,والرائحة الكريهة للخمر,والمأكولات الحريفة النتنة, استسلمت لغيبوبة أتقي بها الشعور بالغثيان ... كنت أشعر بشيء لزج كدودة ميتة أمسكتها يد قاسية غشيمة وجعلت منها كرباجًا يسوطني بها في مواطن العفة, دهر طويل يمضي ولسعات السوط متتالية دون أن أعي لها مبررًا أو نهاية, أخيرًا شعرت بشيء حاد كسن المطواة يشرخ سطح اللحم الطري, فأشعلت النار في أوصالي, فصرخت قاعدة,كان ظفر إبهامه المدبب الحاد قد ذبح الشفرتين فسال دمي**". بيد أننا قد نجد رواية كاملة لدى الكاتب تقوم على ثيمة العجز الجنسي لدى الرجال,وهي رواية "اللعب خارج الحلبة", حيث كان البطل يعاني من ضعف جنسي شديد يُضعف من موقفه أمام زوجته, تلك التي لم تتحمل ضعفه على كافة الأصعدة, المادية والمعنوية, لتتركه في النهاية يعاني العجز أمام الجميع, الزوجة / الجيران / صاحب البيت / الطبيب / الممرضة, وترتبط هي بجارهم الجديد الذي لا يعاني عجزًا البتة.

5. الاغتصاب: ومن ذلك مشاهد اغتصاب عبد الجبار لبسيمة في رواية "الشطار", فعبد الجبار وهو شاب زاه يحاول اغتصاب بسيمة, لكنه لم ينجح في ذلك نجاحًا كاملًا قال: "**ثم ارتمى على صدرها كالخرقة ... تشر ماء قذرًا ...وهي بكل قوة تدفعه ... يرتد عائدًا إليها ... كأنه يرحب بالمهانة مقابل أن يمسك ثديها ... أو يتحسس مؤخرتها ...وإذا به يطوقها من الخلف بقوة ...وكان قد استقر تمامًا في قناة ظهرها ...**"[2] ليتكرر نفس هذا المشهد (ص: 205) وذلك عندما يكبر عبد الجبار ويصبح ذا مركز مرموق "**فإذا بها تحس بصهد خلف ظهرها مصحوب بظل كثيف, ثم إذا بجسم صلب يخترق عجيزتها في سوقية ...**" لكن المشهد هذه المرة يشغل مساحة (10) صفحات كاملة, من (ص: 205) إلى أن ينتهي (ص: 215) حيث تموت بسيمة جراء هذه الممارسة الجنسية العنيفة "**كان يلعب بها كالهلون,وكانت ترى نفسها معلقة في الهواء, أو منكفأة على وجهها,وكانت توشك أن تلفظ أنفاسها عدة مرات,كانت تبعث الشخير واللهاث والآهات العميقة المسترحمة دون جدوى ... أمسك رسغها,وجس نبضها, فلم يجد سوى خشبة ... تركها فانهارت على الأرض...**"

6. وصف عضو الأنوثة: ومن ذلك وصف الكاتب لصور مجلة بلاي بوي Playboy الإباحية برواية زهرة الخشخاش قال: "**على الغلاف ... امرأة عارية تقف منجعصة بجذعها إلى الوراء, مبرزة نصفها السفلي للقطة مكبرة, شعر**

---

[1] زهرة الخشخاش ص: 242

[2] الشطار ص: 75

عانتها كغابة سوداء يبين من تحت ظلالها طريق مشقوق بين كثبان رملية ناعمة ..."[1] وبنفس الصفحة نجد صورة أخرى لـ **"امرأة أخرى لعلها هي نفسها بالحجم الطبيعي مقعية في وضع يستجير من الشبق, وبين ساقيها حنك مفتوح كحنك الحية الرقطاء"**

7. وصف عضو الذكورة: ومن ذلك وصف عضو الشيخ عرفات برواية "نعناع الجنين" حيث قال: **"إذا أقعى الشيخ عرفات على الأرض ينشلح القميص والسروال عن فخذيه, لا ينتبه هو أو لعله في الغالب لا يبالي إلى أن عضوه الطويل التخين في طول المسطرة قد انحسر عنه اللباس المفتوق الخياطة في حجره كقط أسود متكور يتلمظ يتأهب لاصطياد فأر"**[2] وكذلك نجد وصف عضو عم عسران زهوان برواية "أولنا الولد / الجزء الأول من الأمالي" قال: **"لعم عسران زهران أير عجيب, مبروم كنخلة صغيرة, وكان يضطر للمشي مفرشحًا, يظل عم عسران مرميًّا على الأرض وأيره مرمي بجواره ... يمشي فتراه وهو مقبل حيث يغوص الهواء بجلبابه بين ساقيه مجسدًا ساقه الثالثة المبتورة عند الركبتين"**[3] بيد أن الأمر لا يتوقف عند حدود تلك المشاهد, فقد يطول خطابُ الكاتب عن عضو الذكورة حتى يشغل فصلًا كاملًا, وذلك كما نجد برواية نسف الأدمغة حين عَنون الفصل الثامن بـ "بتاع أسعد الدهل", وفيه يشرح الكاتب كيف أن هذ الرجل "دهل" حقيقة لا مجازًا, حيث وجد دهانًا يُدعى "عش البلبل", يُدهَن به العضو الذكري ليظل منتصبًا لوقت طويل, لكن الدهل تصور أنه إذا ضاعف الكمية سيتضاعف معها الانتصاب ومدته, لكنه حين يجرب يشتعل عضوه حرقًا, وينتهي تمامًا, ليستغرق شرحه لتلك التجربة (3) صفحات, من (ص: 76) إلى (ص: 79)

8. المشاهد الجنسية الشاذة:

أ-رغبة المرأة في الاغتصاب: إن الاغتصاب في خطاب خيري شلبي الروائي لا يكون دائمًا رغمًا عن المرأة, فقد نراها هي من تطلبه, وذلك مثلما كانت تفعل حمدية إسماعيل في موال البيات والنوم[4], فلقد كانت تلك المرأة تحب الجنس العنيف, والذي يسبقه ضرب وإخضاع, وذلك لرغبتها في تكرار تجربة اغتصابها على يد ضابط بحرية ألماني عندما كانت في التاسعة من عمرها, فهي تشعر في أعماقها بالخطيئة, لأنها هي من قادت الضابط إلى ذلك, لكنها في أعماقها البعيدة تحب بتكرار هذه الخطيئة نفسها, وبنفس فنونها, لكن على شرط أن تكون

---

[1] زهوة الخشخاش ص: 202

[2] نعناع الجنين ص: 86

[3] الأمالي ص: 35

[4] موال البيات والنوم ص: 415

مرغمة, مغلوبة على أمرها, تريد أن تشعر بأن الأمر يتم بالقوة رغمًا عنها ودون إرادتها, حتى لا تشعر بالذنب أو بالرغبة في الخطيئة.

ب- الإتيان من الدبر: ومن ذلك مشهد راشيل وهاني الشماشوجي برواية زهرة الخشخاش, وذلك حين رأى الابن: "**رجل يجلس على حافة كرسي المائدة عاريًّا تمامًا, فاشخًا ساقيه, أقبلت عليه من الحمام امرأة عارية تمامًا ... جلست على حِجر الرجل مثنية ساقيها, فاندك عضو الرجل في مؤخرتها, حيث احتواها من الخلف بذراعيه قابضًا على ثدييها بقوة, فما لبثت هي حتى استغرقت في شهيق وشحير وفحيح, فبدا عليها أنها ستُجن من فرط السعادة بنشوة اللذة**"[1]

ت- الرجل الشاذ جنسيًّا: إن الممارسة الشاذة السابقة من الأم هي من جعلت من الابن شاذًا, فهذه الصورة التي رآها عليها في صغره انطبعت في ذاكرته, حيث إرتبطت النشوة ومظاهرها بهذه الممارسة الجنسية الشاذة, لذا نجد حمادة الشماشوجي برواية زهرة الخشخاش شاذًا يلوط ببهاء بطل الرواية, قال: "**كان حمادة وهو يتحكك في كأنما من غير قصد ويترك فخذه ملتصقًا بعضوي دونما حرج قد راح يحدثني بإغراء عن عشيقاته ... فوجئت بأن حمادة ... قد تحول إلى أنثى ... فإذا بي قد اندفنت فيه, حيث لاح لي لومضة خاطفة أن قوة في الأرض لن تستطيع إيقاف الفعل قبل تمامه ...**"[2] ونجد مشهد شاذًا آخر لحمادة بهذه الرواية, وذلك حينما كان هو وبهاء في السينما فقد كان "**طوال عرض الفيلم لم يكن حمادة على بعضه ... جسمه غير مستقر في قعدته, شعرت بأن يده اليمنى في الجانب الآخر للكرسي تتحرك بسرعة ... الرجل الملاصق لحمادة على يمينه قد مدد ساقيه تحت الكرسي الأمامي فاتحًا أزرار بنطلونه شاهرًا عضوه الذي أمسك حمادة به بيده اليمنى واندمج في تدليكه صاعدًا هابطًا بلذة فائقة ...**"[3] كما نجد حمادة يمارس شذوذه مع عمه عمرو بك الشماشوجي قال: "**مرة رأيت الولد قاعدًا على حجر قنطار اللحم (عمرو بك) يقبله في شفتيه...**"[4], والأمر لا يقف على رواية زهرة الخشخاش, ففي وكالة عطية نجد الكاتب الذي يؤجر أولاد دار الأيتام لعساكر الإنجليز وبعض المنحرفين المصابين بداء مجامعة الولدان[5], كما نجد في "ثالثا الورق / الجزء الثالث من الأمالي" شذوذ الحاج السني مع بسبوسة حين كان يتحسس أثداءه ومؤخرته[6].

---

[1] زهرة الخشخاش ص: 56

[2] السابق ص: 55

[3] السابق ص: 311

[4] نفسه ص: 245

[5] وكالة عطية ص: 161

[6] الأمالي ص: 623

ث- الاستمناء: فمن الممارسات الجنسية الشاذة أيضًا بخطاب خيري شلبي الروائي مشاهد الاستمناء التي نجدها ببغلة العرش: "**كنت أنتظر هذه الغمزة وأضيق بها في نفس الوقت ... بها سأحرم من رؤية بقية السهرة ...لأظل بقية الليل أدعك نفسي في الفراش حتى أستريح فأنام منهوكًا**"[1] كما نجدها زهرة الخشخاش: "**بلغت طبعًا, كل يوم والثاني أمارس الجنس في المنام وأكب على نفسي ... إنني أمارس الجنس في المنام وحلم اليقظة معًا**"[2] والسابق هو قول البطل لحمادة, ذلك الأخير الذي نصحه بشكل آخر للاستمناء هو أكثر نجاعة من السابق قال: "**تجعل من قبضتك فرجًا تدكه فيه, لو دهنت بطن يدك بالصابون وجعلتها تقبض عليه وتجري صاعدة هابطة بشرط أن تتخيل امرأة بعينها تتمنى أن تنام معها دقائق وتجيئك اللذة تنفض جسدك نفضًا**"[3]

ج- ممارسة الجنس عن طريق الفم: نجد ذلك في رواية زهرة الخشخاش حين قالت لولية زوجة عمرو بك: "**هل أقول أنه يتخذني مرحاضًا يبول فيه وقتما شاء ... إنه بعد أن يعريني يرغمني على فتح فمي ليضع فيه عضوه الرخو المقرف بشرط أن أمصه حتى يدلق فيه طراشه القذر**"[4] وقد كانت تلك الممارسة الشاذة من عمرو بك نتيجة رؤيته الصورة التالية "**فأطلت صورة ... امرأة فاتنة راكعة على ساقيها عارية تمامًا وقد استقرت عجيزتها بضفتيها المتكورتين فوق كعبي قدميها تطبق بفمها على قضيب رجل يقف عاريًا وقد أطربته النشوة ...**"[5].

ح- زنا المحارم:

1. الأخ والأخت: وقد وردت تلك العلاقة في زهرة الخشخاش, وذلك حين ألمحت الرواية إلى أن حمادة الشماشوجي هو نتاج علاقة محرمة بين راشيل وأخيها يوسف[6], فكل الدلائل كانت تشير إلى ذلك, فيوسف قد وهب كل ثروته لابن راشيل وقال لها: "**كل ما أملك هو لما تحملينه في بطنك**", ولقد أسمته راشيل في البداية على اسم خاله, لكنها تراجعت بعد ذلك لتسميه باسم زوجها هاني الشماشوجي, وذلك على الرغم من أن عائلة الشماشوجية صرحوا بأن هاني بك لا يستطيع الإنجاب.

---

(1) بغلة العرش ص: 128

(2) زهرة الخشخاش ص: 53

(3) السابق نفسه

(4) نفسه ص: 243

(5) نفسه ص: 191

(6) نفسه ص: 223

2. الأم والابن: وقد وردت هذه العلاقة المحرمة في زهرة الخشخاش أيضًا, وقد كانت بين راشيل وابنها حمادة الشماشرجي, وقد اتضح ذلك عندما زار بهاء حمادة في بيته فـ "**ظهر حمادة عاريًا تمامًا إلا من فوطة ملفوفة حول خصره, قد انحنى في حنايا الهو بحثًا عن الطارق السمج الذي جاء في وقت يبدو أنه غير مناسب ... أشار لي حمادة على الكرسي فجلست, وعلى حافة الكرسي المقابل جلس هو غير عابئ بعورته التي انحسر عنها طرف الفوطة, فبدت كأرنب بري واقع في شرك, كانت رائحة الأنثى تتصاعد منه ... فأيقنت أنه انتزع لتوه من داخل امرأة ...**"[1] لنكتشف بعد ذلك أن التي كانت مع حمادة في الشقة هي أمه راشيل.

خ- الجنس مع الحيوان: لتصل الممارسات الجنسية الشاذة إلى ذروتها حينما نجد دميانة بوكالة عطية تمارس الجنس مع القرد, قال: "**دميانة كالذبيحة الفطسى مضجعة على ظهرها, رقبتها معووجة إلى الأمام ... فاشخة وركيها, كاسرة ساقيها فوقهما بلياقة بدنية مذهلة, والقرد العجوز مغروز بين ساقيها تعلو مؤخرته الحمراء وتهبط ... فيما هي ممسكة بخاصرتيه لتتمكن من تحريكه, تدفع نفسها نحوه لتطوله, وتجذبه نحوها ليطولها ...**"[2]

وعلى جميع ما سبق نجد أنه بالمقارنة بين مشاهد الرجال ومشاهد النساء الخاصة بهذا الشأن يتضح أن مشاهد الرجال كانت أكثر من ناحية كم ترددات تلك المشاهد داخل الأعمال الروائية, كما أنها امتازت عن مشاهد النساء بالطول الكمي, فالمشهد لديهم قد يتخطى الصفحة والصفحتين, أضف إلى ذلك أن المشاهد من ناحية كيف الكلمات المستعملة في إطاره كانت أجرأ كثيرًا من نظيرتها المستعملة في مشاهد النساء, كما أن الرجال لم يكتفوا بالمشهد الجنسي التقليدي / السوي الذي يجمع بين الرجل والمرأة, بل تخطو ذلك إلى مشاهد جنسية شاذة للغاية, وهم في عرضهم لها قد امتلكوا من الجرأة ما مكنهم من تسمية الأشياء بمسمياته الحقيقية دون خجل أو حياء. لكن ماذا لو تناول رجل وامرأة مشهدًا جنسيًّا واحدًا؟ هل يتم التعبير عنه بنفس الكيفية؟ وبنفس الكم من الكلمات؟ أم أنهما قد يختلفان في العرض؟ وإن اختلفا فهل يختلفان في الكم فقط؟ أم في الكيف وحده؟ أم فيهما جميعًا؟ وما السر وراء ذلك كله؟

إن أبرز أنموذج يصلح لهذا الشأن هو المشهد التالي من رواية ميرال الطحاوي بروكلين هايتس, حيث نجد هند تسمع صوت المجامعة في الشقة التي تعلوها, لكن انظر إلى ردة فعلها حيال تلك الأصوات: "**تصبح الموسيقى العالية هي الوسيلة الوحيدة لتختلط مع إيقاع الأجساد اللاهثة والشهقات المتتالية وتتداخل العبارات الجنسية مع إيقاع**

---

[1] نفسه ص:196

[2] وكالة عطية ص: 115

الخبط المتتالي فوق رأسها بالضبط حيث يقع فراشه, ترفع هي بدورها صوت التلفزيون أو المكيف كي يعطي بعض الضجيج المضاد,ولا تعرف كيف تنام إلا بعد انتهاء المعركة الجسدية المحتدمة فوق رأسها"[1] إذًا فالبطلة تحاول التشويش على تلك الأصوات الإباحية الصادرة من الشقة فوقها, فهي مثيرة لخجلها, غير مريحة لها, حتى أنها لا تستطيع النوم إلا بعد انتهائها, عندها ترتاح من ذلك الشيء المنغص لنومها فتنام. فلك أن تقارن ردة الفعل السابقة مع ردة فعل البطل برواية خيري شلبي "موال البيات والنوم", وذلك عندما يسمع هو الآخر صوت المجامعة في الغرفة المجاورة له قال: **"كانت الشقة غارقة في الظلام والصمت, لكنه كان صمتًا مريبًا جدًّا إذراح يسرب إلى أذني صوت هزهزة السرير بشكل متصاعد كان كفيلًا بإيقاظي من أعمق نوم, انتعشت كل أطرافي ... على أن صوت الهزهزة سرعان ما اندمج في معزوفة الوحوحة الممطوطة والشخر والغنج, صوت نازك هو مصدرها جميعًا ... صرت أنا الآخر أروح وأجيء دافنًا نفسي في حشية الكنبة أكاد أخرقها,وأظافر أصابعي تنهش في لحم الوسادة ووبرها, وإيقاع صوت نازك يشيلني ويحطني,وصفائح الدم تغلي وتفور في رأسي وعروقي ... على جناح صوتها رأيتني أشارف شطآن النروة المتأججة العالية, أصابني العنفوان حتى فقدت الإحساس بالمكان وبالخجل,ولم أملك سوى أن أكون شريكًا ثالثًا في هذه الموقعة الجليلة ... لكنني خشيت صوت هزهزة الكنبة,وكانت أكثر جعجعة من السرير, كذلك خشيت أن أترك عليها بصمة البلل ..."**[2] ليستمر المشهد على مدار صفحتين كاملتين, من (ص: 310) إلى (ص: 312), ويظل البطل مشاركًا في تلك المواقعة عن طريق التخيل المصاحب للأصوات التي يسمعها,ولا يتوقف حتى ينتهي بانتهائها. فانظر الآن إلى الفارق الكمي بين المشهد السابق ومشهد موال, والذي جاء مقتضبًا للغاية, لم يحو أية تفاصيل, وانظر كذلك إلى جرأة الوصف التفصيلي لما تحدثه الأصوات النشوانة في نفس وسلوك البطل, وكل ذلك يتم عن طريق ألفاظ صريحة, خادشة للحياء, ومسيلة لماء الوجه, وذلك من أمثال: **وحوحة ممطوطة / شخر / غنج / أخرقها / بصمة البلل**,ولاحظ كذلك أن هند / موال حاولت تحاشي وتجاهل تلك الأصوات, وخجلت منها, فاحت ترفع صوت التلفزيون والمكيف لتغطي عليها, أما بطل خيري فراح يندمج ويصيخ السمع ليشاركهما الإستثارة والاستمتاع ولو بالتخيل, بيد أن ما قدمه خيري من استجابة لتلك الأصوات النشوانة لم تكن مجرد مصادفة, فلقد تكرر هذا المشهد بحذافيره وبنفس الاستجابة بروايته الأخرى "وكالة عطية", وذلك عندما كان يدخل صاحب الشقة التي يسكنها هو وزملاؤه إلى فراشه **"لحظتها يطير النوم من عيوننا إذ نسمع السرير يطقطق بجعجعة صاخبة ثم بصوت مكتوم هادئ كبراكين تتضارب**

---

[1] بروكلين هايتس ص: 105

[2] موال البيات والنوم ص: 310

تحت الأرض باعثة فينا شعورًا فائقًا باللذة"[1]. وعليه نتأكد من مدى جرأة الرجل في طرح الموضوعات الجنسية المختلفة دون خجل أو حياء, وهو في ذلك نقيض ما تفعله النساء, حيث تتجنب تلك الموضوعات في العادة, وإنا عوضتها فهي تعوضها بشكل مقتضب لا يقارن بما يقدمه الرجل منها, كما أنها تستعمل في عوضها ألفاظًا لغوية فصيحة لتتجنب بها الألفاظ الصريحة الخادشة للحياء؛ إذًا فالرجل يتفوق على المرأة في هذا الشأن كمًّا وكيفًا, والسر يرجع إلى حياء المرأة الذي يدعوها للتستر وراء اللفظ حفاظًا على ماء الوجه. لكن لكي تصبح هذه الأحكام مؤكدة ماذا لو قارّنا بين المادة الجنسية المقدمة من الرجل ونظيرتها المقدمة من المرأة إحصائيًّا؟ هذا ما سيعبر عنه الجدول التالي:

المشاهد الجنسية	النساء	الرجال
عدد المشاهد المقدمة	5	45 = (9 أضعاف)
نوع المشاهد المقدمة	سوية فقط (رجل وامرأة)	متنوعة, منها السوية ومنها الشاذة.
عدد الكلمات	564	6400 = (11.3 ضعفًا)
الكلمات الجنسية	4	44 = (11 ضعفًا)
الصريحة	(يقبل / عاري / جنس/ شبق)	(عجيزة / عضوه / عاري / الجنس / ثديها / الجماع / الإلية / فرج / تغتصب / إيلاج / عانتها / ضاجع / معلشرة / بكارة / المني / خصية / بتاعي / مؤخرة / قضيب / وركيها / حضني / مسلري / الشنكل / جماع / أرداف / أبوس/ تهتك /سوتيان/ غنج / عهر/ إغراء/ أير / انتصب /قبلة/ يمصه/ سوة/ القذف/ حلمة / شبق / شهوة / أضمك / عورة / لثم / نهد)
تكرار الكلمات الجنسية الصريحة	7 مرات (أكثرهم: عاري 3 مرات) م.ت.ك= 1.75 مرة م.ت.ك= 1.4 م/ش.و	312 مرة = (62.4 ضعفًا) (أكثرهم: ثديها 15مرة) م.ت.ك = 7 مرة م.ت.ك= 6.9 م/ش.و = (4.9 ضعفًا)
الكلمات التي تكتسب معنى جنسي عندما ترد في مشهد من مشاهده	13 (الزغب / الجسد/ اخلعي/ تموء/ شفه / فمي /صدرها/يدك/ مدغدغ / الرجفة/ الرعشة / شهقة /زغب)	42 (صدر/ الجسد/ النشوة/ اللحم/ أتحسس/ لذة/ شفة/بطن /جسم/ وحوحة/ فخذ/ فمي/ أتحسس/ لهاث/ طارح/ ارتعش/ خصر/ حِجره/ فاشخ / خلع / فحيح/ لبؤة/ ينشلح/رجاجة / لزوجة/زغب/رعشة / هياج/ اندك/ تدليك / مفرشح / تأوه / شخير/ ادعك/ شهيق/ يخرق/ التياع/ عض/ إبط/ي دغدغ

[1] وكالة عطية ص: 239

تكرار الكلمات المكتسبة معنى جنسيًّا من المشهد	28 مرة (أكثرهم: الجسد 8 مرات) م.ت.ك= 2.1 مرة	/ شحير) 180 مرة = (6.4 ضعفًا) (أكثرهم : الجسد 17 مرة) م.ت.ك = 4.2 مرة

(شكل رقم: 52, يلاحظ أن م.ت.ك = معدل تكرار الكلمة, م/ش.و = مرة/المشهد الواحد)

من الجدول السابق يتضح مدى التفوق الذكوري في هذا الشأن, سواء من ناحية كم المشاهد, والذي وصل إلى (9) أضعاف ما قدمته النساء؛ أم من ناحية تنوع تلك المشاهد, والتي غطت جميع أشكال الممارسات الجنسية, السوية منها والشاذة, فبينما اكتفت النساء بعرض مشاهد جنسية سوية, تجري بين رجل وامرأة, وبشكل سوي, رأينا الرجال يقدمون (15) شكلًا من الأشكال الجنسية, والتي قد تجري بين رجل وامرأة, أو بين رجل ورجل, أو حتى بين الإنسان والحيوان؛ كما تفوق الرجال من ناحية حجم تلك المشاهد, فبينما استعملت النساء (564) كلمة في عرض مشاهدها, استخدم الرجال (6400) كلمة, ليصل تفوق الرجال إلى (11.3) ضعفًا؛ كما وجدنا اختلافًا بين الرجل والمرأة من ناحية كيف المشاهد, وطبيعة الكلمات المستخدمة في إبرازها, فبينما النساء عرضت مشاهد مقتضبة للغاية, وقد استخدمت فيها القليل من الكلمات الصريحة في إبراز المعنى, وجدنا حرية كبيرة من جانب الرجال في استعمال الألفاظ المعبرة عن العملية الجنسية, دون مواراة أو مواربة, فالكلمات المستخدمة في تلك المشاهد جاءت على نوعين: الأولى هي الكلمات التي ليس لها معنى جنسي, لكنها قد تكتسب ذلك من سياقها داخل المشهد, بيد أنها في سياقات أخرى تفقد تلك الدلالة, مثل كلمات: الجسد / اخلع / تموء / فم / صدر /رعشة / شهقة ... إلخ؛ أما النوع الثاني فهي الكلمات صاحبة الدلالة الجنسية من حيث أولويتها, مثل: المؤخرة / العجيزة / الإلية / الثدي / خصية / مَني / عري ... إلخ, وعند المقارنة بين الرجال والنساء في هذا الشأن وجدنا أن أغلب الكلمات المستخدمة في مشاهد النساء كانت من النوع الأول, ولا نجد سوى (4) كلمات صريحة في دلالتها الجنسية لديهن؛ أما على الجانب الآخر نجد جرأة مفرطة, حيث نجد (44) كلمة صريحة في الدلالة الجنسية مقابل (42) كلمة مكتسبة للمعنى الجنسي من السياق, أي أن الرجال يتفوقون في استخدام الكلمات صريحة الدلالة الجنسية بمقدار (11) ضعفًا. وانظر التالي:

المقارنة	الرجال	النساء
الكلمات الجنسية الصريحة	44	4
تكرار الكلمات الجنسية الصريحة	312	7

الكلمات الجنسية غير الصريحة	42	13
تكرار الكلمات الجنسية غير الصريحة	180	28
نسبة (ك.ج.ص) إلى (ك.ج.غ.ص)	1:1.04	3.25:1
نسبة (ت.ك.ج.ص) إلى (ت.ك.ج.غ.ص)	1:1.7	4:1

(شكل رقم: 53, يلاحظ أن ك.ج.ص= كلمة جنسية صريحة, ك.ج.غ.ص= كلمة جنسية غير صريحة, ت= تكرار)

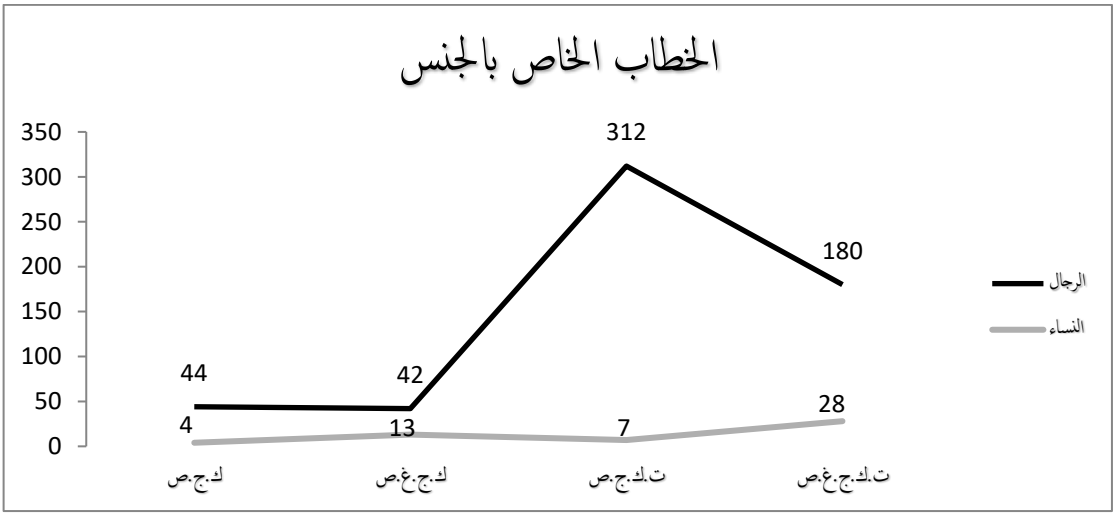

(شكل رقم: 54)

وعليه نصل إلى التالي: لو قلنا بأن المشهد من حيث كم الكلمات المستخدمة في عرضه لدى الرجال = س1, ولدى النساء = س2, وإذا كان المشهد من ناحية كيف الكلمات المستعملة في إبرازه لدى الرجال = ص1, ولدى النساء = ص2, عندها يصبح س1 + ص1 > س2 + ص2, وهذا كله يقود إلى القول بأن النساء أكثر تأدبًا وتسوًّا من الرجال, وعند التطرق لمثل تلك المواضيع فحديث المرأة عنها وتجنبها لها يتوافق مع سلوك حفظ ماء الوجه من مسببات الخجل, سواء كان وجههن أم وجه الآخرين.

يبقى أن نؤكد على حقيقة مؤداها أن كثرة ورود تلك المشاهد لدى الرجال لا يعني تهتكهم وانحلالهم البتة, بل إن هذه المشاهد قد تستخدم لغرض فني داخل دراما النص, فعلى سبيل المثال نجد بطل رواية "وكالة عطية" لخيري شلبي يفشل جنسيًّا مع وداد وسندس – إحدى سكان الوكالة –, على الرغم من نجاحه السابق مع ابنة بنت عمه بدرية, وذلك قبل أن يذهب إلى الوكالة ليعيش فيها, لكنه بعد الفشل مع وداد وسندس نراه ينجح مع ستات, زوجة سيد زناتي – أحد سكان الوكالة –, وهنا نجد خيري شلبي يوظف المشاهد الجنسية ليعطي بها دلالة للمتلقي, ففشل البطل مع وداد وسندس هو معادل لفشله في الاندماج مع سكان الوكالة من اللصوص, والنصابين,

والقوادين, والقتلة, إذ كان وقتها يعمل مع "أبي سن" – أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين – في تجارة الأقمشة, ولكي لا يظن المتلقي أن البطل يعاني ضعفًا جنسيًّا فقد جعله الكاتب ينجح في البدء مع بدرية, ليدلل بذلك على أنه سليم من هذه الناحية, أما هذا الفشل فهو ذو دلالة أخرى, فالبطل عندما يترك العمل مع أبي سن, ويندمج في العمل مع سيد زناتي في النصب والاحتيال, نراه ينجح جنسيًّا مع ستات, لأنه قد اندمج وقتها مع سكان الوكالة. وبعيدًا عن تلك الوكالة الموبوءة, نجد المشاهد الجنسية برواية زهرة الخشخاش" هي الأخرى كانت ذات دلالة, فلقد تفنن خيري شلبي في إلحاق كل عار وانحطاط خلقي براشيل وابنها حمادة, وذلك لكونهما من اليهود الذين يعملون لصالح بناء دولة إسرائيل, ولاحظ أنه ألحق بكل من يتعامل معهم من عائلة الشماشرجية نفس هذا الانحطاط والتدني, بينما لا نجده – على مدار الرواية – ينسب أية مشاهد جنسية لغير هؤلاء اليهود ومن يعاونهم.

وبعيدًا عن خيري نجد في "واحة الغروب" لبهاء طاهر كل المشاهد الجنسية موظفة لخدمة النص درامًّيا, فالبطل يعاني من أزمة نفسية شديدة نتيجة خيانته لزملائه أثناء ثورة عرابي, فهو يشعر في أعماقه بالجبن والخوف الشديد, حتى إنه تبرأ من عرابي وثورته خوفًا من الفصل من العمل, ولقد خاف من إنقاذ الطفل بالواحة فتراجع ليترك الشاويش إبراهيم تُكسَر قدمه, لكنه دائمًا ما يغالب هذا الشعور الدفين بالجبن والخوف, فنجده يظهر العكس من ذلك, حيث نجده قويًّا مسيطرًا على كاترين, يخشى أن يظهر أمامها عجزه, خاصة أنها ابنة الإنكليز الذي أخضعوه, فيكرر محاولاته الجنسية ليثبت لنفسه قبل أن يثبت لها أنه مازال قويًّا قادرًا على إخضاعها في الفراش, لا جبانًا ضعيفًا كما ظهر أثناء ثورة عرابي, وكما ظهر أثناء تراجعه عن إنقاذ زميله بالأسكندرية حين تركه ليُقتل. وفي رواية "الحب في المنفى" لبهاء طاهر أيضًا نجد المشهد الجنسي يطول ليعبر عن رغبة البطل في إطالة تلك اللحظات التي يعيشها مع حبيبته بريجيت, فهو يخاف من فقدها المحتوم, والذي يعلم أنه آت لا محالة, لذا فهو يحاول أن يخلد تلك اللحظات التي تجمع بينهما. وعلى جميع ما سبق يتضح أن الرجال أكثر استخدامًا للمشاهد الجنسية من النساء, بيد أن ذلك يتم لضرورة درامية داخل النص يعمل المشهد الجنسي على إبرازها, ونقلها للمتلقي, ولا تأتي تلك المشاهد لغرض الإثارة فقط؛ وهذا لا يتنافى بطبيعة الحال مع حكمنا السابق من كون تلك المشاهد – بكم ترددها, وكم الكلمات المستعملة في إبرازها, وكيف الألفاظ المستخدمة فيها – دالة على جرأة الرجال في هذا المجال, وأنهم لا يتحفظون في الكلام عنه كما تفعل النساء.

الرجل والمرأة والتأدب Politeness

إن العمل النظري الرئيس في موضوع الجنوسة والتأدب Gender and Politness قامت به كل من بنلوبي براون Brown, P. وجانيت هولمز Holmes, J., ففي عمل هولمز نراها تؤكد على أن المرأة أكثر تأدبًا من الرجل, ولقد عرّفت التأدب بأنه تعبير أو مصطلح يدل على الاهتمام بمشاعر الآخرين, وقد جاءت دراستها التحليلية على رجال ونساء من الطبقة الوسطى لسكان نيوزيلندا البيض[1]؛ أما عمل براون التحليلي للتأدب فقد كان خاصًا بمجتمع المايا, ولقد وجدت هي الأخرى أن المرأة في العموم أكثر تأدبًا من الرجل, وقالت أنه في معظم الثقافات نجد ميلًا عامًا لدى النساء لاستخدام استراتيجيات التأدب الإيجابية[2] أكثر مما نجد لدى الرجال, وأنموذجها العام للتأدب مرتبط باهتمام الآخرين, قالت: "إن التأدب يتكون من الطريقة الخاصة في معاملة الناس, حيث قول وعمل أشياء بطريقة تأخذ في الاعتبار مشاعر الشخص الآخر, وهذا يعني في عمومه أن ما يقوله الشخص بأدب سيكون أقل مباشرة وأكثر تعقيدًا مما سيقوله الشخص الذي لا يأخذ في اعتباره مشاعر الآخرين"[3], وما قررته براون هنا هو عين ما وجدناه لدى جانب النساء في عرضهم للمشاهد الجنسية بالدراسة الحالية, فلقد كانت تلك المشاهد أقل مباشرة من نظيرتها لدى الرجال, ففي مشاهد رضوى عاشور مثلًا وجدنا الكاتبة تربط بين المشهد وظواهر طبيعية تجنبها قول اللفظ الصريح أثناء الفعل الجنسي, ففي مشهد سعد وسليمة نجدها تربط بين لحظة الجماع وتتابع أمواج البحر, ولم تعرض المشهد صراحة كما رأته في خيالها قالت: "**فرفعتهما موجة الوصل عاليًا, وهما يشهقان بين موت وحياة, وموجة تغمر, وأخرى ترفع, وقاع مظلمة عميقة, وزرقاء عالية, تتوهج بحرارة شمس لاهبة ...وعلى شاطئ الوصول سكنا**" ونراها في مشهد نعيم ومايا تربط بين لحظة الجماع وصورة الحصان الراكض, قالت: "**كان نعيم يصهل كمهر جموح زلزلت الأرض من تحته زلزالها فراح يركض, يدك الأرض وهي تهتز به وتميد ...**" وعلى

---

(1) See: Holmes. Janet (1995). Women, Men and Politeness. London: Longman

(2) عرفت براون التأدب من خلال مفهوم الوجه Face, واحترام الوجه يعني احترام مشاعر الآخرين, هذا الاحترام للمشاعر يتم عندما نحترم احتياجين أساسيين من احتياجات البشر: الأول هو عدم الفرض / عدم الإلزام, وهذا يسمى الوجه السلبي Negative face؛ الثاني هو إظهار الإعجاب والتقدير, ويسمى الوجه الإيجابي Positive face. See: Brown, Penelope and Levinson, Stephen (1978). Universals in Language Usage: Politness Phenomena. Pp.56-289 in Goody, Esther (Ed). Questions and Politeness. Cambridge University Press.

(3) Brown, Penelope (1980). How and why are women more polite? Some evidence from a Mayan community. In McConnell-Ginet S, Broker R, and Furman N (Eds). Women and Language in Literature and Society. New York: Praeger. Pp.111-136. And in Mills 2003:207

ذلك فلن نجد لدى رضوى عاشور غير مشهد جنسي واحد صريح في لفظه, وهو المشهد الذي جمع بين حسن والجارية في الخان, وكما الحال عند رضوى عاشور نجده كذلك لدى مي وال الطحاوي, والتي لم نجد لديها غير مشهد واحد بالباذنجانة الزرقاء, ولقد كان مقتضبًا للغاية, يظهر أزمة البطل وفقدانه للثقة في نفسه وفي رجولته أكثر مما يثير المتلقي جنسيًا.

إذًا فالدراسة الحالية تتفق وأحكام الدراسات الغربية السابقة من هذه الناحية, فالمرأة عادة ما تتجنب الحديث عن الجنس, وإن تكلمت جاء كلامها مقتضبًا وغير مباشر, وهذا ما يتفق مع بطبيعة الحال مع ما جاء في الفصل الأول من الدراسة الحالية, وذلك عندما حللنا حقل الكلمات المحظورة لدى الرجال والنساء, فقد وجدنا كيف كان الرجال أكثر تحررًا في كلامهم الجنسي من ناحية الكم والكيف معًا, بينما كان إنتاج النساء في هذا الجانب ضئيلًا للغاية, كما كان متحاشيًا – قدر المستطاع – لصراحة اللفظ.

وإذا كان التأدب كما قالت براون هو القول والعمل بطريقة تأخذ في الاعتبار مشاعر الآخرين, وهو نفس الأمر الذي أكدته هولمز براستها, فقد نجد أن التعريف الأشمل للتأدب قامت به بينولبي براون Brown, P. وستيفن ليفنسون Livenson, S., وذلك عندما عرفا التأدب من خلال مفهوم الوجه face, والذي يستخدم في عبارة: سال ماء وجهه to lose face, فاحترام الوجه يعني احترام مشاعرنا ومشاعر الآخرين[1], وعليه يصبح تعريف التأدب: هو تلبية مطلب الوجه بالنسبة للآخرين مع حماية وجهنا الشخصي من مسببات الخجل, وهذا يتم من خلال أشكال لغوية مختلفة ومتنوعة, فمن تلك الأشكال اللغوية المستخدمة لإظهار التأدب استخدام اللفظ الأكثر فصاحة, وتجنب اللفظ العامي الفاضح, ومنها أيضًا استخدام اللفظ الأقل مباشرة – التورية والتعريض – بديلًا عن اللفظ الصريح المباشر, وللتدليل على أن النساء أكثر استخدامًا للأشكال اللغوية المتأدبة مقارنة بالرجال نذكر النماذج التالية: فمن ذلك استخدام مي وال الطحاوي لفظ (الرغب) تجنبًا للفظ (العانة) كما قالت برواية الخباء: **"وكانتا عاريتين من الزغب الخفيف الذي يغطي وتتكاثر أشناته بين فواصل الجسد ... فرفعت ثوبي ونظرت بين ساقي لم يكن ثمة شيء زغب"**[2] ليتكرر نفس هذا التعبير بنفس الرواية (ص: 92) حين قالت: **"لماذا تنتفون زغبها؟"** ولنجد نفس الأمر يتكرر برواية نوات الظباء لمي وال أيضًا, وذلك حين قالت: **"وتظل هي تدخل البيوت في ليال الأفراح حين يتعرى**

---

(1) Brown, Penelope and Livenson, Stephen (1978). Universals in Language Usage: Politness Phenomena. In Coates 2013:105

(2) الخباء ص: 58

جسد العروس وهي تزيل الزغب"[1] وهو نفس ما فعلته رضوى عاشور في روايتها حجر دافئ, وذلك حين تجنبت لفظ (العانة) فقالت: "**وزالت لسلسى الشعر عن ساقها وذراعيها وتحت إبطيها وأسفل بطنها**"[2]

لكن يبقى أوضح أنموذج على تأدب النساء مقارنة بالرجال هو الأنموذج التالي, فلقد جاء برواية ميرال الطحاوي الباذنجانة الزرقاء قولها التالي: "**لأنها قالت للملكة وهي تشير بإصبعها الصغيرة في لحم ساقها وبدون أية مقدمات: خذي دبوس, ووسط اندهاش الأم التي ترجمت الدبوس ترجمة صحيحة بإبدال الدال عينًا, وبالتقديم والتأخير, واستشفاف مظاهر وخز الإصبع**"[3] فكل هذا الوصف والتعقيد اللفظي لتتجنب قول اللفظ الصريح الخادش للحياء بشكل مباشر, ولقد تكرر الأمر في نقوات الظباء فقالت: "**وتصف بيديها تلك الحركات البذيئة**"[4] ومثلما فعلت ميرال فعلت رضوى في مجموعتها رأيت النخل, وذلك حين قالت: "**أخرجت صوتًا متحشرجًا من حلقها, ورافقته بحركة بذيئة بإصبعها الوسطى**"[5] فلك أن تقارن تلك الأقوال المواربة بقول خيري شلبي في رواية "وثالثنا الورق / الجزء الثالث من الأمالي", وذلك حين قال اللفظ هكذا صراحة "**فبعبص الهواء قائلًا في استخفاف وزراية: خذ...**"[6] وعليه فنتائج هذه الدراسة تتوافق مع نتائج أسلافها من الدراسات القائلة بأن المرأة أكثر تأدبًا من الرجل, وأكثر تجنبًا للفظ الخادش للحياء, وهذا ما يلجئهن في بعض الأحيان إلى الكلام الغير مباشر / الأكثر فصاحة / الأكثر مواربة.

---

[1] نقوات الظباء ص: 70

[2] حجر دافئ ص: 18

[3] الباذنجانة الزرقاء ص: 13

[4] نقوات الظباء ص: 70

[5] رأيت النخل ص: 89

[6] الأمالي ص: 635

خاتمة

أخيرًا يجب أن نقر بأن لغة الرجل اتسمت بصفات اللغة الأقوى, حيث كانت اللغة الأكثر كمًّا, تنوعًا, والأكثر جرأة؛ أما لغة النساء فقد اكتست بثياب اللغة الأضعف, وهي اللغة المتسمة بعكس الصفات السابقة, فكانت الأقل كمًّا, تنوعًا, والأكثر تأدبًا ولطفًا؛ والقول باللغة الأقوى واللغة الأضعف أحق من القول بلغة الرجل ولغة المرأة, وذلك لأنه ليس كل رجل تتسم لغته بسمات اللغة الأقوى, وليست كل أنثى قد تتسم لغتها بسمات اللغة الأضعف.

يبقى أن نؤكد أن نتائج الدراسة الحالية قد تكون قابلة للتعميم في كثير من نتائجها, حيث تواتر الكثير من نتائجها مع نتائج دراسات وأبحاث غربية وأسيوية سابقة, وذلك كما أشرنا في مواضعه, فنتائج من مثل: ضخامة المعجم اللغوي لدى الرجل وتفوقه على نظيره لدى المرأة, قوة الأشكال اللغوية التي يستعملها الرجل, جرأة الرجل في الكلام من حيث طرحه لموضوعات مثيرة, استعماله لمفردات جريئة داخل هذا الطرح, غموض المرأة والتزامها بالأنماط شديدة التأدب والمواراة؛ فكلها نتائج تؤكد عليها الكثير من الأبحاث, ولا يشذ عنها سوى النادر القليل؛ لكن وعلى الرغم من ذلك, يجب ألا نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الباحثين الغربيين, وذلك عندما وجدوا بعض السمات التي تميز لغة الرجل عن لغة المرأة راحوا يعممون تلك النتائج على كل النساء, وكل الرجال, في كل المجتمعات, وبكافة الطبقات, وهو خطأ لا ريب, فلا بد من التفريق بين السمات اللغوية المتصلة بالذكورة والأنوثة, التي من الطبيعي – بالنسبة للغالبية العظمى من البشر – أن تتحقق مع كل ذكر وأنثى, وبين السمات اللغوية الخاصة بالوضع الاجتماعي الذي قد يفرض استعمالات لغوية للذكر / للأنثى مناقضة للأولى. ولن يتحقق ذلك التفريق إلا في الوقت الذي يُدرس فيه الاستعمال اللغوي المتحقق من الرجال والنساء في كل المجتمعات, وبكافة الطبقات, عندها سيصبح لدينا الوعي الكافي بالسمات العامة التي تحكم الاستعمال اللغوي لدى الرجل والمرأة, والوضع الاجتماعي الذي قد يغير من هذه السمات.

ثبت المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر:

- شلبي (خوي):
  - أسباب للكي بالنار, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (1988)
  - إسطاسية, دار الشروق, القاهرة.
  - أشياء تخصنا, دار الكتاب العربي, بيروت, (2001)
  - الأمالي (أولنا الولد, وثانينا الكومي, وثالثنا الورق), الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (1997)
  - أنس الحبايب, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (2011)
  - الأوباش, دار الشروق, القاهرة, (2010)
  - بغلة العرش, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (1997)
  - تقليب المواجع, الهيئة العامة لقصور الثقافة, القاهرة, (2008)
  - الخواز, دار الهلال, عد (455), القاهرة, (1986)
  - الدساس, مكتبة الأسرة, القاهرة, (1998)
  - رحلات الطرشجي الحلوجي في الزمان, مكتبة مدبولي, القاهرة, ط1, (1991/1411)
  - زهرة الخشخاش, دار الشروق, القاهرة, ط3, (2010)
  - السنيورة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (1978)
  - الشطار, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (1980)
  - صاحب السعادة اللص, دار الكتاب العربي, بيروت, (2010)
  - صالح هيصة, دار الهلال, عد (619), القاهرة, (2000/1412)
  - صحراء المماليك, دار الشروق, القاهرة, (2007)
  - صهاريج اللؤلؤ, دار الهلال, عد (645), القاهرة, (2002/1423)
  - عدل المسامير, دار الشروق, القاهرة, (2004)
  - العوامي, مكتبة الأسرة, القاهرة, (2004)
  - قرعان من الصبار, دار الهلال, عد (455), القاهرة, (1986)
  - قداس الشيخ رضوان, مجلة الإذاعة والتلفزيون, القاهرة, (2007)
  - لحس العتب, مكتبة الأسرة, القاهرة, (2005)
  - اللعب خارج الحلبة, الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر, القاهرة, (1971)

- ما ليس يضمنه أحد, كتاب اليوم, دار أخبار اليوم, عد (526), القاهرة, (2009)
- المنحنى الخطر, دار الهلال, عد (415), القاهرة, (1983)
- منامات عم أحمد السماك, دار الكتاب العربي, بيروت, (2010)
- موال البيات والنوم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة.
- موت عباءة, مكتبة الأسرة, القاهرة, (2000)
- نسف الأدمغة, دار الشروق, القاهرة, (2005)
- نعناع الجنان, دار الهلال, القاهرة, (2006)
- الوتد, كتاب في جريدة, عد (72), بيروت, (2004)
- وكالة عطية, دار الأحمدي للنشر, القاهرة, ط1, (1999)
- كتب وناس, دار الهلال, عد (697), القاهرة, (2009/1430)

- طاهر (بهاء):

- أنا الملك جئت, دار الشروق, القاهرة.
- بالأمس حلمت بك, مكتبة الأسرة, القاهرة, (1999)
- الحب في المنفى, دار الهلال, القاهرة, (2001)
- خالتي صفية والدير, دار الهلال, القاهرة.
- الخطوبة, دار الشروق, القاهرة.
- ذهبت إلى الشلال, دار الشروق, القاهرة.
- شوق النخيل, دار المستقبل العربي للنشر والتوزيع, القاهرة, (1985)
- قالت ضحى, دار الهلال, عد (444), القاهرة, (1985/1406)
- لم أعوف أن الطواويس تطير, دار الشروق, ط4, القاهرة, (2010)
- نقطة النور, دار الهلال, القاهرة, (2000)
- واحة الغروب, دار الشروق, ط11, القاهرة, (2013)

- الطحلوي (موال):

- الباذنجانة الزرقاء, نسخة إلكترونية من منتدى مكتبة الإسكندرية.
- بروكلين هايتس, دار الآداب, ط1, بيروت, (2010)
- الخباء, مكتبة الأسرة, القاهرة, (2001)
- نقوات الظباء, نسخة إلكترونية من منتدى مكتبة الإسكندرية.

- عاشور (رضوى):

- أثقل من رضوى, دار الشروق, ط1, القاهرة, (2013)
- أطياف, نسخة إلكترونية من منتدى مكتبة الإسكندرية.
- تقارير السيدةراء, دار الشروق, ط1, القاهرة, (2001/1422)
- ثلاثية غرناطة (غرناطة, مريمة, الرحيل), دار الشروق, ط3, القاهرة, (2001/1422)
- حجر دافئ, دار المستقبل العربي, القاهرة, (1985)
- خديجة وسوسن, دار الهلال, عد (492), القاهرة, (1989/1410)
- رأيت النخل, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مختارات فصول, عد (67), القاهرة, (1989)
- الرحلة: أيام طالبة مصرية في أمريكا, نسخة إلكترونية من موقع kotobarabia. Com
- سراج, نسخة إلكترونية من موقع kotobarabia. Com
- الصوخة, دار الشروق, ط1, القاهرة, (2015)
- الطنطورية, دار الشروق, ط1, القاهرة, (2010)
- فرج, دار الشروق, ط1, القاهرة, (2008)
- قطعة من أورربا, دار الشروق, ط1, القاهرة, (2003/1424)

ثانيًا: المراجع العربية القديمة:

- أبو زرعة (عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة, ت: 403هـ), حجة القراءات, تحقيق: سعيد الأفغاني, مؤسسة الرسالة, ط2, بيروت, (1982/1402)
- الباقلاني (محمد بن الطيب بن محمد, ت: 403هـ), إعجاز القرآن, تحقيق: السيد أحمد صقر, دار المعارف, القاهرة.
- ابن الأنباري (عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد أبو البركات كمال الدين, ت: 577هـ), أسرار العربية, تحقيق: د. فخر صالح قدارة, دار الجيل, ط1, بيروت, (1995)
- ابن جني (عثمان أبو الفتح, ت: 392هـ), اللمع في العربية, تحقيق: فائز فارس, دار الكتب الثقافية, الكويت, (1972)
- ابن السراج (محمد بن سهل أبو بكر النحوي البغدادي, ت: 316هـ), الأصول في النحو, تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي, مؤسسة الرسالة, ط3, بيروت, (1988)
- ابن هشام (عبد الله جمال الدين بن يوسف أبو محمد الأنصاري, ت: 761هـ), مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, بيروت, (1991/1411)
- الزبيدي (محمد بن محمد مرتضى) (1205هـ), تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق: مجموعة محققين, دار الهداية, مصر.
- النووي (يحيى بن شرف محي الدين, ت: 676هـ), المنهاج شرح مسلم بن الحجاج, دار العقيدة, الإسكندرية, (2009/1430)
- الوراق (محمد بن عبد الله أبو الحسن, ت: 381هـ), علل النحو, تحقيق: محمود جاسم, مكتبة الرشد, ط1, الرياض (1999/1420)

ثالثًا: المراجع العربية الحديثة:

- إبراهيم (د. زكريا), سيكولوجيا المرأة, مكتبة مصر, القاهرة.
- أبو نضال (تريه), تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط1, بيروت, (2004)
- خليل (د. حلمي), العربية والغموض, دار المعرفة الجامعية, ط2, الإسكندرية, مصر, (2013)
- سلامة (أمين), المرأة في الميزان, دار النشر المتحدة, القاهرة.
- الشمالي (د. نضال), الرواية والتاريخ: بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية, عالم الكتب الحديث, الأردن (2006)
- الشهري (د. عبد الهادي بن ظافر), استراتيجيات تحليل الخطاب, دار الكتاب الجديد, ط1, بيروت, (2004)
- العبد (د. محمد), النص والخطاب والاتصال, الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي, القاهرة, (2014)
- عكاشة (د. محمود), لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال, دار النشر للجامعات, ط1, القاهرة, (2005/1426)
- عمر (د. أحمد مختار):
  - علم الدلالة, عالم الكتب, ط5, القاهرة, (1998)
  - اللغة واختلاف الجنسين, عالم الكتب, ط1, القاهرة, (1996/1416)
- لحميداني (د. حميد), بنية النص السردي, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر, ط1, بيروت, (1991)
- المتوكل (د. أحمد), الخطاب وخصائص العربية, الدار العربية للعلوم, بيروت, (2010/1431)
- مصطفى (إبراهيم), الزيات (أحمد), عبد القادر (حامد), النجار (محمد), المعجم الوسيط, دار الدعوة, القاهرة.
- يقطين (د. سعيد), تحليل الخطاب الروائي, المركز الثقافي العربي, ط3, بيروت, (1997)

رابعًا: المراجع الأجنبية المترجمة:

- براون (جيليان) ويول (جورج) .Brown, G. And Yule, G, تحليل الخطاب, ترجمة: أ.د. محمد مصطفى الزليطي – أ.د. منير التريكي, جامعة الملك سعود, الرياض, (1997/1418)
- برنس (جيرالد) Prince, Gerald, المصطلح السردي, ترجمة: عابد خزندار, المجلس الأعلى للثقافة, ط1, القاهرة, (2003)
- شارودو (باتريك) ومنغنو (دومينك) .Charaudeau, P. And Maingueneau, D, معجم تحليل الخطاب, ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود, المركز الوطني للترجمة, تونس, (2008)
- شوي (أورزولا) .Scheu, U, أصل الفروق بين الجنسين, ترجمة: بو علي ياسين, دار الحوار, ط2, سورية, (1995)
- فاولر (روجر) .Fowler, R, اللسانيات والرواية, ترجمة: أ.د. أحمد صوة, مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع, الإسكندرية, مصر (2009)
- فرويد (سيجموند) .Freud, S, ثلاث مقالات في نظرية الجنسية, ترجمة: سامي محمود علي, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, (2015)
- لوكاش (جورج) Lukacs, Georg, الرواية التاريخية, ترجمة: د. صالح جواد الكاظم, وزارة الثقافة والإعلام, دار الشئون الثقافية العامة, ط2, بغداد, (1986)
- لويس (موريس مايكل) .Lewis, M.M, اللغة في المجتمع, ترجمة: أ.د. إبراهيم أنيس – أ.د. تمام حسان, دار إحياء الكتب العلمية, (1959)
- موير (إدوين) Muir, Edwin, بناء الرواية, ترجمة: إبراهيم الصيرفي, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة, القاهرة.
- ميلز (سارة) .Mills, S, الخطاب, ترجمة: أ.د. عبد الوهاب علوب, المركز القومي للترجمة, ط1, القاهرة, (2016)
- هامون (فيليب) Hamon, Philip, سيميولوجيا الشخصيات الروائية, ترجمة: سعيد بنكراد, دار الحوار للنشر والتوزيع, ط1, سورية, (2013)
- هينكل (روجر) Henkle, Roger, قراءة الرواية: مدخل إلى تقنيات التفسير, ترجمة: أ.د. صلاح رزق, آفاق للترجمة, الهيئة العامة لقصور الثقافة, ط2, القاهرة, (1999)

خامسًا: المراجع الأجنبية:

- Adler, Max K. (1978): Sex differences in human speech: A Sociolinguistic study. Hamburg: Helmut Buske Verlag.
- Aries, Elizabeth (1976): Interaction patterns and themes of male, female and mixed group. Small group behaviour. 7(1): 7-18
- Arnot, Madeleine and Weiner, Gaby (Eds.) (1987): Gender and the Politics of Schooling. London: Hutchinson.
- Baily, L.A.; and Timm, A.L. (1976): More on women's and men's expletives. Anthropol linguist. 18. 438-449
- Bakir, Murtadah (1986): Sex differences in the approximantion to standard Arabic: a case study. Anthropological linguistics. Pp. 1-28
- Baran, Dominika and Syska, O. (2000): Harsh words are women's words: The emergence of a new female speech style in Poland. Conference paper to The International Gender and Language Association. California: Stanford University.
- Bashiruddin, Ayesha; Edge, Julian; and Hughes-Pelegrin, Elizabeth (1990): Who Speak in Seminars? Status, Culture and Gender at Durham University. In Clark, Romy; Fairclough, Norman; Ivanic, Roz; Meleod, Nick; Thomas, Jenny; and Meara, Paul (Eds.): Language and Power. London: CILT.
- Batsleer, J.; Davies, T.; O'Rouke, R.; and Weedon, C. (1985): Rewriting English: Cultural politics of gender class. London: Methuen.
- Bernard, Jessie (1972): The Sex Game. New York: Atheneum.
- Benveniste, Email (1966): Problemes de linguistique generale [Problemes of General Linguistics].edi.Gallimard.Tome.
- Bossard, James (1945): Family modes of expressions. American Socialogical Review. Bd. 10. Pp. 226-237
- Braid, Mary (2001): Cruella of prime time. Independent, 10 March.
- Brend, R. (1975): Male-Female Intonation patterns in American English. In Thorne, Barrie and Henley, Nancy (Eds.) (1975): Language and Sex: Difference and Dominance. Rowley, MA: Newbury House.
- Brezina, Vaclav (2018): Staistics in corpus linguistics: A Practical Guide. UK: Cambridge University Press.
- Brower, Dede; Gerritsen, Marinal; and De Haan, Dorian (1979): Speech differences between women and men: on the wrong track? Language in Society. 8: 33-50
- Brown, Penelope (1980): How and why are women more polite? Some evidence from a Mayan community. In McConnell-Ginet, Sally; Borker, Ruth; and Furman, Nelly (Eds.): Women and Language in literature and society. New York: Praeger.
- Brown, Penelope (1993): Gender, Politeness and Confrontation in Tenejapa. In Tannen, Deborah (Ed.): Gender and Conversational Interaction. Oxford: Oxford University Press.

- Brown, Penelope and Levinson, Stephen (1978): Universals in language. Face Usage: Politeness Phenomena. In Goody, Esther (Ed.): Questions and Politeness. Cambridge University Press.
- Bruner, Edward M. and Kelso, J.P. (1980): Gender differences in graffitti: a semiotic perspective. In Kramarae, Cheris (Ed.): The voices and words of women and men. Oxford: Pergamon.
- Bucholtz, Mary (1996): Black Feminist Theory and African American women's linguistic practice. Pp. 267-290 in Bergavall, Vectoria L.; Bing, Janet M.; and Freed, Alice F. (Eds.): Rethinking language and gender research: Theory and Practice. London: Longman.
- Bucholtz, Mary: Theories of discourse as theories of gender: Discourse Analysis in language and gender studies. In Holmes, Janet and Meyerhoff, Mirriam (2003): The Handbook of Language and Gender. USA: Blackwell puplishing. Pp. 43-64
- Cameron, Deborah (2006): Gender and English Language. In Aarts, Bas and McMahon, April (Eds): The Handbook of English Linguistics. Oxford: Blackwell.
- Cameron, Deborah (1998): The Feminist Critique of Language: A Reader. 2nd Ed. London: Routledge.
- Cameron, Deborah; McAlinden, Fiona; and O'leary, Kathy (1989): Lakoff in context: the social and linguistic functions of tag questions. Pp. 74-93 in Coates, Jennifer and Cameron, Deborah (Eds.) (1988): Women in their speech communities: New perspectives on language and sex. London: Longman.
- Chawaf, Chantal (1967): La chair linguistique [The linguistic flesh]. Nouvelks litteraires.
- Chatman, Seymour (1978): Story and Discourse: narrative structure in fiction and film. Ithaca: Cornell University Press.
- Cheshire, Jenny and Trudgill, Peter (Eds) (1998): The Sociolinguistics: Reader. Vol.2: Gender and Discourse. London: Arnow.
- Cheshire, Jenny (1978): Present Tense Verbs in Reading English. In Trudgill, Peter (Ed.): Sociolinguistic patterns in British English. London: Edward Arnold.
- Cixous, Helene and Clement, Chathrine (1975): La Jeune ne'e. Paris: Union generale d'editions. Translated as Cixous, Helene and Clement, Catherine (1986): The Newly Born Woman. Manchester: Manchester University Press.
- Coates, Jennifer (2013): Women, Men and Language: a sociolinguistics account of Gender Differences in language. 3rd ed. London and New York: Routledge.
- Coates, Jennifer (1986): Gossip revisited: language in all-female groups. In Coates, Jennifer and Cameron, Deborah (Eds.) (1988): Women in their speech communities: New perspectives on language and sex. London: Longman.
- Coates, Jennifer (1994): No Gap, Lots of Overlap: turn-taking patterns in the talk of women friends. In Graddol, David; Maybin, Janet; and Stierer, Barry (Eds.): Researching language and literacy in social context. Multilingual Matters. Cleredon.
- Crawford, Mary (1995): Talking difference: on gender and language. London: Saga.

- DeFrancisco, Victoria L. (1998): The sounds of silence: how men silence women in marital relations. Pp.84-176 in Coates, Jennifer (Ed.) (1998): Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell.
- Dubois, Betty L. and Crouch, Isabel (1974): The question of tag questions in women's speech: they don't really use more of them, do they? Language in Society, 4:289-294
- Eakins, Barbara W. and Eakins, R. Gene (1978): Sex Differences in Human Communication. Boston. MA: Houghton Mifflin.
- Eakins, Barbara W. and Eakins, R. Gene (1979): Verbal turn-taking and Exchanges in Faculty dialogue. In Dubois, Bitty L. and Crouch, Isabel (Eds.): The Sociology of Language of American Women, San Antonio. TX: Trinity University.
- Eckert, Penelope and McConnell-Ginet, Sally (2003): Language and Gender. Cambridge: Cambridge University Press.
- Eckert, Penelope (1990): Co-operative competition in adolescent "girl talk". Discourse Processes. 13:91-122
- Edelsky, Carole and Adams, Karen (1990): Creating Inequality: breaking the rules in debates. Journal of Language and Social Psychologe. 9(3): 90-171
- Edwards, Ernest R. (1903): Etude phonetique de la langue Japonaise [phonetic study of the Japanese language]. Leipzig.
- Engle, Marianne (1980): Language and Play: a comparative analysis of parental initiatives. In Giles, Howard; Robinson, W. Peter; and Smith, Philip M. (Eds.): Language, Social Psychological Perspectives. Oxford: Pergamon Press.
- Erickson, Frederick (1990): The social construction of discourse coherence in a family dinner table conversation. Pp.38-207 in Dorval, Brace (Ed.): Conversational organization and its development. Norwood. NJ: Ablex.
- Fairclough, Norman (2003): Analysis Discourse: textual analysis of social research. London: Routledge.
- Fishman, Joshua A. (1990): The Handbook of Language and Ethnic Identity. London: Oxford University Press.
- Fishman, Pamela (1980a): Conversational Insecurity. In Gilas, Howard; Robinson, W. Pete; and Smith, Philip M. (Eds.) (1980): Language: Social Psychological Perspectives. Oxford: Pergamon Press.
- Fishman, Pamela: Conversational Insecurity. Pp. 254-255 in Cameron, Deborah (Ed.) (1998): The Feminist Critique of Language: A Reader. 2nd Ed. London: Routledge.
- Fishman, Pamela M. (1978): Interaction: the work women do. Social Problems. 25(4): 397-406
- Flannery, Regina (1946): Men's and Women's Speech in Gros Ventre. International Journal of American linguistics. 12:5-133
- Gender Profile. UK. Commonwealth of learning. April 2015. Unesco Institute of Statistics.

- Gleason, Jean B.; Perlmann, R.Y.; Ely, D.; and Evans, D. (1994): The baby talk vegister: parents use of diminutives. Pp. 50-76. In Sokolov, Jeffrey L. and Snow, Catherine E. (Eds.): The handbook of research in language development using CHILDES. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.
- Gleason, Jean B. (1979): Sex Defferences in the language of children and parents. In: Granica, Olga: The Boys have the muscles. In: Granica, Olga and King, M.L.: Language, Children and Society.
- Goodwin, Marjorie H. (1998): Co-operation and competition across girls play activities. Pp. 46-121 in Coates, Jennifer (Ed.) (1998): Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell.
- Goodwin, Marjorie H. (1990): He said - She said: Talk as social organization among black children. Bloomington: Indiana University Press.
- Gormley, Sarah (2015): Language and Gender. International Encyclopedia of the social & behavioral sciences. 2nd ed. Sciencedirect.com
- Gray, John (2003): Men are from Mars, Women are from Venus: The Classic guide to understanding the opposite sex. US: Prefect bound.
- Gur, R. C.; Gunning-Dixon, F.; Bilker, W.B.; and Gur, R. E. (2002): Sex differences in temporolimbic and frontal brain volumes of healthy adults. Cereb. Cortey.
- Guvendir, Emre (2005): Why are males inclined to use strong swear words more than females: an envlutionary explanation based on male intergroup aggressivness. Language Sciences. Elsevier.
- Haas, Adellaide (1978): Sex-Associated Features of Spoken Language by Four, Eight, and Twelve year old boys and girls. Paper given at the 9th World Congress of Sociology. Uppsala. Sweden. 14-19 August.
- Haas, Adellaide (1979): Male and Female Spoken Language Differences: Stereotypes and Evidence. Psychological Bulletin.
- Haeri, Niloofar (2003): Sacred language. Ordinary people: Dilemmmas of culture and politics in Egypt. New York / Basingstoke: Palgrave McMillon.
- Harris, Zelig S. (1952): Discourse Analysis. Language, vol.28, Pp. 1-30
- Havelock, Ellis (1904): Man and Woman. 4th ed. London.
- Henesley, A.; Sutherland, W.J.; and Johanston, A. (2017): Men ask more questions than women at a scientific conference. Journals.plose.org
- Herpertz, S.C.; Nagy, K.; Ueltzhoffer, K.; Schmitt, R.; Mancke, F.; Schmahl, C.; and Bertsch, K. (2017): Brain mechanisms underlying reactive agrression in borderline personality disorder-sex matters. Biological Psychiatry.
- Hiatt, Mary (1977): The way women write. New York: Teacher's Colledge Press. Columpia University.
- Hirschmann, Lynette (1974): Analysis of Supportive and Assertive behaviour in Conversations. Paper Presented at linguistic society of America meeting. July 1974.
- Holmes, Janet and Meyerhoff, Mirriam (2003): The Handbook of Language and Gender. USA: Blackwell puplishing.
- Holmes, Janet (2013): An Introduction to Sociolinguistics. 4th ed. London: Routledge.

- Holmes, Janet (1995): Women, Men and Politeness. London: Longman.
- Holmes, Janet (1998): Women's Talk: The question of sociolinguistic universals. In Coates, Jennifer (Ed.) (1998): Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell.
- Holmes, Janet (1984): Hedging you bits and sitting on the fence: some evidence for hedges as support structures. Te Reo 27:47-62
- Holmes, Janet (1987). Hedging fencing and other conversational gambits: an analysis of gender differences in New Zealand speech. Pp. 59-76 in Pauwels, Ann (Ed). Women and Language in Australian and New Zealand society. Sydney: Australian Professional publications.
- James, Deborah and Clarke, Sandra (1993). Women, Men and Interruption: A Critical Review. In Tannen, D. (1993). Gender and Conversational Interaction. New York: Oxford University Press.
- Jay, T.B. (1996). What to do when your students talk dirty. Resource Publications. Inc, San Jose.
- Jespersen, Otto (1921). Language, Its nuture, development and origin. New York: Henry Holt & Company.
- Johanson F L and Aries E (1983a). Conversational patterns among same sex pairs of late adolescent close friends. Journal of Genetic Psychology. 142:38-225
- Jones, Deborah (1980). Gossip: notes on women's oral culture. In Kramarae, Cheris (Ed.): The voices and words of women and men. Oxford: Pergamon.
- Keenan, Elinor (1974). Norm-makers, Norm-breakers: uses of speech men and women in a Malagasy community. In Bauman, Richard and Sherzer, Joel (Eds) (1974). Explorations in the Ethnography of speaking. London: Cambridge University Press.
- Klammer T, Schulz M, and Della Volte A (2009). Analyzing English Grammar. 6th ed. Longman.
- Lakoff, Robin (1975). Language and Woman's Place. New York: Harper & Row puplishers.
- Lakoff, Robin Tolmach. Nine ways of looking at apologies: the necessity for interdisciplinary theory and method in discourse analysis, in Tannen D, Hamilton H, and Schiffrin D (2015). The Handbook of Discourse Analysis. 2nd ed. UK: Wiley Blackwell.
- Livia, Anna. One man in two is a woman: linguistic approaches to gender in literary text. Pp. 142-157 in Holmes, Janet and Meyerhoff, Mirriam (2003). The Handbook of Language and Gender. USA: Blackwell puplishing
- Madhok, Jacqueline (1992). The Effect of Gender Composition in Group Interaction. In Hall K, Bucholtz M, and Moonwomon B (Eds). Locating Power. Berkeley Women and Language Group. Berkeley, CA: University of California.
- Maltz, Daniel and Borker, Ruth A. (1982). A Cultural approach to male-female miscommunication. In Gumperz, John J. (Ed) (1982). Language and Social Identity. Cambridge: Cambridge University Press.
- McEnery, T. and Hardie, A. (2011). Corpus linguistics: Method, Theory and Practice. UK: Cambridge University Press.
- McEnery, T. (2005). Swearing in English. London: Routledge.
- McMillan J, Clifton A K, McGrath D, and Gale L (1977). Women's language: uncertainly or interpersonal sensitivity and emotionality. Sex Roles. 3(6): 545-559

- Mehal M R and Pennebaker J W (2003). The sounds of social life: A Psychometric analysis of student's daily social enviroments and nutural conversations. J. Personal Soc.Psychol. 84, 857-870
- Meyerhoff, Mirriam (2006). Introducing Sociolinguistics. London: Routledge.
- Mills, Sara (1995). Feminist Stylistics. London: Routledge.
- Mills, Sara (2003). Gender and Politeness. Cambridge: Cambridge University Press.
- Mills, Sara (2008). Language and Sexism. Cambridge: Cambridge University Press.
- Mills, Sara. The Gendered Sentence. In Cameron, Deborah (1998). The Feminist Critique of Language: A Reader. 2nd Ed. London: Routledge.
- Miller, Roy A. (1967). The Japanese language. Chicago: University of Chicago Press.
- Milory, Lesley (1980). Language and Social Networks. Oxford: Blackwell.
- Montemurro B, Bartasavich J, and Wintermute L (2015). Let's not talk about sex: the gender of sexual discourse. Sexuality & Culture, 19, 139-156
- Nelson, Marie W. (1998). Women's Ways: interactive patterns in predominantly female research teams. Pp. 72-354 in Coates, Jennifer (Ed) (1998). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell.
- Newman M L, Groom C J, Handelman L D, and Pennebaker J W (2008). Gender Difference in Language Use: an analysis of 14,000 text samples. Discourse Processes. London and New York: Routledge.
- O'Barr, William and Atkins, Bowman K. (1980). Women's language or powerless language? Pp.93-110 in McConnell-Ginet S, Borker R, and Furman N (Eds). Women and Language in Literature and Society. New York: Praeger.
- Ochs, Elinor and Taylor, Carolyn (1995). The "Father knows best" dynamic in dinner time narratives. Pp.97-120 in Hall, Kira and Bucholtz, Mary (Eds). Gender articulated. Language and the socially constructed self. New York: Routledge.
- Okamoto, Shigeko (1995). "Tasteless" Japanes: less "Feminine" speech among young Japanese. Pp. 35-51 in Hall, Kira and Bucholtz, Mary (Eds). Gender Articulated. London and New York: Routledge.
- Reuther, Rosemary R. (1975). New Women / New Earth: sexist ideologies and human liberation. New York: The Seabury Press.
- Rochefort, Charles (1665). Histoire naturelle et morale des iles Antille de l'Amerique [Natural and Moral history of the Antille island of America] 2nd Ed. Rotterdam: Chez Arnout.
- Rochefort, Christian (1981). Are women writers still monsters? In Marks, E. and De Courtivron, I. (Eds). New French Feminisms. Brighton: Harvester.
- Romine, Suzanne (2003). Variation in language and gender. In Holmes, Janet and Meyerhoff, Mirriam (2003). The Handbook of Language and Gender. USA: Blackwell puplishing.
- Sadiqi, Fatima (2003). Women, Gender and Language in Morocco. Leiden, Boston: Brill.
- Sapir, Edward (1921). Language: an introduction to the study of speech. New York: Harcourt, Brace and Company.

- Schick Case, Susan (1988). Cultural Differences, Not Deficiencies: an analysis of managerial women's careers: Pathways and Pitfalls. New York: Praeger.
- Sneldon, Amy (1990). Pickle Fights: gendered talk in preschool disputes. Discourse Processes. 13:5-13
- Speder, Dale (1980). Man made language. London: Longman.
- Speder, Dale (1990). Invisibale Women: the schooling scandal. London: Women's Press.
- Stanworth, Michelle (1987). Girls on the margins: a study of gender division in the classroom. In Weiner, Gaby and Arnot, Madeleine (Eds). Gender Under Scrutiny. London: Hutchinson.
- Strodtbeck, Fred and Mann, Richard (1956). Sex role differentiation in jury deliberations. Sociometry. 19:3-11
- Stubbs, Michael. Discourse Analysis. Basil: Blackurll.
- Sunderland, Jane (Ed) (2006). Language and Gender: an advanced resource book. London and New York: Routledge.
- Swacker, Marjorie (1979). Women's Verbal Behaviour at Learned and Professional Conferences. In Dubois, Bitty-Lou and Crouch, Isabel (Eds). The Sociology of the language of American women. San Antonio, TX: Trinity University.
- Swann, Joan (1998). Talk Control: an illustration from the classroom of problems in analysing male dominance in education. Pp.96-185. in Coates, Jennifer (Ed) (1998). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell.
- Tannen, Deborah (1994a). Gender and Discourse. New York: Oxford University Press.
- Tannen, Deborah (1994a). Talking from 9 to 5: women and men in the work place: Language, Sex and Power. New York: Aron Books.
- Tannen D, Hamilton H, and Schiffrin D (2015). The Handbook of Discourse Analysis. 2nd ed. UK: Wiley Blackwell.
- Tannen, Deborah (1990). You Just Don't Understand: Women and Men in Conversation. New York: Ballantine.
- Thorne, Barrie and Henley, Nancy (Eds) (1975). Language and Sex: Difference and Dominance. Rowley, MA: Newburry House.
- Todd, Alexandra and Fisher, Sue (Eds) (1988). Gender and Discourse: The Power of Talk. Norwood, NJ: Ablex.
- Todorov, Tzvetan (1966). Les categories du recit [The categories of the ricit]. Communications.
- Trudgill, Peter (1972). Sex, Covert prestige and linguistic change in the urban British English of Norwich. Language in Society. 1:95-179
- Walsh, Clare (2001). Gender and Discourse: Language and Power in politics, the church and organisations. Harlow: Longman Pearson.
- Wardhaugh, Ronald (2006): An Introduction to Sociolinguistics. 5th ed. USA: Blackwell.
- Wardhaugh, Ronald and Fuller, Janet M. (2015). An Introduction to Sociolinguistics. 7th ed. UK: Wiley Blackwell.
- Weatherall, Ann (2002). Gender, Language and Discourse. London and New York: Routledge.

- West, Candace and Zimmerman, Don H. (1987). Doing Gender. Gender and Society. 1(2): 51-125
- West, Candace (1998a). Not Just Doctors Orders: directive-response sequences in patients visits to women and men physicians. In Coates, Jennifer (Ed) (1998). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell.
- West, Candace (1984). Routine Complication: Troubles with talk between doctors and patients. Bloomington: Indiana University.
- West, Candace (1984). When the doctor is a lady: Power, Status and Gender in physician-patient encounters. Symbolic Interaction 7 (1): 87-106. And in Coates, Jennifer (Ed) (1998). Language and Gender: A Reader. Oxford: Blackwell. Pp.396-412
- Wodak, Ruth (Ed) (1997a). Gender and Discourse. London: Saga.
- Woolf, Virginia (1929 [1966]). Women and Fiction. In Collected Essays. London: Hogarth press and in Mills, Sara (1995). Feminist Stylistics. London: Routledge.
- Woolf, Virginia (1990b):. Dorthy Richardson and the women's Sentence. In Cameron, Deborah (1998). The Feminist Critique of Language: A Reader. 2nd Ed. London: Routledge.
- Woolf, Virginia (1965). Contemporary Writers. London: Horgarth Press.
- Woolf, Virginia (1977 [1929]). A Room of One's Owen. London: Granada.
- Yule, George (2010). The Study of Language. 4th ed. Cambridge: Cambridge University Press.
- Zimmerman, Don H. and West, Candace (1975). Sex Roles: Interruption and Silences in Conversation. In Thorne, Barrie and Henley, Nancy (Eds) (1975). Language and Sex: Difference and Dominance. Rowley, MA: Newbury House.

سادسًا: الحوليات والدوريات والأوراق البحثية:

- ريكور (بول) .Ricoeur, P, النص والتأويل, ترجمة: مصطفى عبد الحق, مجلة الفكر العربي والفكر العالمي, عد (3), بيروت, (1988)
- عزوز (لحسن), أنشودة الذات النسوية والتكوين المستقبلي في روايات موال الطحلوي: معوفية الكتابة بأقلام النساء, محور تمثيلات الخطاب النسوي في الأدب العربي, ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر فلادلفيا الدولي رقم (23), كلية الآداب واللغات, جامعة الشهيد حمة لخضر الوادعي, الجزائر, (2018)
- فتاح (د. علي عبد الرحمن), تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل, مجلة كلية الآداب, عد (102), جامعة صلاح الدين, العراق.
- معوض (إسواء محمد), الزراعة في مملكة غرناطة في ظل بني الأحمر, مجلة البحث العلمي في الآداب, عد (18), ج (4), كلية البنات للآداب والعلوم والتربية, جامعة عين شمس, القاهرة, (2017)

التعريف بكتاب مادة الدراسة

بهاء طاهر (1935–2022), روائي وقاص ومترجم, من مواليد محافظة الجيزة, إلا أن أصوله تعود إلى محافظة الأقصر, عمل مترجمًا بالهيئة العامة للاستعلامات في الفترة ما بين (1956–1957), ثم عمل مترجمًا بمقر الأمم المتحدة بجينيف في الفترة ما بين (1981–1995)

- حصل على جائزة أفضل رواية بمعرض القاهرة الدولي للكتاب عام (1995) عن روايته (الحب في المنفى)
- حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام (1998)
- حصل على جائزة جوزيبي أكيربي Giuseppe Acerbi الإيطالية عام (2000) عن روايته (خالتي صفية والدير)
- حصل على جائزة البوكر الدولية Booker عام (2007)
- حصل على الجائزة العالمية للرواية العربية عام (2008) عن روايته (واحة الغروب)
- حصل على جائزة ألزياتور Alziator الإيطالية عام (2008) عن روايته (الحب في المنفى)
- حصل على جائزة مبارك للآداب عام (2009), إلا أنه قام برفضها أثناء احتجاجات يناير 2011.

ترجمت روايته (خالتي صفية والدير) إلى عشر لغات, كما ترجمت روايته (واحة الغروب) إلى الإنكليزية والنرويجية واليونانية, وقامت الجامعة الأمريكية بالقاهرة بترجمة روايتيه (الحب في المنفى – قالت ضحى) إلى الإنكليزية, وقامت بنشرهما أعوام (2001 – 2008) على الترتيب, كما تحولت العديد من أعماله إلى مسلسلات تلفزيونية مثل: خالتي صفية والدير, واحة الغروب.

خيري شلبي (1938-2011) من مواليد قرية شباس عمير, مركز قلين, محافظة كفر الشيخ, له أكثر من سبعين عملًا في شتى صنوف الثقافة, تراوحت ما بين الرواية, والقصة, والمسرح, والسير الشعبية, والدراسات الأدبية, إضافة إلى عشرات المقالات.

- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام (1980)
- حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام (1980)
- حصل على جائزة أفضل رواية عربية عام (1993) عن روايته (وكالة عطية)
- حصل على جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية عام (2003)
- حصل على جائزة التفوق من اتحاد الكتاب عام (2003)
- حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام (2005)

تُرجمت العديد من أعماله إلى الإنكليزية, والفرنسية, والألمانية, والروسية... وغيرها وتحول العديد من هذه الأعمال الروائية إلى أفلام ومسلسلات تلفزيونية مثل: (الشطار, سارق الفرح, الوتد, وكالة عطية ...وغيرها), ورشحته مؤسسة إمباسادورز Ambassadors الكندية لنيل جائزة نوبل في الآداب.

رضوى عاشور (1946-2014), من مواليد محافظة القاهرة, أستاذة جامعية ورئيس سابق لقسم اللغة الإنكليزية بكلية الآداب جامعة عين شمس؛ حصلت على درجتي الليسانس والماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة, ثم نالت درجة الدكتوراه من جامعة ماساتشوستس University of Massachusetts Amherst الأمريكية.

- حصلت على جائزة معرض القاهرة الدولي للكتاب لأحسن رواية عام (1994) عن روايتها (غرناطة)
- حصلت روايتها ثلاثية غرناطة على الجائزة الأولى للمعرض الأول لكتاب المرأة العربية عام (1995)
- حصلت على جائزة قسطنطين كافافيس C.Cavafy للآداب عام (2007)
- حصلت على جائزة ترکوينيا كارداريللي T.Cardarelli في النقد الأدبي عام (2009)
- حصلت على جائزة بسكارا بروزو Pescara Prose عن الترجمة الإيطالية لرواية أطياف (2011)
- حصلت على جائزة سلطان العويس للرواية والقصة عام (2012)

ترجمت العديد من أعمالها إلى الإنكليزية, والإسبانية, والإيطالية.

4-2 **ميوال الطحاوي** (1967-...) من مواليد قبيلة الطحاوية محافظة الشرقية, أستاذة جامعية سابقة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة, وتعمل الآن أستاذةزائرة بالجامعات الأمريكية, فهي أستاذ مساعد بقسم اللغات الأجنبية بجامعة الأبلاش Appalachian State University ولاية نورث كارولينا North Carolina, كما عملت بجامعة أريزونا Arizona State University.

- حصلت على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب عام (2000)
- حصلت على جائزة أفضل عمل روائي في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام (2002) عن روايتها (الخباء)
- حصلت على جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية عام (2010)

ترجمت أعمالها الروائية إلى عدة لغات منها: الإنكليزية, والفرنسية, والألمانية, والإيطالية... وغيرها.

كم لديك من السطور الجميلة التى أخذت

منك الكثير من المجهود والاعتناء

لكى تكون أفضل ما يمكن لتعبر بها عن شعور

داخلى لم تستطع أن تشاركه مع أحد غيرك.

مهما كانت سطورك

قصص... روايات... أشعار... مقالات

باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية

تواصل معنا

لتشارك سطورك مع العالم

٠١١٢٢٣٨٠٤٤٣